محسن محمد

سقط النظام في ٤ أيام

ثورة ٢٣ يوليو بالوثائق السرّية

دار الشروق

سقط النظام في ٤ أيام

ثورة ٢٣ يوليو بالوثائق السرية

الطبعة الأولى
١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

© دار الشروق
القاهرة ١٦ شارع جواد حسني - هاتف ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٣٤٨١٤
برقيا : شروق - تلكس 93091 SHROK UN
بيروت : ص. ب : ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣
برقيا : داشروق - تلكس SHOROK 20175 LE

مقدمة

رأى الملك فاروق من نوافذ قصر عابدين القاهرة وهى تحترق يوم ٢٦ من يناير عام ١٩٥٢ .

وطلبت الحكومة إلى صاحب الجلالة أن يأمر بنزول الجيش المصرى إلى قلب المدينة لوقف أعمال الحريق وحتى لايتدخل الجيش البريطانى .

ولكن الملك بقى خائفا فلم يكن صاحب الجلالة واثقا من أن الجيش سيطيع أوامره . وكان يخشى قيام حركة عصيان وتمرد ضده .

. تدخل الجيش فاوقف الحريق والفوضى واستقر الأمن فى المدينة عند المساء . وجه فاروق رسالة إلى جيش مصر أشاد فيها بوطنيته العالية واخلاصه . ويلتقى فاروق بالسفير الأمريكى فى مصر جيفرسون كافرى .

قال صاحب الجلالة

- إنى فخور بجيشى .. أطاع أوامرى . تأكدت ثقتى به ولم أعد أخشى عليه من نفوذ أحد غيرى.

استعاد فاروق رباطة جأشه . واسترد ثقته بنفسه ، وأخذ يطيح بالوزارات واحدة وراء الأخرى ، فهو الوحيد الذى خرج منتصرا من الحريق .

ولكن ..

بعد ستة شهور بالضبط كان الجيش المصرى يتحرك ليرغم صاحب الجلالة على اعتزال العرش .

ماذا جرى فى هذه الشهور الستة ، وبالذات خلال الأيام الأربعة التى أطاحت بفاروق وأسقطت النظام الملكى وعرفت بثورة ٢٣ يوليه ١٩٥٢ .

هذه هى القصة كاملة وبالوثائق السرية .

المتآمـرون

أعلن مصطفى النحاس باشا رئيس الوزراء ورئيس حزب الوفد يوم ٨ من أكتوبر ١٩٥١ إلغاء معاهدة عـام ١٩٣٦ بين مصر وانجلترا ومعاهدة الحكم الثنائى المصرى البريطانــى للسودان التى عقدت بين مصر والانجليز أيضا عام ١٨٩٩ ، ونادى بفاروق ملكا على مصر والسودان .

وافق الملك فـاروق وصدر قانون إلغاء المعـاهدتين فى ١٥ من أكتوبـر ١٩٥١ ورفض الإنجليز ذلك وأعلنوا أنه لايجوز إلغاء هذه المعاهدة من طرف واحد . وأصروا على الاحتفاظ بحقوقهم فى ظل معاهدة ١٩٣٦ حتى تعقد معاهدة جديدة بين البلدين .

أخذت الحكومة المصرية تشجع العمال المصريين على ترك العمل فى المعسكرات البريطانية .

وبدأت أعمال الفدائيين ضد الانجليز بتشجيع من حكومة الوفد .

احتج الانجليز وقدم السفير البريطانى أول مذكـرة احتجاج كتابية إلى الحكومة المصرية فى ٢٤ من نوفمبر عام ١٩٥١ .

بدأ صاحـب الجلالة يتآمر مع الإنجليز ضـد رئيس وزرائه الذى الغى المعاهدة فـأوفد ادجار جلاد صاحب جريدتى « الزمان » و « الجورنال ديجيبت » وأحد رجال القصر إلى كريزويل الوزير البريطانى المفوض ـ يوم ١١ من ديسمبر ١٩٥١ ـ لإبلاغه أن على ماهر سيعين رئيسا للوزارة بعد إقالة النحاس .

وطلب جلاد من كريزويل التفاهم مع على ماهر!

ويلتقى الرجلان ، رئيس وزراء مصر السابق ، والوزير البريطانى المفوض .

قال على ماهر إنه يوافق على تولى الوزارة وستكون وزارة ائتلافية تضم عناصر قوية .

وطلب من بريطانيا أمرين :

ـ ألا يقدم انتـونى ايدن وزير خارجيـة بريطانيا أيـة تنازلات إلى الدكتور محمد صـلاح الدين وزير خارجية مصر عنـد لقائهما فى باريس أثناء اجتماع الجمعية العامة لـلأمم المتحدة وأن تتخذ السلطات البريطانية إجراءات فى منطقة القناة ضد الإرهابيين .

.. يقصد الفدائيين !!

* * *

تتابعت مذكـرات الاحتجاج من السفير البريطانى بشأن أعمال الفدائيين فـاكتمل عددها إلى ٤ مذكرات آخرها بتاريخ ١٩ من يناير عام ١٩٥٢ .

وأثار السفير الأمر مع الوزراء المصريين فى ٤ مناسبات أخرى ، كما لفت الجنرال ارسكين قائد

القوات البريطانية فى منطقة القناة ، انتباه السلطات المصرية المحلية ، فى المنطقة ، عدة مرات .

وكان واضحا أن حكومة الوفد تريد إثارة الصدام المسلح مع القوات البريطانية .

ويقرر الانجليز يوم ٢٥ من يناير ١٩٥٢ نزع سلاح قوات الشرطة فى منطقة القناة لأنها تحمى الفدائيين ، كما قرروا طرد وحدات الشرطة من محافظة الاسماعيلية . وحاصرتها القوات البريطا داخل المحافظة ، وطلبت منها تسليم سلا حها .

وكانت حكومة الولايات المتحدة تعلم أن بريطانيا ستقوم بعمل ما فى منطقة القناة .

وتلقت وشنطن من الحكومة البريطانية تفصيلات العملية قبل بدئها بنصف ساعة

رفض قائد القوة المصرية التسليم فأطلق عليهم الانجليز النار ، بعد الحصار ، فقتل ٥٢ ، رجال بلوك النظام وأصيب ٧٢ . وقتل فى هذه المذبحة من الانجليز ضابط وثلاثة جنود .

استسلم البوليس المصرى بعد نصف ساعة من المقاومة الباسلة .

وتبلغ بريطانيا وشنطن بأن هذا الاجراء كان ضروريا لأمن القوات البريطانية فى منطقة القنا، وتطلب من دين اتشيسون وزير الخارجية الأمريكى تأييده لكل الاجراءات التى تمت ، والاجراءا التى ستفرضها بريطانيا لإخماد أية اضطرابات ، قد تنشأ فى الدلتا لحماية أرواح المصريي والأجانب .

ولكن الوزير الأمريكى أبدى أسفه للسفير البريطانى لأن العملية لم تتم كما وعدت بريطانيا د كانت عنيفة وسيئة .

وعد انتونى ايدن وزير خارجية بريطانيا القيام بعملية مصالحة مع مصر .

* * *

ويزحف جنود بلوكات النظام على القاهرة فى صباح اليوم التالى .

وينفجر الشعب فى القاهرة – يوم ٢٦ من يناير – وتحترق المدينة ، ويدمر أكثر من ٧٠٠ مر المحلات والمنشآت أغلبها مملوك للأجانب ويهدد ١٢ ألفا من المصريين بالتشرد ، ويقتل فى هذ، الأحداث ٢٦ شخصا ويصاب ٥٥٢ آخرون منهم ٩ قتلى من البريطانيين والمفوض التجارى لحكومة كندا فى مصر .

... وكان المصريون هم الذين أحرقوا القاهرة !

* * *

كان الملك يقيم مأدبة غداء لضباط الجيش احتفالا بميلاد ولى عهده أحمد فؤاد . وظل صاحب الجلالة يرحب بضيوفه الستمائة ، وبينهم ضابط لايعرفه صاحب الجلالة هو البكباشى – المقدم – جمال عبد الناصر !

استمر تقديم الأطباق الثمانية واحدا بعد الآخر بينما يرى ضباط الجيش الدخان يتصاعد من العاصمة المحترقة .

قيل إن فاروق تأخر فى استدعاء الجيش لأنه أراد جعل الوفد يحترق بالنار ، وليتخلص من هذا الحزب إلى الأبد .

وتبعث وزارة الخارجية البريطانية إلى سفيرها فى القاهـرة ، فى الثالثة والنصف من بعد الظهر ، تقول :

« إذا عجـز الجيش المصرى عـن حفـظ النظام ، وطلـب مساعـدتنـا عبر الملك ، أو قـائد الجيش، فإن هذا أفضل حل للتدخل ، وهو الحل الذى نرحب به .

و إذا تلقينا طلبا مسئولا بشروط ، تعتبرها مرضية ، فانت مفوض للإجابة بالتشاور مع القائد العام البريطانى » .

حاول السفير البريطـانى السير رالف ستيفنسون أكثـر من مرة الاتصـال بـأى وزير مصرى دون جدوى فلم يكن بين وزراء مصر من يرغب فى الحديث إلى السـفير البريطانى.

كان السفير حائرا .

هل يتصـل بالجنرال ارسكين قـائد القوات البريطانيـة فى منطقة القنـاة ، ويطلب منه التـدخل والزحف بقواته إلى القاهرة .

إن قوات ارسكين كانت مستعدة . الفرقة الأولى وكتيبة المظلات رقم ١٦ .

وكان ارسكين قد أبلغ السفير بأنه يستطيع الوصول إلى القـاهرة خلال ست ساعات إذا قاومه الجيش المصرى أما إذا لم يجد مقاومة فانه سيقتحم القاهرة خلال ١٢ ساعة لانه سيتقدم بحذر .

وقال إن المقاومة العلنيـة من المصريين تجعل عملية الزحف أيسر . أمـا إذا اتبعوا أسلوب حرب العصابات فإن ذلك يجعل عملية الزحف تستغرق وقتا أطول !

* * *

فى الثالثـة بعد الظهر أبلغ إبـراهيم فرج بـاشا وزير الخارجيـة المصرى بالنيابة ، فـإن محمد صلاح الـدين باشـا وزير الخارجية كان فى الخارج ، السفير البريطـانى ، بأن السلطـات المصرية تستطيع حفظ الأمـن والنظام وانها مسئولة عن حمايـة أرواح الأجانب، فإن صاحـب الجلالة أمر الجيش بالتدخل.

* * *

ويستدعى فاروق السفير البريطانى لمقابلته فى الرابعة بعد الظهر .

هاجم الملـك الانجليز بعنف وقال إنه يعـرف تماما خطورة الحالة ، وسيتحـرك الجيش لحفظ النظام ويطلق النار على العناصر الشريرة .

وقال إنه استدعى ٨٠٠ من ضباط الجيش والنتيجة مرضية .

ويزور عبد الفتاح عمرو باشا السفير المصرى فى لندن الذى استدعاه فاروق إلى القاهرة وعينه مستشارا له فى ٢٥ من ديسمبر عام ١٩٥١ ، السير رالف ستيفنسون فى المساء ليقول له :

ـ حافظ عفيفى باشا رئيس الديوان مصمم على نصح الملك بتغيير الوزارة فورا .

ويطلب فاروق إلى النحاس ، فى المساء ، إعلان الأحكام العرفية ، فيعلنها !

ويوجد السفير البريطانى مـذكرة إلى الحكومة المصرية ـ يوم ٢٧ من ينايـر ـ يحملها المسئولية عن كل الخسائر فإن حريق القاهرة قدم الفرصة للانجليز لوقف الأعمال الفدائية .

أراد الملك إقالة النحاس وعرض الملك رئاسة الوزارة على أحمد نجيب الهلالى ، الذى رأى قبل إعلان موافقته ، زيارة السفير البريطانى أولا ، ليعرف نوايا الانجليز بشأن المفاوضات مع مصر .

ولم يكن الوقت ، ولا الظروف ، تسمحان بذلك ، فقرر صاحب الجلالة التعجيل بتشكيل وزارة برئاسة على ماهر ، وفى نفسه ، من على ماهر ، شكوك !

ولكن ..

علم الفريق محمد حيدر باشا القائد للجيش فاحتج بشدة على تغيير الحكومة وتعيين على ماهر رئيسا للوزارة دون أخذ رأيه فى الاعتبار

قال :

ـ يوجد وفديون فى الجيش وقد لايوافقون على طرد النحاس .

واقترح دعوة النحاس لتشكيل حكومة ائتلافية من كل الأحزاب فإذا رفض فإن الجيش سيعرف أن الملك أعطى النحاس . فرصة .

وفى هذه الحالة يمكن تأليف وزارة جديدة برئاسة ماهر .

سبب ذلك هرجا ومرجا فاستدعى الرسول الذى كان على وشك الذهاب إلى على ماهر وعقد الملك اجتماعا مع كبار مستشاريه · حافظ عفيفى والياس اندراوس وعبد الفتاح عمرو باشا والفريق محمد حيدر باشا .

وعلم فاروق أن القوات البريطانية ستتدخل ، إذا لم يتم تغيير الحكومة . ولن تثار مسألة التدخل العسكرى إذا ظهرت حكومة جديدة قادرة على حفظ القانون والنظام وحماية الرعاية والممتلكات البريطانية ، وإلا فلن يقف الجيش البريطانى مكتوف الأيدى ، بينما تقتل النساء البريطانيات !

طلب فاروق إلى عبد الفتاح عمرو باشا الاتصال بالسفير البريطانى لسؤاله .

قال عمرو باشا للملك ·

ـ الحكمة تقتضى ألا أقوم بمثل هذا الإجراء ، لو أكد السفير ذلك فإنك ياصاحب الجلالة ستجد نفسك فى مواجهة إنذار بريطانى .

اقتنع فاروق بهذا المنطق ، ولكن استمر الجدل بين المستشارين .

وأخيرا ، بعد اتصالات قام بها حيدر قال لصاحب الجلالة :

ـ أبلغنى ضباط مخابراتى أنه لاتوجد علاقة تشير إلى تحرك بريطانى سيتجه إلى القاهرة .

اتصل فاروق بعلى ماهر قائلا

ـ سأكلف النحاس بتشكيل وزارة ائتلافية ، فإذا رفض ، وهو الأمر المرجح ، سأجدد تكليفك .

وافق على ماهر فى البداية ولكنه عدل قائلا :

ـ لن أوافق على تشكيل حكومة ، إذا كلف بها قبلى ، مصطفى النحاس .

رشح على ماهر اللواء محمد نجيب وزيرا للحربية ولكن الملك رفض ذلك فتولى أحمد مرتضى المراغى وزارتى الداخلية والحربية .

ويصبح فاروق ـ كما تقول برقيات السفير البريطانى ـ واثقا من نفسه لتخلصه من الوفد ،فى لحظة تدهور فيها نفوذ الحزب إلى درجة الصفر وخاصة بعد إعلانه الأحكام العرفية .

ويكتب ايدن فى مذكراته :

« ترك الخوف من أن قواتنا ستأتى إلى القاهرة أثرا عندما أقال الملك النحاس باشا بعد مناقشة طويلة دارت فى القصر »!

* * *

كان على ماهر فى السبعين من عمره .

تخرج من مدرسة الحقوق وعمره ٢٢ سنة .

اشتغل بالمحاماة ثم عمل قاضيا .

انضم إلى الوفد فى ثورة عام ١٩١٩ ، فقبضت عليه السلطات البريطانية ، وأبعدته إلى الأقصر .

عاد إلى القاهرة واختير مديرا لمدرسة الحقوق ، كليه الحقوق ، وساعد على التوفيق بين سعد زغلول وعدلى يكن باشا عام ١٩٢٠.

انفصل عن الوفد وانضم إلى حزب الأحرار الدستوريين ، ثم إلى حزب الاتحاد الذى يساند الملك أحمد فؤاد .

وأصبح وزيرا للمعارف عام ١٩٢٥ ثم تولى عدة وزارات أخرى فى حكومات ، حكمت بغير برلمان ، وعطلت الدستور ، أو ألغته ، تدعيما لسلطة الملك .

أختير رئيسا لديوان الملك فؤاد وتولى رئاسة الوزارة نحو أربعة شهور عام ١٩٣٦ ثم أعيد لرئاسة الديوان فى عهد الملك فاروق فكان مع الملك ضد الحكم الدستورى إذ ساعده على إقالة مصطفى النحاس عام ١٩٣٧ مع أن البرلمان يؤيده .

فى رسالة دكتوراه عنوانها « على ماهر والقصر » قدمها شارل تريب إلى جامعة لندن قال إن على ماهر خلال سنوات رئاسته للديوان الملكى والوزارة بذل جهدا كبيرا ليضمن ولاء ضباط الجيش لسياسة الملك . وحرص على أن يزور صاحب الجلالة المساجد ويؤدى صلاة الجمعة فيها لاكتساب الشعبية .

وتولى رئاسة الوزارة تسعة شهور انتهت فى ١٣ يونيه عام ١٩٤٠ بإصرار الانجليز على إبعاده لأنه رفض إعلان الحرب ضد الألمان . واعتقل فى مزرعته أثناء الحرب . وظل ١٢ سنة بعيدا عن المناصب.

لم يستطع على ماهر تشكيل وزارة ائتلافية كما وعد الوزير البريطانى المفوض عندما استشاره من قبل أثناء وزارة النحاس ، أو ضم عناصر وفدية إليها ، بعد حريق القاهرة فإن اضطراب الموقف فى مصر ، عقب الحريق ، دعا إلى سرعة تشكيل الوزارة .

وكان قبول على ماهر للمنصب أهم انجاز له فقد تحمل المسئولية فى وقت ينبعث فيه الدخان من مبانى القاهرة ولدى المراقبين شكوك خطيرة فى ولاء الشرطة ، بل ورجال الجيش ، لصاحب الجلالة.

وكانت موافقة على ماهر على تقلد المنصب من العوامل التى جعلت الملك يقيل الوفد .

طالب الملك فى خطاب تكليف على ماهر برئاسة الوزارة « باتخاذ خطوات جديدة لحماية البلاد من التوتر والفتنة » .

رد على ماهر بأنه « لن يتخلى عن الأهداف التى تتمثل فى الجلاء ووحدة وادى النيل واستتباب الأمن واعادة النظام » .

* * *

أراد الملك أن يحطم على ماهر الوفد وأن يقدم رجاله إلى القضاء بتهمة إحراق القاهرة .. أما على ماهر فظن أنه يستطيع أن يناور الملك ، والوفد ، والانجليز ، وأن يكون الرجل الذى يثق به كل الزعماء لأنه أعاد ، إلى مصر ، الأمان !

* * *

كانت للانجليز فى منطقة القناة قاعدة تقدر قيمتها بـ ٥ر١ بليون دولار وفيها نحو ٧٥ ألف جندى بريطانى وهى أكبر قاعدة غربية خارج بريطانيا والولايات المتحدة . وتعتبر نقطة قوية فى سلسلة الحلقات الدفاعية الإقليمية والعالمية التى أنشأها الغرب .

* * *

بعد تشكيل الوزارة رسمت الصلبان الحمراء والسوداء بأعداد كثيرة على شقق ، ومنازل ، المسيحيين والأجانب المعروفين فى مصر .

وتسلمت المتاجر الكبرى تحذيرات مجهولة تقول :

« غفلنا عنكم فى المرة السابقة - أى أثناء الحريق - ولكننا سنصل إليكم فى المرة القادمة »

قال السفير الأمريكى :

« هذه عملية شيوعية .

وأعلن مدير الأمن العام المصرى عن اتخاذ إجراءات مشددة لوضع نهاية لحرب الأعصاب .

وأذاع على ماهر بيانا أشار فيه إلى أن الواجب الأساسى للحكومة هو استقرار السلام والهدوء تأكيدا لحقوق المصريين والأجانب و إعادة الثقة فى الإدارة .

وكان واضحا أن رئيس الوزراء يعتمد فى تأييده على حزب الاحرار الدستوريين والسعديين .

وأعلن الإخوان ، وارتباطهم قديم بعلى ماهر ، تأييدهم لحكومته وأدانوا أعمال السلب والنهب التى جرت يوم حريق القاهرة .

قال حسن الهضيبى المرشد العام للجماعة «إحراق ملهى لايمحو الشر والانتهازية مادام القانون يسمح بوجوده » .

وطالب المرشد العام بمقاطعة منظمة للبضائع الإنجليزية بدلا من تحطيم المنشآت .

أما الوفد ، وله الأغلبية فى مجلس النواب ، فقد أحس بالإهانة لأن هذه هى المرة الرابعة التى يقال

فيها كما أن عملية الإقالة تمت بعد إعلان الأحكام العرفية ، وبذلك لايستطيع الوفد أن ينتقدها فقد أعلنها بنفسه !

وتوقع الوفد خصومة حادة من على ماهر فالعداوة بينهما قديمة .

وكان السؤال الأول :

ـ هل سيتصرف على ماهر بشكل حازم مع الوفد ؟

وهنا كانت المفاجأة .

* * *

اجتمع رئيس الوزراء فى اليوم التالى لتشكيل الحكومة بمصطفى النحاس باشا زعيم حزب الوفد وفؤاد سراج الدين باشا سكرتير عام الحزب .

تم الاتفاق فى هذا الاجتماع على أن يمنح الوفد تأييده لعلى ماهر بشروط أهمها الا يفصل رئيس الوزراء الموظفين الوفديين ، وألا يتخذ إجراء قانونيا ضد الوفد أى لايحاكم الوفديين ، وألا يحل البرلمان وأن يعجل بإلغاء الأحكام العرفية !

وأخذ على ماهر يتحدث فى مجلس النواب عن « سلفه العظيم » مصطفى النحاس !

وكانت تصريحات على ماهر مريحة للوفديين . وبرر ذلك لصاحب الجلالة بأنه يحتاج إلى إعادة تنظيم الشرطة قبل خوضه المعركة مع الوفد .

لم يرض الملك عن التقارب بين على ماهر والوفد فإن رئيس الوزراء لم يمنح مجلس النواب إجازة ولم يعطله أو يحله كما طلب الملك . وكانت هذه صدمة لصاحب الجلالة والانجليز الذين يريدون حل البرلمان ومحاكمة فؤاد سراج الدين وزير الداخلية السابق وسكرتير عام حزب الوفد وعبد الفتاح حسن وزير الشئون الاجتماعية السابق باعتبارهما مسئولين عن حريق القاهرة وكذلك اتخاذ اجراءات عنيفة ضد المسئولين الوفديين بتهم الفساد .

* * *

بعد ثلاثة أيام من تأليف الوزارة توجه السفير البريطانى السير رالف ستيفنسون إلى رئيس مجلس الوزراء ليقدم إليه مطالب الحكومة البريطانية :

* إعلان مسئولية وزير الداخلية السابق فؤاد سراج الدين السكرتير العام لحزب الوفد وعبد الفتاح حسن وزير الشئون الاجتماعية السابق عن حريق القاهرة .

* التحقيق حول مذبحة « نادى التيرف » .. الإنجليزى أثناء الحريق .

*إحكام الرقابة على السلاح والأفراد .

* وضع خطة عسكرية عاجلة لحماية وتأمين الكبارى .

* تقديم التسهيلات اللازمة للمواطنين البريطانيين الراغبين فى مغادرة مصر .

* تيسير سفر أعضاء السفارة إلى منطقة القناة .

* اتخاذ الإجراءات اللازمة ضد الصحافة المتطرفة .

لم يعترض رئيس الوزراء بل وافق على ضرورة تخفيف حدة الموقف المتوتر .

وبعد خمسة أيام من تشكيل الوزارة قال الياس اندراوس باشا المستشار الاقتصادى لفاروق للسفير البريطانى السير رالف ستيفنسون :

ـ سيمارس صاحب الجلالة الضغط على رئيس الوزراء فى مسألة غزله الخطر مع الوفد .

كان أول مافعله على ماهر استعادة الأمن والثقة ورفع معنويات رجال الشرطة . وأعاد عددا من كبار رجال الشرطة إلى مناصبهم ومنحوا صلاحيات تمكنهم من الإمساك بزمام السلطة فى القاهرة .

وشكلت محكمة لمحاكمة مثيرى الشغب .

وفى منطقة القناة أوقفت الحكومة أنشطة كتائب التحرير ، التى تهاجم المعسكرات البريطانية ، ومنعت إعانة البطالة عن العمال الذين كانوا يشتغلون فى المعسكرات أو شركات الشحن البريطانية وتركوا العمل بعد إلغاء المعاهدة فاضطر العمال إلى العودة للمعسكرات .

ووضعت رقابة على جميع أخبار منطقة القناة التى تنشرها الصحف .

وتغير أسلوب الاذاعة المصرية .

منعت الحكومة الدعوة إلى أعمال العنف التى كانت طابع الإذاعة والصحافة المؤيدة للحكومة منذ إلغاء الوفد للمعاهدة .

* * *

مر الوقت دون تحرك لحل مجلس النواب ، أو اتخاذ إجراء ضد كبار الموظفين الوفديين الذين ظلوا فى مناصبهم الرسمية . بل إن على ماهر تمادى فى توثيق صلته بالوفد فأعلن عن تشكيل لجنة سياسية لجبهة وطنية يمثل فيها الوفد بوزيرين سابقين هما الدكتور محمد صلاح الدين وزير الخارجية السابق وإبراهيم فرج وزير الشئون البلدية والقروية السابق .

واعتبر الانجليز ذلك إشارة إلى أن الوفد سيشترك فى المفاوضات المقبلة معهم ، وهم الذين كانوا يريدون من حكومة الوفد نفسها إبعاد الدكتور محمد صلاح الدين عن الوزارة وعن المفاوضات !

وزادت الضغوط على رئيس الوزراء للتحرك ضد الوفد ، ولكنه ، كمناور سياسى ، أخذ يؤجل التنفيذ وسعى ليكون كل شىء بالنسبة للشعب والأحزاب جميعا !

ويفزع الملك من الموقف الجديد الطارئ لعلى ماهر ، فإنه يرغب فى أن يضرب رئيس الوزراء الوفد والذين أحرقوا القاهرة ، بيد قوية ، فطلب إلى رئيس ديوانه حافظ عفيفى تحذير على ماهر من خطر هذا التصرف .

* * *

كان حافظ عفيفى فى السادسة والستين من عمره .

تخرج من كلية الطب بالقاهرة عام ١٩٠٧ واشتغل طبيبا بوزارة الأوقاف ثم درس فى ايرلندا وأمضى عاما فى التدريب على طب الأطفال فى فرنسا .

وسافر متطوعا إلى ليبيا ليرأس بعثة الهلال الأحمر أثناء الحرب الإيطالية عام ١٩١٢ وعاد إلى مصر طبيبا بمستشفى للأطفال .

انضم لحزب الوفد مع سعد زغلول عام ١٩١٩ وسافر إلى باريس للدعاية للحزب واشترك فى مفاوضات لندن

واستقال من الوفد عام ٢١ لينضم إلى حزب الأحرار الدستوريين ، ويصبح نائبا لرئيس الحزب ويشترك فى إصدار صحيفة الحزب « السياسة » .

اختير وزيرا أكثر من مرة واشترك فى مفاوضات عام ١٩٣٦ وعين وزيرا مفوضا ثم سفيرا لمصر فى لندن وقد هوجم بعد ذلك لانه ألف كتابا عن الانجليز فى بلادهم ولم يكتب عن الانجليز فى بلادنا .. أى عن احتلالهم لمصر !

اعتزل حافظ عفيفى السياسة وتولى رئاسة بنك مصر فى أكتوبر عام ١٩٣٩ بعد تقاعد طلعت حرب واختير عضو بمجالس إدارة عدة شركات .

اختاره الملك فاروق رئيسا لديوانه فى ٢٤ من ديسمبر ١٩٥١ ، بعد إلغاء الوفد لمعاهدة ١٩٣٦ ، فاشترط عدم تعيين أحد رئيسا لبنك مصر حتى يعود للمنصب فى يوم من الأيام .

وافق صاحب الجلالة ، ولكن بعد أيام ، عين الياس اندراوس رئيسا لمجلس إدارة هذا البنك .. وكان ذلك من بين أسباب تعيين حافظ عفيفى رئيسا للديوان !

ولم يستطع رفض هذا « التكريم » الملكى !

لم يقبل الوفد تعيين حافظ عفيفى الذى تم على غير إرادته ، ولكنه لم يجرؤ على معارضته كما كان يفعل فى عهد سعد زغلول مع الملك فؤاد ، أو كما كان النحاس يرفض ويقاوم فى وزاراته السابقة .

ولم ينجح حافظ عفيفى إلا فى المقاومة الهينة للملك فاروق من ناحية ، ومحاولة استعداء السياسيين ضد الوفد من ناحية اخرى لحساب الملك، ولأن رئيس الديوان أيضا يكره الوفد .

قصد رئيس الديوان إلى مجلس الوزراء ليتحدث مع على ماهر فى الرغبة الملكية قائلا:

ـ سيكون أمرا قاتلا إذا اشترك الوفد فى المفاوضات ، وبالذات الدكتور محمد صلاح الدين فالإنجليز لايطيقونه وثائرون لموقفه عندما كان رئيسا لوفد المفاوضات فى عهد الوفد .

قال على ماهر

ـ اللجنة السياسية مجرد واجهة ، وابقى على الوفد مؤقتا لاتغلب على الصعوبات القائمة وحتى يستتب الامن .

واضاف

ـ أدرك الخطر واثق فى قدرتى على التعامل مع الوفد .

عاد حافظ عفيفى إلى مكتبه ليجد السفير البريطانى السير رالف ستيفنسون يطلب لقاء عاجلا.

والسفير البريطانى ـ ٥٧ سنة ـ يتحدث العربية وكان سكرتيرا خاصا لايدن ويعرف تفكيره كما أنه ـ أى السفير ـ يعرف الكثير من أسرار السياسة المصرية و بالذات عن الوفد فقد تولى منصبه فى ١٠ يونيه ١٩٥٠ اثناء آخر وزارة الوفد .

قال السفير البريطانى :

ـ أزعجنى كثيرا فى الأيام الماضية غزل على ماهر مع الوفد .

ردد رئيس الديوان ماقاله على ماهر . ولكن السفير البريطانى قال :

ـ لابد من إلقاء مسئولية أحداث ٢٦ يناير ـ حريق القاهرة ـ على عاتق فؤاد سراج وزير الداخلية السابق وعبد الفتاح حسن وزير الدولة السابق . وإذا لم يحدث ذلك فلن بيننا أبدا .

وافق حافظ عفيفى وقال :

ـ ناقشت الأمر مع على ماهر . وأكد لى أن تحقيقات النيابة العامة تمضى بس المسئولية .

وقال حافظ عفيفى :

ـ سيستدعى صاحب الجلالة على ماهر خلال الأيام القليلة القادمة ويبلغه عد موقف رئيس الوزراء من الوفد .

كتب السفير البريطانى إلى لندن :

« ربما يكون غرض على باشا ماهر الأول التصرف بحزم مع الوفد ، ولكن من الم استسلم لابتزازه .

وقد وعدوه ، على الملأ ، أن يؤيدوه ، بشرط ألا يمسهم بسوء ، ولكن كانت لهم سرية بمهاجمته إذا انقلب ضدهم .

والمعتقد أنه يخشى اغتياله ، وهو لايستطيع أن ينسى أن أخاه ـ أحمد ماهر ـ المصير » !

وأبرق جيفوسون كافرى إلى وشنطن :

« سيكون على رئيس الوزراء أن يختار بين اتخاذ إجراءات إيجابية ضد ا الاستقالة » .

.. ولكن على ماهر لايختار فيوفد إليه الياس اندراوس مبعوثا هو ادجار جلاد باشـ جريدتى « الزمان » « والجورنال ديجبت » وأحد رجال الملك قائلا .

ـ لابد من حل البرلمان قبل بدء المفاوضات مع الانجليز .

ولكن على ماهر لم يبد استعدادا لحل البرلمان .

* * *

وافق انتونى ايدن وزير خارجية بريطانيا فورا على التفاوض مع على ماهر .

قال فى مذكرة رسمية قدمها لمجلس الوزراء البريطانى .

«بريطانيا ليست ملزمة باستئناف المفاوضات مع حكومة مصر . ولكن حكومة . تمثل أمامنا الآن أفضل فرصة وربما لن تتكرر مرة أخرى » .

وقال:

«إذا تأخرنا فربما يتم إبدال هذه الوزارة بأخرى تكون أقل ميلا للانجليز » .

فقد رأى ايدن أنه يستطيع الوصول مع الملك فاروق ، ومع على ماهر إلى ماعجز عن تحقيقه مع الوفد ، قبل وبعد ، إلغاء معاهدة ١٩٣٦ .

وظن أن الملك وعلى ماهر لن يترددا فى قبول شروط بريطانية معقولة فى ظل الأحكام العرفية، والتهديد بتحرك القوات البريطانية نحو القاهرة .

ولكن الانجليز رأوا أنه لابد أن يقدموا تنازلات جديدة لم يعرضوها على الوفد حتى يمكن للوزارة الجديدة قبول المعاهدة .

اجتمع مجلس الوزراء البريطانى برئاسة ونستون تشرشل لبحث مذكرة قدمها انتونى ايدن وزير الخارجية يوصى فيها باستئناف المفاوضات .

« إذا استطعنا الوصول إلى اتفاقية مع حكومة مصر بموافقتها على المشاركة فى قيادة الشرق الأوسط والحصول على تسهيلات كاملة لقوات الحلفاء فى منطقة القناة أثناء الحرب أو التهديد بالحرب ، فسيكون باستطاعتنا ترتيب الاحتفاظ فى مصر بالفنيين المطلوبين ، لصيانة القاعدة وبقاء قوة مقاتلة محدودة فى منطقة القناة .

وربما يكون من الضرورى التفكير فى وضع الجانب الرئيسى من قواتنا فى مكان آخر من الشرق الأوسط مثل غزة أو الاردن » .

وطلب الوزير الموافقة على إجراء المفاوضات على مراحل ثلاث تتضمن « أولاها إعداد جدول أعمال متفق عليه و إصدار بيان مصرى ـ بريطانى مشترك » .

اثيرت خلال مناقشات مجلس الوزراء البريطانى النقاط التالية :

١ ـ تعتبر القاعدة البريطانية فى منطقة القناة أكبر قاعدة عسكرية فى العالم . وسيكون نقل القاعدة إلى مكان آخر فى الشرق الأوسط باهظ التكاليف .

ولاتوجد تجهيزات أو استعدادات فى غزة بل يوجد عدد كبير من اللاجئين العرب يجب نقلهم من غزة قبل انتقال القوات البريطانية .

ولايجب أن تلزم بريطانيا نفسها ببقاء المدنيين وحدهم لصيانة القاعدة لأنهم ـ المدنيون ـ لن يقبلوا ظروف المعيشة الحالية فى غزة .

وطلب وزير المالية البريطانى أن يحاط علما بالجانب المالى من المفاوضات .. أى التكلفة.

٢ ـ اعترض ونستون تشرشل رئيس الوزراء على اقتراح بانسحاب القوات البريطانية البرية المتحركة من قناة السويس خلال عام واحد . ورأى الا تنسحب بريطانيا حتى يتم استبدال قواتها بقوات كافية للحلفاء تحت قيادة مشتركة لهم.

واقترح ألا تقدم بريطانيا عرضا بالجلاء الفورى بل تحتفظ بهذا العرض كوسيلة للضغط على حلفاء بريطانيا لأغرائهم بالمشاركة فى مسئولية الدفاع عن قناة السويس كمجرى دولى .

وقال تشرشل :

«إذا تم إعداد خطط مرضية من جانب القوى الأربع ـــ بريطانيا وفرنسا والولايات

المتحدة وتـركيا ــ للدفـاع عن المنطقة بـالتعاون مـع مصر فمن غير العملى الانسحـاب من المنطقة خلال عام» .

وقـرر مجلس الـوزراء عدم انسحـاب القوات البريطـانيـة من منطقـة القناة إلا إذا تـم التوصل إلى تسوية مرضية فى كل المسائل المتصلة بالدفاع عن الشرق الأوسط .

ووافق المجلس على أن يبدأ السفير البريطانى فى مصر المفاوضات مع على ماهر.

وبحث المجلس اقتراحين بديلين بالنسبة للسودان .

الاقتراح الأول : أن يقـرر بـرلمان سـودانـى منتخب سيـادة الملـك فـاروق الإسميـة على السودان أى اللقب الملكى لفاروق وهو أنه « ملك مصر والسودان » .

وتـراقـب عمليـة انتخـاب البرلمان السودانـى لجنـة دوليـة ، تشكـل مـن ممثلين لمصر وبريطانيا والسودان وتبعث الحكومة المصرية بممثل إلى السودان لمناقشة هذه المقترحات .

الاقتراح الثانـى : الاعتراف بالتاج المصرى المشترك ، كصلـة رمزيـة بين مصر والسودان على ألا تتـدخل مصر فى الخطـوات التى تتخـذ نحو الحكـم الذاتـى السودانـى أو فى حريـة السودانيين فى تقرير مصيرهم .

ولكن مجلس الوزراء استبعد الاقتراح الثانى الخاص باعتراف بريطانيا بالتاج المصرى المشترك . ورأى ان يقرر ذلك البرلمان السودانى .

* * *

ويستأنف مجلـس الوزراء البريطانى اجتماعـه برئاسة ونستون تشرشـل يوم ١٩ من فبراير لبحث موضوع المفاوضات .

كان رئيس الـوزراء متشددا بينما حذر انتونى ايـدن وزير الخارجية مجلس الـوزراء مطالبا بتقديم تنازلات للمصريين .

وقال ايدن

حتى يمكن الوصول إلى اتفاق ، فلابد من تعهـد بريطانى محدد للمصريين بانه عند قيام قيادة الحلفـاء فى الشرق الأوسط تنسحب مـن مصر كل القـوات البريطانية التـى لايتطلبها قائد قوات الحلفاء .

وقال إن على بـريطانيـا إعطاء تأكيـد للمصريين بانه سيتـم تدريجيـا استبدال الفنيين العسكريين البريطانيين فى قاعدة القناة بمدنيين بريطانيين ، أو مصريين ، واستبدال القوات البريطانية بمصريين عندما يصبحون أكفاء تماما .

ورفض مجلس الـوزراء هذه الاقتراحـات ووافق على أراء ونستون تشرشـل واعتراضاته وقرر :

١ ــ يتـم الاتفاق على إنشاء قيادة للحلفـاء فى الشرق الأوسط ، بمشاركـة مصر ، كعضو مؤسس وتبقى فى مصر القوات البريطانيـة البرية الضرورية التى يقررها قائد قوات الحلفاء فى الشرق الأوسط بالاتفاق مع السلطات العسكرية لمساندة القوات المصرية للدفاع عن مصر والحفاظ على المجرى المائى لقناة السويس .

٢ ـ ترحب الحكومة البريطانية ـ فى هـذه الحالة ـ بسحب القوات الاضافية التى أرغمتها الظروف الطارئة على التحرك لمنطقة القناة .

٣ ـ تقوم القوات المصرية بتـوفير الأمن ، البرى والجوى ، وحمايـة القاعدة العسكـرية للحلفاء محليا وقناة السويس أيضا . وتعاونها فى ذلك ماتراه قيادةقوات الحلفاء ضروريا .

وتكون معدات القـاعدة العسكرية فى قناة السـويس بقيادة قائد قـوات الحلفاء. ويظل مخزون السـلاح والذخيرة والآلات الميكـانيكية ملكـا لبريطـانيا ويتـم التصرف فيها عنـد الضرورة للمصلحة المشتركة .

٤ ـ تحتفـظ بريطـانيا فى مصر بالموظفين الفنيين والإداريين الـلازمين لتجهيز القـاعدة لتكون فى حالة استعداد للعمليات .

٥ ـ تتولى قيادة قوات الحلفاء مهمة الدفـاع الجوى من خلال منظمة للدفاع الجوى تتبع هذه القيادة ، تتركز فى مصر ، مع الأشخـاص الضروريين والقوات اللازمة لا ستكمال سلاح الطيران المصرية والقوات البرية المتاحة .

وقـال ايدن ــ جريـا على عادة بـريطانيـا فى المساومـة ! ـ أنـه لاينوى أن يقـدم السفير البريطانى التنازلات التى اقترحها ورفضهـا تشرشل . ولكن الهدف إرشاد السفير البريطانى بمدى استعداد الحكومة البريطانية للوصول إلى اتفاق مع الحكومة المصرية .

وأضـاف :

ـ مـن المهم جدا ألا نضيـع وقتا فى إعـادة فتح باب المفـاوضات عندمـا تكون الحكـومة المصرية مستعدة لذلك .

إن الحكومة المصرية الحالية ليست فى وضـع سيـاسـى قوى وإذا سقطت فمن المحتمل أن يخلفها وزراء ليست لديهم الرغبة فى الوصول إلى اتفاق معنا .

وقال :

ـ هذه التنازلات كانت ستقدم لمصر فى نهاية الأمر للوصول إلى إتفاق .

وأعلن ايدن أن السفير البريطانـى فى القاهرة سيلتزم ، فى البداية ، بـاقتراح وضـع جدول أعمال للمحادثات وإصدار بيان مشترك بالنصوص التى يوافق عليها مجلس الوزراء البريطانى .

ووافق المجلـس على أن يبعث وزير الخارجيـة إلى السفير البريطانـى بالتنازلات التـى يقترحها ايدن لإرشـاد السفير وتوجيهه ، وعدم إبـلاغها للحكومة المصريـة إلا بعد موافقة مجلـس الوزراء البريطانى .

وكان كل ما اقترحه ايدن من تنازلات أن تعلن بريطانيا أن قواتها ستنسحب من مصر تدريجيا خلال فترة ، تحدد فيما بعـد ، عدا القوات التى يقـررها قائد قـوات الحلفاء ويتم بقاء هـذه القوات الحلفاء بموافقة السلطات العسكرية المصرية .

ومما يذكر أن ما اقترحه تشرشل ، وكذلك تنازلات ايدن ، هو ما وافقت عليه حكومة الثورة عام ١٩٥٤ !

* * *

فى مدريد اجتمع يوم ٢٤ من فبراير ، وزيرا خارجية بريطانيا ، انتونى ايدن ، ووزير خارجية الولايات المتحدة دين اتشيسون فانتهزا الفرصة لبحث الموقف فى مصر .

قال اتشيسون :

ـ لايمكن أن يقبل على ماهر شروطا ومقترحات رفضتها حكومة الوفد السابقة . إذ ستترتب على ذلك مغامرة سياسية والموقف فى مصر مشحون بالتوتر .

أبدى ايدن فهمه للظروف المصرية فقال اتشيسون :

ــ رفض النحاس فى نوفمبر الماضى مقترحات الدول الأربع الكبرى ، الولايات المتحدة ، بريطانيا، فرنسا وتركيا لتشترك مصر مع ٤ دول عربية فى نظام للدفاع المشترك عن الشرق الأوسط ، ولايستطيع على ماهر أن يقبل ما رفضه النحاس .

وتتعدد اجتماعات الوزيرين فأصر الوزير الأمريكى على ضرورة اعتراف بريطانيا بفاروق ملكا على مصر والسودان . وقال :

ـ ترى مصر أن اللقب الملكى موضوع غير قابل للنقاش . ولابد من اعترافكم به وإلا فإن أية مفاوضات مع مصر ستفشل حتما .

قال ايدن :

ـ لايمكن لبريطانيا الاعتراف بهذا اللقب إلا بعد استشارة السودانيين . ولايمكن استشارتهم إلا بعد قيام برلمان سودانى .

أصر اتشيسون فقال ايدن .

ـ دع المصريين يبعثون ببعض المسئولين إلى السودان لمناقشة الزعماء فى أمر اللقب وإقناعهم بالاعتراف به . ويمكن أن تتسع المناقشات لتشمل أيضا مياه النيل .

قال اتشيسون :

ـ إذا أردتم نجاح مفاوضات الدفاع المشترك لحماية قاعدة قناة السويس فلابد من اعترافكم باللقب الملكى .

أصر ايدن على الرفض فطالب اتشيسون بانسحاب رمزى للقوات البريطانية من منطقة القناة .

ولكن ايدن رفض ذلك أيضا .

عاد اتشيسون إلى وشنطن ليجد ـ يوم ٢٧ فبراير ١٩٥٢ ــ مذكرة من الوكيل المساعد للخارجية الأمريكية يقول فيها :

« الموقف فى مصر ليس سهلا . والهدنة بين على ماهر والوفد تقوم على أساس واه . ولا يريد الوفد أو الحكومة معركة فاصلة بينهما . ولكن يوجد هجوم مستمر من الوفد على وزارة على ماهر . وهويتهمها بإخماد شعلة الوطنية .

لقد طلب على ماهر أسلحة أمريكية للشرطة . وأيد السفير الأمريكى جيفرسون كافرى هذا الطلب الذى لم نبت فيه بعد .

وهناك إشاعات بأن الملك فاروق يفكر فى تغيير على ماهر ، واستبداله بأحمد نجيب

الهلالى باشا ، فالملك غاضب لموقف رئيس الوزراء من الوفد . ويريد فاروق اتفاقا معقولا مع الإنجليز ، وحل البرلمان الوفدى وحزم فى تطبيق القانون » .

* * *

بعد أسبوعين من توليه المنصب بدأ على باشا ماهر دعاية ضخمة للمفاوضات الإنجليزية المصرية القادمة

ورأى فاروق ، فى ذلك ، تحولا عن الاهتمام بالمشاكل الداخلية ، وليس لدى رئيس الوزراء استعداد لمعالجة هذه المشاكل .

بل إن كريم ثابت والياس اندراوس المستشارين الصحفى والاقتصادى للملك أبلغا صاحب الجلالة أن على ماهر خطر ، يتآمر مع الوفد ولايسعى لتحطيمه .

ولم يفلح التحذير الذى وجه إليه عن طريق رئيس الديوان فى احراز أى تقدم .

وظهر للملك أن على باشا ماهر ينوى التستر على أخطاء الوفد ليضمن قدرا من التعاون من ذلك الحزب .

* * *

زاد الغضب الملكى وتحول إلى كراهية عنيفة ضد رئيس الوزراء بعد التسويف والمراوغة الزائدة .

طلب فاروق إلى حافظ عفيفى أن يجتمع مرة أخرى بعلى ماهر . وتم اللقاء يوم ٢٧ من فبراير فى محاولة أخيرة لإقناعه بتحطيم الوفد ومحاكمة وزرائه . ولكن على ماهر طلب مهلة جديدة .

لم يقتنع الملك بذلك بل رأى أن على ماهر يلعب لعبة خطيرة للغاية ، وفى حالة ضعف وخوف شديدة من الوفد ، ولذلك لايستطيع الاتفاق مع الانجليز .

عرض على ماهر على مجلس النواب قرار الحكومة بمساعدة ضحايا حريق القاهرة .

تمرد غالبية أعضاء الوفد على القرار فأعد رئيس الوزراء قرارا بتعطيل مجلس النواب شهرا .

ولكن النحاس طلب إلى النواب الموافقة على القرار .. فوافقوا لذلك عدل رئيس الوزراء عن حل المجلس أو تعطيله شهرا .

ويزور الياس اندراوس باشا المستشار الاقتصادى للملك السفير البريطانى يوم ٢٩ من فبراير. قال

ـ الملك فى حالة غضب وخيبة أمل من على ماهر . وقد أصدر تعليماته إلى حافظ عفيفى ليبدأ تغيير الحكومة .

وأضاف :

ـ يود فاروق تنفيذ ذلك فورا .

نفذت الخطة فى اليوم التالى مباشرة .

نشرت صحف الصباح ، بإيحاء من وزير الداخلية ـ أحمد مرتضى المراغى ـ أنه صدر قرار بحل البرلمان .

لم يتردد على ماهر فكذب النبأ فورا .

ويجتمع مجلس الوزراء فى جلسة عاصفة عقب هذا التكذيب ، فطالب عدد من الوزراء ـ لحساب الملك ـ بأن يتخذ رئيس الوزراء موقفا عنيفا ضد الوفد وأن يحمل زعماءه مسئولية أحداث ٢٦ يناير

وأعلن وزير الداخلية أحمد مرتضى المراغى ووزير المالية زكى عبد المتعال استقالتيهما .

شعر على ماهر أن فى الأمر شيئا فقرر الاستقالة ،. وكان هدفه بعد أن عرف بالمؤامرات التى تحاك ضده ، أن يستقيل بسبب القضية الوطنية والمفاوضات مع بريطانيا ، ولكن الأزمة الوزارية المفتعلة أفسدت محاولته

قدم رئيس الوزراء استقالته يوم أول مارس بعد أن أمضى أقل من خمسة أسابيع فى منصبه حقق خلالها أمرين : استقرار الأمن الداخلى والتمهيد للمفاوضات مع الانجليز .

إن على ماهر فشل فى مواجهة المؤامرات ، متعددة الأطراف من الجميع ، وكان ، هو نفسه ، أول المتآمرين .

بريطانيا والولايات المتحدة تريد ان انضمام مصر لاتفاقية الدفاع المشترك .

وبريطانيا وصاحب الجلالة يسعيان لهدم الوفد نهائيا بينما يرغب الحزب فى عدم المساس به أو إلقاء مسئولية حريق القاهرة فوق أكتافه .

ولم يفطن كل المتآمرين إلى أن الحريق عصف بأسلوب الحكم القديم فى مصر فإن الجيش أصبح العنصر الحاسم فى الموقف .

ولايجد على ماهر مفرا من الاعتراف ، تلميحا ، بخطته !

قال فى كتاب الا ستقالة الذى وجهه للملك :

« استطعت أن أمهد لإعادة الهدوء والاستقرار وتهيئة الأسباب لتحقيق الأهداف الوطنية بإيجاد جو من التفاهم القومى والتعاون الوطنى فأتيحت فرصة مواتية بتهادن دعت إليه مصلحة الوطن »

ولكن فاروق الذى كان شديد الغضب على رئيس وزرائه قبل الاستقالة فورا لأنه أراد وزارة تتعامل بحزم مع الوفد .. بلا تهادن !

« هلاهيل » الهيبة الملكية

قبل استقالة على ماهر بأيام طلب الملك ـ يوم ٢٥ من فبراير ـ إلى الهلالى تأليف حكومة جديدة فاختار وزراءه ، قبل أن يقدم على ماهر استقالته !

وشكل نجيب الهلالى وزارته ، يوم استقالة على ماهر فى أول مارس .

ضمت الوزارة أحمد مرتضى المراغى وزيرا للداخلية والحربية ومحمد زكى عبد المتعال للمالية وهما الوزيران اللذان عملا على الإطاحة بعلى ماهر .

وجه الهلالى إلى فاروق رسالة طويلة ـ على غير عادة رؤساء الوزارات فى مصر ـ يعلن فيها قبول المنصب ويحدد أهداف الوزارة . وكان أهم ماقاله :

« لا أرى بدًا من حسم الفساد . لن نوادعه ، ولن نهادنه ، لتجرى الأمور على استقامة ونظام .. لأن الجهاد يزداد بالفضائل قوة ..

ولنا ملء الثقة بأن الأخيار سيستمعون إلينا ، استجابة لصوت الضمير ، وتجنبا للمعرة وسوء السمعة .

وقد دب الفساد فى حياتنا السياسية حتى أصبح اشتغال بعض الناس بها تجارة رابحة ، ومصدرا من مصادر الايراد بلا استحياء ولا استنكاف ، وأصبح الحكم مقرونا بسوء الظن ، وصارت كراسى النيابة عن الأمة محلا للمارسة أو المزاد .. فلابد للحياة السياسية من أن تكفل بإجراءات حاسمة .

وفى الحساب على المساوئ لن أترخص فى إقامة الحساب على أن تتولاه الجهات القضائية » .

وهكذا حدد الهلالى الهدف الأول للحكم وهو القضاء على الفساد !

والقضاء على الفساد ، فى رأى صاحب الجلالة ، يعنى القضاء على الوفد .

وكان هذا أول مايريده فاروق من الهلالى ووزارته !

كان أحمد نجيب الهلالى فى الحادية والستين من عمره .

درس القانون فى مصر والخارج . اشتغل بالمحاماة ثم التحق بالنيابة وأختير استاذا فى كلية الحقوق ومستشارا فى إدارة قضايا الحكومة وسكرتيرا عاما لوزارة المعارف وتولى وزارتها لأول مرة عام ١٩٣٥ .

أسند إليه المنصب الوزارى عدة مرات .

انضم لحزب الوفد فى أول يناير عام ١٩٣٨ ثم عارض الفساد فى هذا الحزب ورفض الاشتراك فى وزارته الأخيرة . وقرر الوفد فى نوفمبر من عام ١٩٥١ ، بالإجماع ، فصله من عضوية الوفد .

* * *

أول اجراء قام به الهلالى - يوم ٣ من مارس ـ تعطيل البرلمان شهرا وأعلن عن إعادة النظر فى « الترقيات الا ستثنائية » التى أجراها الوفد .

وفرض الاقامة الجبرية على فؤاد سراج الدين وزير الداخلية السابق والسكرتير العام للوفد وعبد الفتاح حسن وزير الشئو ن الاجتماعية فى عهد الوفد بعد أن صدر - فى ١١ من مايو - تقرير النيابة عن حريق القاهرة .

* * *

بدأ الهلالى ، فى رئاسة الوزارة ، يهاجم الوفد ويصر على تطهيره .

قال السفير البريطانى :

« إنصب التركيز الرئيسى فى الهجوم النشيط على الفساد ، وهو تحول فى الاتجاه المعاكس لسياسة الوفد القائمة على إبعاد الأنظار عن الفساد الداخلى ، بالتركيز على الاهتمام بالنضال الوطنى » .

ولكن السفير الأمريكى جيفرسون كافرى لم ير فى ذلك - وحده - بادرة تبشر بالأمل. كتب بعد أسبوع من تعيين الهلالى - يوم ٨ من مارس - إلى وزير خارجيته يقول.

« بريطانيا لاتتفهم الموقف المصرى .

التحرك ضد الوفد والتطهير شىء جميل . ولكن المسألة الوحيدة التى تجعل الحكومة المصرية تعيش هى نتائج المباحثات مع بريطانيا فإذا لم تسفر عن شىء واستمرت بريطانيا على موقفها فلا أمل . ولايمكن استبعاد التمرد أو الفوضى الشاملة .

نحن فى نقطة اللاعودة . وإذا ضاعت مصر فلا أحد يعرف أين سيمضى الشرق الأوسط .

إننا القوة الوحيدة التى تستطيع تغيير موقف بريطانيا وسيتحرك الرأى العام الأمريكى بعنف إذا فشل الغرب فى مصر .

إن محاكمة الوفد مسألة هامشية . وسيقول المصريون إن الانجليز هم الذين طلبوا ذلك بينما رسم الوفد صورة للهلالى كعميل للقصر والإنجليز ، مما أدى إلى هبوط سمعة الملك .

للوفد والاخوان أتباع كثيرون فى مصر .

وربما يتحالف الوفد مع الإخوان أو الشيوعيين . ولايستطيع الهلالى مواجهتهما . ولا يقدر الهلالى على التوازن مع الوفد إلا إذا حقق الامانى الوطنية فى الجلاء ووحدة وادى النيل .

ولابد من اقناع لندن بذلك ، أو تنفصل السياسة الأمريكية عنها بالنسبة لمصر، لأن البريطانيين مخطئون .

إنى اطالب الولايات المتحدة باعتراف منفرد بفاروق ملكا لمصر والسودان ».

* * *

بعد شهر واحد من تولى أحمد نجيب الهلالى رئاسة الوزارة بدأت المناورات داخل القصر الملكى للاطاحة به .

شرح ايدن فى مذكراته عناصر المؤامرة ضد الهلالى فقال :

« بدأت حكومة الهلالى ثابتة ونزيهة ، وهى أحسن ما عرفته البلاد من حكومات منذ سنوات طوال ، تتخذ الاستعدادات لمقاضاة أولئك الذين أثروا ، فى عهد الحكومات السابقة ، بابتزاز الأموال بصورة غير مشروعة ، وعلى رأس هؤلاء وزراء حكومة الوفد .

وقيل إن وزير المالية ، أراد المطالبة بالضرائب المستحقة على رجل الأعمال المصرى المليونير أحمد عبود باشا ، والتى لم يدفعها ، رغم أنها بلغت ملايين الجنيهات المصرية .

وكان عبود رجلا على جانب هائل من الثراء الفاحش .

وقرر الهلالى ان يقتحم هذه الأرض ، الملأى بالمستنقعات .

وأعجبت بشجاعته ، ولكن طريق المصلحين ، فى بلاد ، تعفنت بالرشاوى ، وتخمرت بالمحسوبية ، يكون دائما ، كثيرا لانزلاق ، مليئا بالاخطار .

وشعر عبود ، أن وضعه أصبح مهددا ، بالكشف عن الحقائق ، التى لاتسّره ، فلجأ إلى القصر ، يرتب أموره معه » .

وقدم الوزير البريطانى المفوض كريزويل مذكرة إلى السفير البريطانى السير رالف ستيفنسون قال فيها إنه علم بأن الملك نُصح بإبعاد الهلالى ، والناصحون على صلة بالوفد .

وقال كريزويل :

« ليس من مصلحتنا ، أو من مصلحة مصر ، أن يحدث تغيير الحكومة فى المستقبل القريب .

ولايستطيع الهلالى الوصول إلى اتفاق انجليزى مصرى يقبله برلمان مصر .

ولن تستطيع حكومة أخرى تحقيق نجاح أكثر إلا بعد حل الموقف فى السودان.

وليس من الضرورى أن يكون ذلك سببا فى الإطاحة بالهلالى ، فهناك كثير جدا من المهام الداخلية التى تحتاج لمن يتولى أمرها ، وتناسبها حكومة الهلالى أكثر من أية حكومة أخرى.

والملك يخطط لرحلة فى أوربا هذا الصيف ويريد أن تظل البلد هادئة فى غيابه .. ومن أين لنا أن نعلم أن الهدوء سيستمر ؟» .

وطلب كريزويل إلى السفير البريطانى أن يقول « كلمة طيبة فى حق الهلالى أمام حافظ عفيفى باشا رئيس الديوان لإبلاغها للملك فيعرف أن بريطانيا تؤيد حركة التطهير ضد الوفد التى يقوم بها رئيس الوزراء » .

وكان رئيس الديوان الملكى مقتنعا بأهمية استمرار وزارة الهلالى ولكنه قال لكريزويل :

ـ لاتنصحوا الملك الاحتفاظ بالهلالى وإلا سرب القصة إلى الصحف فيقال إنه تدخل أجنبى وسيكون موقف الحكومة مستحيلا !

* * *

بدا الموقف فى منطقة القناة أكثر استقرارا وأمنا للقوات البريطانية .

وكان نجيب الهلالى يأمل أن يحقق شيئا ما فى قضية السودان .

وكان يظن أنه سينجح ، لتعاطف الانجليز معه فى حملته ضد الوفد وللتقدم المستمر ـ والبطئ ـ

الذى يجريه ضد الفساد ، وبذلك ينجو من المعارضـة التى وجهت إليه بسبب الحلول القاسية التى فرضها لحل مشكلات مصر الاقتصادية .

وكان من الصعب على الهلالى أن يقبل أقل مما طالب به الوفد من جلاء القوات البريطانية والتاج المشترك لمصر والسودان .

ولكن ..

اجتمع مجلس الوزراء البريطانى برئاسة ونستون تشرشل وقرر إبلاغ الحكومة المصرية بقرار بريطانيا بالنسبة للجلاء والسودان .

« نص القرار على أن تقبل الحكومة البريطانية مبدأ الانسحاب التدريجى للقوات البريطانية على أساس أن توافق الحكومة المصرية على المساهمة الكاملة مع حكومات القوى المعنية فى منظمة دفاعية جماعية للشرق الأوسط تبعا لميثاق الأمم المتحدة .

وطلب المجلس إلى الحكومة المصرية إصدار بيان مشترك مصرى ـ بريطانى ينص على أن تعترف الحكومتان المصرية والبريطانية بحق الشعب السودانى فى تقرير المصير .

وفى الوقت نفسه قرر المجلس الاستمرار فى عدم الإفراج عن مبلغ العشرة ملايين جنيه استرلينى الذى كان يجب توفيره لمصر فى ظل الاتفاق الذى عقد بين البلدين »

وهذه القرارات تعنى أن بريطانيا لاتعترف بالتاج المصرى المشترك لمصر والسودان وتصر على أن تعترف مصر بحق تقرير المصير للسودان ، وتقبل ــ أى مصر ـ مبدأ الدفاع المشترك قبل انسحاب القوات البريطانية .

ولم يكن فى استطاعة نجيب الهلالى أن يقبل ما رفضه النحاس !

* * *

ويحاول الهلالى مع السفير البريطانى تعديل صيغة البيان المشترك المطلوب وإعلان موافقة مصر ، بكلمات مبهمة عامة ، إنضمامها إلى اتفاقية الدفاع المشترك

ويبدى السفير رغبته فى السفر إلى لندن للتشاور مع حكومته وإطلاعها على قرار الهلالى بتأجيل الانتخابات البرلمانية فى مصر وبذلك يكون مستعدا وحده ، دون البرلمان لإقرار أى اتفاق مع الانجليز

ويجتمع مجلس الوزراء البريطانى يوم أول ابريل فيرفض عودة السفير البريطانى إلى لندن للتشاور .

ويرفض وزير الدفاع البريطانى فكرة تعهد مصر بالدفاع عن منطقة القناة .

ويصر الوزير على أن تعلن مصر صراحة استعدادها للمشاركة الكاملة فى حلف الدفاع عن الشرق الأوسط وتقديم التسهيلات الضرورية المصرية للحلف .

ويعلن ونستون تشرشل رئيس الوزراء رفضه لقبول أى اتفاق يتضمن انسحاب القوات البريطانية فى قناة السويس ، وضرورة وجود قوات بريطانية أو من أية دولة أخرى فى مصر أثناء السلم .

حاول نجيب الهلالى إقناع بريطانيا بإصدار بيان من جانب واحد ، أى من جانب الإنجليز ينقذ ماء وجه المفاوض المصرى بالنسبة للجلاء والسودان فيجتمع مجلس الوزراء البريطانى يوم ٤ من ابريل ويرفض إصدار هذا البيان ويطالب مصر الالتزام بحق السودان فى تقرير المصير .

قال ايدن لمجلس الوزراء البريطانى .

- مصر لن تدخل فى مفاوضات متعددة الجوانب مع القوى الأربع الكبرى . وأقترح أن تبدأ مفاوضات ثنائية بين مصر وبريطانيا وحدهما .

وأبدى ايدن استعداده للسفر إلى الخرطوم والقاهرة للتشاور ولكن المجلس ، برئاسة ونستون تشرشل رئيس الوزراء ، رفض ذلك .

* * *

حاولت الحكومة الأمريكية مساعدة نجيب الهلالى فوافقت على بيع معدات للشرطة إلى مصر وتدريب ضباط الشرطة المصريين فى الولايات المتحدة لأهمية مصر فى العالم العربى ، ولموقعها الاستراتيجى ولتدعيم أمنها الداخلى .

واشترطت الولايات المتحدة أن تستخدم مصر هذه المعدات لحفظ الأمن وأن تتعهد بعدم استخدامها لعمل من أعمال العدوان ضد أية دولة أخرى !

استمر دين اتشيسون وزير خارجية الولايات المتحدة يطلب إلى الحكومة البريطانية القيام بعملية مصالحة ، أى بعمل ودى ، مع الحكومة المصرية .

وأخذت الحكومة الأمريكية تلح على بريطانيا بضرورة الإسراع فى محادثاتها مع مصر والبدء فورا فى سحب قواتها من مصر .

وطلب اتشيسون إلى سفيره فى لندن إبلاغ ايدن قلق بريطانيا بشأن الموقف فى مصر وقال إن كل يوم يمر دون حل حاسم لحل المشكلات البارزة فإن موقف الحكومة المصرية سيهتز وإذا لم يتغير الموقف تماما فإن فرصة التفاوض مع حكومة معتدلة ستضيع ويصبح تحقيق أهداف الغرب موضع شك .

واقترحت الولايات المتحدة إلغاء البيان المشترك والاكتفاء بجدول أعمال يعلن عنه — أى كأنه اعلان من جانب بريطانيا وحدها ويذاع فيه :

* تولى مصر مسئولياتها فى قاعدة القنال لمصلحة الدفاع عنها وحماية القناة .
* مد مصر بالمساعدات لتقوم بمسئولياتها .
* إجراءات انسحاب القوات البريطانية من قاعدة القنال والتوقيت الزمنى لها .
* دور مصر فى الدفاع عن الشرق الأوسط .
* اعتراف بريطانيا بلقب ملك مصر والسودان واعتراف مصر بحق السودانيين فى تقرير المصير. وقال الامريكيون إن الاعتراف البريطانى بلقب ملك مصر والسودان سيكون اعترافا رمزيا.

ودرست بريطانيا احتمال اختيار غزة ومناطق أخرى بديلا عن قاعدة قناة السويس تنسحب إليها القوات البريطانية . ولكن العسكريين البريطانيين قالوا بعدم صلاحية هذه المناطق .

وعندما طلب سفراء الدول الأجنبية رأى كافرى والحكومة الأمريكية فى اعتراف دولهم باللقب . قال :

ـ هذه مسألة تخص حكوماتكم .

أى أن الولايات المتحدة لاتفرض على هذه الدول شيئا بل تترك لها القرار !

وكان الانجليز يأملون أن ينصح كافرى السفراء بألا تعترف حكوماتهم بالسيادة المصرية على السودان !

ولكن لعبت الدبلوماسية الأمريكية دورا فى اعتراف كل من اليونان وإيطاليا بفاروق ملكا لمصر والسودان . وبذلك بلغ عدد الدول التى اعترفت بهذا اللقب ١٢ دولة من بينها سوريا ولبنان واليمن والعراق والاردن والسعودية من الدول العربية وأفغانستان وباكستان وأندونيسيا وإيران من الدول الإسلامية و ٣ دول أوربية هى إيطاليا وأسبانيا واليونان .

ويبعث كريزويل برقية إلى لندن يقول فيها :

«رأى جيفرسون كافرى الشخصى أن فشل بريطانيا فى الاعتراف بلقب فاروق ملكا لمصر والسودان هو سبب المشاكل » .

* * *

بدأت أزمة ملك مصر والسودان يوم ٨ اكتوبر ١٩٥١ عندما ألغت حكومة النحاس معاهدة ١٩٣٦ واتفاقية الحكم الثنائى بشأن السودان عام ١٨٨٩ ونادت بفاروق ملكا على مصر والسودان ، وقررت إصدار دستور السودان دون استشارة السودانيين ودون تقييم الموقف فى السودان ومراجعة أبعاده .

وكان مستحيلا استشارة السودان لأن أموره فى يد الانجليز وفضلا عن السرعة التى تم بها إصدار قوانين إلغاء المعاهدة .

كان الحاكم السودانى العام البريطانى قد عين فى ٣١ مارس ١٩٥١ لجنة مشتركة من ١٣ عضوا برئاسة القاضى ستانلى بيكر لتعديل الدستور وإعداد السودان لقدر أكبر من الحكم الذاتى . وعهد إلى اللجنة ببحث مسألتين أثيرتا فى الجمعية التشريعية فى أواخر عام ١٩٥٠ فى الخرطوم وهما

١ ـ إعادة النظر فى قانون الانتخابات والمجلس التنفيذى والجمعية التشريعية فى السودان .

٢ ـ الخطوات الدستورية التى تتبع للوصول إلى الحكم الذاتى .

نشأت خلافات بين أعضاء اللجنة للخلاف على مسألة السيادة فى السودان .

اقترح بعض الأعضاء أنه ، خلال فترة الانتقال ، تكون السيادة للجنة من الأمم المتحدة .

ورأى آخرون أن تكون السيادة للحاكم العام والإدارة القائمة فاستقال ٦ من ١٣ عضوا فرأى رئيس اللجنة ضرورة حلها ، فحلها الحاكم العام فى ٢٦ من نوفمبر وأعلن أنه ـ أى الحاكم العام ـ سيضع مشروع الدستور على أساس ماقامت به اللجنة باعتبار أنها أنهت أعمالها وأتمت تعديل الدستور وأن لم تنته من تعديل قانون الانتخاب .

اقترحت بريطـانيا اشرافا دوليا على مياه النيـل ولجنة دولية للاشراف على التطـور الدستورى للسودان .. وهو ما وافقت عليه الثورة بعد ذلك ولكن النحاس رفضه .

اقترح الدكتور محمـد صلاح الدين وزيـر خارجية حكومـة الوفد إجراء استفتـاء فى السودان ليقرر الشعب مصيره

ورأى ايدن الذى لايريد وحدة مصر والسودان ، ولا يريـدحقيقة منح السودان استقلاله ، عدم الرد على هذا الاقتراح ليموت .

وطلبت الولايات المتحدة من ايدن أن يعلن رأيه فى إجراء الاستفتاء فرفض .

وكان الاستفتـاء هو ما اقترحتـه مصر ووافقت عليه بـريطانيا بعـد قيام الثورة فى ٢٣ يـوليه ١٩٥٢!

ردت بـريطانيـا على قـرار النحـاس إلغاء معـاهـدة ١٩٣٦ وإعـلان فاروق ملكـا على مصر والسودان بـأنها ستؤيد حكومة السودان فى إدارتها للبـلاد طبقا للاتفـاق الثنائى ، أى أن الإدارة البريطانية ستستمر ، وإلغاء المعاهدة سيبقى مجرد قرار على الورق !

وأعلن انتونى ايدن وزير الخارجية فى مجلس العموم البريطـانى يوم ١٥ نوفمبر ٥١ بأنه يؤيد الحاكم العـام فى إصدار دستور للحكـم الذاتى قبـل نهاية عـام ١٩٥٢ وإعداد السودان لتقـرير المصير .

وكانت هناك ٤ أحزاب سودانية .

دعا الهلالى السيد عبـد الرحمن المهدى زعيم الأنصار وحـزب الأمة ، الذى يطالـب بالاستقلال لإرسال ممثلين عنـه فوصلوا الاسكندريـة بين ١٢ مايو و ٢٧ مـايو ١٩٥٢ لأن الوزارة كانـت قد انتقلت إليها فى ١٧ مـن مايو ووعد السيـد عبد الرحمن بتلبية الـزيارة فى ٢٥ يوليه ولكـن تأجلت الزيارة نتيجة للثورة .

وكان هدف الهلالى إقناع المهدى بقبول التاج المشترك .

ولم يستشر الهلالى الميرغنى زعيم الختمية والحزب الاتحادى الوطنى الذى يطالب بالوحدة مع مصر !

وبعث ايدن فى ٢٢ أكتوبر ١٩٥١ إلى حاكم السودان بأن يعلن الإدارة الذاتية للسودان .

فى ٢ ابريـل ١٩٥٢ قدمـت الحكومـة السودانيـة مسودة مشروع الحكـم الذاتـى إلى الجمعية التشريعية

وافقت الجمعية على الدستور فى ٢٣ من ابريل من حيث المبدأ وادخلت عليه ٧ تعديلات وأرسل المشروع إلى الحكومتين المصرية والبريطـانية فى ١٠ من مايو على أن يصدر الـدستور إذا لم يصل الرد خلال ستة شهور اى فى ١٠ من نوفمبر ١٩٥٢ .

وأعلنت الحكـومة البريطانية أنـه من المستحيل تحقيق تقـرير المصير إذا كانت إحـدى دولتى الحكم الثنائى تصر على السيادة على السودان كما أعربت بريطانيا عن أملها فى أنه بعد فترة قصيرة من الحكم الذاتى ـ ربما فى اوائل عام ١٩٥٣ ـ يستقل السودان .

وبهذا الخلاف الحاد بين مصر وبريطانيا فإن أحمد نجيب الهلالى باشا لايجرؤ على الم
باستقلال السودان وانفصاله عن مصر بينما أعلن النحاس أن فاروق - ولو على الورق - ملك
والسودان !

* * *

رأى ايدن أن يتخلص من الأزمة التى أوقعه فيها كافرى والحكومة الأمريكية فترك للسود
أنفسهم مسألة الاعتراف باللقب الملكى .

بعث إلى الحاكم العام البريطانى السير روبرت هاو يطلب منه أن يعرض على المكتب التنفيذ
الخرطوم المذكرة التالية :

**« لما كانت الحكومة المصرية قد أعلنت أن جلالة الملك فاروق ، يحمل لقب ملك م
والسودان فإن الحكومة البريطانية ، تؤكد أنها ستقبل إما وحدة مصر والسودان تحت ال
المصرى ، أو أى وضع آخر للسودان ، شريطة أن ينبثق عن ممارسة الشعب السود
لحقه ، بحرية ، فى تقرير وضعه المقبل ، وهو حق ، تعترف به الحكومتان وتقبلان به .**

**وتدرك الحكومة البريطانية أن هناك خلافا فى الرأى بين الحكومتين ، على موضوع ل
الملك فى الفترة الانتقالية قبل تقرير المصير .**

**لذلك تعلن استعدادها للدخول فى مشاورات فورية مع السودانيين حول هذا الموضو
لتتأكد ما إذا كان بالإمكان الوصول إلى حل يقبل به السودانيين ويتفق مع العهود ال
قطعتها لهم الحكومة البريطانية »**

* * *

ونفى الهلالى الصيغة التى اقترحتها بريطانيا لاستئناف المفاوضات .

ويجتمع مجلس الوزراء البريطانى فيقرر عرض بعض المعدات العسكرية على الجيش المصر
وسحب بعض القوات البريطانية الإضافية التى ارسلت إلى منطقة القناة بعد إلغاء المعاهدة وحر
القاهرة .

ولكن استمر جيفرسون كافرى يقول إن كل يوم يمضى دون تقدم ملموس ، نحو حل القضا
المعلقة بين مصر وبريطانيا يعرض حكومة الهلالى للسقوط .

وقال :

**« نقطة الضعف الاساسية فى موقف الهلالى أنه مالم يحرز تاييدا شعبيا ينبع م
انتصار يحققه فى المفاوضات مع بريطانيا فعليه أن يظل ملتزما بالسياسة المتناقضة الت
تتمثل فى محاولة تطهير الحياة العامة فى مصر بمساندة الملك !**

**ولكن مساندة الملك موضع شك لأن فاروق وحاشيته كانوا غارقين فى الفساد إلى درجة
يستحيل معها أن يقف التطهير عند أبواب القصر ».**

وهكذا ظل حكم الهلالى عقيما .

وخاب أمل رئيس الوزراء فى تحقيق نتائج ناجحة للمفاوضات مع بريطانيا العظمى حول

الجلاء والسودان .

* * *

ويحاول الهلالى مرة أخرى مع بريطانيا أوفد عبد الفتاح عمرو باشا السفير المصرى إلى لندن للتفاوض مع انتونى ايدن وزير الخارجية .

وافق مجلس الوزراء البريطانى على التفاوض مع عمرو ويستدعى السفير البريطانى السير رالف ستيفنسون إلى لندن

ويجتمع مجلس الوزراء البريطانى يوم ٢٩ من ابريل لبحث صيغة جديدة تعرض على مصر .

اقترح وزير الدفاع تعيين لجنة عسكرية ـ مصرية تبحث تقديم مساعدة بريطانية لتدريب وتجهيز الجيش المصرى المعروف باتجاهاته الموالية لبريطانيا ولمساعدة العناصر الصديقة لبريطانيا فى مصر .

وطلب ونستون تشرشل ، رئيس الوزراء ، إبلاغ الحكومة الأمريكية بأن بريطانيا لا تستطيع الاستمرار ، إلى الأبد ، فى تحمل أعباء حماية قناة السويس .

رد ايدن قائلا :

ـ لايمكننى إبلاغ الولايات المتحدة ذلك فى الوقت الذى يطلبون فيه منا تقديم تنازلات لمصر بشأن السودان للوصول إلى اتفاق .

ويمضى ايدن خطوة أخرى فى محاولة الوصول إلى اتفاق مع نجيب الهلالى .

وافق مجلس الوزراء البريطانى يوم أول مايو على اقتراح لايدن ، بأنه ، فى حالة موافقة مصر على إصدار البيان المشترك بشأن السودان ، فإن ايدن مستعد ليدلى بتصريح فى مستهل المفاوضات يقول فيه :

« بعد أن أعلنت الحكومة المصرية بأن جلالة الملك فاروق يحمل لقب ملك مصر والسودان ، تعيد الحكومة البريطانية تاكيد أنها ستقبل

وحدة مصر والسودان فى ظل التاج المصرى .

أو أى وضع آخر للسودان ، بشرط أن ينبع من الشعب السودانى لتقرير مصيره بحرية .. وهو الحق الذى اعترفت به وقبلته الحكومتان المصرية والبريطانية .

وتدرك الحكومة البريطانية أن هناك خلافا فى الرأى بين الحكومتين فيما يتعلق بمسألة لقب الملك خلال الفترة الانتقالية قبل تقرير المصير . ولذلك فهما تعلنان استعدادهما للدخول فى مشاورات فورية مع السودانيين فيما يتعلق بهذه المسألة لتأكيد ما إذا كان يمكن اتخاذ حل يتفق مع الضمانات التى أعطتها الحكومة البريطانية للشعب السودانى ، والتى تلتزم بها » .

وكانت هذه خطوة للترضية والتسوية من جانب بريطانيا ولكنها لم تكن كافية ليقبلها الهلالى ، فى ظل معارضة الوفد ، فأعلن رفضه لها يوم ٢٠ مايو .

وظلت الولايات المتحدة تلح على بريطانيا أن تعلن اعترافها بفاروق ملكا على السودان إذا وافق السودانيون على ذلك .

ولكن بريطانيا رفضت مرة أخرى قائلة إن موافقتها ستدعو السودانيين إلى تأييد هذا الاقتراح

* * *

لم يعد أمام الهلالى إلا الاستمرار فى التطهير وإعادة التحقيق فى قضية الأسلحة الفاسدة ولكن تدخل المفسدون ضده . وكان حماس نجيب الهلالى للتطهير أعظم من أن يتحمله فاروق الذى خشى أن يتورط مع حاشيته فى التحقيقات التى تجريها الحكومة فراح يعطى أذنا صاغية لأصحاب النفوذ القوى فى السياسة والتجارة الذين يشاركونه الخوف من افتضاح أمرهم .

وامتنع صاحب الجلالة عن تأييد تلك المجموعة من الرجال أصحاب القدرة والنزاهة الذين يعارضون الوفد ويتزعمهم الهلالى وبينهم عبد الجليل العمرى والدكتور أحمد حسين !

* * *

زار الوزير العراقى المفوض السفير البريطانى لبحث الموقف فى مصر .

قال الوزير العراقى .

ـ مضى على الوزارة فى الحكم سبعون يوما ، وحسب معلوماتى فإن صبر الملك نفد لعدم تقدم الحكومة فى تحطيم الوفد وتأمين الاعتراف بلقب ملك مصر والسودان . واعتقد أنه ستقوم وزارة جديدة برئاسة حسين سرى باشا .

وأضاف :

ـ لم يتأثر وضع الوفد فى مصر كثيرا بأى شىء فعلته الحكومة الحالية فمازال الحزب الوحيد المنظم فى مصر .

* * *

ويؤكد مرتضى المراغى وزير الداخلية أنباء اهتزاز الوزارة سواء من ناحية الملك أو من ناحية الهلالى نفسه .

قال وزير الداخلية للسفير الأمريكى جيفرسون كافرى .

ـ سيستقيل الهلالى إذا لم يحصل من الانجليز على مايريد .

وفى هذه الحالة سأتولى السلطة أى مرتضى المراغى نفسه ! ولن أجرى انتخابات لمجلس النواب وسأعلن برنامجا كبيرا للإصلاح الاجتماعى بوصفه المسألة التى تحظى بشعبية كافية لجذب الاهتمام بعيدا عن السعى الضعيف وراء التطلعات الوطنية وسأمنح بريطانيا مهلة ٦٠ أو ٩٠ يوما كأقصى حد للوصول إلى اتفاق مع مصر أو مواجهة شعب مصر المتحد فى ثورة .

ولكن الملك لم يقبل هذه الفكرة بصفة نهائية وإن كان يميل إليها .

وأبرق السفير الأمريكى إلى وشنطن بأن هناك فرصا كثيرة تتبدد مما يؤكد خطورة الموقف !

توجه كريم ثابت المستشار الصحفى السابق لفاروق لمقابلة نجيب الهلالى رئيس الوزراء وقال له :

ـ لن تسفر اجتماعاتك مع السودانيين عن شىء .

أبدى رئيس الوزراء ثقته بأن الأمريكيين سيمارسون ضغطا حقيقيا وفعالا على بريطانيا لتحقيق الأمانى القومية .

قال كريم ثابت :

ـ لن تلقى الولايات المتحدة بعلاقاتها الخارجية مع بريطانيا فى متاهة للتوصل إلى حل للمشكلة المصرية .

قال الهلالى :

ـ سأجعل التصويت فى الانتخابات البرلمانية إجباريا لإرغام المتعلمين على الذهاب إلى صناديق الاقتراع لهزيمة الوفد .

رد كريم ثابت :

ـ ستكون النتيجة : تصويت عشرة من أتباع الوفد ، من غير المفكرين ، مقابل كل مفكر مستقل!

* * *

ويصبح السفير الأمريكى نقطة التقاء كل السياسيين للمصريين .. الذين يريدون بقاء الهلالى والذين يريدون الإطاحة به ايضا !

وتتابعت اجتماعاتهم بصورة مكثفة بالسفير فقد أصبح السفير هو ضابط الاتصال أو الوسيط بين ملك مصر والسياسيين المصريين !

اجتمع كريم ثابت ثلاث مرات بممثلى السفارة الأمريكية . قال لهم :

ـ لم يعد لدى الهلالى شىء يفعله . وعلاقاته مع الملك مستحيلة وهو يثبت كل يوم عدم قدرته على الحكم وبرنامجه الوحيد الاستمرار فى المحاكمات التطهيرية غير المجدية ، والمكلفة ، لقادة الوفد وغيرهم .

ورشح كريم ثابت للسفارة الأمريكية أربعة يصلحون لتولى رئاسة الوزارة وهم على ماهر ، وحافظ عفيفى ، ومرتضى المراغى ، وحسين سرى .

وأنهى كريم ثابت أحاديثه قائلا .

ـ السفير الأمريكى هو الرجل الوحيد فى مصر الذى يستطيع إقناع الملك بالتخلص من الهلالى وتشكيل حكومة جديدة برئاسة حسين سرى !

ويقول السفير الأمريكى فى تقاريره لوشنطن إن مجموعة أخرى غير كريم ثابت اتصلوا به لينصح الملك بإقالة الهلالى !

ويستغل رجل الأعمال المصرى المليونير أحمد عبود زيارته مع كريم ثابت لكافرى فيعلن أن السفارة الأمريكية تؤيده .

وأخذ عبود يكرر بأنه لن تكون هناك أية اتفاقية بين مصر وبريطانيا إذا لم يؤيدها الوفد ويوقعها النحاس .

وقال ، لإحراج الهلالى :

ـ الوفديون ليسوا مستعدين لقبول الدفاع الجماعى عن الشرق الأوسط ولن يستطيع الهلالى قبوله .

فى ١٠ من يونيه قال السفير الأمريكى جيفرسون كافرى :

« من المحتمل أن يتهور الملك ويغير الحكومة فى المستقبل . ولا توجد قدرة على التنبؤ بما

سيفعله .. ولكنه يخطط لرحلة صيف على ظهر يخته ، وهذا بمثابة إغراء شخصى كبير بالنسبة له . ليترك الأمور على ماهى عليه .

ويحاول رئيس الديوان الملكى الإصرار على ألا يظل الملك بعيدا لأكثر من أسبوعين ، وأن يبقى فى شرق حوض البحر المتوسط حتى يمكن عودته إلى القاهرة بسرعة ، إذا تطورت الأمور إلى أزمة طارئة » .

* * *

بدأ الوفد يطالب بإعادة مجلس النواب المنحل .

وخطب مصطفى النحاس فانتقد الحكومة لموقفها من المفاوضات وقدم يوم ٥ من يونيه التماسا للملك لدعوة مجلس النواب إلى الانعقاد لأن حله غير دستورى .

رد الهلالى فأعلن أنه لن يقبل إلا الإقتراحات البريطانية التى تلائم مصالح وادى النيل !

وتبادل رئيس الوزراء والنحاس النقاش على صفحات الصحف حول المفاوضات .

وكان النحاس يتحدث فى صحيفة « المصرى » الناطقة باسم الوفد .

أما نجيب الهلالى فلم تكتب الاهرام اسمه بل كانت تنسب أقواله إلى « شخصية تحتل واحدا من أعلى المناصب فى الدولة » .

وقد اعتبر السفير الأمريكى هذه الاحاديث بأنها تمثل تقدما فى جهود الهلالى لتشكيل حزب مناهض للوفد !

وعلق السير رالف ستيفنسون إلى لندن قال :

« أصبح من الصعب على الحكومة ، أكثر من ذى قبل مناقشة تفاصيل ترتيب الدفاع قبل الاتفاق معنا ـ أى مع الانجليز ـ على قبول الأمانى القومية » !

* * *

حاولت الحكومة الأمريكية مرة أخيرة مساعدة الهلالى .

أوفدت هنرى بايرود وكيل وزارة الخارجية الأمريكية المساعد إلى لندن لإقناع ايدن بإيفاد مندوب عنه لاقناع السودانيين بقبول اللقب الجديد لفاروق . ولكن بايرود لم ينجح فى مهمته .

ودعى دين اتشيسون وزير الخارجية الأمريكى لزيارة انجلترا لاستلام دكتوراة فخرية فى القانون المدنى من جامعة أكسفورد فعقد اجتماعا طويلا مع انتونى ايدن لبحث العلاقات المصرية ـ البريطانية ـ السودانية .

شهد الاجتماع حاكم السودان العام والسير رالف ستيفنسون السفير البريطانى فى مصر ونحو عشرين من الخبراء البريطانيين والأمريكيين .

نوقش موضوع تدخل القوات البريطانية إذا قامت أزمة فى مصر ولكن وجد المجتمعون أن ذلك ستكون له نتائج بعيدة للغاية !

.. وربما كان ذلك أحد الأسباب التى ادت إلى امتناع بريطانيا فيما بعد عن التدخل ضد الثورة لصالح فاروق .

أعلن ايدن فى الاجتماعات أن الزعيم السودانى عبد الرحمن المهدى ليس مستعدا للاعتراف بلقب فاروق . وطلب اتشيسون من ايدن الضغط على السودانيين للاعتراف باللقب ، وألح فى ذلك .

قال ايدن :

ـ سينتخب أول برلمان سودانى فى الخريف وسنشجعه على إعلان رأيه فى اللقب .

قال اتشيسون :

ـ النتيجة النهائية هى أن مصر ستفقد السودان أما بريطانيا فستفقد قاعدتها فى مصر .

رد رالف ستيفنسون قائلا :

ـ أنت متشائم أكثر مما ينبغى .

لم تسفر الاجتماعات عن إنقاذ وزارة الهلالى ، ولم يكن اتشيسون متشائما !

ويكتب السفير الأمريكى إلى وشنطن قائلا :

« ضعف هذه الحكومة ناشىء عن عدم قدرتها على إنجاز شىء مع بريطانيا ، فلم تحرز المحادثات المباشرة بين مصر والسودان أى تقدم يذكر » .

وواصلت امريكا طيلة شهرى مايو ويونيه ، سواء عن طريق الاجتماعات أو الرسائل ، الضغط على الانجليز ، بشدة دون جدوى .

بدأ الياس اندراوس يشيع أنه زار الوزير البريطانى كريزويل وعرف منه أن بريطانيا تؤيد تغيير الحكومة فتوجه كريزويل إلى وزارة الداخلية وأبلغ وزيرها بعدم صحة هذه الإشاعة .

أخذ أحمد مرتضى المراغى يمدح الهلالى حتى فاق حدوده فى ذلك كما يقول كريزويل .

وفى الوقت ذاته أظهر المراغى بعض الضيق لأن الهلالى ليس رجل عمل .

... اراد بذلك الاشارة إلى أنه ـ أى المراغى نفسه ـ يصلح رئيسا للوزارة وانه « رجل عمل» ! تخلص كريزويل قائلا :

ـ شىء جميل أن تكون هناك حكومة يرأسها فيلسوف ومفكر مثل الهلالى ، وتضم رجلا ذو همة مثلك ـ أى مثل المراغى ـ مسئولا عن وزارتين هامتين الحربية والداخلية.

ويبرق كريزويل إلى لندن قائلا :

« يعد مرتضى المراغى نفسه إذا سقط الهلالى ليتولى رئاسة الوزارة . ولكنه لن يعمل على سقوطه » !

وتكتب السفارة البريطانية إلى لندن :

« زادت التكهنات حول عزل الهلالى ، ودارت مناقشات علنية عن تعيين مرتضى المراغى ليكون رئيس وزراء قوى » .

* * *

لم تكن هذه هى المرة الأولى التى يسعى فيها المراغى ليكون رئيسا للوزراء .

فى مذكرة أعدها روجرالين مدير الإدارة الافريقية بوزارة الخارجية قال

« الهانا كفاح مرتضى المراغى ليصل إلى منصب رئيس الوزراء ، بالإشارة المباشرة ، وغير المباشرة إلى برنامج الاصلاح الاجتماعى الذى قدمه للسفارة الامريكية ، وتاكيد المراغى باشا بأن لديه القدرة على التعامل مع الاخوان المسلمين ، وثقته بأنه لن تكون هناك صعوبات بمجرد إعلان برنامجه ، وفى الوصول إلى اتفاقية معنا ـ أى مع الانجليز ـ توافق عليها مصر.

و إذا كنا نبحث عن رجل قوى لحكومة مصر فإن المراغى سيكون مناسبا مثل أى مرشح آخر .

وعلى أية حال فهو أفضل من حيدر باشا الذى فكرنا فيه ذات مرة معتقدين أنه المرشح المناسب الوحيدة كديكتاتور للقصر .

ولكننا لانستطيع أن نأخذ كلام المراغى بجدية حول مايستطيع عمله . فهو يصدمنا بكونه زلق اللسان ، وأعتقد أن علينا أن نكون حذرين فى اعطائه ـ أية مظنة ـ تجعله يظن أنه يتمتع بتاييدنا .

ويسترعى اهتمامنا برنامجه للإصلاح الزراعى الذى يعضده كريم ثابت باشا وتموله الولايات المتحدة !

و إذا طالعنا خطة المراغى وأنه سيقنع الملك بالتخلى عن أراضيه الزراعية كما أن اتخاذ الاجراءات لتوزيع العزب الكبيرة يعتبر الوسيلة الوحيدة التى تكسب ، عن طريقها الحكومة المصرية تأييد الشعب .

وعلمنا أن أحمد حسين باشا ـ وزير الشئون الاجتماعية فى عهد الوفد ـ والذى اختير سفيرًا لمصر فى واشنطن بعد الثورة ـ وعد بتاييد المراغى . ونتساءل إذا كان كل هذا هراء كما يبدو لأول وهلة .

وتقول التقارير إن الملك فاروق قرر التخلص من الهلالى لأنه فشل فى تحريكنا بالنسبة لموضوع لقب ملك مصر والسودان . وهذا يتضمن إيمانه بأن شخصا آخر يمكنه أن يكون أفضل مثل المراغى الذى سيقدم برنامجا للاصلاح الاجتماعى.

ومن المحتمل أن يكون المراغى قد حصل على تأييد سفير الولايات المتحدة . أما عن نفسى فأشعر بالأسف لاستبدال الهلالى المخلص الكفء بالمراغى الذى يبدو طموحا غير مخلص .

ويشعر المراغى بالانزعاج من أنشطة الياس اندراوس وكريم ثابت ومحمد حسن ـ أمين الملك وخادمه ـ ويشك فى أنهم يعملون لحساب تأليف حكومة برئاسة حسين سرى تمهد لاعادة الوفد إلى الحكم » .

وتكون هذه أول إشارة إلى نوايا عصبة القصر الثلاثية فى تكرار تجربتين سابقتين لحسين سرى عندما مهد لعودة الوفد عامى ١٩٤٢ و ١٩٤٩ .

ويحاول فاروق إقناع الناس بنقائه وطهارته فيعلن حسين الجندى باشا وزير الأوقاف السابق فى عهد الوفد والشيخ الببلاوى نقيب الأشراف ، يوم ٦ من مايو ١٩٥٢ ، بأن « مولانا ينحدر من صلب النبى عليه الصلاة والسلام » !

إن صاحب الجلالة عجز عن الحصول على اعتراف من الانجليز بلقب ملك مصر والسودان فرأى أن يحصل على لقب آخر وهو لقب « السيد » أى « الشريف » مع أنه من سلالة الألبان والشراكسة والأتراك !

* * *

أصدر مجلس الدولة حكما بإلغاء قرار الهلالى بتحديد إقامة فؤاد سراج الدين وعبد **الفتاح حسن وألغى المجلس الأمر العسكرى الذى كان قد أصدره محمود فهمى النقراشى باشا رئيس الوزراء الراحل عام ١٩٤٨ بحل جماعة الاخوان المسلمين .**

وبدأ الوفد يهاجم نجيب الهلالى فى نقطتين الأولى أن الحياة النيابية توقفت ، والثانية أن الحركة الوطنية ضد الانجليز تجمدت !

وكان أعداء الهلالى أكبر كثيرا من مناورات الوفد .

قال كافرى :

« **هناك الشركات الكبرى صاحبة المصالح التى ترفض سياسته المالية ، وكذلك المافيا المقنعة التى أثرت كثيرا على الحياة العامة فى مصر وتتخوف من حملته لمحاربة الفساد .**

والقول بأن عددا من هذه القوى هو بمثابة حليف طبيعى للوفد قول غير صائب رغم أنه قد تكون له وجاهته .. وكل مافى الأمر أن هذه القوى تتطلع إلى إنهاء حملة الهلالى ضد الفساد » !

ويهاجم حسين سرى باشا فى حديث يدلى به إلى صحيفة « الأخبار » ، فى أول عدد تصدره يوم ١٥ يونيه ، حكومة الهلالى بأسلوب غير مباشر فيطالب بعدم تعديل الدستور وأجراء الانتخابات بطريقة مباشرة .

ويتوجه الياس اندراوس للقاء كافرى قائلا :

ـ لن يستطيع الهلالى إقناع شعب مصر بعقد حلف معكم . الوفد وحده يستطيع ذلك.

وأضاف :

ـ قل لى إن الهلالى يجب أن يذهب ويستبدل بالمراغى كرئيس للوزراء لأبلغ ذلك لصاحب الجلالة .

رفض كافرى وكتب إلى حكومته :

« **هناك تنسيق بين مجموعة القصر والوفد لعزل الهلالى . وقد يئسوا من جعل البديل هو حسين سرى لكراهية الملك الشخصية له . والآن يضعون أعينهم على المراغى**» .

قال صاحب الجلالة لعبد الخالق حسونة وزير الخارجية يوم ٢٥ يونيه .

ـ اعلم أن الوفد يتآمر ضد الهلالى وأن البريطانيين يشتركون فى المؤامرة .

وكان جلالة الملك ـ الذى انتقل إلى الاسكندرية بمناسبة فصل الصيف ـ يكذب فإن المتآمرين كانوا ، بالإضافة إلى الوفد ، رجال الملك !

دعا السفير الأمريكى وزير خارجية مصر للعشاء .

قال الوزير :

ـ يعرف رئيس الوزراء أن رجال الوفد وأصدقائهم يتعاونون لإسقاطه . وقد قرر الهلالى باشا مقابلة حافظ عفيفى رئيس الديوان غدا ليبلغه أنه سيستقيل إذا وضعت العقبات أمامه لمنع التطهير.

وأضاف حسونة :

ـ إن رئيس الوزراء يشعر أنه إذا تمسك بالوزارة لفترة أطول فإن الملك قد يقيله لفشله مع البريطانيين . وقد قرر الهلالى ، منذ فترة ، تقديم استقالته ويبحث عن مخرج لذلك .

لقد تولى الوزارة فى ظل سوء فهم بأن البريطانيين يرحبون بتعيينه وسيغيرون موقفهم من السودان ويتوصلون إلى اتفاق بشأنه ، ولكن البريطانيين لم يفعلوا شيئا من هذا القبيل .

قال السفير .

ـ أعرف أن المؤامرات مستمرة ، ولكن لاشأن للانجليز بذلك .

قال حسونة :

ـ هل تنصحنى بالسفر غدا إلى الاسكندرية فى أول قطار لإقناع الهلالى بالعدول عن الاستقالة ؟

وافق السفير قائلا :

ـ أرجوك انصحه ألا يقوم بعمل متهور .

* * *

نشرت صحيفة « الصانداى اكسبريس » البريطانية أن مليون جنيه دفعت لفاروق ليتخلص من وزارة نجيب الهلالى .

ويسافر عبد الخالق حسونة وزير الخارجية للاسكندرية ليبلغ رئيس الوزراء أن أحمد عبود دفع هذا المبلغ الضخم لاندراوس وكريم ثابت فى سويسرا ليسلماه للملك للإطاحة به أى بالهلالى .

ويستخدم الهلالى نفوذه كحاكم عسكرى عام لإجبار البنك الأهلى على إظهار مبالغ التحويلات الأخيرة إلى سويسرا من حساب عبود وأكد ذلك شكوكه !

قال ايدن فى مذكراته :

« دفع عبود مبالغ ضخمة من الفرنكات السويسرية إلى رجلين نافذى الكلمة ، من البطانة الملكية من غير الموثوق بهم هما الياس اندراوس وكريم ثابت باشا ، وكان عليهما ، أن يسقطا حكومة الهلالى .

وسرعان ماوجد رئيس الوزراء نفسه ، مقيدا فى حبكة سياسية واقتصادية ، تميزت بها مصر إذ اتحدت مصالح عبود باشا ، الذى خشى دفع تلك الضرائب الباهظة ، مع مصالح الوزراء الوفديين السابقين ، الذين رأوا أنفسهم معرضين للمحاكمة بتهمة الفساد »

قال كافرى لكريزويل :

« لا أظن أن عبود لديه مبالغ نقدية لاتمام عملية من سبعة أرقام .

إن عبود يعانى من عجز مالى . وقد اتصل بى للحصول على قرض من البنك الدولى لتنفيذ مشروعات جديدة فى مصر .

وقد رفضت فلا يمكننى التوصية بذلك .

ولكنى أعتقد أن عبود لن يجد صعوبة فى الحصول على المبالغ النقدية اللازمة من مكان ما » .

علق حافظ عفيفى على القصة .. بسذاجة وحزن

ـ لا أفهم لماذا يريد الملك كل هذه الأموال . إنه غنى جدا بالفعل . ولايدرى ماذا يفعل بكل هذه الثروة . ولابد أن يشك الإنسان فى أن الملك مهتم كثيرا بتهريب كنز صغير إلى الخارج يعيش عليه إذا طرد من هذا البلد ، وهو مايتفق مع شخصية صاحب الجلالة .

ويجد الهلالى أن البريطانيين لم يقدموا له شيئا يقبله ويجعله متفائلا .

ولذلك قرر أن يستقيل بسرعة وبشرف ، قبل أن يقال لفشله .

ويحاول حافظ عفيفى إقناع الهلالى بالبقاء دون جدوى فيقدم استقالته يوم ٢ من يوليو قائلا فى خطاب الاستقالة .

« بدأ لى ولبعض من زملائى أننا نتحمل مالا طاقة لنا به ، وأن البلاد فى مفرق من الطريق ينبغى لنا فيه أن نضع الأمر بين يدى جلالتكم » .

وتضطر السفارة الأمريكية إلى إصدار بيان تنفى فيه أن لها علاقة باستقالة الهلا لى . قال البيان :

« صرح متحدث مسئول باسم السفارة الأمريكية هذه الليلة بأن سياسة الولايات المتحدة هى عدم التدخل فى السياسات الداخلية لبلد آخر . والسفارة تلتزم بهذه السياسة تماما » .

وقال كافرى معلقا على استقالة الهلالى :

« يبدو لى أن الملك استسلم ، بأى ثمن ، للنصابين . وقد يكون من الأفضل إظهار هذه الحقيقة .

إن حكومة الهلالى كانت تتألف من أشخاص وطنيين يحظون بتأييد فى الغرب بصفة عامة ، والولايات المتحدة على وجه الخصوص » .

لقد وعد هلالى بإجراء اصلاحات اجتماعية لكنه لم يفعل شيئا ازاءها . كما وعد بعمليات تطهير داخل الحكومة ولم يفعل شيئا رغم ادلائه بتصريحات إيجابية بأنه على وشك القيام بذلك » !

وكان يجب على كافرى أن يقول أيضا إنه فشل فى جعل وشنطن تنفصل ـ بسياستها ـ عن لندن ازاء مشكلة لقب ملك مصر والسودان ، ففى تلك المرحلة لم تكن الحكومة الأمريكية مستعدة بعد لوراثة النفوذ البريطانى فى مصر .

* * *

قال ايدن معلقا على استقالة الهلالى :

« إنها بداية النهاية للحكم الملكى فى مصر »

وقال السفير البريطانى :

« نعمت مصر بفترة من الحكم الذى تجاوزت كفاءته ونزاهته أى حكم عرفته فى

السنوات الأخيرة ، فى المسائل الرئيسية ، داخليا وخارجيا ... ورغم ذلك لم يتحقق أى تقدم »!

* * *

كان عبود هو المهندس الحقيقى لسقوط الهلالى خوفا على احتكاره للسكر .

وكان الهجوم الحذر الذى شنه الهلالى ووزير ماليته زكى عبد المتعال على الفساد والاصلاح المالى كافيا « لتخويف » عصابة القصر .

وقال كريزويل :

« أفسد الملك وأصدقاؤه الأمور بشدة . فقد عرتهم فضيحة سقوط الهلالى من آخر «هلاهيل » الهيبة الملكية » !!

لعبة الكراسى الموسيقية

استطاع حافظ عفيفى رئيس الديوان الملكى اقناع فاروق بتكليف بهى الدين بركات باشا بتشكيل وزارة جديدة .

وكان رأى رئيس الديوان أن حكومة برئاسة بهى الدين بركات يمكن أن تواجه التاثير السيىء على سمعة الملك الذى نشأ عن ظروف طرد الهلالى .

وافق صاحب الجلالة .

بدأ بهى الدين بركات باشا اتصالاته البطيئة محاولا ضم أفضل العناصر إلى الوزارة الجديدة وبالذات أقوى وزراء الهلالى مثل أحمد مرتضى المراغى وزير الحربية والداخلية ، ولكن ، اقترح عملاء القصر تعيين كريم ثابت وزيرا للدولة فرفض المراغى رفضا قاطعا دخول الوزارة .

ومن ناحيته أبى بهى الدين بركات تشكيل وزارة تضم كريم ثابت المستشار الصحفى لفاروق.

أصبح الموقف حربا مباشرة بين عملاء السراى مثل الياس اندرانوس رئيس عدة شركات والمستشار الاقتصادى للملك ، ورجل الأعمال أحمد عبود وكريم ثابت من جانب ، وحافظ عفيفى ووزراء حكومة الهلالى من جانب آخر .

وكان صاحب الجلالة راغبا فى الاستماع إلى نصيحة اندراوس وشركاه !

وعندما بدا أن بركات على حافة النجاح فى تأليف الوزارة ، غير الملك رأيه وعهد إلى حسين سرى فى منتصف ليلة ٢ من يوليه بالمنصب بعد أن ظلت مصر بدون وزارة ٨٤ ساعة !

أبلغ الياس اندراوس حسين سرى بأن الملك يكلفه بتشكيل الوزارة وباحثه فى أسماء أعضائها ونقل الأسماء إلى فاروق !

وكان الياس اندراوس باشا قد عين فى أوائل العام حسين سرى عضوا بمجلس إدارة شركة صباغى البيضا التى يرأسها اندراوس نفسه . وعلى هذا الأساس يكون اندراوس رئيس سرى هو الذى حمل إليه التكليف الملكى بتأليف الوزارة !

قال ايدن فى مذكراته :

« كان فى وسع بهى الدين بركات أن يواجه خطورة الموقف وحاجات الساعة . ولكن طالع فاروق السيىء كان يقوده ويوجهه فى تلك الساعات » !

ويلتقى كريزويل ، لأول مرة ، ببهى الدين بركات باشا .

قال كريزويل

ـ سننتصرف بسرعة فى منطقة القنال إذا عاد الوفد .

قال بهى الدين بركات باشا .

ـ لن توجد حكومة مرضية مادام الملك يعمل بأسلوبه الحالى . ويحصل على النصيحة من الياس اندراوس وكريم ثابت .

وأضاف ·

ـ ضمان الأمن الوحيد فى مصر بقاء القوات البريطانية فى منطقة القناة !

* * *

شكا رئيس الديوان للوزير المفوض البريطانى قائلا ببراءة ·

ـ لقد أهملونى منذ توليت منصب رئيس الديوان فى ديسمبر الماضى .

وأضاف :

ـ هذه لطمة وقد قررت الاستقالة

لانفع لى على الإطلاق فى هذا المنصب .

ولم يحدث أن طلبوا ـ يعنى الملك ـ استشارتى وعندما استشار لايؤخذ برأيى .. إن الملك لم يكن ينوى على الاطلاق أن يجعل بهى الدين بركات رئيسا للوزارة !

* * *

جرت مشاورات عاجلة فى لندن ووشنطن لاتخاذ خطوة مشتركة فقد صدم وزيرا خارجية بريطانيا والولايات المتحدة لسماعهما باستقالة الهلالى ورغبة حافظ عفيفى فى الاستقالة .

فى لندن اجتمع السير وليم سترانج وكيل وزارة الخارجية الدائم بوالتر جيفورد السفير الأمريكى .

وفى وشنطن اجتمع السفير البريطانى بوزير الخارجية الأمريكى .

وأبرقت وشنطن إلى كافرى تطلب منه التشاور مع القائم بالأعمال البريطانى فى القاهرة للقيام بخطوة مشتركة .

اجتمع كريزويل بكافرى . قال كافرى :

ـ لن يستطيع حافظ عفيفى أن يفعل أى شىء طيب وستكون استقالته صفعة للملك .

عارض كريزويل فى استقالة حافظ عفيفى رغم أن نصيحته بتعيين بهى الدين بركات ، ضرب بها عرض الحائط . قال .

ـ إستمرار حافظ عفيفى فى منصبه سيشجع بعض العناصر السليمة فى الحياة العامة فى مصر ، فهو الخيط الوحيد بيننا ـ الانجليز ـ وبين القصر ، وبين الملك وأولئك الذين يرغبون فى حكومة أمينة فى مصر .

وقال

ـ بقاء حافظ عفيفى فى القصر لن يشوه سمعته فبواعثه وشخصيته معروفة تماما . ولا ينبغى

التخلى عن أمل في التأثير على الملك . وستؤدى استقالة رئيس الديوان إلى تقارب الملك والوفد وتحالفهم ضدنا ـ أى ضد الانجليز ـ وتشجيع الملك على طرد حكومة سرى بمجرد أن تبدأ في تخفيف نظام الأحكام العرفية ، وربما تعيين المراغى بعد ذلك رئيسا للوزارة .

وقال كريزويل : اقترح ابلاغ الملك أن استقالة حافظ عفيفى ستقلل فرص نجاح المفاوضات مع بريطانيا .

وبعث كريزويل إلى لندن يقول .

هناك خياران :

ـ هل يمكن التأثير على الملك من خلال حافظ عفيفى إذا بقى في منصبه ؟

أو

ـ يستقيل حافظ عفيفى فيهتز فاروق إذ سيكون للاستقالة تأثير كبير عليه .

وقال كريزويل :

أرى بقاء حافظ عفيفى في منصبه .

رد ايدن قائلا

« بما أنك تعتبر المزايا تكمن في بقاء حافظ عفيفى فإننا نوافقك على اتباع هذا الطريق» .

ابلغ كريزويل الرسالة لحافظ عفيفى وطلب منه عدم الاستقالة قائلا ·

ـ هذا رأى السفير الأمريكى ايضا .

قال رئيس الديوان الذى كان يهدد بالاستقالة فحسب .

ـ كنت متلهفا على عدم إتخاذ قرار متسرع في لحظة انفعال . ولن أستقيل خلال الأيام القليلة القادمة طالما أشعر أن هناك ميزة في عملى ، أو أن تأثيرا لى

قال كريزويل ·

ـ إنك ببقائك في منصبك تستطيع تخفيف الدمار الذى يقوم به الملك في حق نفسه ، وفي حق بلده.

وإذا تركته الآن فإن أحدا لن يستطيع الدفاع عن صاحب الجلالة !

وافق حافظ عفيفى .. فلم يكن بقاء رئيس الديوان الملكى في منصبه أو استقالته منه في تلك الأيام ، أمرا من اختصاص رئيس الديوان وحده بل يقررها معه ، وربما قبله ، السفيران البريطانى والأمريكى في مصر ، أو أحدهما !

قال رئيس الديوان لكريزويل

ـ إن الملك يجعل عبود يتحكم في وزارة جديدة لحماية مصالح عبود ، ومساعدته في الحصول على عقود قيّمة جدا ستقوم بها وزارة الأشغال العامة قريبا ، مثل مشروع كهربة خزان أسوان ، بأموال مجموعها ٣٠ مليون جنيه .

وأضاف حافظ عفيفى لكريزويل

ـ أثار الارتباط السابق لسرى بعبود ، الذى اشتهر كأستاذ محنك في فن الرشوة ، غضبا في أنحاء البلاد !

* * *

كان أحمد عبود فى الحادية والسبعين درس الهندسة فى جامعتى القاهرة وجلاسجو واشتغل مهندسا مدنيا فى مصر والعراق وفلسطين وسوريا .

وهو من كبار رجال الأعمال فى مصر أسس شركة « المقاولات والكراكات » وعمارة الإيموبيليا بالقاهرة ، وشركة بواخر البوستة الخديوية ، وشركة السكر وفنادق مصر العليا وغيرها . وكان عضوا فى مجالس إدارات عدد من الشركات والبنوك بينها بنك مصر . وأختير عضوا بمجلس الشيوخ ورئيسا فخريا للنادى الأهلى .

وكان رأى فاروق فى أحمد عبود معروفا للسفارة البريطانية ولحافظ عفيفى رئيس الديوان .

عندما أسند الملك للنحاس باشا رئاسة الوزارة فى يناير عام ١٩٥٠ قال للسفير البريطانى السير رونالد كامبل :

ـ كان لعبود دور فى نتيجة الانتخابات فهو « الرجل وراء الكواليس » . إنه وضع «سردينة » لاصطياد حوت . دفع القليل للوفد للحصول على مغانم كثيرة .

وأضاف صاحب الجلالة ·

ـ سيكون لعبود نفوذ كبير داخل الوفد ، بعد أن أدى له هذه « الخدمة » .

.. يقصد بذلك تمويل المعركة الانتخابية .

ولكن عبود كان أيضا من رجال الملك !

حدث فى أغسطس عام ١٩٥٠ أن سافر عبود إلى لندن وبدأ يتصل بالصحف البريطانية وأعضاء مجلس العموم فتوجه السفير البريطانى إلى فؤاد سراج الدين ، الرجل الثانى فى وزارة النحاس فى ذلك الوقت ، وسأله صراحة

ـ لحساب من يعمل عبود ؟

قال سراج الدين :

ـ قدم صاحب الجلالة ٥٠ ألف جنيه ، وأبدى عبود استعداده لإنفاق خمسين ألفا أخرى من ماله الخاص منها على الصحافة البريطانية لتدعو للملك فاروق وتمدحه .

وقال صاحب الجلالة لحافظ عفيفى عام ١٩٥٢ قبل عشرة أيام من استقالة الهلالى:

ـ حسين سرى وضيع ، وعبود وغد ، ولص ، ويجب أن يحاكم !

وإذا كان عبود يستطيع أن يكون صاحب نفوذ على الوفد ، حزب الأغلبية ، فمن المؤكد أنه سيكون صاحب نفوذ أكبر على حسين سرى باشا .

* * *

شكل حسين سرى وزارته يوم ٢ من يوليه .

كان حسين سرى فى الستين من عمره . تخرج من مدرسة سنترال الهندسية بباريس .

تخصص فى شئون الرى واشتغل ٨ سنوات بمصلحة الرى . وعمل سكرتيرا عاما لوزارة الأشغال ومديرا للمساحة ووكيلا لوزارة الأشغال ثم وزيرا لها عام ١٩٣٨.

وتولى وزارة الدفاع لأول مرة ثمانية شهور عام ١٩٣٩ فى وزارة على ماهر . كما تولى وزارة

المالية واختاره حسن صبرى وزيرا للأشغال عام ١٩٤٠ .
اختير رئيسا لوزراء مصر ووزيرا للداخلية فى ١٥ نوفمبر لإنقاذ الموقف عقب وفاة حسن صبرى وهو يلقى خطاب العرش فى نوفمبر عام ١٩٤٠ .
واستقال فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ليمهد لوزارة النحاس .
وتولى رئاسة الوزارة فى يوليو ١٩٤٩ ليمهد للمرة الثانية لوزارة النحاس فى ١٤ يناير ١٩٥٠ .
وعندما يبتعد سرى عن العمل السياسى فانه يرأس عديدا من الشركات الكبرى !
وصفه أنتونى ايدن فقال :
« سرى شخصية غير مؤثرة . لا أتباع لها ، ولاحماس لها فى الخدمة » .

* * *

شملت وزارة سرى ١٣ وزيرا فى مقدمتهم زوج ابنته الدكتور محمد هاشم باشا وزيرا للداخلية وتولى نجيب إبراهيم باشا وزارات الأشغال والمالية والاقتصاد !
واحتفظ سرى لنفسه بوزارة الحربية ، بصفة مؤقتة .
« سرى شخصية ممتازة . ولكن مصر تعتبره مواليا جدا لبريطانيا فى حين أن البريطانيين لايرحبون بتعيينه » .
وأعطى كافرى لسرى مزية واحدة من وجهة النظر الأمريكية فقال :
« علاقتى الشخصية بسرى ممتازة ويمكننى التأثير عليه للقيام بتصرفات معينة فى بعض المواقف وابعاده عن الأخطاء .
وهو أكثر السياسيين المصريين ميلا للغرب .
وهو الوحيد الذى يعرف كلمة « الستار الحديدى » ويبغض الشيوعية بغضا شديدا.
وكان يرغب بوضوح أثناء توليه الوزارة ـ عام ١٩٤٩ ـ الدخول فى سلام مع اسرائيل ولكن حكومته لم تكن قوية بالقدر الكافى ليفعل ذلك » .
وقال :
« هذه أضعف حكومة حتى الآن ، وتتالف كلها من سياسيين « درجة ثانية » وفنيين» .

* * *

كانت المفاجأة الكبرى في تشكيل وزارة حسين سرى تعيين رجل الملك ومستشاره الصحفى السابق كريم ثابت باشا وزيرا للدولة !
كان كريم ثابت أحد كبار الصحفيين فى مصر .
والده ـ خليل ثابت ـ اشتغل موظفا بالإدارة المالية فى خزان أسوان .
سافرت أمه إلى لبنان ووضعته هناك . وبقى الأب فى لبنان ثم نزح إلى مصر عام ١٩٠٣ وحصل على الجنسية المصرية عام ١٩٣١ .
تخرج كريم ثابت من الجامعة الأمريكية عام ١٩٢٥ وكان عمره ٢٣ سنة .
اشتغل فى صحيفة « المقطم » ثم « السياسة » .

وأصدر عام ١٩٢٥ جريدة « العالم » يصف فيها الحياة الخاصة لرجال السياسة والفن . ثم أدمج مجلته مع مجلة أخرى تصدرها دار الهلال باسم « الدنيا والعالم » أغلقها أصحاب دار الهلال بعد ذلك .

وصف الحياة الخاصة لسعد زغلول كما كان أول صحفى مصرى التقى بهتلر وموسولينى وغيرهما .

وتفرغ كريم ثابت للمقطم ليكون مندوبها فى الدوائر العليا .

وتزوج كريم ثابت من إحدى بنات صاحب جريدة المقطم واشترك مع محمود أبو الفتح ومحمد التابعى فى اصدار جريدة « المصرى » وكان كل منهم يملك ثلث الصحيفة. وتولى كريم ثابت منصب مدير إدارة « المصرى » حتى اشترى محمود ابو الفتح حصتى كريم ثابت والتابعى .

التقى كريم ثابت بالملك فاروق لأول مرة فى أسوان عام ١٩٤١ وتوطدت صلته بصاحب الجلالة فعينه مستشارا صحفيا له فى مايو ١٩٤٦ ومنحه بدل تمثيل ٥٠٠ جنيه سنويا اعتبارا من مايو ١٩٤٧ . وكان كريم ثابت ، قبل تعيينه ، يتقاضى مرتبا من المصروفات السرية لوزارة الداخلية .

وفى اكتوبر من السنة نفسها اختاره فاروق مستشارا للاذاعة بعقد مدته خمس سنوات وبمكافأة ١٤٠٠ جنيه سنويا ثم منحه رتبة الباشوية .

وقيل إن فاروق بعد حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ وحصار الانجليز لقصر عابدين وفرضهم مصطفى النحاس رئيسا للوزراء ، قرر الملك ، أن يخرج إلى الحياة العامة والسهرات الصاخبة فصحبه كريم ثابت فى أول سهرة بفندق ميناهاوس ولم يفارقه بعد ذلك قط !

لم يجتمع كريم ثابت بالصحفيين خلال سنوات عمله مستشارا لفاروق سوى مرتين !

وتدخل كريم ثابت فى الحكم .

عندما هاجمه بعض أعضاء مجلس الشيوخ لأنه تقاضى خمسة آلاف جنيه من مستشفى المواساة ، طرد الملك ، بحيلة دستورية ، هؤلاء الأعضاء وكذلك رئيس مجلس الشيوخ الدكتور محمد حسين هيكل أيضا .

واستقال كريم ثابت من منصب المستشار الصحفى لفاروق فى أغسطس ١٩٥١ بعد زواج فاروق وتدخل أقارب الملكة ناريمان ضده لدى الملك ، ولكنه ظل على علاقة وثيقة به .

وعقب مظاهرات القاهرة صباح يوم ٢٦ يناير وبداية الحريق أشار على صاحب الجلالة بالتخلص من النحاس ، والسيطرة على مصر بالجيش واعلان الأحكام العرفية.

وقال كريم ثابت إن كل مستشارى الملك كانوا يدركون حقيقة الموقف بعد اشعال الحرائق . ولكن لم تكن لدى أحد منهم الشجاعة الكافية للذهاب إلى صاحب الجلالة وابلاغه الحقيقة .

وعندما رأى فاروق ، شخصيا ، من نافذة قصره ، القاهرة وهى تشتعل أحس بخطورة الموقف وضرورة اتخاذ اجراء عسكرى .

قال إبراهيم عبد الهادى رئيس الوزراء ، بعد الثورة إن كريم ثابت كان محل ثقة الملك .

وشهد فؤاد سراج الدين فى تحقيقات النيابة أن كريم ثابت كان صاحب الأمر ورسول الملك فى كثير من الأمور إلى الحكومات المختلفة التى عانت كثيرا من تدخله

وكان كريم ثابت يطلع فى القصر على كل الآراء حتى المعارضة له . ويقول لكل المسئولين :

ـ الملك عايز كده .

وقال حسين سرى ، إن كريم ثابت كان الأول فى كشف الوزراء الذى قدمه للملك وأنه رأى تعيينه وزيرا ليكون همزة الوصل بين الحكومة والقصر !

وربما يكون سرى على حق فى ذلك فقد أراد أن يكون كريم ثابت وسيطا علنيا للحكومة ينجز أعماله مع القصر فان سرى كان قبل عامين رئيسا للديوان الملكى وكان يعرف أنه لايستطيع مقابلة الملك وأن كريم ثابت يقدر !

وعلى أية حال فان المراقبين السياسيين والرأى العام المصرى اعتبروا تعيين كريم ثابت خضوعا تاما من رئيس الوزراء للقصر ورجاله .

* * *

استقبل كافرى تعيين كريم ثابت استقبالا سيئا .

قال فى برقيته إلى وشنطن

« **أسوأ جانب فى الحكومة هو وجود كريم ثابت الذى يعتبر شخصا غير مقبول . ولكن سرى أصر على تعيينه فهو يعتبر وجوده داخل الوزارة يفيد أكثر من بقائه خارجها** » !

وكان رأى كريزويل فى كريم ثابت مشابها لوجهة نظر كافرى . قال :

« **أعضاء الوزارة ليسوا بالشخصيات المشهورة . وهم فنيون أكثر من كونهم سياسيين . واسوأ جوانب الوزارة ، بغض النظر عن ضعفها الشديد ، وجود كريم ثابت باشا الذى يحظى بتاييد القصر والصديق الحميم لرجال الأعمال أحمد عبود باشا** » .

أما رأى انتونى ايدن وزير خارجية بريطانيا فكان أسوأ الآراء . قال :

« **ألف سرى وزارته من المغمورين والتافهين .**

وكان إدخال كريم ثابت فيها نذير شؤم ، إذ لم تعد هناك محاولات لاستئصال الفساد ، وعادت مصر القهقرى إلى مجراها المالى القذر ، وبدأت الشئون المالية تنحدر بسرعة فى طريق الهاوية ، فقد انتصر الدساسون ، وأرغم الأشراف على إخفاء رءوسهم . وعرف الملك تمام المعرفة أن الحكومة البريطانية أسفت وسخطت لسقوط الهلالى » .

وفى رأى المؤرخ الأستاذ عبد الرحمن الرافعى أن « تعيين كريم ثابت يعتبر من علامات انحدار المنصب الوزارى . وتم ذلك إرضاء لرغبة الملك فى أن يكون صفيه وملازمه فى لهوه ومجونه وزيرا .

وقد طلب فاروق غير مرة من أكثر من واحد من رؤوساء الوزارات إدخاله فى وزارتهم فرفضوا»

ورغم هذه الادانة لكريم ثابت فإنه تلقى ١٦٠٠ برقية تهنئة من كبار المسئولين محاولين التقرب إليه واستمالته !

وكان من بين المهنئين السفير الأمريكى جيفرسون كافرى الذى قال فى برقيته « نصائحك الرشيدة ستعود على مصر بالخير » ... !!

* * *

طلبت الخارجية الأمريكية إلى كافرى مقابلة الملك واقناعه ـ دون تهديده ـ بأن الموقف سيصبح يائسا إذا بقى الياس اندراوس وكريم ثابت فى القصر ، وأن صاحب الجلالة لايتصف بحكمة أن يستمع إلى الثلاثى : عبود وكريم ثابت والياس اندراوس .

ولكن كافرى لم يكن يريد الضغط على صاحب الجلالة كما أن تطورات الأحداث فى القاهرة كانت أسرع من حركة تبادل البرقيات بين القاهرة ولندن ووشنطن ، وحل شفرتها ، والتصرف على أساسها .

* * *

واجه حسين سرى عدة مشاكل عبرت عنها صحيفة « التايمس » البريطانية . قالت.

« حسين سرى باشا ، على غرار سلفه الهلالى ، لايجرؤ على قبول أى حل وسط للمطالب الشعبية المصرية بجلاء القوات البريطانية عن منطقة القناة .

وهو ـ على غرار سلفه ـ يجب أن يضمن إلى حد ما الاعتراف بلقب فاروق ملكا لمصر والسودان.

ويتعين عليه أن يفعل ذلك لتأكيد مكانة الملك بين أفراد شعب مصر وذلك هو الطريق الوحيد لضمان أساس قانونى لتبرير اهتمام مصر الدائم بما يحدث فى السودان .

ويعلن سرى باشا لوكالة يونايتدبرس :

« البند الرئيسى فى برنامجى وحدة وادى النيل تحت تاج الملك فاروق إلى جانب الجلاء عن منطقة القناة .

كتب كافرى إلى وشنطن :

« قلت كثيرا إنه إذا لم يعترف بلقب مصر والسودان إن عاجلا أو آجلا ، فسيعود الوفد . ولايزال الملك يكره الوفد ، ولكنه سيقبلهم حتى لايفقد عرشه . وقبوله لهم خير من أن يفقد عرشه » !

* * *

جدد الأمريكيون طلبهم إلى الانجليز الضغط على السودانيين للموافقة على لقب فاروق ملكا لمصر والسودان . واقترح الامريكيون أن تكون الوحدة المصرية ـ السودانية والسيادة المصرية على السودان رمزية لإنقاذ ماء وجه الملك والإبقاء على الوزارة ثم يقرر السودانيون مصيرهم بعد ذلك بأنفسهم .

وطلب الامريكيون إلى انتونى ايدن ، وزير خارجية بريطانيا توجيه رسالة بهذا المعنى إلى الحكومة المصرية والى الزعيم السودانى عبد الرحمن المهدى .

قال حسين سرى للسفير الامريكى

ـ عندما توليت الحكم لم اكن اعرف الصورة السوداء بالنسبة لاعتراف السودانيين بلقب الملك .

وأبرق كريزويل إلى لندن يقول :

« لن تستمر حكومة فى مصر إذا لم نمنحها شيئا فى السودان . وسرى مقتنع بالا أمل فى مهمته » !

* * *

أعلن الزعيم السودانى عبد الرحمن المهدى باشا أنه يرفض التاج المصرى المشترك ، ولكنه يؤيد التعاون بين مصر والسودان كدولتين متساويتين ومستقلتين .. فأضطر سرى باشا إلى منع نشر هذا الحديث فى مصر !

وبعث المهدى بمندوبين عنه إلى القاهرة يحملان ردا مكتوبا يرفض الاعتراف بالسيادة المصرية.

ولم تدع مصر لزيارتها الرعيم السودانى الميرغنى اكتفاء بدعوة المهدى ، فأدلى الميرغنى بتصريح للصحافة السودانية قال فيه إنه لم يدع لزيارة مصر ، ولن يزور القاهرة لو وجهت إليه الدعوة !

وهكذا واجه سرى أصعب أزمة أمامه ، فلم يعد يستطيع التفاوض مع بريطانيا بشأن السودان. ولم يكن يستطيع التفاوض مع بريطانيا بشأن الجلاء وحده ، فضلا عن أن بريطانيا لم تكن راغبة فى التفاوض مع سرى باشا !

* * *

بقيت شئون مصر الداخلية ...

كان حسين سرى يظن أنه يستطيع البقاء فى الحكم زمنا طويلا ويحقق ماعجز عنه عام ١٩٤٩ باجراء إنتخابات تسفر عن برلمان متوازن بين الأحزاب فلا يستطيع أحدها الانفراد بالسلطة بل يعين رئيس وزراء محايد .. أى سرى باشا نفسه !

ومن هنا قال سرى باشا للسفير الامريكى .

ـ حكومتى ليست مجرد حكومة انتقالية . لقد أوضحت للوفد ، بصورة قاطعة أنى غير مستعد لتمهيد الطريق أمام عودته إلى الحكم .

وقد حذرتهم من القيام باية انشطة تخريبية لانى ساقابلها بكل حزم . ولكن إبراهيم عبد الهادى باشا رئيس الحزب السعدى قال للسفارة الأمريكية .

لايمكن أن تنتهى وزارة سرى باشا إلا بإعادة الوفد إلى الحكم بسبب تعاطف سرى باشا الواضح مع الوفد

* * *

قامت فى الوفد مجموعة متطرفة طالبت بتنظيم مقاومة سلبية ضد الانجليز بمقاطعة بضائعهم وانسحاب جميع العمال من منطقة القناة ، وعدم التعاون مع البريطانيين فى السكك الحديدية والميناء وقناة السويس لأن الاستقلال يجب أن ينتزع .

وطالبت بجبهة موحدة من الوفد والحزب الوطنى والاخوان وكل الأحزاب والمجموعات اليسارية والتحول إلى الاتحاد السوفييتى والدول الشيوعية الأخرى وإقامة اتصال مع الشيوعيين فى سويسرا لشراء أسلحة وشحنها إلى مصر لتخزينها فى أماكن سرية وتدريب المخلصين على السلاح باعداد كافية تفتح حرب العصابات على البريطانيين .

ورأت السفارة البريطانية أنه إذا زاد تأثير هذا الجناح المتطرف وتعاون مع الإخوان المسلمين فإن الخطر على الأمن الداخلى سيتضاعف بصورة كبيرة فى حالة عودة الوفد إلى الحكم !

ومع ذلك رفض كافرى وكريزويل التعرض المباشر للملك أو الضغط عليه .

وترسم السفارة البريطانية صورة كئيبة لما ستفعله الحكومة .

قالت

« ستحدث كارثة إذا لم يتخذ سرى إجراء لاستعادة الثقة ، ووقف تهريب رءوس الأموال من مصر وإعادة الانتعاش الاقتصادى . ولكن نظرا لأعماله التجارية وصلاته الأخرى فلا ينتظر قيامه بإصلاحات بعيدة المدى . إنه على صلة وثيقة بالأعمال التجارية الكبرى ولايستطيع أن يشيع الفوضى فى النظام الاقتصادى الحالى الذى يعمل لمصلحة كبار الرأسماليين .

وليس من المرجح أن يبقى الملك على حكومة تصمم على مكافحة الفساد ، فهو ـ بشكل ما ـ مرتبط بمعظمه .

والملك لايستطيع ـ بسبب شخصيته وبطانته ومصالحه الخاصة ـ أن يحارب الوفد علنا من خلال حكومة نزيهة .

وحتى إذا حاول ـ تحت خوف شديد من فقدان كل شىء ـ أن يبدى اشارة للإصلاح أو التضحية ، فإن رجال الحاشية والماليين سيصرفونه عن ذلك ، لأنهم سيخسرون بالقدر الذى يمتد إليهم هذا التطهير !

والحكومة خاضعة لنفوذ عبود واندراوس وكريم ثابت وستفقد سيطرتها على البلاد تدريجيا حتى يطردها الملك فى نهاية الأمر .

وربما يكون الملك ومستشاروه قد أصبحوا مقتنعين بأن أكثر السبل أمنا لهم لإبقاء الوفد خارج الحكم لايكون بالهجوم المباشر وبقضايا الفساد وتعديل نظام الانتخابات ، وإنما باتباع أسلوب التسويف وابقاء الأمل قائما فى اجراء الانتخابات والغاء الأحكام العرفية .

ورغم أن هذا الأسلوب يبدو أحمقا وخطيرا فإنه أسلوب مألوف . ويمكن أن ينجح لفترة طويلة فى بلد تكون فيه عبارة « غدا ان شاء الله » هى الإجابة المقبولة على كل الأسئلة الصعبة » !

وتوقعت السفارة البريطانية « إقالة الحكومة خلال شهرين أو ثلاثة شهور بعد فشلها فى تحقيق نتائج سريعة فى المشكلة الانجليزية المصرية » .

وكانت السفارة البريطانية شديدة التفاؤل بالنسبة لعمر الوزارة !

* * *

خاف الأمريكيون أن يضطر سرى إلى الاستقالة ، وكانت برقيات كافرى وتقاريره تلح على الحكومة الأمريكية بالتدخل والضغط على بريطانيا .

كتب وكيل الخارجية الأمريكية المساعد مذكرة طويلة إلى وزيره جاء فيها

« سيؤدى الجمود الحالى فى المفاوضات المصرية البريطانية إلى مظاهرات واضطراب الأمن ! ولن تستطيع السلطات المصرية إخمادها . وسيضطر البريطانيون إلى استعمال القوة لحماية قاعدة قناة السويس وأرواح الأجانب .

ويعتبر استعمال القوة خطرا على موقف الغرب فى الشرق الأوسط . والبديل الوحيد فى هذه الحالة .. الجلاء وهو أمر لايحقق أهدافنا .

ولابد من سياسة جديدة إذا أردنا التعامل مع مصر . والولايات المتحدة لها مركز ممتاز ونفوذ عال فى مصر يجب أن يعاون فى الوصول إلى تسوية . وهذا يرجع إلى السفير الأمريكى جيفرسون كافرى و إلى تقلبات العلاقة بين الولايات المتحدة وبريطانيا .

وقد أصبح من الصعب تأييد الانجليز فى الإجراءات التى يريدونها فنحن لسنا مقتنعين بصواب أعمالهم . وقد حان الوقت للإفادة من مركزنا فى مصر لعقد صفقة يقبلها الانجليز والمصريون .

إن جيفرسون كافرى عرض فى نوفمبر وديسمبر الماضيين على فؤاد سراج الدين وزير الداخلية آنذاك أسسا أولية لاتفاق بشأن قاعدة القناة ترمى إلى استبدال القوات العسكرية البريطانية البرية والبحرية والجوية بفنيين أغلبهم من البريطانيين ، وربما بعض الأمريكيين ، وخطة دفاع جوية بريطانية ـ مصرية مشتركة ـ وتطلى الطائرات الحربية بالعلم المصرى .

وعلى الولايات المتحدة أن تقوم بمساع حميدة مع مصر للوصول إلى اتفاق للمشكلة المصرية ـ البريطانية . ولكن لابد من الاتفاق مسبقا مع البريطانيين قبل الاتصال بالمصريين.

ونظرا لأن مسألة السودان هى حجر العثرة فى أى اتفاق فإننا نقترح تأجيل مناقشتها فى الوقت الحاضر .

إن مواقف المصريين والبريطانيين متباعدة ويجب أن نسجل موقفنا لصالح علاقاتنا بدول الشرق الأدنى .

إنى أقترح أن تعترف الولايات المتحدة بالملك فاروق ملكا على مصر والسودان.

ويترك للسودانيين فى وقت قريب تقرير المصير . وتساعد الولايات المتحدة على تطوير القوات المسلحة المصرية بتدريب أفرادها وتقديم أسلحة رمزية لها طبقا لبرنامج متفق عليه.

واعترافنا بلقب ملك مصر والسودان يمهد لفتح باب المفاوضات الخاصة بالقاعدة . ولابد أن تقبل مصر بعض الحقائق الناشئة عن موقفها الاستراتيجى شرق البحر المتوسط .

ولاينبغى أن يعرف المصريون أننا ناقشنا الأمر مع البريطانيين بل يقال لهم إنه بعد موافقتهم سنطرح الأمر على البريطانيين .

وهذا المشروع يحقق عدة مزايا لمصر :

*** اعتراف دولة عظمى بلقب ملك مصر والسودان .**

*** حصول مصر لأول مرة على حق تدريب قواتها وتجهيزها ولو على نطاق محدود .**

*** سيستبعد أساس الاضطرابات فى مصر وهو وجود القوات البريطانية .**

*** لن تسلم مصر مصالحها فى السودان .**

*** تقوم علاقة أوثق بين مصر والولايات المتحدة .**

أما المساوئ بالنسبة لمصر فهى :

*** فشل مصر فى اقناع بريطانيا بالاعتراف بلقب الملك .**

*** تتسلم مصر أسلحة قليلة وتدريب محدود .**

*** استمرار الاحتلال فى صورة دفاع مشترك جوى بريطانى ـ مصرى !**

*** سيكون الثمن الذى تحصل عليه مصر غير متكافئ للوقوف ضد هجمات الوفد على الحكومة والمشروع .**

أما أهم المساوئ بالنسبة لبريطانيا فهى أن خلافها مع الولايات المتحدة حول لقب الملك سيكون علنيا »

ولكن المشروع الأمريكى لايعطى فرصة للنجاح فى عهد سرى ، وإن كان قد تحقق باختلاف محدود بعد قيام الثورة التى بدأت بالاتفاق بشأن السودان واعطائه حق تقرير المصير ، واستبدلت القوات البريطانية فى منطقة القناة بفنيين بريطانيين !

ويلغى اللورد مونتباتن قائد البحرية البريطانية زيارته لمصر ويكون الإلغاء تعبيرا ضمنيا عن استياء الحكومة البريطانية من سياسة صاحب الجلالة .

ويلتقى مايكل كريزويل الوزير البريطانى المفوض بحافظ عفيفى يوم ١٥ يوليه لابلاغه النبأ .

قال حافظ عفيفى :

ـ أتوقع أن تسوء الحال . ومادامت هذه الوزارة فى الحكم فستنفق البلاد أكثر من مواردها المالية ، وليس هناك أمل فى الاصلاح .

وأضاف :

ـ أعرف أنكم لن تتعاونوا مع هذه الحكومة لإصرارها على لقب ملك مصر والسودان.

وقال :

ـ لو أن رؤساء الوزارات المتعاقبين واجهوا الملك بالاستقالة إذا طلب منهم أشياء يعتقدون أنها خطأ فإنه كان سيضطر ـ فى النهاية ـ إلى القبول .

وإذا حدثت أزمة وزارية فإنها تنشأ نتيجة رفض الحكومة تنفيذ أوامر الملك المستحيلة فإذا تكرر ذلك فإن الملك سيتراجع ويضطر لتغيير سياسته .

واختتم حافظ عفيفى حديثه للوزير المفوض البريطانى .

ـ إن تأثير هذه المؤامرات نشر الاستياء فى الجيش ومساعدة الشيوعيين .

مصر فى طريقها إلى الثورة . ولو أن الجماهير نجحت فى ٢٦ يناير الماضى فى دخول قصر عابدين فإن الثورة كانت ستقوم بالطريقة التقليدية المعروفة .

ولايزال الخطر كامنا والداء مزمن .

وسيتكرر فى الشتاء القادم ماحدث فى الشتاء الماضى .

كان جون هاملتون مستشار السفارة البريطانية أبعد نظرا من رئيسه ، الوزير المفوض . قال :

ـ عودة الوفد محتومة فى الانتخابات التى ستجرى فى الشتاء القادم . لقد فشل الملك فى إيجاد رئيس للوزراء يحطم الوفد ولذلك رأى أن يركب الموجة وأن يستغل المحتوم لحسابه .

وقد زين عبود الفكرة لكريم ثابت والياس اندراوس قائلا

ـ لندع مافات فإنه مات .

وقال هاملتون الذى يجيد اللغة العربية :

ـ يجب أن نبحث عما يجرى فى الجيش فهناك دائما فرصة لقيام بعض الشباب المتحمس بعمل ما .

* * *

كانت الأحداث أسرع مما توقع حافظ عفيفى .

كان سرى يشغل مناصب وزير الخارجية والحربية والمالية بالإضافة إلى رئاستة للوزارة .

عجز سرى عن العثور على وزير للمالية أو وزير للحربية وهما العلتان الرئيسيتان اللتان أصابتا حكومته .

والعلة الأولى مزمنة ، والثانية حادة .

وكان الملك يرغب فى تعيين الياس اندراوس وزيرا للمالية ، ولكن سرى رفض .

وأدى خلو منصب وزير الحربية إلى أمرين :

١ ـ حالت مشاغل حسين سرى ، وعدم تفرغه ، دون أية سيطرة حازمة على الجيش.

٢ ـ بدء المناورات لتعيين وزير للحربية فى الوقت الذى زاد فيه تذمر الضباط وأصبح محتما تعيين وزير .

اختار الملك تلك اللحظة ، غير المواتية على الاطلاق ، للإصرار على تعيين اللواء حسين سرى عامر رئيسا لنادى الضباط ، فلما رفض مجلس إدارة النادى ، حل فاروق المجلس يوم ١٦ يوليه .

وعجل بالأزمة رغبة رئيس الوزراء فى تعيين وزير للحربية مقبول من الجيش الذى عانى من المظالم فترة طويلة كما أنه ـ أى الجيش ـ وصل إلى الذورة فى مقاومته العلنية لمحاولات الملك فرض مرشحيه فى مجلس إدارة نادى الضباط .

واقترح سرى باشا على الملك تعيين اللواء محمد نجيب مدير سلاح المشاة ورئيس نادى الضباط المنتخب وزيرا للحربية والبحرية باعتبار أن شعبيته بين شباب الضباط الساخطين تضمن استمرار الانضباط وتهدئة الوضع وتخفيف الأزمة .

ونشرت الصحف المصرية ، بالفعل ، نبأ ترشيح محمد نجيب وزيرا بعد أن عرض المنصب عليه

الدكتور محمد هاشم باشا وزير الداخلية وزوج ابنة سرى باشا !

كان سرى باشا فى هذه النقطة بالذات أبعد نظرا من كل رؤساء الوزارات الذين سبقوه ورشحوا محمد نجيب وزيرا للحربية فقد تمسك برأيه وأصر عليه ، وكان يريد منح فاروق الفرصة الوحيدة، والأخيرة ، لإنقاذ عرشه .

ولكن صاحب الجلالة رفض تعيين محمد نجيب باعتبار أن ذلك يعتبر ضغطا من رئيس وزرائه يغرى الضباط بالمبالغة فى مطالبهم . وكان حسين سرى يرى أنه لايوجد أمام صاحب الجلالة إلا طريقان · الأول ارضاء الشعب والجيش بتعيين محمد نجيب وزيرا للحربية أو القبض على محمد نجيب وزملائه الضباط .

وأبلغ سرى صاحب الجلالة الموقف داخل الجيش صراحة وقال له .

ـ إن مستشاريك لم يبلغوك الحقيقة .

وقال سرى للسفير الأمريكى

ـ شرحت لجلالته كل شىء بصراحة .

ولو أن فاروق قبل تعيين محمد نجيب وزيرا للحربية فربما تغير اتجاه التاريخ !

ولكن فاروق تمادى فطلب تعيين اللواء حسين سرى عامر مدير سلاح الحدود وزيرا للحربية ، وهو غير محبوب لأقصى درجة بين الضباط ويتهمونه بقتل زميلهم عبد القادر طه ، فرفض رئيس الوزراء ذلك .

صباح يوم ٢٠ يوليه ، وهو يوم حاسم ، أوفد صاحب الجلالة زوج شقيقته الأميرة فوزية ، إسماعيل شيرين ، إلى السفير الأمريكى جيفرسون كافرى .

قال إسماعيل شيرين :

ـ يشكرك صاحب الجلالة لأنك أثرت مع رئيس الوزراء مسألة الجيش وعرضت وجهة نظر الملك ، وقد اجتمع جلالته مساء أمس برئيس الوزراء .

وأضاف إسماعيل شيرين :

ـ يعترف صاحب الجلالة أنه أخطأ · وهو مستعد الآن للتضحية باللواء حسين سرى عامر وإحالته إلى المعاش ، ولكنه فى الوقت ذاته مصمم على إحالة اللواء محمد نجيب إلى المعاش أيضا فهو يعتبره متآمرا .

ومركز الملك داخل الجيش يتطلب وقف أنشطة اللواء نجيب الأخيرة .

ولايريد الملك أن يقتنع العسكريون بأنهم يستطيعون تعيين وعزل الوزراء .

وقال إسماعيل شيرين .

ـ لقد رفض سرى ذلك وهدد بالاستقالة وقد رجاه صاحب الجلالة ألا يفعل .

وقال الملك :

ـ لقد وصلت إلى القاع ، ولا أعرف من أعينه مكانه .

ويبرق السفير إلى وشنطن قائلا

« ظن رئيس الوزراء أن الانجليز سيقدمون له مقترحات أفضل من تلك التى قدموها لسابقيه . وقد توقع بيانا يصدر عنا . إنه يائس تماما ولايريد أن يواجه الفشل فى مسألة السودان .

سأكون سعيدا لو استطعت منع هذه الوزارة من الاستقالة . ولكن ليس لدى شىء أقدمه لسرى منا أو من الانجليز . و إذا شك سرى فى أن مسألة السودان أصبحت مجمدة فلن يغير رأيه وسيقدم استقالته .

مرة أخرى إذا أردت انقاذ هذه الوزارة فلابد أن أقدم لهم شيئا بالنسبة للسودان ».

وجد سرى باشا أن هذه خاتمة مشينة لحياته السياسية فاستقال مساء يوم ٢٠ من يوليه بعد أن أمضى فى الحكم ثلاثة أسابيع ـ لاثلاثة شهور ـ ـ كما توقعت السفارة البريطانية !

وكانت أزمة السودان ، ورفض الانجليز الاعتراف بفاروق ملكا على مصر والسودان هى السبب الأساسى فى استقالة سرى . ولكنه أشاع أن سبب الاستقالة هو رغبته فى تعيين محمد نجيب وزيرا للحربية ، وبذلك أصبحت الأزمة داخل الجيش ، وبين الملك ورئيس وزرائه ، والجيش.

ولكن سرى باشا لم يكتب ذلك فى خطاب الاستقالة ولم يشر أيضا للسبب التقليدى لاستقالة رؤساء الوزارات فى مصر وهو أن صحته لم تعد تتحمل بل أشار تلميحا إلى السبب الحقيقى فقال « أصبحت غير قادر على الاستمرار فى تحمل أعباء الحكم » .

ورأت صحيفة المصرى إبراز تلك الكلمات فى عناوينها الرئيسية فى الصباح التالى .

* * *

تردد الملك ٣٦ ساعة قبل أن يقرر قبول الاستقالة لأنه عرف خطورة السبب الذى بنيت عليه .

قال لزوج شقيقته اسماعيل شيرين :

ـ قرار حسين سرى بالاستقالة أمر يخصه وحده . ولكن لماذا جعله قائما على موضوع يسبب لى حرجا بالغا .

.. أى تعيين وزير الحربية .

واستطرد الملك قائلا لصهره :

ـ يعلم سرى تماما أن أى اجراء يتخذ حيال الأزمات القائمة داخل الجيش ، يمكن أن يؤدى إلى عواقب خطيرة .

كان ينبغى عليه أن يبنى استقالته على أى موضوع آخر ولم أكن سأهتم كثيرا بالموضوع .

وقال فاروق :

ـ سرى يريد إرضاء الضباط . ولن أسمح للجيش أن يملى رأيه علىّ فى الأمور السياسية . سيغرى ذلك تلك القلة من الضباط على المغالاة فى مطالبهم .

ورأى صاحب الجلالة أن يرد الصفعة إلى رئيس الوزراء المستقيل .

أتهمه بالهروب .

قال فى كتاب قبول الاستقالة :

« كنا نود أن تعملوا على تذليل الصعاب التى من اجلها قد تم عدم إمكانكم الاستمرار فى مهمتكم، فتحققوا بذلك مـاعقد عليكم من أمل عندما حملتم أمانـة الحكم، إلا أنكم أثرتم أن تتخلوا عن هذه المهمة فى هذه الظروف الدقيقة التى تواجهها البلاد » .

وكان معنى رسالة سرى وجواب فاروق أن القطيعة نهائية بين الملك ورئيس وزرائه المستقيل وأن صاحب الجلالة لن يعهد إليه مرة أخرى برئاسة الوزارة فلم يعد رجل المهام المستحيلة .

ولكن استقالة حسين سرى جعلته يحظى بتقدير المؤرخ المصرى عبد الرحمن الرافعى إذ قال « استقالة سرى مشرفة له ولوزارته . إذ لم يقبل الخضوع لرغبات الملك فى إذلال الجيش وضباطه » .

ولم تعمر وزارة حسين سرى سوى ١٩ يوما .

وعلق كافرى على الاستقالة فقال .

ـ ساهم عامل السودان كثيرا فى سقوط سرى !

* * *

فى الصباح التالى ـ الثلاثاء ٢٢ يوليه ـ كتب كامل الشناوى أحد رؤساء تحرير صحيفة الأخبار يقول :

«تروى الأساطير أن « ديوجنييس » حكيم اليونان خرج من داره يوما وفى يده مصباح وظل يطوف بشوارع أثينا ، باحثا عن شيء على ضوء مصباحه .

ودهش أهل أثينا عندما رأوا حكيمهم يحمل مصباحا فى ضوء النهار والشمس مشرقة . وسألوه:

ماذا تصنع ياديوجنيس ؟ فقال :

ـ أبحث عن رجل .

وما أشبه مصر اليوم بديوجنيس ... فهى تحمل مصباحها فى يدها ليل نهار وتنقب عن رجل» .

وقال كامل الشناوى :

« سينضب زيت المصباح وتحترق ذبالته وينطفئ ، قبل أن تجد مصر هذا الرجل .. فإنها تبحث عنه بين طائفة من الساسة تجاوزوا مرحلة الرجولة

فلتدع مصر مصباحها .. إذا كانت مصممة على أن تجد الرجل بين من ألقوا بأنفسهم إلى الهاوية فإنها لن تجد إلا حطاما !

لتدع مصر مصباحها .. ولتبحث بلا مصباح فى صفوف الشعب عن الرجل فستجد فى كل فرد رجلها الذى تنشده .

لاتضيعوا الوقت فى البحث عنه بين البناوير والألواج .. حيث الساسة ومحترفو السياسة فلن تجدوا الرجل الذى تريدون .

اتجهوا إلى الصالة وأعلى التياترو حيث الشعب المناضل المكافح .. لتجدوا فى كل مقعد رجلا ..».

وكان كامل الشناوى يعرف نبض الشعب . ولم يكن من الصحفيين المتصلين بتنظيم الضباط الأحرار ، أو يعرف مايجرى داخل الجيش .

قال جيفرسون كافرى :

« باستقالة سرى باشا دخلت مصر ، مرة أخرى ، لعبة الكراسى الموسيقية » !

الإنذار المبكر

أمضى الملك والمسئولون فى القصر الليل ساهرين يفكرون ويقررون .

فى الساعات الأولى من الصباح كان الملك يميل إلى تكليف على ماهر مرة ثانية .

وفى الثانية صباحا تقريبا اقترح حافظ عفيفى رئيس الديوان ، وهو عدو لعلى ماهر منذ فترة طويلة ، استدعاء الهلالى مرة أخرى .

وافق الملك فى البداية ، ولكنه أرجأ قراره ساعات . وفكر أن يسند الوزارة إلى رئيس الديوان ـ حافظ عفيفى ـ نفسه !

قال عبد الفتاح عمرو باشا السفير المصرى فى لندن وهو يتناول الغداء مع روجرالين مدير الإدارة الافريقية بوزارة الخارجية البريطانية .

ـ يرتكب حافظ عفيفى خطأ كبيرا إذا قبل منصب رئيس الوزراء دون شروط وأهمها التطهير الكامل للقصر بما فى ذلك التخلص من كريم ثابت والياس اندراوس .

وليست لحافظ عفيفى الشخصية القوية التى تمكنه من فرض شروطه على الملك إلا إذا شجعتموه على أن يفعل ذلك . واستطعتم جعل الملك يشعر بآثار سلوكه الحالى .

وأضاف عمرو باشا :

ـ ستشوه سمعة حافظ باشا بقبول المنصب ، ثم يلقى به فى قارعة الطريق .

ويبدو أن كلا من عمرو باشا فى لندن ، وحافظ عفيفى باشا فى القاهرة ، كانا يؤمنان بنفس الرأى على غير اتفاق أو لقاء ، فإن رئيس الديوان رشح لرئاسة الوزارة نجيب الهلالى !

ولكن أحدا ، من الرجلين المقربين من صاحب الجلالة ، لم يجرؤ على إبلاغه بمدى تدهور الأمور .

* * *

زاد الضغط على السفير الأمريكى من كل الجهات ليتدخل لصالح هذا المرشح أو ذاك .

وطلب ايدن إلى وزيرة المفوض فى القاهرة أن يبلغه ، بمن يفضله ، ليكون رئيسا لوزارة مصر الهلالى ، أو على ماهر ، أم حافظ عفيفى نفسه !

وفى ظل بقاء مصر بلا وزارة ، خافت القيادة البريطانية فى الشرق الأوسط ، ومقرها فايد ، أن يتطور الموقف ، وأن يتكرر حريق القاهرة فبدأت استعدادات عسكرية فى منطقة القناة .

وكانت هذه الاستعدادات أقوى العوامل التى جعلت للسفارة البريطانية اليد العليا فى اختيار رئيس الوزراء الجديد والتعجيل بتعيينه ، فقد عرف بأمرها صاحب الجلالة .

كتب إيدن إلى كريزويل يوم ٢٢ يوليه يقول :

« نحن نعلم التأثير القوى على الملك فاروق والذى نشأ عن تحرك كتيبة الباراشوت يوم ٢٧ يناير .. عقب حريق القاهرة . وأود أن أعرف ما إذا كان هناك دليل على حدوث شيء من هذا القبيل الآن » .

وأراد إيدن زيادة الضغط على فاروق .

أبرق إلى كريزويل قائلا :

« دع الملك يعلم ، بطريقة غير مباشرة ، إنى قلق جدا من الطريقة التى تسير بها الأمور .

ولن نتردد فى اتخاذ الخطوات التى نراها ضرورية فى حالة حدوث مزيد من الفوضى فى مصر .

ومن وجهة نظرى فإن التطورات الحالية والتى تؤدى إلى إحلال حكومة مصرية بحكومة أخرى فى الوقت الذى يكون فيه رئيس الوزراء الجديد فى موقف صعب ، بسبب مكائد القصر ، ستكون نتيجتها تدهور خطير فى الوضع الداخلى فى مصر » !

واستمر إيدن يوجه الهلالى والملك ، فإن وزير خارجية بريطانيا كان أكثر ادراكا بأبعاد مشكلة الحكم فى مصر .

قال لكريزويل :

« يعتبر أمرا بالغ السوء أن يقبل نجيب الهلالى منصب رئيس الوزراء دون أن يطلب من الملك اجراء تطهير داخل القصر وابعاد الياس اندراوس المستشار الاقتصادى للملك ، وكريم ثابت المستشار الصحفى لفاروق ، من مصر لعدة شهور ، وإلا سيكون موقف رئيس الوزراء صعبا وسيقذف به فيما بعد فى صندوق القمامة !

وإذا رأيت أنه أمر يفيد فيمكنك إبلاغ حافظ عفيفى بوجهة نظرى وتشجيعه على مواجهة الملك بذلك ».

قال لى إسماعيل شيرين زوج الأميرة فوزية شقيقة فاروق أن صاحب الجلالة فكر فى ذلك الوقت فى استدعاء مصطفى النحاس باشا من الخارج لتولى رئاسة الوزارة ولكنه وجد أن ضيق الوقت لايسمح بذلك.

وفكر أيضا فى أن يتولى رئاسة الوزارة على الشمسى باشا الوزير السابق المستقل ولكنه وجد أن الأزمة خطيرة لايستطيع الشمسى باشا معالجتها .

كلف الملك ، بعد تردد ، أحمد نجيب الهلالى بتأليف الوزارة مرة أخرى يوم ٢١ يوليه ، معترفا أنه أخطأ فى الغدر به .

وضع الهلالى عدة شروط تهدف لمنع تكرار مؤامرات السراى التى أدت إلى سقوط وزارته الأولى قبل ثلاثة أسابيع .

وافق فاروق فقد فزع تماما من ازدياد النقمة على أعماله والتى سادت مصر كلها ضد حكومة حسين سرى ، ومن الغليان الذى أحس به فى صفوف الجيش ، ومن الضغوط البريطانية التى وصلته عن طريق حافظ عفيفى .

ورأى أن وزارة الهلالى ستنقذه من خطر الثورة الماثل أمامه ، والذى كان فاروق ، نفسه ، مسئولا عنه !

وكانت شروط الهلالى التى قبلها الملك هى

٢ ـ مواصلة التطهير .

٢ ـ تعديل قانون الانتخاب .

٣ ـ تأجيل الانتخابات إلى أن يقرر رئيس الوزراء ذلك .

٤ ـ استمرار الأحكام العرفية بهدف محاكمة المسئولين عن حريق القاهرة .

٥ ـ لاتدخل من العناصر غير المسئولة أى عصبة القصر .

قال فاروق للهلالى فى الخطاب الرسمى الذى وجهه إليه وهو يكلفه بتشكيل الوزارة إنه « وطيد الأمل فى ألا يدخر رئيس الوزراء جهدا ولا وقتا فى تقويم اداة الحكم » .

وكانت هذه الكلمات تسليما من صاحب الجلالة بموافقته على شروط الهلالى .

أما جواب الهلالى وهو يعلن قبوله المنصب فقد أكد من جديد أنه سيعمل على «إصلاح مايجب إصلاحه واتمامماينبغى إتمامه . وتقويم أداة الحكم »!

اختار رئيس الوزراء أحمد مرتضى المراغى وزيرا للداخلية والحربية أيضا باعتباره يعرف هذه الوزارة فقد شغل المنصب من قبل ويمكن أن يقضى على أسباب تذمر الضباط الشبان الغاضبين أو يخشاه هؤلاء الضباط .

وفى نشرة أنباء الثانية والنصف ظهرا أذاعت الإذاعة المصرية أسماء الوزراء الجدد وبينهم أحمد مرتضى المراغى كوزير للداخلية والحربية والبحرية .

ورغم أن صاحب الجلالة وافق على شروط الهلالى إلا أنه نقضها تماما ، فقد أصر على تعيين صهره ، زوج شقيقته الأميرة فوزية ، إسماعيل شيرين وزيرا للحربية ، وترك لحافظ عفيفى فى البداية أن يعرض الاقتراح على الهلالى .

قال حافظ عفيفى .

ـ أعرفه منذ الطفولة وأعتبره ألمعيا ومؤهلا للتعامل مع مشاكل الضباط الصغار ويفهم جيدا وجهة نظرهم .

رفض الهلالى وأبلغ جيفرسون كافرى بذلك ، فإن السفير الأمريكى ، فى تلك الأيام كان طرفا فى كل المشاورات السياسية وفى تشكيل الوزارات .

قال الهلالى للمراغى .

ـ استدعانى الملك وطلب منى أن أصرف النظر عن تعيينك وزيرا للحربية اكتفاء بوزارة الداخلية.

قال المراغى :

ـ ليس فى ذلك من بأس . وكم كنت مرهقا من الجمع بينهما .

وأضاف الهلالى :

ـ أصر صاحب الجلالة على تعيين زوج أخته إسماعيل شيرين .

قال المراغى :

ـ إنه ضابط احتياطى كما تعلم .

أبرق كافرى إلى وشنطن بالموقف وقال :

« سيوافق الهلالى والمراغى على قبول إسماعيل شيرين » !

وكان السفير الأمريكى يعرف أن رؤساء الوزارات والوزراء المصريون ينزلون على رأى صاحب الجلالة فى نهاية المطاف !

وبالفعل اتصل رئيس الوزراء باسماعيل شيرين يبلغه نبأ تعيينه وزيرا للحربية والبحرية .

استدعى الوزراء ـ ١٧ وزيرا ـ لأداء اليمين الدستورية بين يدى صاحب الجلالة فى الرابعة بعد ظهر الثلاثاء ٢٢ يوليه بقصر المنتزه .

فوجئ الوزراء بوجود إسماعيل شيرين بينهم وهو يرتدى الرد نجوت مثلهم !

دخل الملك القاعة وأدى ١٧ وزيرا اليمين بين يديه وخرجوا لمباشرة مهام مناصبهم ومعهم الوزير الذى كان تعيينه أحد الأسباب المباشرة لقيام الثورة .

لم يدرك الهلالى أن موافقته على تعيين إسماعيل شيرين تعتبر أكبر وآخر الأخطاء التى ارتكبها عندما لم يتمسك بالشرط الحيوى لاستمرار ولاء الجيش .

وكان استمرار ولاء الجيش لفاروق أمرا مستحيلا بعد كل مابذله الملك من جهد لتحطيم هذا الولاء ، وبعد تدخله بحماقة فى شئون الجيش .

ولكن رئيس الوزراء أعلن بعد الاجتماع الذى استمر ٣٥ دقيقة أن سياسته لن تتغير وسيستمر فى التطهير ويعلن نتائجه قبل إجراء الانتخابات التى ستجرى فى العام نفسه بعد تعديل قانون الانتخاب .

وأعلن الوزراء فى تصريحاتهم للصحفيين :

ـ هذه لحظة خطيرة وموقف دقيق .

وصفت الملكة ناريمان تلك الأيام

«كانت الحكومة المصرية تتبدل بسرعة فأرى ، بدون انقطاع ، أفواجا تأتى إلى القصر لتقسم يمين الولاء للملك . وكان جميع الوزراء يقسمون هذا اليمين لكن كثيرين منهم كانوا يعودون فورا ، بعد القسم ، إلى حبك المؤامرات وتدبير الدسائس » .

* * *

قال عبد الرحمن الرافعى فى كتابه « مقدمات ثورة ٢٣ يوليو » ان « الملك جعل اسماعيل شيرين ضابطا لمجرد مصاهرته له ورقاه إلى رتبة العقيد . وكان تعيينه وزيرا للحربية مظهرا لتمادى الملك فى امتهان كرامة الجيش » .

كان اسماعيل شيرين فى الرابعة والثلاثين من عمره . درس الاقتصاد فى جامعة كمبردج وكان زميلا للاقتصاديين المصريين الدكتور عبد المنعم القيسونى والدكتور على الجريتلى .

وقد درب أثناء الدراسة فى الجيش البريطانى فى انجلترا . وعندما قامت الحرب العالمية الثانية تطوع فى ذلك الجيش للدفاع عن مصر !

وبعد عودته اشتغل بالبنك الأهلى سبع سنوات بعضها فى أسيوط وأختير رئيسا لقسم البحوث والاحصاء بالبنك . وكان أول مصرى يعين مساعدا لمفتش عام البنك . وقد منح نصف المرتب الذى كان يعطى لشاغل المنصب الانجليزى فاستقال احتجاجا وعمل فى الحكومة المصرية . وتطوع فى حرب فلسطين تحت قيادة اللواءين المواوى وفؤاد صادق . وحصل على رتبة المقدم ثم رقى « عقيدا » عام ١٩٤٨ .

واختير بعد ذلك رئيسا للادارة السياسية لمجلس الوزراء المصرى وكان مختصا بالمسألة الفلسطينية .

وعين عضوا فى اللجنة التى أجرت مباحثات الهدنة فى رودس مع اللواء إبراهيم سيف الدين والعقيد محمد كامل الرحمانى .

وأختير مديرا لإدارة شئون فلسطين بوزارة الحربية وكان أحد مساعديه محمود رياض الذى عين بعد ذلك أمينا عاما للجامعة العربية .

وأصبح إسماعيل شيرين ضابط الاتصال بين مجلس الوزراء ووزارة الحربية وعضوا فى لجان تنسيق الهدنة العربية بين مصر والاردن ولبنان وسوريا . واختاره الملك ياور شرف له .

وقد تزوج الأميرة فوزية شقيقة فاروق عام ١٩٤٨ .

ولم تكن الصلة طيبة بين فاروق وإسماعيل شيرين فإن كل الذين تزوجوا من إميرات البيت المالك منحوا رتبة الباشوية إلا إسماعيل شيرين الذى حصل على رتبة البكوية فقط .

ولم يكن إسماعيل شيرين يلتقى بصاحب الجلالة إلا فى مناسبتين الأولى فى رمضان والثانية فى شم النسيم عندما يدعو فاروق أفراد أسرته إلى حفل يقام فى اليخت الملكى المحروسة .

وقد استقبله فاروق بصفته القائد الأعلى للجيش قبل الثورة بأيام ليسمع منه التنسيق بين لجان الهدنة العربية ، ومنذ عودته من بيروت أصبح على اتصال دائم بفاروق .

وأوفده فاروق إلى السفير الأمريكى ليشكره باسم الملك لأنه ـ أى السفير ـ لفت انتباه حسين سرى رئيس الوزراء إلى المعلومات التى وصلته عن ضباط الجيش المتذمرين .

وأبلغ حافظ عفيفى .. كريزويل ، بعد الثورة ، بأن تعيين إسماعيل شيرين هو الذى فجر الأزمة وهى آخر هفوة تسببت فى طفح الكيل .

وقال :

ـ كان دخول إسماعيل شيرين والمراغى الوزارة أمرا جعل الضباط يعتقدون بأنه لن يكون هناك تغيير حقيقى .

وقال لكريزويل :

ـ إن فاروق حتى تلك اللحظة المتأخرة لم يعزل حيدر من منصبه كقائد عام للجيش مما كان له أكبر الأثر فى خلق هذا الانطباع لدى صغار الضباط .

ولكن مايكل كريزويل كتب إلى لندن يقول :

« أشعر بتفاؤل كبير بشأن مستقبل حكومة الهلالى التى لديها فرصة كبيرة للبقاء . ولكن الكثير يتوقف على امتناع الملك عن التدخل فى شئون الحكم » !

* * *

كان إسماعيل شيرين قد طار إلى دمشق لحضور اجتماعات لجنة الهدنة .

وفى طريق العودة للقاهرة توقف فى بيروت ليلتقى بتشابمان اندروز السفير البريطانى فى لبنان والذى عمل سنوات بالقاهرة وزيرا مفوضا .

قال إسماعيل شيرين لأندروز :

ـ هناك خطر قيام ثورة شعبية فى مصر .

وقامت الثورة بعد اسبوعين من زيارة إسماعيل شيرين لبيروت ، وبعد ساعات من تعيينه ـ أى إسماعيل شيرين ـ وزيرا للحربية .

وكان إسماعيل شيرين فى آخر لقاء له بفاروق فى شم النسيم قد تحدث إليه ، على يخت المحروسة فى ضرورة الاصلاح .

ولكن اسماعيل شيرين بعد عودته من بيروت ، نسى ، وربما لم يجرؤ ، على أن يكرر التحذير لصاحب الجلالة نفسه !

* * *

فى لندن التقى القائم بالأعمال الأمريكى بالسير وليم سترانج الوكيل الدائم للخارجية البريطانية وطلب إليه حل مشكلة السودان .

وأخذ يذكره بما أعلنه انتونى ايدن وزير الخارجية البريطانى لدين اتشيسون وزير الخارجية الأمريكى من أن بريطانيا تريد من السودانيين إعلان قرارهم بشأن لقب الملك فاروق ، وهو أن يكون القرار السودانى محققا قدر الامكان لرغبة مصر .

أى أن بريطانيا أوشكت على الخضوع للضغوط الأمريكية المستمرة بالموافقة السودانية على أن يكون فاروق ملكا لمصر والسودان .

وكان الهلالى بقبوله الوزارة واثقا من أنه سيحقق ، فى هذه الوزارة ، بمساعدة أمريكا ، شيئا فى قضية السودان .

قبل أربع ساعات من الثورة التقى السفير الأمريكى جيفرسون كافرى بنجيب الهلالى باشا رئيس وزراء مصر .

قال الهلالى للسفير :

ـ سأمسك بمقاليد الأمور من النقطة التى تركتها قبل ثلاثة أسابيع ..

. يقصد قبل استقالته يوم ٢ من يوليو .

وقال :

ـ إننى متمتع الآن بتأييد الملك وأفكر فى توجيه الاتهامات ضد أشخاص أقوياء مثل المليونير أحمد عبود باشا

ويعلق السفير الأمريكى على هذا الحديث قائلا :

« السبب الرئيسى لقبول الهلالى رئاسة الوزارة الضغط الذى وقع عليه من حافظ عفيفى وزكى عبد المتعال وغيرهما من الذين أبلغوه أنه الرجل الوحيد الذى يستطيع إنقاذ مصر فى هذه المرحلة .

وهذا الضغط كان جارفا لدرجة أنه اقنع الهلالى بنسيان موقفه قبل ثلاثة أسابيع عند استقالته ، واعتقاده أنه يستطيع إتخاذ محاولة أخرى لحل قضية السودان » .

وفى الساعة ١١,١٩ مساء ٢٢ يوليه أى فى الوقت نفسه تقريبا الذى بدأت فيه حركة الجيش كان مايكل كريزويل فى الاسكندريه يهنّئ حافظ عفيفى باشا رئيس الديوان بانتصار دبلوماسيته الصبورة مع الملك والنتيجة السارة التى وصل إليها بتشكيل وزارة نجيب الهلالى وعودته إلى الحكم بعد ثلاثة أسابيع فقط من استقالته .

قال حافظ عفيفى وقد بدا الاسترخاء فى صوته :

ـ ليست لى علاقة باستقالة حسين سرى باشا ولكنى الآن أكثر ثقة فى المستقبل عما كنت عليه خلال الشهور الستة الماضية ، وصاحب الجلالة غير راض عن الياس اندراوس وكريم ثابت . واثبتت الدلائل أن اندراوس مغضوب عليه منذ أسبوع .

لقد عاد الهلالى إلى الحكم بشروطه ، وإنى واثق من بقاء الحكومة فترة لابأس بها .

سأل كريزويل .

ـ وهل ستمارس الوزارة الجديدة الحكم حقا .

ابتسم حافظ عفيفى وقال :

ـ نعم سيسمح لها بأن تحكم .

. أى أن الملك والحاشية لن يتدخلوا .

وأضاف حافظ عفيفى

ـ الاضطراب فى الجيش مجرد جانب واحد لنفاد الصبر العام فى البلاد نتيجة للأسلوب الذى جاءت به وزارة حسين سرى إلى الحكم .

لقد اثار الارتباط السابق لحسين سرى بالمليونير أحمد عبود ، الذى اشتهر كأستاذ محنك فى فن الرشوة ، غضبا فى انحاء البلاد ويعتقد الناس بأن عبود كان يستعد لسرقة كبيرة تتصل بمشروع كهربة اسوان

وقد تلقى سرى رسائل كثيرة من جميع انحاء البلاد تدينه بوصفه أداة للصوص والانتهازيين.

وقد وافق الملك على شروط الهلالى وهو يميل إليه أكثر من أى وقت مضى لأنه ـ أى صاحب الجلالة ـ يكره المرشح البديل ، لرئاسة الوزارة وهو على ماهر باشا .

قال الوزير البريطانى المفوض :

ـ وماذا عن التدخل من جانب رجال القصر فى الحكم .

قال حافظ عفيفى :

ـ الملك يدرك مخاطر التدخل المبالغ فيه من القصر .

وكرر رئيس الديوان ماقاله من قبل للوزير البريطانى المفوض :

ـ الملك مستاء تماما من الياس اندراوس وكريم ثابت ويدرك أنهما مستشاران سيئان .

قال الوزير المفوض :

ـ وتعيين إسماعيل شيرين وزيرا للحربية ؟

أخذ حافظ عفيفى يدافع بحماس عن زوج شقيقة الملك فاروق وقال :

ـ لقد اقترحته بنفسى على الهلالى باشا ليتولى منصب وزير الحربية .

وكشف حافظ عفيفى عن خطة الملك لتفادى أية اضطرابات فى الجيش . قال :

ـ سيحال إلى التقاعد كل من اللواء حسين سرى عامر قائد سلاح الحدود ـ الذى يكرهه الضباط الشبان ـ واللواء محمد نجيب قائد سلاح المشاه .

قال كريزويل :

ـ والفريق محمد حيدر باشا وزير الحربية السابق والقائد العام للجيش ؟

قال رئيس الديوان :

ـ أظهر حيدر باشا قلة مهارة فى معالجة الموقف داخل الجيش . وسيبقى فى منصبه مؤقتا . ولكنه لن يبقى طويلا . إنه ليس ضابطا ممتازا . وسيثير المتاعب إذا بقى فى منصبه .

قال كريزويل :

ـ وماذا عن صغار الضباط ؟

أجاب حافظ عفيفى :

ـ المشكلة يمكن حلها إذا لقى صغار الضباط الشبان مزيدا من التشجيع وترقيات أفضل وبالذات المتخصصون الذين تلقوا تدريبا فى الخارج .

وقد تقرر ألا يعمل ضباط القوات الجوية ـ بعد الآن ـ تحت قيادة ضابط جيش لا يعرف شيئا عن مسائل الطيران .

واضاف .

ـ ستسوى القلاقل داخل الجيش خلال عشرة أيام . أعد نفسى للسفر فى إجازة فى منتصف الشهر القادم .. أغسطس .

واختتم حافظ عفيفى حديثه مع كريزويل قائلا :

ـ إذا باشرت حكومة الهلالى مهمتها بأسلوب عملى ونجحت فى معالجة الاضطراب فى الجيش فهناك فرصة معقولة لأن تحفل الشهور القليلة القادمة بالأحداث .

هز رئيس الديوان رأسه موافقا على مايقوله مبديا التفاؤل بالمستقبل .

ولم يكن حافظ عفيفى يعلم أن مشكلة الضباط الشبان ستسوى فى نفس الليلة ولكن بطريقة لم تخطر ببال رئيس الديوان أبدا الذى لم يقض اجازته فى أوربا .. بل فى السجن الحربى !

كان العهد كله يهتز .. ويتساقط فى نفس اللحظة !

* * *

الغريب فى أمر فاروق أنه كانت لديه ، وعند وزرائه ، ورجالة ، إنذارات مبكرة بأن الجيش سيقوم بحركة ولكنه لم يتخذ اجراء لمواجهة ذلك .

فى أواخر مارس ٥١ تردد أن قيادة الجيش عرفت أسماء الضباط الأحرار وقررت الاستغناء عن سبعة منهم بينهم جمال عبد الناصر .

وفى انتخابات نادى الضباط أرسل حسين سرى عامر مذكرة إلى شماشرجى الملك محمد حسن السليمانى ضد الضباط الأحرار يوم ٢٩ ديسمبر عام ١٩٥١ .

وقال لى فريد زعلوك وزير التجارة فى حكومة الهلالى الأخيرة إن رئيس وزراء إيطاليا أبلغ عبد العزيز بدر السفير المصرى فى روما بأن هناك انقلابا قادما ضد فاروق تمهد له وكالة المخابرات المركزية الأمريكية .

وقد نقل السفير الرسالة لصاحب الجلالة .

وفى وزارة حسين سرى الأخيرة زار كريزويل الوزير البريطانى المفوض نجيب الهلالى فى بيته وقال له :

ـ إذا حدث شىء جديد فى مصر فسنكتفى بحماية رعايانا فحسب .

وأشار كافرى تلميحا لعبد الخالق حسونة باشا وزير الخارجية إلى أنه يتوقع حدوث شىء فى مصر .

ولم يعرف على سبيل اليقين ما إذا كان الهلالى وحسونة قد أبلغا الملك ورجاله بشىء من ذلك .

وقال محمد هاشم أنه « أثناء عمله كوزير للداخلية فى حكومة سرى علم من مصادر أكيدة أن الجيش متذمر وساخط بعد صدور قرار حل مجلس إدارة نادى الضباط يوم ١٦ يوليه ـ وانه ـ أى الجيش ـ لن يقف مكتوف الايدى أمام التصرفات الجنونية التى تحدث ضده » .

وأبلغ أحمد أبو الفتح صهره ثروت عكاشة يوم ٢٠ يوليه أن فى نية الحكومة تشريد ١٤ من الضباط الأحرار وسجنهم .

ووجدت فى مفكرة حسين سرى التى كانت فى جيبه عند اعتقاله أسماء الضباط الـ ١٤ .

وعندما توجه عبد العزيز صادق إلى وزارة الداخلية مندوبا عن مجلس الثورة بعد عزل الملك ، وجد فى ملف المباحث العامة تقريرا مؤرخا مساء ٢٢ يوليه وفيه أسماء كل أعضاء مجلس الثورة

وفى هذا التقرير الأخير ظهر ، ولأول مرة ، اسم جمال عبد الناصر بين الضباط الأحرار .

وكان جمال عبد الناصر حريصا كل الحرص على إخفاء نفسه ونشاطه .

وفى ظل ذلك نجد أن كثيرين كانوا يعلمون بموعد الحركة وأسماء قياداتها والقائمين بها ، وأن السلطات كان لها انذار مبكر ولكنها لم تتحرك لوقفها .

وقال لى دافيد ايفانز الملحق الجوى الأمريكى المساعد ـ فى ذلك الحين ـ إنه توجه إلى السفير «جيفرسون كافرى » ليبلغه بان ثورة ستقوم فى مصر قبل عشرة أيام تقريبا من قيامها .

قال :

ـ مستر كافرى . هل تريد منى أن اكتب تقريرا لتبعث به فى برقية إلى وزارة الخارجية ؟

قال السفير :

- لا . سأنتظر معلومات أخرى مؤكدة .

قال ايفانز :

- سيدى السفير سأبلغ قيادة الطيران .

وكان من حقى ذلك فأبلغت رئيسى الملحق الجوى الكولونيل جوزيف جريكو الذى أبرق إلى واشنطن . ولذلك كانت قيادة الطيران ومجلس الأمن القومى يعلمون بذلك . وكانت وكالة المخابرات المركزية تراقب الأمور .

واتصل كافرى بالملك فاروق يبلغه النبأ فكان جواب صاحب الجلالة .

- ثورة . هذا مستحيل !

* * *

قال لى خالد محيى الدين أن جمال عبد الناصر أبلغ الاخوان المسلمين بأن الضباط الأحرار يفكرون فى القيام بحركة لمواجهة الملك ليتدخلوا إذا تدخل الانجليز . ولكنه لم يبلغهم موعد الحركة.

وقال لى الشيخ صالح أبو رقيق - من قيادات الاخوان - إن جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين زاراه فى بيته وأطلعاه على موعد الحركة وطلبا مساعدة الإخوان إذا تدخل الانجليز بقواتهم وان الاخوان أرسلوا وفدا إلى المرشد العام الشيخ حسن الهضيبى فى الاسكندرية للحصول على موافقته .

وأبلغ جمال عبد الناصر ايضا حسن العشماوى أحد قادة الاخوان بموعد الحركة .

وأكد جمال حماد فى كتابه « أطول يوم فى تاريخ مصر » أن قيادة الاخوان كانت وحدها دون باقى الأحزاب على علم مسبق بموعد حركة الجيش .

وقد أبلغ الاخوان مجموعات من شبابهم بالاستعداد لمقاومة الانجليز .

* * *

قبل ٢٤ ساعة من تحرك الجيش اتصل انطون بوللى مدير الشئون الخصوصية لفاروق - مساء ٢١ من يوليه - بالماجور سانسوم ضابط أمن السفارة البريطانية قائلا:

- معلوماتى أن الضباط الشبان سيقومون بمحاولة سريعة للاستيلاء على الحكم .

قال سانسوم :

- لا أظن أنهم سيتأخرون طويلا . سمعت أنهم سيفعلون ذلك يوم أول أغسطس .

قال بوللى ساخرا

- سيعدمون رميا بالرصاص لو انتظروا حتى ذلك اليوم .

سأله سانسوم :

- وماذا يقول صاحب الجلالة ؟

- الملك مشغول بالوزارة الجديدة .. إنها الرابعة فى ستة شهور .

ثم أخذ بوللى يتكلم همسا :

ـ إلى أى مدى يمكن الاعتماد عليكم ؟

ـ سأسأل القائم بالأعمال . إنى مجرد ضابط أمن ؟

ـ ولكن لابد أنك تعلم الإجراءات التى ستتخذ لتدخل القوات البريطانية لانقاذ الملك .

ـ فى حدود معلوماتى فإن القوات البريطانية لن تتدخل إلا إذا هددت المصالح البريطانية.

قال بوللى غاضبا .

ـ انكم لم تفعلوا شيئا سوى التدخل فى شئون مصر خلال سبعين عاما . إن الملك صديقكم الوحيد فى مصر !

* * *

وانضم العقيد أحمد شوقى إلى الضباط الأحرار صباح يوم الثورة ، وهو ابن شقيقة اللواء أحمد طلعت حكمدار شرطة القاهرة .. وكان يمكنه إبلاغه بموعد الحركة .

وفى مذكرات صلاح نصر أن ضابطا برتبة الرائد اسمه محمود الجوهرى لم يكن ينتمى إلى تنظيم الضباط الأحرار ، رأى بعض الضباط المجتمعين لديه فشك فى الأمر ومر عليه فى بيته ، ولكن صلاح أقنعه بأنهم جاءوا ليروا سيارته المعروضة للبيع !

وكان يمكن لهذا الضابط إبلاغ المسئولين بشكوكه .

وفى مذكرات محسن عبد الخالق أن الضباط الأحرار التقوا فى منزل أحدهم وهو أبو الفضل الجيزاوى فى بيته بكوبرى القبة يوم ٢١ من يوليه للتعارف بحضور كمال الدين حسين وحسين الشافعى ، وكان التجمع كبيرا يثير الشك . فانفض الاجتماع لأن أخبار التحركات تسربت .

وقال محسن عبد الخالق إنه مر مع زميل له على بعض الضباط لإعطاء الأوامر لهم بالتحرك ولكن أغلبهم كان إما غير موجود أو موجود وينكر نفسه ، أو قابلوه واعتذروا عن الاشتراك فى الثورة . وهؤلاء أيضا كان يمكن أن يبلغوا السلطات المختصة .

* * *

فى مساء ٢٢ من يوليه تتابعت الإنذارات المبكرة عن الحركة .

كان أحمد مرتضى المراغى وزير الداخلية يجلس فى مكتبه بمبنى الحكومة فى بولكلى برمل الاسكندرية عندما اتصل به من القاهرة اللواء أحمد طلعت حكمدار بوليس القاهرة . قال :

ـ اتصلت بى منذ عشر دقائق سيدة وقالت لى وهى تبكى أن عربة نقل من عربات الجيش مرت على بيتها ونزل منها ضابط وصعد إلى المنزل ، وطلب نجلها وهمس فى أذنه بشىء .

دخل ابنها الغرفة وارتدى زيه العسكرى على عجل وتمنطق بالحزام الذى يحمل المسدس .

سألته : ـ لماذا تمنطق بالحزام والمسدس وأنت فى عطلة وإلى أين أنت ذاهب ؟

خرج لايلوى على شىء وهو يصيح :

ـ إدعى لى يا أمى .

ذهبت إلى النافذة فرأت فى سيارة النقل عددا من صغار الضباط

قال أحمد مرتضى المراغى وزير الداخلية :

ـ ماذا تظن ؟

قال أحمد طلعت :

ـ أظن أنه أمر غريب .

* * *

أبلغت والدة الضابط الشاب ابنها الأخر اللواء صالح محمود صالح وهو أحد الضباط الكبار فى سلاح الطيران الملكى بما جرى من شقيقه .

اتصل اللواء صالح محمود صالح ـ وهو محال إلى الاستيداع ـ بياور الملك فى قصر رأس التين وأبلغه بالقصة قائلا :

ـ ستقوم بعض الوحدات بانقلاب فى المساء .

وابلغ ضابط ثالث وهو اليوزباشى فؤاد كراره اللواء أحمد طلعت بالحركة . وكان قد عرف بها من الملازم أول ممدوح شوقى أحد الضباط الأحرار الذى ظن أن فؤاد كراره عضو فى التنظيم . ونقل أحمد طلعت القصة إلى أحمد مرتضى المراغى أيضا .

* * *

بعد ساعتين ، حوالى الظهر ، اتصل الحكمدار مرة أخرى بوزير الداخلية يقول :

ـ بعض عربات قليلة نقلت الضباط . ولكن الأمر لم يتخذ شكل حشد .

وبعد ساعتين أخريين عاد الحكمدار يتصل بالوزير قائلا

ـ لم يشاهد البوليس أية تجمعات للضباط أمام الثكنات ولم تشاهد سيارات نقل .

فكرالوزير على الفور فى منشورات الضباط الأحرار وفى التقارير المكدسة فى وزارة الداخلية عن نشاطهم . ودب الشك فى نفسه أنهم بدأوا يتحركون ، كما يقول المراغى فى مذكراته .

* * *

كانت معلومات وزارة الداخلية تقول إن حركة الضباط الأحرار ستتم فى شهر سبتمبر أو أكتوبر .

وخطر ، لوزير الداخلية المراغى ، أن يكون التعجيل بالحركة مرده تعيين إسماعيل شيرين وزيرا للحربية .

طلب من سكرتيره الاتصال على عجل بالفريق محمد حيدر .

بحث السكرتير عن القائد العام للجيش فى كل مكان يمكن أن يكون موجودا فيه لم يجده .

اتصل الوزير باللواء حسين فريد رئيس إركان حرب الجيش الذى طمأنه قائلا :

ـ كل شىء هادئ ولعلهم ذاهبون لشاهدة مباراة لكرة القدم .

قال الوزير :

ـ هل يذهبون إلى المباراة بأسلحة ؟

قال رئيس الأركان :

ـ الذى اعرفه أن كل شىء هادئ .

حاول الوزير الاتصال بوزير الحربية إسماعيل شيرين فلم يجده ايضا .

وفى الساعة التاسعة مساء اتصل اسماعيل شيرين بالوزير الذى أبلغه بأنه لم يوفق فى الاتصال بحيدر وروى له حديث حكمدار القاهرة عن تجمعات الضباط .

فى التاسعة والنصف مساء اتصل إسماعيل شيرين بوزير الداخلية . قال :

ـ أبلغت حيدر بكلام حكمدار البوليس فقال القائد العام : « إن بوليس مصر «حشاشون » يتخيلون دائما وقوع ثورة » !

* * *

أعلن حكمدار بوليس القاهرة حالة الطوارئ بين رجال الشرطة مساء بعد أن لاحظ تحركات غير عادية فى المساء لقوات الجيش فى القاهرة فقد قام بعض ضباط الجيش بإغلاق مداخل منطقة المعسكرات بالعباسية ويمنعون مرور المشاة والسيارات ووسائل النقل العام .

وأصدار الحكمدار تعليماته لأحد كبار رجاله وهو حسن طلعت بالنزول مع قوات الشرطة إلى شارع الملكة نازلى (رمسيس حاليا) وإغلاق مدخله لميدان باب الحديد من ناحية محطة كوبرى الليمون والتصدى لأية قوات من الجيش تحاول المرور متجهة لوسط المدينة .

* * *

فى الحادية عشرة مساء طلب حيدر باشا إلى الفريق حسين فريد التوجه إلى مكتبه فى قيادة الجيش فى العباسية فسأله :

ـ وما السبب ؟

ـ تقول وزارة الداخلية أن هناك مظاهر للتذمر فى صفوف بعض فرق الجيش . ويحسن أن تذهب إلى مكتبك لمراقبة الحالة .

ـ هل أعلن حالة الطوارئ فى الجيش ؟

ـ لا .. لاداعى اطلاقا لذلك .

ـ هل استدعى اللواءات قواد الفرق ؟

قال حيدر :

ـ لا . لقد طلبت من طنطاوى قائد المدفعية أن يذهب إلى مكتبه من باب الاحتياط ، وكذلك بقية القواد ؟

ـ لا أجد داعيا لاستدعائهم .

* * *

كان من حسن حظ الانقلاب أن الفريق محمد حيدر فى الاسكندرية ، وأن الرجل الذى عهد إليه بمقاومة الإنقلاب والقضاء عليه ، وصاحب القرار الوحيد فى القاهرة هو الفريق حسين فريد رئيس أركان حرب الجيش .

كان الفريق حسين فريد فى الثانية والخميس من عمره .

تخرج ضابطا عام ١٩١٧ أثناء الحرب العالمية الأولى .

أصبح معلما فى الكلية الحربية ومديرا لتدريب الجيش ، وأوفد ، بعد الحرب العالمية الثانية إلى انجلترا فى بعثة للتدريب .

عمل فترة فى الحرس الملكى ، ثم مديرا لمنطقة القاهرة العسكرية ، واختير فى ١٢ نوفمبر عام ١٩٥٠ رئيسا لأركان حرب الجيش بالنيابة بعد احالة عثمان المهدى باشا رئيس أركان الجيش إلى المعاش اثر التحقيقات فى قضية الأسلحة الفاسدة فى حرب فلسطين .

فلما أعيد عثمان المهدى رئيسا للأركان فى مايو ١٩٥١ أحيل الفريق حسين فريد إلى الاستيداع بعد ما أمضى فى منصبه ستة شهور فقط ، وكان برتبة لواء .

وأعاده صاحب الجلالة مرة أخرى ليتولى منصب رئيس الأركان فى ١٣ من مارس عام ١٩٥٢ بعد فترة استيداع استمرت عشرة شهور ، وأنعم عليه برتبة الفريق يوم ١١ من مايو .

وحسين فريد ضابط من جيل العسكريين القديم الذى يحرص على مظهر الجيش فى الانضباط فحسب .

وقد سعى لتعيينه فى هذا المنصب محمد حسن خادم الملك .

ويوم حصل على رتبة الفريق وماصاحبها من لقب أخذ يتيه بالرتبة قائلا لكل من يلتقى به :

ـ لقد حصلت على رتبة البكوية من الدرجة الأولى . الآن يجب أن تقولوا لى حضرة صاحب العزة، بدلا من صاحب العزة فقط !

مصر يحكمها الخدم

ولد فاروق فى ١١ فبراير ١٩٢٠ .

تعلم فى القصر بمدرسين خصوصيين .

قال عنه مدرسه البريطانى فورد إنه فى صباه كان ينام فى سريره حتى منتصف النهار ولديه ميول استعراضية ، وأقوى حاسة لديه رغبته فى الملكية .

يتقن اللغات الفرنسية والإيطالية والانجليزية والعربية .

أرسل إلى لندن وعمره نحو ١٥ سنة ليدرس بكلية « وولوتش » العسكرية ولكنه لم يبق بها سوى ٧ شهور .

أبلغ برقيا يوم ٢٨ من ابريل عام ١٩٣٦ بوفاة أبيه ، وأعلن ملكا . وهو ، بعد ، فى لندن .

قرر العودة فورا إلى مصر بالطائرة لحضور جنازة أبيه ، ولكن رائده ـ رئيس ديوانه فيما بعد ـ أحمد حسنين قال إن السفر بالطائرة عملية غير مأمونة ومن الأفضل العودة بالباخرة حتى ولو لم يشترك فى الجنازة .

ويتدخل القدر بمفاجأ ت كثيرة فى ذلك اليوم .

كان يحكم بريطانيا الملك ادوارد الثامن فطلب إلى فاروق زيارته قبل رحيله واجتمع به فى قصر بكنجهام الملكى نصف ساعة .

عرض صاحب الجلالة ، على فاروق ، سفينة حربية بريطانية تقله فى رحلة العودة إلى الا سكندرية فاعترض حسنين قائلا :

ـ لايجب أن تدخل مصر فى سفينة حربية بريطانية وإلا قال الناس ان الانجليز هم الذين وضعوك على العرش !

اعتذر فاروق لادوارد الثامن الذى اعتزل العرش بعد ثمانى شهور ليتزوج السيدة واليس سيمبسون ويعرف فى التاريخ باسم دون وندسور . فقد سبق ادوار الثامن فاروق إلى الاعتزال ، أو لحق به فاروق بعد ١٦ سنة !

واقترح فاروق أن يسافر متخفيا إلى مصر ، فقال له حسنين مرة أخرى :

ـ مراسم الوداع تمنعك من ذلك .

وأصبحت هواية لفاروق بعد ذلك أن يسافر من مصر إلى أوربا متنكرا !

وودعه فى محطة فيكتوريا بلندن دوق كنت من الأسرة المالكة البريطانية وانتونى ايدن وزير

الخارجية الذى كان وزيرا للخارجية أيضا عام ١٩٥٢ ورفض تدخل القوات البريطانية لانقاذ عرش فاروق !

* * *

زحف الشعب المصرى إلى الا سكندرية للترحيب بالملك الشاب بصورة لم يسبق لها مثيل إلا ف حالة واحدة عندما وصل الخديو عباس حلمى الثانى إلى مصر عام ١٨٩٢ إلى الاسكندرية بعد وفاة أبيه الخديو توفيق الذى استعان بالقوات البريطانية لإخماد الثورة العربية وبذلك فتح مصر للاحتلال البريطانى .

وتوقع شعب مصر أن يبدأ فاروق عهدا جديدا سعيدا لمصر يختلف تماما عن حكم أبيه وانفراده بالسلطة رغم الدستور والبرلمان .

ولكن ينتهى حكم عباس الثانى بالعزل عام ١٩١٤ ، كما انتهى حكم فاروق بالاعتزال !

* * *

تولت سلطات فاروق هيئة الوصاية حتى بلغ سن الرشد فى ٢٩ من يوليه عام ١٩٣٧ وأتم ١٨ سنة طبقا للتقويم الهجرى ، لا الميلادى ، وذلك للتعجيل بتوليه سلطاته الدستورية .

تعلقت آمال شعب مصر بفاروق عندما أقسم يمين الولاء لمصر . وكان محبوبا أكثر مما أحب العراق غازى ، أقرب الملوك العراقيين إلى الشعب .

التقى به « الجنرال » ديجول فى مصر أثناء الحرب فقال عنه

ـ ذكى . حاضر البديهة . لديه معلومات كثيرة

وعندما قابل تشرشل قال له فاروق :

ـ إنى حريص على تحسين أحوال الفقراء من أبناء شعبى .

ولكن فاروق لم يفعل الكثير لتحقيق هذه الأمنية ، فقد أحاطت به حاشية شجعته ، منذ الدراسة فى لندن ، على أن يستمتع بحياته ، وبالنفاق يلقونه فى أذنيه ليلا ونهارا .

كان محاصرا فى غابة مليئة بالسفهاء والانتهازيين . وكان يمكن أن يكون ملكا أفضل لو أن الذين التفوا حوله ساعدوه على الاتجاه نحو الاصلاح .

ولم يكن لديه أصدقاء مخلصون .

أطاح بعد ١٩ شهرا من توليه حكم مصر بوزارة دستورية يؤيدها البرلمان فلم يهتز عرشه ، ولم يتضامن الزعماء دفاعا عن الدستور والبرلمان فأيقن أنه يستطيع أن يفعل بالدستور ما يشاء !

فى انجلترا أثناء الدراسة كان فاروق يقود الدراجة فى حارات منطقة « سارى » وبعد عودته إلى القاهرة ، ليصبح ملكا فى سن السادسة عشرة استبدل الدراجة بعربة حمراء مكشوفة يقودها بسرعة وفيها بوق يعوى بصوت الكلاب كما او أن السيارة مرت فوقها ! وحرم على أى مصرى أن يكون لون سيارته مشابها ، للون الأحمر الذى اقتصر على سيارات القصور الملكية .

فى عهده شكلت ٢٣ وزارة .

أطول هذه الوزارات عمرا .. وزارة مصطفى النحاس الذى أصر الانجليز على قيامها وحاصروا

قصر الملك فى ٤ من فبراير ١٩٤٢ لارغامة على إسناد الوزارة للنحاس .

استمرت هذه الوزارة عامين وثمانية شهور وأربعة أيام . وكانت الحرب العالمية الثانية هى السبب فى بقاء الوزارة هذه المدة الطويلة نسبيا .

وأقصر الوزارات عمرا وزارة حسين سرى التى لم تعش سوى عشرين يوما .

وتراوح عمر بعض الوزارات بين ٣٤ يوما مثل وزارة على ماهر التى قامت عقب حريق القاهرة، وأربعة شهور تقريبا مثل وزارات مصطفى النحاس عام ٣٧ وأحمد نجيب الهلالى عام ٥٢ ، مع أن الدستور ينص على ان تكون مدة مجلس النواب ، الذى يساند أية وزارة أربع سنوات .

وتولى رئاسة الوزارة فى عهده ، على التوالى ، مصطفى النحاس ، ومحمد محمود ، وعلى ماهر ، وحسن صبرى ، وحسين سرى ، ومصطفى النحاس ، وأحمد ماهر ، ومحمود فهمى النقراشى ، واسماعيل صدقى ، ومحمود فهمى النقراشى ، وإبراهيم عبد الهادى ، وحسين سرى ، ومصطفى النحاس ، وعلى ماهر ، وأحمد نجيب الهلالى وحسين سرى ثم أحمد نجيب الهلالى

وفى الشهور الستة الأخيرة بعد حريق القاهرة ، قامت فى مصر ٤ وزارات تولاها على ماهر ، وأحمد نجيب الهلالى وحسين سرى ثم أحمد نجيب الهلالى مرة أخرى مما يدل على عدم استقرار الحكم فى مصر . فهى حكومات ضعيفة ، مكروهة ، أطلق عليها المؤرخ المصرى عبد الرحمن الرافعى اسم « وزارات الموظفين » لأن اعضاءها من الموظفين لامن رجال السياسة ، ورؤساؤها مستقلون لاينتمون إلى أى حزب .

أذله الانجليز عندما حاصروا قصره بالدبابات فى ٤ فبراير ١٩٤٢ وفرضوا عليه مصطفى النحاس رئيسا للوزراء ، ويمكن أن يقال أن هذا الحادث بداية النهاية . فقد عرف فاروق وحتى نهاية حكمه ، أنه ملك على دولة مستقلة فيها جيش احتلال بريطانى يفوق عددا قوات جيشه المصرى !

وأذلته شقيقته فتحية عندما تزوجت رياض غالى المسيحى سكرتير أمها نازلى ، ولم تعبأ باعتراضاته على الزواج أو مخالفته للشرع الإسلامى . وساعدتها أمها الملكة نازلى على ذلك عندما استقرت مع ابنتها فى أمريكا ورفضت العودة إلى مصر . واضطر لإعلان ذلك وحرمانهما من الميراث وطردهما من سجل الأسرة المالكة بعدما توسعت الصحف فى نشر فضيحة هذا الزواج .

لجأ إلى اللهو وفتن غراما بالراقصات ، وطارد الأميرات والزوجات ، رغم أن طبيبه الدكتور أحمد النقيب مدير مستشفى المواساة قال لى إن قدرته الجنسية ضعيفة وإنه أراد إقناع الآخرين بأنه « دون جوان » !

وتنافست الأميرات فى إقامة الحفلات الماجنة له . كل تريد الحصول على دعاية بأن فاروق قضى فى حفلها ساعات أطول ! وكانت الأميرة · شويكار الزوجة الأولى للملك أحمد فؤاد اكثر الأميرات عزما على « إفساد » فاروق !

فى مصر كان له مكان خاص فى الملاهى الليلية يقامر على عدة موائد فى وقت واحد وله ١٧ حجرة فى مستشفى المواساة بالاسكندرية يقيم فيها حينما يريد الاختفاء .

ونشرت الصحف العالمية قصص فضائحه مع المغنيات والراقصات أثناء رحلاته فى أوربا .

استمر زواج فاروق والملكة فريدة أقل من ١١ سنة وأنجبت ٣ بنات ولكن فاروق كان يتوق لابن يرث العرش من بعده فطلق فريدة التى يحبها شعب مصر . وبعد ٣ سنوات من طلاقه ، رأى فتاة فى السادسة عشرة من عمرها اسمها ناريمان صادق فى محل الجواهرجى أحمد نجيب فأرغمها على فسخ خطبتها للدكتور زكى هاشم وخطبها فى ١١ من فبراير عام ١٩٥٠ وتزوجها فى ٦ من مايو عام ١٩٥٠ يوم عيد جلوسه وأدى ذلك إلى خسارة شعبية .

قالت الملكة فريدة

ـ كان دائما رجلا وحيدا .

وفى زواجه الثانى أرغم الكبراء والهيئات على تقديم هدايا احتفالا بهذه المناسبة وقدرت قيمة الهدايا بمليونى جنيه وهو مبلغ ضخم بمقاييس ذلك الزمان .

وقالت ناريمان :

ـ كان رجلا بسيطا .. أكثر تواضعا من زوجى الثانى الطبيب !

تقصد الدكتور أدهم النقيب ابن الدكتور أحمد النقيب مدير مستشفى المواساة !

فى عام ٤٥ سافر فاروق إلى السعودية فى رحلة باليخت الملكى دون علم الحكومة المصرية وعند عودته استقبلته وزارة أحمد ماهر بكامل هيئتها فى السويس !

وبدأ فاروق رحلاته الصيفية إلى الخارج فى صيف عام ١٩٤٦ بجزيرة قبرص ورودس .

وفى صيف عام ١٩٥٠ سافر فاروق إلى جنوب فرنسا متنكرا باسم فؤاد باشا المصرى ، ولكن العالم كله يعرفه باسمه الحقيقى وعندما كان يرفع مصرى يده تحية له فى الخارج كان يبدى دهشته قائلا

ـ كيف تحيوننى .. إنى متنكر !!

ورفض أن يؤلف ـ فى غيابه ـ مجلسا للوصاية على العرش ، فقد أصر على أن يحكم مصر من الملهى أو الفندق فى أى بلد يزوره !

وكرر الرحلة فى العام التالى مع زوجته الثانية ناريمان لقضاء شهر العسل وقد امتدت هذه الرحلة ثلاثة شهور ونصف قامر خلالها فى أندية القمار فى « مونت كارلو» .و « دوفيل » و « كان » بدرجة لم تشهدها هذه الكازينوهات من قبل .

وكان يقيم مع حاشيته فى ١٥٠ غرفة فى أحد فنادق كابرى و ٣٢ غرفة فى فندق بمدينة « كان ».

قالت الكاتبة الانجليزية بربارا سكيليتون إنها كانت تتناول طعام الغداء مع الملك فاروق فى بيارتيز فطلب منها أن يرى الخواتم الثلاثة التى تتزين بها ، فخلعتها من أصابعها وقدمتها لفاروق فلم ترها بعد ذلك قط !

وحاولت أن تسترد خاتم زواجها ولكن بلاجدوى !

* * *

كان فاروق يصحب معه فى كل رحلة ستين شخصا من الخدم والحراس ، تسميهم الصحافة الأجنبية « سيرك صاحب الجلالة » !

فى وزارة إسماعيل صدقى عام ١٩٤٦ دعا ملوك العرب ورؤسائهم إلى مؤتمر قمة فى انشاص ولم يشترك فيه اسماعيل صدقى أو وزير خارجيته .

وتوجه اسماعيل صدقى إلى أنشاص ليهنىء صاحب الجلالة بعقد المؤتمر فلم يستبقه الملك ، للاشتراك فى الجلسات ، واكتفى بدعوته إلى الحفل الساهر الذى أقامه لأعضاء المؤتمر حول حمام السباحة !

أجرى فاروق تعديلا وزاريا لوزارة صدقى فى جزيرة رودس فى سبتمبر ١٩٤٦ .

وأجرى تعديلا لوزارة النحاس فى كابرى . وحلف الوزراء الجدد اليمين أمام الملك فى أوربا حيث يلهو

* * *

وصفه السفير الأمريكى جيفرسون كافرى فقال

« إنه شاب غريب ، ذكى جدا ، ولكنه أصبح ملكا وهو أصغر سنا مما ينبغى .

وإذا نحينا جانبا لورد كيلرن ـ السفير البريطانى السابق ـ فلم يحدث أن قال أحد لصاحب الجلالة ... لا » .

وفى كتاب « فاروق ملك مصر » قال الكاتب بارى سانت كلير ماك برايد « إن السياسيين فى الاسكندرية ، بعد انتقال فاروق إليها ، فى صيف عام ١٩٥٢ ، كانوا يرون أن الملك أصبح « مختل عقليا » .

وكان صافى دخل فاروق من أملاكه مليونى جنيه فى السنة ، يملك عشرين فى المائة من الأراضى الصالحة للزراعة بينما أغلب الفلاحين لايملكون أكثر من نصف فدان .

ويملك أيضا أربعة قصور ومائتى سيارة ويختين وسرب من الطائرات الخاصة اشترتها الدولة وتدفع نفقاتها ، ومنذ عام ٤٧ لم يعد له هم سوى جمع المال بكل الطرق . وكان فاروق دائما يكرر

« بعد سنوات لن يكون هناك سوى ٥ ملوك ، ملك انجلترا وأربعة ملوك فى أوراق اللعب «الكوتشينة » » .

فقد فاروق كل التأييد الشعبى بإسرافه والفساد الذى سمح لمستشاريه ومؤيديه بالانغماس فيه .

وقال كثيرون إن « وزارة المطبخ » تحكم مصر وتضم انطون بوللى الكهربائى السابق مدير الشئون الخصوصية للملك وكريم ثابت مستشاره الصحفى ، والياس اندراوس مستشاره الاقتصادى ، ومحمد حسن السليمانى خادمه ومحمد حلمى حسين الميكانيكى السابق الذى أصبح مديرا للركائب الملكية ومنح رتبة عسكرية ورتبة البكوية ! وحسن عاكف الطيار ، والدكتور يوسف رشاد .

أما الدكتور حافظ عفيفى رئيس الديوان فبلا صلاحيات ، ومحمد نجيب سالم ناظر الخاصة مهمته إدارة أموال الملك .

فى مذكراته قال الدكتور محمد حسين هيكل باشا زعيم حزب الأحرار الدستوريين

« كان بعض الوزراء يلتمس الزلفى لدى القصر بالتقرب إلى هذا أو ذاك من رجال الحاشية المقربين إلى قلب الملك .

وكان كريم ثابت فى مقدمة هؤلاء ومحمد حسن السليمانى خادم الملك الخاص «الشماشرجى ». وقد سرت عدوى هذه الزلفى من الوزراء إلى الموظفين كبارا وصغارا » .

* * *

كانت حاشية الملك من سبعة أشخاص ينظمون سهراته ، ويعينون الوزراء وكبار الموظفين ويبيعون الرتب والألقاب ، ويقومون بمهمة السمسرة والعمولات لأنفسهم وللملك أيضا .

وفضل صاحب الجلالة صحبة الخدم وحدهم . وأصبحت كل مقاليد الأمور فى يد عصابة الخدم وهى واسطة الاتصال بين الملك وديوانه ورؤساء وزاراته . وأشهر وأهم هؤلاء ..

محمد حسن السليمانى ..

بدأ حياته ساعيا بشركة سلفاجو للأقطان يقوم بتوزيع البريد على مكاتب الموظفين.

وفى عام ١٩٤٣ الحق بخدمة القصر الملكى وتزوج شقيقة زوجتى الأمينين الأخرين عبد العزيز عثمان وخليل الكردى فأصبح الأمناء الخصوصيون الثلاثة متزوجين من ثلاث شقيقات !

واستطاع محمد حسن أن يستأثر بعطف الملك وثقته فأصبح يتصرف فى جميع شئون القصر فلا يستطيع أحد أن يقابل الملك إلا بإذنه ، أو يتصل به إلا عن طريقه .

وعرف جميع المصريين أن محمد حسن يتدخل فى الأمور السياسية يرفع رجلا ويخفض آخر ، رغم أنه لايعدو أن يكون خادما للملك ، فلا هو ذو منصب رسمى فى الديوان ، ولا هو من رجال الدولة المسئولين .

قال حسن يوسف وكيل الديوان إنه كان للملك مكتب خاص يقوم عليه الأمناء الثلاثة « الشماشرجية » وهم يخدمون الملك فى غرفته الخاصة ومكتبه الخاص . وكلمة « شماشرجى » معناها أمين الخدمة الخاص .

وكان هؤلاء ـ محمد حسن وعزيز وخليل الكردى ـ يوصلون الرسائل إلى الملك بغير علم الديوان.

وقال إنه فى أحيان كثيرة كان الاتصال بالملك يتم بواسطة المذكرات ، أو الأمين الخاص ، وكان ذلك يسرى على جميع رؤساء الديوان ووكيله وكبير الأمناء وكبير الياوران وكبير الخاصة الملكية .

وقال حسن يوسف .

ـ عندما كان محمد حسن يقول شيئا فمعنى ذلك أن صاحب الجلالة يقول !

وقال ادجار جلاد الصحفى وصاحب جريدتى « الزمان » «والجورنال ديجيت » إن محمد حسن كان يعرض البريد على الملك فيكلفه بالرد على الديوان الملكى .

وقال ادجار جلاد ، الذى كان المصريون يظنونه وثيق الاتصال بصاحب الجلالة ، إنه لم يقابله إلا ٦ أو ٧ مرات فى حياته مما يؤكد بأن كل اتصالات رجال القصر بالملك كانت تتم عن طريق الشماشرجية »!

وفى مذكراته شرح كريم ثابت أعمال المكتب الخصوصى الذى يديره محمد حسن أو أشهر رجاله محمد حسن . قال :

« معظم المذكرات التى ترسل للملك تعود من عنده عليها « تأشيراته » بخط «الشماشرجية » لابخطه هو ... وليس تحت هذه « التأشيرات » أو إلى جانبها ، إمضاء يدل على أن الملك قرأ « التأشيرة » التى كتبها « الشماشرجى النوبتجى » بأمر منه .. أو راجعها !

وكان الدليل الوحيد على أن الملك هو الذى أملى تلك « التأشيرات » وأقرها هو أن المذكرات والأوراق الرسمية كانت تعاد إلى الديوان الملكى وإلى سائر أقسام القصر داخل « مظاريف » تحمل ختم « المكتب الخصوصى لجلالة الملك » !

ولم يجرؤ أحد من رؤساء الديوان أو من كبار رجاله أن يلفت نظر فاروق يوما إلى مافى تنفيذهم « لتأشيرات » وتعليمات مكتوبة بخط « الشماشرجية » من مسئولية عليهم خصوصا وأن تلك التأشيرات والتعليمات تأتى إليهم خالية من امضائه !

إن « الشماشرجية » هم صلة الإتصال بين كبار رجال القصر والملك ، وبالعكس ، فى أكثر الشئون !

بدأ نظام الاتصال عن طريق « الشماشرجية » منذ أيام أحمد حسنين عندما كان رئيسا لديوان صاحب الجلالة ، فكان أول من طبق عليه النظام أو التقليد الجديد ، يتصل به فاروق عن طريق « الشماشرجية » ويبلغه ، بواسطتهم ، أوامره ورغباته وتوجيهات مولانا .

وكان حسنين أول مسئول فى القصر رضى بهذه المعاملة !

ويقول : « حاضر » للشماشرجى الذى لايعدو اختصاصه ، أو كان يجب ألا يعدو اختصاصه ، خدمة صاحب الجلالة والعناية بملابسه !

وأبدى حسن يوسف باشا عندما كان مديرا للإدارة العربية بالديوان الملكى دهشته واستغرابه الشديدين « أن يقبل حسنين باشا هذا الوضع الشاذ » وقال إنه لوقيض له يوما ان يتقلد منصبا رئيسيا فى الديوان لما سلم بهذه المعاملة ابدا .

ولما أصبح حسن يوسف وكيلا للديوان ورئيسا له بالنيابة كان نظام «الشماشرجية» الذى انشأه فاروق وفرضه على رجاله قد استقر وصار تقليدا معمولا به فى القصر فرضخ له حسن يوسف كما رضخ له جميع رجال القصرفى « جميع العهود» وفى جميع الأوقات .

ولم يرفض واحد منهم هذا « النظام » أو انتقده ، أو تردد فى قبوله ، أو حاول التحرر منه ، أو هدد بالاستقالة بسببه ... أو لوح على الأقل بالاستقالة !

لم يعطل هذا النظام « فى جميع العهود » أى أثناء رئاسة إبراهيم عبد الهادى وحسين سرى وحافظ عفيفى للديوان الملكى .. بل ظل قائما فى عهدهم كما قام فى عهد حسنين وحسن يوسف » !

وقد نددت أحزاب المعارضة بهذا الأسلوب فى عريضة وقعها ١٦ من زعماء هذه الأحزاب والوزراء وأعضاء مجلس الشيوخ وبينهم رئيس سابق للوزراء ـ رفعت إلى فاروق فى ١٨ من أكتوبر ١٩٥٠ .

قالت هذه العريضة

« أفسحت الأقدار مكانا فى الحاشية الملكية لأشخاص لايستحقون هذا الشرف فأساءوا النصح وأساءوا التصرف » .

ومن هنا انتشرت فى مصر كلمات تقول · « مصر يحكمها الخدم » !

وكان هناك ايضا بوللى بك الذى ارتفع من عمله الأصلى ككهربائى للقصر ليحتل منصبا واسع النفوذ فى تنظيم شئون الملك الخاصة .

فى مذكرات أحمد مرتضى المراغى ، التى نشرها بعد الثورة ، قال

« كان الياس اندراوس موظفا بسيطا فى شركة صباغى البيضا التى يملك أغلب أسهمها الإنجليز . وكان لايحمل إلا شهادة الدراسة الابتدائية . وتدرج إلى أن أصبح مديرا عاما لها وجاءت الحرب فأثرى ثراء فاحشا ، واتصل بحاشية الملك وعرض على صاحب الجلالة أن يساهم فى الشركة وباع له حصة كبيرة من الا سهم ، ارتفعت قيمتها وكسب الملك مكسبا كبيرا .

أصبح هؤلاء الخدم ديكتاتوريين . وقال أحد ياوران صاحب الجلالة .

– كل رئيس للوزارة فى مصر يجب ان يكون على علاقة طيبة بخدم فاروق .

* * *

كانت مساحة الأراضى الزراعية ٥,٩٦٢,٦٦٢ فدانا يملكها ٢,٧٦٠,٦٦٦ مالكا .

وقد تضاعف ٣ مرات عدد ملاك الأراضى الزراعية الصغار خلال الفترة من عام ١٩١٠ حتى ١٩٥٢.

ولكن متوسط مساحة الأراضى التى يملكها كل منهم انخفضت بنسبة ٤٥ فى المائة، فإن زيادة الملكيات الصغيرة كانت أقل من فدان للفرد !

وأصبح متوسط حجم الملكية ٠,٣٨ فدان للفرد الواحد بعد أن كان ٠,٤٧ فدان .

وكان ٢٠٠٠ مالك يملكون ١٩,٧٪ من الأراضى أى ١,٧٧٠,٠٠٠ فدان ، بينما ٢ مليون يملكون ٧٧٨,٠٠٠ أى ١٣٪ من الأراضى .

وهذا يبين سوء توزيع الملكية الزراعية .

وكان متوسط دخل الفرد فى مصر ١٠٩,٥٠ دولارا عام ١٩٠٧ فأصبح ٦٣,٥٠ دولارا عام ١٩٥٠.

وزاد عدد السكان من ٩,٧٢ مليون عام ١٨٩٧ إلى ١٩ مليونا عام ١٩٤٧ .

وكان فى البلاد ٢٠٠ ألف أجنبى يتمتعون بامتيازات فى التجارة والأعمال المالية .

* * *

تحرك الفلاحون يطالبون بامتلاك الأراضى التى يزرعونها ، وقاموا بـ ٣٤ معركة ضد أصحاب الأراضى منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية منها ١١ مرة عام ١٩٥١ وحدها .

وكانت أهم الاضطرابات فى اقطاعيات البدراوى عاشور باشا صهر فؤاد سراج الدين فقد بلغت قيمة الخسائر نتيجة الحرائق التى أشعلها الفلاحون ٥٠ ألف جنيه .

وكان هناك ٤٩ اضرابا عماليا ، وكان حريق القاهرة تعبيرا عن ذلك أو رمزا له .

والتزمت أجهزة الاعلام الصمت بالنسبة لصراع الفلاحين والعمال . ولم ينشر إلا الشيء اليسير عنه فإن أحدا لم يكن يريد أن يستمع إلى فورات البركان الذى يوشك على الانفجار .

وظهرت المنشورات التى تطالب الشعب بتكوين جبهة متحدة وتأميم القناة .

كانت الحياة السياسية تجرى فى دورة لامعنى لها بين حكم الوفد وحكم الأقليات . فقد استقرت فكرة أن الحكم فى مصر يعتمد على ٣ أسس أو ٣ مراكز قوى هى الملك الوفد والانجليز .

وجاءت حرب فلسطين لتغير التيار الفكرى المصرى كله بأمل الانتصار فى الحرب وتحقيق الشعبية للملك ولكن الهزيمة قضت على هذا كله .

وتوفرت كل العناصر للثورة . ملك عابث وشعب مستكين ، وضباط يجتمعون فى خلايا سرية .

* * *

ساء الموقف الاقتصادى فى السنة الأولى من حكم الوفد إلى حد كبير .

بلغ محصول القطن عام ١٩٥٠ ٨,٢ مليون قنطار صدر ربعه فقط .

وبين أول أكتوبر ١٩٥٠ و ٢٨ من فبراير ١٩٥١ ارتفعت أسعار القطن طويل التيلة ٥٠ فى المائة و ٢٥٪ لمتوسط التيلة وهو ارتفاع مصطنع نتيجة المضاربات أثناء حرب كوريا . فانخفضت الصادرات وخسرت الحكومة ضريبة صادرات القطن . ورغم ذلك اشترت المخزون لدى المزارعين والتجار بأسعار مصطنعة تفوق السعر العالمى .

وفى مارس عام ١٩٥١ هبطت أسعار القطن مرة أخرى فاضطرت الحكومة لوضع حد أدنى للأسعار واشترت الحكومة بهذا السعر ١,٢٥٠,٠٠٠ قنطارا بالإضافة إلى ١,٤ مليون قنطار عام ١٩٥٠.

وأصبح لدى الحكومة مخزون اشترته بحوالى ٣٢ مليونا من الجنيهات ولايزيد ثمنه عن ١٥ مليونا تقريبا .

وانخفض محصول عام ١٩٥١ إلى ٧,٥ مليون قنطار وكان يجب أن يصل إلى ١٠ أو ١١ مليون قنطار .

ومع ذلك تبقى مخزون للحكومة من المحصول بين ٢,٥ مليون قنطار و ٣ ملايين قنطار ، لم تصدر ، ثمنها بين ٣٠ و ٤٠ مليون جنيه ، بل إن صغار مزارعى القطن كانوا يبيعون أقطانهم بثلثى الثمن الذى حددته الحكومة التى رفضت أن تشترى أية كمية تقل عن ٢٥٠ قنطارا .

وكان للحكومة ٨٠ مليون جنيه كاحتياطى فقدت عام ٥١ ، عدا ٢٥ مليونا .

وفى النصف الأول من عام ١٩٥٢ نفد باقى الاحتياطى . واضطرت الحكومة إلى الاقتراض من البنك الأهلى ، وأصدرت الحكومة رقما قياسيا لأوراق العملة بلغ ٢١٧ مليون جنيه .

ووصلت ميزانية مصر عام ١٩٥٢ إلى ٢٣٠ مليونا وكانت ٤٠ مليونا عام ١٩٣٩/٣٨ وقدر العجز فى الميزانية بـ ٣٩ مليونا من الجنيهات .

واستوردت الحكومة عام ٥١ قمحا بمبلغ ٣٤ مليونا رغم زيادة المحصول بنسبة ٢٠٪ ولكنه

لم يكف حاجة مصر التى دفعت ٢٥ مليونا كدعم للدقيق .

وفى عام ١٩٥٢ انخفض محصول القطن ١٠٠ ألف طن . واشترت الحكومة ٧١٠ الاف طن قمح بمبلغ ٣٣ مليونا وانخفض محصول الأرز إلى النصف . وقل محصول البصل ايضا .

وارتفعت الأسعار وانخفضت إيرادات الجمارك ٤٠ مليون جنيه نتيجة الحد من الاستيراد طبقا للقرارات التى أصدرتها وزارة نجيب الهلالى الأولى .

وساعدت بريطانيا على زيادة حدة الأزمة .

كان لمصر ٨٠ مليون جنيه استرلينى لدى بريطانيا التى فكرت ، بعد حريق القاهرة فى تجميد هذا الرصيد وكذلك كل الأموال الاسترلينية المودعة فى بريطانيا وأيضا الذهب ولكن بدلا من إصدار قرار علنى بالتجميد اكتفت بريطانيا برفض الافراج عن الاسترلينى والذهب . والتجميد هو ما حدث علنا بعد تأميم مصر لقناة السويس عام ١٩٥٦ !

وانخفض احتياطى الذهب فاضطرت الحكومة لشراء ذهب من امريكا لتغطية قيمة العملة الورقية .

وكان العجز فى الميزان التجارى ٣٧,٣ مليون جنيه عام ١٩٥٠ و ٣٨,٨ مليون جنيه عام ١٩٥١ و ٣٩ مليونا فى السنة التالية .

وذلك فى ميزانية مجموعها نحو مائتى مليون جنيه رغم ضغط ميزانية الوزارات بنسبة عشرين فى المائة .

وتوقفت مشروعات التنمية الخاصة والحكومية . وأرجئ مشروع كهربة خزان اسوان ومصنع الأسمدة فى اسوان وكهربة خط حلوان ، ومد الطرق .

ورفض البنك الدولى تقديم قروض لمصر لتمويل هذه المشروعات وأصيبت الحياة الاقتصادية فى البلاد بشلل تام !

وأخذ الممولون يدفعون عمولة تتراوح بين ٧ و ١٠٪ للسماسرة اليهود والسوريين واللبنانيين لتهريب أموالهم !

* * *

انتشرت الكتب الأدبية التى تتحدث عن الظلم الاجتماعى وبالذات كتب طه حسين .

وبدأت الصحف تضاعف حملاتها بعنف ضد النظام . وكان مجلس الدولة يصدر أحكاما بإعادة إصدار الصحف التى تعطلها الحكومة .

حمل الدكتور محمد مندور رئيس تحرير صحيفة « الوفد المصرى » على صاحب الجلالة فقال إنه يملك ويحكم .

وحمل على « الباشاوات الرأسماليين » فإن بعضهم كان عضوا فى مجلس إدارة ٣٧ شركة فى وقت واحد .

وكتب أبو الخير نجيب رئيس تحرير صحيفة « الجمهور المصرى » عن « التيجان الهاوية » . قال « العملاق يستيقظ » .

. إشارة إلى مظاهرات الفلاحين فى الإقطاعيات الكبرى .

وشن إحسان عبد القدوس رئيس تحرير مجلة « روز اليوسف » حمله على الأسلحة الفاسدة التى ساعدت على هزيمة الجيش فى حرب فلسطين وطالب بمحاكمة المتهمين ومنهم النبيل عباس حامى ـ أحد أفراد الأسرة المالكة ـ بوصفهم مجرمى حرب .

واستقال محمود محمدمحمود رئيس ديوان المحاسبة بعد أن فضح صفقات السلاح وعمولات كريم ثابت وأثار هذه القضية مصطفى مرعى فى مجلس الشيوخ .

ورسم الفنان عبد السميع بالكاريكاتير غولا وسماّه الفساد وحذاء كبيرا « مفكوك الرباط » .

وزار كريم ثابت السيدة روزاليوسف قائلا

ـ إيه حكاية الغول ، بلاش منه أحسن .

ولكنها لم تعبأ واستمر عبد السميع يرسم الحذاء والغول ، والقراء يعرفون أن صاحب الجلالة هو المقصود ! وكان « باب المجتمع » فى روزاليوسف يبين المسافة الشاسعة بين حياة الأثرياء ،وحياة الفقراء ، ليثير أغلبية الشعب التى باتت ترى أنه لاحل ولاتقريب للهوة بين الاغنياء والفقراء إلا بالثورة .

ونشرت « أخبار اليوم » التى يصدرها على أمين ومصطفى أمين قصص الملوك المخلوعين مثل دون وندسور وميشيل ملك رومانيا إشارة مقنعة إلى أسباب خلع الملك وأن هناك تشابها بين الملوك المخلوعين وفاروق .

وهذا مثال لما نشر مصطفى أمين عن صاحب الجلالة .

كتبت تحت عنوان « الخطاف » تقول

« يخطف كل شىء !

يخطف زوجة الرجل ، وبيت الرجل ، وبنطلون الرجل إذا بقى للرجل بنطلون !

يخطف الغالى والرخيص ، ولايفرق بينهما . كل شىء لايملكه يريده ، ويسعى إليه ، ويتمناه ويجد لذة فى أن يغتصبه لنفسه ..

ويتساءل أهل القرية ماذا يريد أن يفعل بكل هذا ؟ إنه نفسه لايستطيع أن يجيب على هذا السؤال . إنه يجد فى الحرام لذة لايجدها فى الحلال لو أنه عاش شريفا لزاد غناه ، وتضاعف ايراده، ولكنه يفضل خروفا لاحق له فيه على رولز رويس يملكها ، يعشق مالا يملك ، ويزهد فيما يمتلك يسطو على الحى والميت . ويسرق القريب والبعيد . وينهب العدو والصديق .

هناك مرض اسمه جنون السرقة . والمشفقون عليه يقولون إنه مريض ، وأهل القرية يقولون إنه لص كبير . وهو يظن أن الناس لن يعرفوه والقرية مليئة باللصوص . ولكن الناس كلهم يعرفونه .. لانهم جميعا ضحاياه .

من هو !».

ولكن كل القراء كانوا يعرفون أنه « فاروق » !

وتجمعت الاحزاب لمعارضة الملك · الجماعات اليسارية من شيوعيين واشتراكيين ثم الإخوان والوفد .

وقالت جريدة الاشتراكيين « الشعب الجديد » ـ « إن الحكومة صنعت خبزا أسود للشعب حتى تمول انتاج الخبز الأبيض للأغنياء » .

وهاجمت الصحيفة اعتماد نصف مليون جنيه لشراء سيارات للقصور الملكية .

وعندما دعا الملك سامية جمال لترقص فى حفل أقامه فى « دوفيل » قالت الصحيفة .

« كيف يقرن اسم سامية جمال باسم الملك » .

وطالبت بتطهير أداة الحكم من حاشية فاروق : حيدر وكريم ثابت وأحمد النقيب مدير مستشفى المواساة وبوللى .

وفى كتاباته ذكر أحمد حسين فى مجلات « مصر الفتاة » و«الشعب الجديد » و «الاشتراكية » كلمة « الثورة » عدة مرات .

قال « الثورة آتية لاريب فيها » .

وفى مقال عنوانه « الثورة الثورة الثورة » تحدث عن فساد الحكم وطالب الشعب بالتحرك وقال إنه لا علاج للفساد إلا بثورة جارفة .

وقال إن كبار رجال الخاصة لايجب أن يشتركوا فى مجالس إدارة الشركات .

ونشرت الاشتراكية صورا للشحاذين والعرايا والفقراء الكادحين والبؤساء تحت عنوان مثير « رعاياك يامولاى » .

... إشارة إلى أن فاروق يحكم شعبا فقيرا مفلسا وأن هؤلاء ، وحدهم ، رعاياه !

وفى احدى المرات التى صودرت فيها جريدة « الاشتراكية » التى يصدرها أحمد حسين قال ممثل النيابة :

ـ نريد أن نتجنب ثورة !

وقال الدكتور أحمد حسين الوزير السابق :

ـ أصبحت صحيفة « الاشتراكية » توزع ٦٠ ألف نسخة أسبوعيا وتحقق ربحا . وعندما يربح التطرف فلابد من البحث عن السبب !

وكتب فتحى رضوان سلسلة مقالات عنيفة ضد فاروق فى جريدة اللواء الجديدة ونشر مقالات عن الثورات التى قامت ضد الملوك عبر التاريخ . وكان كل مقال يوحى بأن الثورة فى مصر تقترب .

* * *

وتتابعت الفضائح ..

صفقات الأسلحة الفاسدة فى حرب فلسطين . وقيام الحرس الحديدى الذى شكله رجال الملك وكلفه باغتيال خصومه . وبدأ المراقبون السياسيون يتوقعون ثورة ويتساءلون :

ـ لماذا يتأخر قيام الثورة ؟

فى أواخر عام ١٩٥١ قدمت السفارة البريطانية تقريرا يرسم صورة سوداء لمستقبل مصر .

وبعثت السفارة الأمريكية بست برقيات إلى وشنطن تقول :

« **إن حياة أغلبية الشعب المصرى أصبحت لاتحتمل . وهناك حملة شيوعية متصاعدة**

لاستغلال هذه العناصر » .

وأعدت السفارة الأمريكية خطة للهرب عند الضرورة

وكتب سيسيل كامبل رئيس الغرفة التجارية البريطانية يقول :

ـ أتوقع اضطرابات خطيرة فى مصر .

قال الماجور سانسوم ضابط الأمن فى السفارة البريطانية لزميله الأمريكى

ـ هناك رائحة فى جو مصر لاتعجبنى الموقف الداخلى يغلى ، وخاصة الاضطرابات فى إقطاعيات كبار المزارعين .

هذا أمر جديد فى مصر .

* * *

ورغم هذا كله ظل كبار زعماء مصر ينافقون صاحب الجلالة ولا يرفعون صوتا فى وجهه.

وصف مصطفى النحاس فاروق بمناسبة زواجه وعيد جلوسه عام ١٩٥١ بأنه صاحب التاجين : « تاج الملك وتاج القلوب » .

وقال .

« أبناء الشعب جميعا يشعرون بأن مليكهم أصبح جزءا من حياتهم ، له فى كل قلب من قلوبهم مكان الحب والاجلال وعاطر الذكر ، وهل تنسى مصر أنها من بين يدى أبى فاروق تلقت دستورها ثم أودعته بين يدى فاروق الحانيتين » .

وقال على ماهر فى عيد ميلاده فى ١١ فبراير ١٩٥٢ :

« مولد الفاروق طالع يمن وتوفيق ، ولاشك أن ابناء وادى النيل جميعا يحتفلون فى ثنايا قلوبهم وأفئدتهم بعيد الميلاد ليذكروا فى عزة وفخار ١٢ فبراير ١٩٢٠ ، يوم أعلن البشير مولد الفاروق ، ففاضت قلوب المواطنين بشرا وسرورا » .

وقال نجيب الهلالى فى ٦ مايو ١٩٥٢ :

« أوتى فاروق الملك والسداد فأصبح عرشه قبلة الآمال . سبحانك الله ، ما أعظم شأنك وأوضح برهانك فقد أردت بنا رحمة واحسانا وتوفيقا وإصلاحا ، تؤتى الملك من تشاء . أتيت فاروق الملك والسداد ، فأصبح عرشه قبلة آمال المواطنين ومقصد رجائهم وآية وحدتهم وقد ملكت قلوبنا سجاياه وشفانا الطيب من رياه » .

ورغم هذه الكلمات كانت الملكية منبوذة والأحزاب محتقرة من شعب مصر.

* * *

قالت السفارة الأمريكية :

كان من رأى اللورد كيلرن إن فاروق رغم كل عيوبه يمثل القوة الصلدة لمكافحة الشيوعية .

وقالت السفارة الأمريكية :

« يبقى الملك العنصر الوحيد الذى يجمع ويوحد . ورغم أن الأسرة الملكية حديثة نسبيا وتعتبر غريبة عن مصر ، فالحقيقة الأساسية أن شعب مصر اعتاد، طبقا لتقاليد رسخت

منذ آلاف السنين ، على وجود بيت حاكم . ولا يهم الشعب شخص الحاكم بقدر ما يهتم بالنظام الحاكم نفسه .

ورأت السفارة أن « الملك لايزال أهم عوامل الاستقرار على المسرح المصرى » .

ولكن الملك الذى أقسم يمين الولاء للدستور المصرى قبل ١٥ سنة ، أصبح شخصا آخر . إنه ـ الآن ـ مقامر بدين ، نجم للملاهى الليلية . أثارت طريقة اختطافه لناريمان ، كزوجة ، من محل للمجوهرات اشمزازا ورعبا .

إن الملك الذى ادعوا أنه من سلالة النبى عليه الصلاة والسلام أصبح يمثل عارا لمصر .

ووجدت « مصران » الأولى مصر الطيبة الحريصة على قيمها ... مصر القرية ، والثانية مصر فاروق .. مصر البورصة التى تحلل كل شىء فيها .

وعادت تتردد فى البلاد تلك الصيحة التى ارتفعت فى عهد نابليون التى تنادى بأن الإسلام فى خطر .

وجاء قرار إلغاء المعاهدة المصرية ـ البريطانية التى وقعت عام ١٩٣٦ ، وانسحاب العمال المصريين من العمل فى المعسكرات البريطانية ثم بطالة أغلب هؤلاء العمال وأخيرا حريق القاهرة الذى لم يتدخل البوليس المصرى لإطفائه .

وتبادل الملك والوفد الاتهامات حول حريق القاهرة .

ولاتعنى مصر بالاتهامات المتبادلة فالأمر المهم أن أحدا لم يحاول إطفاء الحريق لا المصريين ولا الإنجليز .

ولم تعد انجلترا بالنسبة للمصريين إلا نمرا وشبحا من ورق ، فقد خرجت من فلسطين ، وطردت من حقول البترول الإيرانية فى عبدان وفى الوقت ذاته فشلت مفاوضات الجلاء فإن فاروق رغب فى أن يكون ملكا لمصر والسودان ورفض الانجليز ذلك .

فى آخر لقاء لفاروق بأغاخان بدا صاحب الجلالة .. يائسا .

لم يحبذ فاروق حلا سوى أن ينال لقبا آخر فأعلنت وزارة الأوقاف ونقابة الأشراف فى ٦ من مايو ١٩٥٢ أن صاحب الجلالة ينحدر من نسل النبى عليه الصلاة والسلام ويستحق الحصول على لقب « السيد » !

ولكن الشعب كان يعرف أن فاروق ينحدر من نسل الجراكسة والألبان من ناحية أبيه ، ومن الأتراك والفرنسيين من ناحية أمه، ولايمكن أن تكون به قطرة من دم عربى تنتمى إلى الرسول الكريم !

قال أغاخان .

ـ كانت لدى فاروق رغبة انهزامية . وفقد القدرة على ممارسة واجباته وخدمة شعبه.

.. إن ولى العهد الذى هرب من دروسه فى لندن هو نفسه صاحب الجلالة الذى هرب من مسئولياته فى القاهرة وترك الحكم لحاشيته من الخدم الذين يفسرون نزعاته الملكية على هواهم .

وتوقعت صحيفة « التايمس » البريطانية حريقا آخر .

قالت :

« شعب مصر يائس منهوب يمثل الوقود المناسب لحريق مروع . ولكن لا أحد يعرف على وجه

الدقة من سيحترق !

* * *

فى تقرير للسفير البريطانى السير رالف ستيفنسون كتبه فى ١١ يونيه عام ١٩٥٥ عندما نقل من مصر قال :

« كان واضحا لفترة طويلة نسبيا أن الملك فاروق كان ينظر نظرة يملؤها التشاؤم تجاه مستقبله فى الحكم .

ولا أميل إلى الظن بأن أحدا ، وبالذات الوفديين أنفسهم كان يتوقع أن يؤدى الخلاف بين الوفد والملك فاروق ، وهو السبب الأساسى ، وراء إلغائهم معاهدة ١٩٣٦ ، أن يؤدى بهذا الشكل المأساوى والسريع إلى استبعاد طرفى النزاع من مسرح الأحداث ، فقد وقع الخلاف بين هذين الطرفين كثيرا فى الماضى .

ولكن فى كل مرة كان دوران نتج عنه الخضوع المؤقت للوفد ، ثم حدوث تغيير فى القصر الملكى يتبعه خلاف جديد من جانب الوفد .

ولكن كانت حماسة الوطنية وتعالى موجتها فى مصر فى هذه المرة أقوى من أن يسيطر عليها نظام أضعفته تجاوزات الملك ، وهزيمة البلاد فى حرب فلسطين ، والفساد الذى يسيطر على الأجهزة التشريعية والتنفيذية .

وعلى أية حال لعب التوتر فى العلاقات مع بريطانيا دوره أيضا .

ويمكن التكهن بحدوث نوع من التغيير » .

وفى كتاب سلمابوغان « انتشار الشيوعية فى مصر ١٩٣٩ ـ ١٩٧٠ » قالت :

« كان الجنود الانجليز لايزالون يحتلون أجزاء من مصر ، والفساد انتشر . وارتفاع الأسعار صاحبته بطالة فى المدن . وفى الريف تدهورت الأحوال نتيجة ارتفاع ايجارات الأرض التى يدفعها الفلاحون .

وقيادة الوفد ، التى كانت « البارومتر » للحركات الوطنية ، فقدت دورها الطليعى

وكانت هناك أزمة فى الحكم ، ولاتستطيع وزارة أن تحكم «من فوق» بينما المجتمع يتحرك من تحت .

وأصبح نسيج النظام واهيا .

وفى هذا الوقت فإن اليسار الثورى والإخوان المسلمين كان يمكن أن يكونا الوارثين للسلطة السياسية فى مصر . فكلاهما منظم ولديهما وعى سياسى ، ويكتسبان مزيدا من الشعبية . ولكن المجموعتين كانتا عاجزتين عن انتهاز الفرصة »

وبقى الجيش .

وكان فاروق سيىء الحظ .

معلمه فى شبابه الفريق عزيز المصرى هو ملهم الضباط الذين ثاروا ضد فاروق بعد ١٦ سنة من حكمه .

وعلى ماهر رئيس ديوانه ، ورئيس وزرائه ، والرجل الذى تولى توجيهه كملك عند توليه سلطاته الدستورية ، كان الحليف الأول للثوار !

الضباط يكرهون الملك

كانت مصر أقوى دولة فى الشرق الأوسط فى النصف الأول من القرن التاسع عشر .

غزت جيوش محمد على مساحات شاسعة من السودان والحجاز وفلسطين وسوريا .

وفى عامى ١٨٣٢ و٣٩ هزمت جيوش السلطان العثمانى فى استانبول ولولا تدخل القوى الغربية لاستولت مصر على المدينة .

وكان جيش محمد على عام ١٨٢٣ يتألف من ١٩ ألف جندى فارتفع عام ١٨٣٣ إلى ١٣٠ ألف جندى منهم ٩٠ ألفا من القوات النظامية ، و ١٥ ألفا من الاحتياطى ، و ٢٥ ألفا من البحرية .

وجاء الاحتلال البريطانى لمصر عام ١٨٨٢ .

وخلال الفترة منذ فتح السودان عام ١٨٩٨ حتى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ لم يطلق الجيش المصرى رصاصة واحدة رغم أن مصر كانت ميدان قتال لعدة دول أثناء الحرب العالمية الثانية .

وفى صراع مصر لنيل استقلالها من الانجليز لم يكن الجيش المصرى شريكا أو عاملا فى هذا الصراع !

ورغم أن الجيش المصرى ، فى عهد محمد على وعرابى ، كان مركز القوة والنشاط فى حياة البلاد فإنه لم يعد كذلك . فقد نجح الانجليز فى تحييد الجيش حتى فى معركة الاستقلال !

* * *

كان الالتحاق بالمدرسة الحربية بالشهادة الابتدائية حتى عام ١٩٢٨ وعندما أوفد رئيس وزراء مصر بعثة من ضباط الجيش إلى لندن للتدريب عام ١٩٢٩ ، جاءت التقارير تقول إن مستوى هؤلاء الضباط الدراسى يقل كثيرا عن مستوى معاهد التدريب التى يدرسون فيها فتقرر قصر البعثات على خريجى الكلية الحربية وحدهم .

وبعد توقيع معاهدة ١٩٣٦ أصدرت حكومة الوفد ، برئاسة مصطفى النحاس ، قرارا بفتح الكلية الحربية لكل طبقات الشعب . وتم التساهل فى كشف الهيئة الذى كان يفرض على المتقدمين أن تكون أسرهم على درجة معينة من الثراء .

وكان معظم الطلاب الجدد ، الذين أصبحوا بعد ذلك ضباطا ، من أبناء الفلاحين وصغار الموظفين المدنيين وهكذا وجدت فى جيش مصر طائفتان من الضباط :

طبقة من الضباط تعليمهم أقل ورتبهم أعلى .

وأغلبية من الضباط تعليمهم أكثر ، ورتبهم أقل ، وتحول المجموعة الأولى بينهم وبين الترقى .

وهكذا كانت البداية التى استمرت زمنا طويلا .

وكان الجيش المصرى يحس بالنقص .

وبدلا من تعويض ذلك بهزيمة الانجليز وجدوا الملك يهان ف ٤ من فبراير . ولم يروا فيما جرى إهانة للملك وحده بل للأمة كلها

ورفض الانجليز الجلاء عام ٤٥ ، بعد الحرب العالمية الثانية ، رغم مساعدات مصر لهم ف تلك الحرب

وجاءت حرب فلسطين عام ١٩٤٨ وما صاحبها من أدلة على عدم كفاءة الجيش ، وانتشار الفساد ، والابتزاز بين أصحاب الرتب العليا ، فهزم الجيش ولم يستطع استعادة روحه المعنوية .

وبدلا من أن يلوم الجيش نفسه ، وجه اللوم للقادة الذين يجلسون ف مكاتبهم ، وللملك والأسلحة الفاسدة والرشاوى ، والأحزاب أيضا .

وانتشر السخط والتمرد بين العسكريين ضد الملك والسياسيين فإن المرارة رسبت ف نفوس الضباط للمهانة التى لقيها الجيش .

وقال محمد نجيب للصحفيين بعد الثورة

ـ لم يكن الجيش يريد الحرب ف فلسطين .

* * *

بدأ اشتغال الجيش المصرى بالسياسة أثناء الحرب العالمية الثانية .

حاول الفريق عزيز المصرى الهرب إلى الألمان ، ف ليبيا ، بطائرة حربية ف ١٦ من مايو ١٩٤١ مثل رودلف هيس نائب هتلر . ولكن سقطت طائرته ف مصر وقبض عليه .

وكان هيس يريد السلام مع الانجليز . أما عزيز المصرى فكان يريد قتالهم ، وذلك أثناء حرب العراق مع الانجليز فيما عرف باسم انقلاب ، أو ثورة ، رشيد عالى الكيلانى التى استمرت ٣٣ يوما.

ونشأت ف الجيش المصرى عدة حركات وطنية للثورة .

أنور السادات يقول إن بداية تنظيم الضباط الأحرار كانت ليلة ١٥ من يناير عام ١٩٣٩ ف جبل الشريف قرب منقباد عندما اجتمع أربعة من صغار ضباط المشاة يحتفلون مع جمال عبد الناصر بعيد ميلاده وهم أنور السادات وزكريا محيى الدين وأحمد أنور .

والصاغ ثروت عكاشة يقول إن الملازم محمد وجيه خليل هو أول من فكر عام ١٩٣٩ ف تشكيل منظمة أصدرت منشورات ف القوات المسلحة .

وقائد الأسراب حسن إبراهيم يقول إنه تم تشكيل نوع من التنظيم ف سلاح الطيران عقب التخرج من الكلية الحربية عام ١٩٤٩ .

وعبد اللطيف البغدادى يقول إن البداية كانت ف الطيران عام ١٩٤٠ بمجموعة من أربعة ضباط هم البغدادى وأحمد سعودى أبو على ، وحسن عزت ، ومحمد وجيه أباظه.

.. وتنظيم سرى آخر يوجهه البكباشى محمد كامل الرحمانى .

وهناك تنظيم الإخوان داخل الجيش ابتداء من عام ١٩٤٤ برئاسة الصاغ محمود لبيب وعبد المنعم عبد الرءوف الذى توقف نشاطه ف مايو ١٩٤٨ بسبب حرب فلسطين.

وجمال منصور يؤكد أنه وستة من سلاح الفرسان هم مصطفى نصير ، وسعد عبد الحفيظ ، وعبد الفتاح أبو الفضل وسعد الدين منصور والطيارين طلعت ناجى وعبد المحسن الوسيمى بدأوا الاجتماعات التنظيمية عام ١٩٤٥

ورشاد مهنا الذى قاد حركة ضد الفريق إبراهيم عطا الله باشا رئيس أركان حرب الجيش عام ١٩٤٧

.. باختصار تعددت التنظيمات السرية فى القوات المسلحة حتى بات لكل سلاح تنظيمه الخاص ومنشوراته .

وبلغ عدد هذه التنظيمات السرية ١٦ تنظيما فى وقت من الأوقات

وأخيرا تنظيم الضباط الأحرار الذى نجح فى ضم كل المجموعات الثورية والعناصر التى تطالب بتطهير الجيش . وبقى هذا التنظيم يخطط لعمل ايجابى وهو القيام بانقلاب داخل الجيش

روى جمال عبد الناصر فى خطاب له عام ١٩٥٣ ، بعد مرور سنة على الثورة قصة تنظيم «الضباط الأحرار » .

قال:

« كانت البداية عقب حادث ٤ من فبراير ١٩٤٢ عندما حاصر الانجليز قصر الملك فاروق بالدبابات ، وطلب السفير البريطانى تعيين مصطفى النحاس باشا رئيسا للوزراء .

ومرت الحركة بثلاث مراحل .

الأولى : بين عام ١٩٤٢ و١٩٤٥ لنشر المبادئ واشعال الروح الوطنية .

والثانية : خلال الفترة بين عامى ٤٥ ومايو ١٩٤٨ . قبل حرب فلسطين عندما أخذت الحركة شكلا منظما .

والثالثة : بين عامى ٤٨ و ١٩٥٢ » .

وقد بدأ التنظيم الجدى فى سبتمبر عام ١٩٤٩ فاجتمعت اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار فى أواخر ذلك العام .

وقد رقى ثلاثة منهم استثنائيا ومنح ثلاثة آخرون أوسمة لشجاعتهم فى حرب فلسطين كما أن أربعة منهم تخرجوا فى كلية أركان الحرب . وظهر اسم أحدهم ـ صلاح سالم ـ فى « الأهرام » يوم أول مارس ١٩٤٩ لأنه كان أول ضابط سافر من الفالوجا إلى غزة بعد رفع الحصار عن الفالوجا وكان اللواء فؤاد صادق قد أوفده إلى القوات المحاصرة .

وهذا التنظيم للضباط الأحرار ظاهرة جديدة فإن الأعضاء جميعا من الضباط الصغار ولم يكن أحدهم قائدا للواء أو لكتيبة بينما كان بكر صدقى قائد انقلاب العراق عام ٣٦ ضابطا برتبة عميد .

والضباط السبعة الذين أسقطوه عام ٣٧ كان يؤيدهم اثنان من قادة الفرق الأربع التى يتألف منها الجيش العراقى .

و انقلاب ديسمبر ١٩٣٨ فى العراق قاده الصباغ قائد العمليات فى الجيش ومجموعة ، وقد

عرفوا باسم العقداء الأربعة .

وكان حسنى الزعيم قائد انقلاب سوريا عام ٤٩ رئيسا للأركان .

وسامى الحناوى قائد الانقلاب السورى الثانى فى أغسطس ٤٩ كان برتبة زعيم - عميد - وقائدا لكتيبة مدرعة

والشيشكلى الذى قاد الانقلاب الثالث فى سوريا فى ديسمبر ٤٩ كان عضوا فى رئاسة الأركان وقائدا لكتيبة مدرعة أيضا .

أما الضباط المصريون الأحرار فقد ولدوا بين عام ١٧ و ٢٢ ولم يتجاوز عمر أكبرهم ٣٥ عاما .

* * *

ولد جمال عبد الناصر فى ١٥ يناير من عام ١٩١٨ .

وكان والده موظفا بمكتب بريد باكوس من ضواحى الاسكندرية وأمه هى السيدة فهيمة حماد ابنة تاجر الفحم محمد حماد .

والأبوان مهاجران من قرية بنى مر فى محافظة أسيوط من صعيد مصر .

ماتت أمه ولم يكمل العام الثامن وتزوج أبوه بعد عامين .

تنقل أبوه بين أسيوط والخطاطبة ودمنهور والاسكندرية والقاهرة .

تعلم فى المدرسة الأولية فى أسيوط . ثم الخطاطبة .

فى سن السابعة أرسل ليتعلم مع عمه خليل الموظف بالأوقاف فى القاهرة ، وكان يقضى الاجازة الصيفية فى بنى مر .

وكان لجمال عبد الناصر خمسة أعمام .

درس فى مدرسة العطارين الابتدائية بالاسكندر ية ومدرسة النحاسين قرب خان الخليلى وحصل منها على الشهادة الابتدائية عام ١٩٣١ .

استدعاه أبوه وعمره ١١ سنة ليقيم معه مرة أخرى فى الاسكندرية ويدخل مدرسة رأس التين الثانوية .

وفى عام ٣٣ نقل الأب مديرا لمكتب بريد الخرنفش بالقاهرة وكان عمر جمال عبد الناصر ١٥ سنة .

نال الشهادة الثانوية « البكالوريا » فى مدرسة النهضة الثانوية الخاصة » القسم الأدبى » بحى الظاهر عام ١٩٣٦ .

مثل دور قيصر أمام نجيب الهلالى فى حفل مدرسة النهضة . وكان نجيب الهلالى وزيرا للمعارف .

وعندما كان يقوم بالدور تمثيلا ، وكاد أن يقتل ، على المسرح ، أراد الأب الصعود إلى الخشبة والتدخل لإنقاذه !

اهتم بالسياسة من الصغر . واتصل وهو طالب بحزبى مصر الفتاة والحزب الوطنى ، وكذلك فعل وهو ضابط .

وفى ١٠ نوفمبر ١٩٣٥ أعلن السير صامويل هور وزير الخارجية فى مجلس العموم أن بريطانيا ضد إعادة دستور عام ١٩٢٣ الذى كان إسماعيل صدقى قد ألغاه فقامت المظاهرات فى اليوم التالى احتجاجا على تدخل بريطانيا فى شئون مصر الداخلية . اشترك جمال عبد الناصر فى هذه المظاهرات على رأس طلاب مدرسة النهضة يوم ١٣ نوفمبر فأصيب برصاصة .

ونشرت جريدة « الجهاد » ، التى نقل إليها مصابا ، أسماء المصابين وبينهم الطالب جمال عبد الناصر .

وقد أعاد الملك فاروق هذا الدستور بعد شهر من هذه المظاهرات أما جمال عبد الناصر فقد ألغى هذا الدستور بعد ستة شهور من قيام الثورة !

وقد قيد اسمه فى أكتوبر ١٩٣٦ كطالب فى كلية الحقوق ولكنه تركها بعد ستة شهور ليلتحق بالكلية الحربية .

* * *

وافقت بريطانيا ، بعد معاهدة ٣٦ ، على زيادة عدد الجيش المصرى .

وكان النحاس هو الذى ألغى القيود التى تمنع ابناء الموظفين من الطبقة المتوسطة من دخول الكلية الحربية . وكان جمال عبد الناصر هو الذى رفض ، بعد ذلك أن يستمر النحاس مجرد رئيس شرفى لحزب الوفد !

وعندما رفضت لجنة الامتحان قبول جمال عبد الناصر تظلم إلى إبراهيم خيرى باشا وكيل الحربية الذى قبله فالتحق بالكلية الحربية فى ١٧ مارس ١٩٣٧ وكان فى التاسعة عشرة من عمره .

وكانت مدة الدراسة ٣ سنوات ولكن رؤى اختصارها لتخريج أكبر عدد من الضباط فتخرج جمال عبد الناصر بعد ١٧ شهرا فى يوليو ١٩٣٨ . وكان زميله فى الدراسة عبد الحكيم عامر .

وجد الكاتب الصحفى السويسرى جورج فوشيه ـ وهو أول من ألف كتابا عن جمال عبد الناصر ـ أنه استعار من مكتبة الكلية كطالب وكمعلم كتب « بونابرت حاكم مصر » و « لورنس » و « جوردون » ، « وتاريخ الحرب العالمية الأولى » للكاتب العسكرى البريطانى ليدل هارت ومحاربون وسياسيون » و « فلسطين » لويفل وأمس واليوم فى سيناء » ... الخ .

وقرأ عن سوريا وتأثر بها .

وطالع سير بسمارك وجاريبا لدى ، واستمع إلى عزيز المصرى وهو يدرس له فى الكلية التنظيمات السرية فى الجيش التركى فقرأ عن كمال اتاتورك . ولذلك كان يطمع فى شبابه إلى القيام بدور البطل .

كانت أول مهمة له فى منقباد وهناك التقى بزكريا محيى الدين الذى اختاره خليفة له عام ١٩٦٧ ومحمد أنور السادات الذى خلفه بعد وفاته عام ١٩٧٠ .

وبعد أسابيع طلب جمال عبد الناصر نقله إلى السودان ، وهو أمر غير عادى أن يطلب ضابط مصرى ذلك . فقد أراد أن يعرف البلاد التى وصفها تشرشل فى كتاب «حرب النهر » فنقل إلى السودان فى عام ١٩٤٠ ورقى إلى رتبة ملازم أول .

وفى السودان التقى مرة أخرى بزميل دراسته فى الكلية الحربية عبد الحكيم عامر .

عاد جمال إلى مصر فى أواخر عام ١٩٤١ ليستقر فى العلمين

ورقى إلى رتبة اليوزباشى فى ٩ سبتمبر ١٩٤٢ ووقعت معركة العلمين فى ١٠ أكتوبر ١٩٤٢ وبعد ٦ شهور عين مدرسا بالكلية الحربية .

التقى بتحية كاظم ـ شقيقها صديق لزميله عبد الحكيم عامر ـ وهى من أصل إيرانى. تزوجها وأنجب منها ٥ أطفال .

قرأ خلال الفترة التالية كلوزفيتش كتاب الجنرال الألمانى ـ عن الحرب وكتب «مصر منذ عهد كرومر » و « السويس وبناما » .

وفى عام ١٩٤٥ و ١٩٤٦ التقى جمال عبد الناصر بخالد محيى الدين والماركسيين ثم بالإخوان من خلال أنور السادات، وعبد المنعم عبد الرءوف الذى أراد الهرب إلى الألمان عام ٤٢ مع الفريق عزيز المصرى .

ويؤكد ثروت عكاشة أحد ضباط سلاح الفرسان الذى قام بدور بارز فى ثورة ٢٣ يوليو انضمام خلايا الضباط إلى جماعة الإخوان المسلمين ، ولكن كان لهم كيان مستقل فى ظل الجماعة . ومن هؤلاء جمال عبد الناصر وخالد محيى الدين وكمال الدين حسين وعبد الحكيم عامر .

ولكن دب الخلاف بين الضباط وبين عبد المنعم عبد الرءوف الذى كان يرى أن خلايا الضباط يجب ان تكون تابعة ، تماما ، لسلطان الإخوان المسلمين ، فكان هذا باعثا على تشكيل الضباط الأحرار .

ويعترف كمال الدين حسين فى كتاب « ثوار يوليو يتحدثون » بأنه وجمال عبد الناصر حلفا يمين الولاء أمام أحد الإخوان .

ولكن كمال الدين حسين يقول إنه حلف يمين الولاء للإسلام لا للإخوان !

وفى هذه الفترة يلتقى أربعة من الضباط : جمال عبد الناصر وخالد محيى الدين وكمال الدين حسين وحسن إبراهيم وصلاح سالم وعبد اللطيف البغدادى الذى تبع محمد نجيب فى الاستقالة من الجيش عام ٤٢ احتجاجا على حادث ٤ فبراير وكمال حسين ، الذى لم يخف ميوله بالنسبة للإخوان ، وأنور السادات .

تخرج جمال عبد الناصر من كلية أركان الحرب فى ١٢ مايو عام ٤٨ وشارك فى تدريب كتائب الإخوان المسلمين الذين تطوعوا بعد ذلك للقتال فى فلسطين . فلما جاءت الحرب تحرك جمال عبد الناصر مع قوات الجيش يوم ١٥ من مايو وعبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين إلى فلسطين وكان جمال عبد الناصر قائدا للكتيبة السادسة .

وعندما أعلنت الهدنة الأولى كان فى اسدود .

وجرح فى ١٢ يوليه برصاص قناص فى معدته .

وكان بين أفراد القوة التى حاصرها اليهود ابتداء من ٢١ اكتوبر فى الفالوجه وكان معه تحت الحصار عبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين وصلاح سالم .

ويمكن أن يقال إن حركة الضباط الأحرار ولدت فى الفالوجا . فقد كشفت له الحرب عن عجز فى القيادة العليا ، وفساد الإدارات المسئولة عن تقديم المعدات الطبية التى لم تكن كافية بصورة تدعو إلى اليأس ، والأسلحة مثل بنادق « الميزر » التى صنعت عام ١٩١٢ ، أو القنابل اليدوية التى كانت أشد خطرا على من يستخدمها منها على العدو !

ولما أخذ يفكر فى فساد السلطة المصرية توصل إلى قرار لارجعة فيه بضرورة أن ينذر الضباط الأحرار أنفسهم للعمل ، لا من أجل طرد البريطانيين من البلاد ، بل الإطاحة بنظام الحكم القائم فى مصر ، أو على الأقل القيام بإصلاح جذرى فيه .

وفى كتابه فلسفة الثورة قال جمال عبد الناصر .

« كنا نحارب فى فلسطين ، ولكن أحلامنا كلها كانت فى مصر ..

فى فلسطين جاءنى صلاح سالم وزكريا محيى الدين واخترقا الحصار إلى الفالوجا وكان الشاغل وطننا الذى يتعين علينا أن نحاول انقاذه » .

وفى فلسطين قال له أحمد عبد العزيز قبل أن يموت :

ـ ميدان الجهاد الأكبر فى مصر !

وقال جمال عبد الناصر ، بعد ذلك ، لرجل المخابرات الأمريكى كيرميت روزفلت .

ـ إنى وضباطى لم ننسى الإذلال الذى لقيناه على أيدى الاسرائيليين سنة ١٩٤٨ . إن نقمتنا تنصب بالدرجة الأولى على كبار ضباط الجيش المصرى ، ثم على بقية حكام العرب والبريطانيين .

ومن هنا فإن الجيش الذى لم يستطع الاستيلاء على فلسطين قرر الاستيلاء على القاهرة .

وفى صيف ٤٩ عاود جمال عبد الناصر بعد عودته إلى القاهرة ، إثر اعلان الهدنة ، الاتصال بزملائه الضباط وكانوا يلتقون فى بيت عبد الحكيم عامر .

ولكن .

اكتشف فى إحدى شعب جماعة الإخوان المسلمين كتاب قديم أصدره الجيش عن القنابل اليدوية عليه اسم اليوزباشى جمال عبد الناصر .

استدعاه إبراهيم عبد الهادى باشا رئيس الوزراء ـ فى مايو ـ ليسأله شخصيا عن صلته بالإخوان المسلمين بحضور الفريق عثمان المهدى رئيس هيئة أركان حرب الجيش فنفى ذلك . وقال إنه أعار الكتاب لضابط شهيد .

وفتش بيت جمال عبد الناصر ولم يعثر فيه على شىء .

كانت خلية القيادة الأولى للضباط الأحرار من أربعة ضباط : جمال عبد الناصر ـ مشاة ـ وخالد محيى الدين ـ فرسان ـ وكمال الدين حسين ـ مدفعية ـ وحسن إبراهيم ـ طيران ـ .

وفى أواخر نوفمبر ٤٩ شكلت اللجنة التأسيسية فى البداية من جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ، وكمال الدين حسين وحسن إبراهيم وخالد محيى الدين وعبد المنعم عبد الرءوف وقد ابعد بعد عامين لتمسكه بالانتماء لجماعة الإخوان المسلمين .

وقد انتخب جمال عبد الناصر رئيسا لهذه اللجنة التى ضم إليها جمال عبد الناصر ، بعد ذلك ،

صديقه عبد الحكيم عامر، وجاء حسن إبراهيم بعبد اللطيف بغدادى ، ثم انضم صلاح سالم الذى اشترك شقيقه جمال سالم . وقد أعيد انتخاب جمال عبد الناصر رئيسا للجنة فى يناير ١٩٥١ .

وضم عبد الناصر عام ١٩٥٢ أنور السادات .

ولم يكن للبحرية مندوب فى اللجنة . وقد أصبحت « لجنة القيادة » بعد نجاح الثورة ثم مجلس قيادة الثورة فيما بعد .

وبعد الثورة فى ١٥ من اغسطس ١٩٥٢ ضم إلى اللجنة اللواء محمد نجيب ثم المقدم زكريا محيى الدين والمقدم حسين الشافعى والعقيد عبد النعم أمين ويوسف صديق فأصبحت اللجنة مكونة من ١٣ عضوا .

منح جمال عبد الناصر رتبة البكباشى ـ مقدم ـ فى ١٦ من مايو وعين فى نوفمبر مدرسا بكلية أركان الحرب .

وصفه السفير البريطانى السير رالف ستيفنسون عندما التقى به لأول مرة فى حفل عشاء أقامه الملحق العسكرى البريطانى بعد الثورة فقال إنه « متحفظ . حاسم . يتعاطف مع الإخوان المسلمين ولكنه يدرك القدرات المحدودة للجماعة » .

وقال عنه « دافيد ايفانز » مساعد الملحق الجوى الأمريكى الذى التقى به بعد الانقلاب :

« ملامحه نحيفه بعض الشىء متحفظ ، رجل أفعال بكل معنى الكلمة . وهو يشك فى قدرة الأحزاب السياسية القديمة على أن تصلح نفسها إلا على الورق » .

أما أنتونى ناتنج وزير الدولة البريطانى ، الذى قابله بعد عامين من الثورة ، فقال : إنه « متآمر بطبيعته لايثق حتى بأقرب الرفاق إليه ، ناهيك عن الناس بوجه عام ، للقيام بمايخدم مصر على نحو أفضل » .

وساعدته قيادة الجيش دون أن تدرى عندما نقلته إلى كلية أركان الحرب ، وهى المكان الهادئ الوحيد فى الجيش الذى يستطيع فيه أن يحسن اختيار الضباط الأحرار خاصة وأن عقله يعمل بسرعة ، وأعصابه باردة

وباختيار اللواء محمد نجيب كغطاء ورمز للضباط الأحرار فإن الاهتمام اتجه إليه ، والرقابة أحاطت به ، دون جمال عبد الناصر ، أو اللجنة التأسيسية ، وكان عندهم دواما شاهد نفى يحميهم فى الوقت المناسب .

* * *

كانت المنشورات السرية هى أهم عمل للضباط الأحرار

وقد بدأت هذه المنشورات فى سبتمبر عام ١٩٤٧ قبل قيام تنظيم الضباط الأحرار ، فيما عرف باسم قضية الاتفاق الجنائى لضباط الجيش ومحاولة قلب نظام الحكم واغتيال الفريق إبراهيم عطاالله باشا وقد انتهت بالافراج عن الضباط المتهمين ـ وعددهم ١٥ ـ وفى مقدمتهم المقدم رشاد مهنا .

وكانت هذه المنشورات باسم « ضباط الجيش » .

واستمرت هذه المنشورات تنتقد قيادات الجيش التى اشترت الأسلحة الفاسدة .

وتتابعت المنشورات باسم « اللجنة الوطنية لرجال الجيش » .

وبعد قيام تنظيم الضباط الأحرار كانت المنشورات تصدر باسم « صوت الضباط الأحرار ـ نشرة اخبارية يصدرها الضباط الأحرار ـ ثم تغير التوقيع إلى « الضباط الأحرار » .

وقد انتقدت الفساد والأحكام العرفية والدفاع المشترك والاستعمار والملك واتخاذ الجيش لكبت الروح الوطنية والمطالبة برفع مستواه تدريبا وتسليحا .. الخ » .

وقد اشترك عدد محدود من الضباط فى كتابة هذه المنشورات بينهم جمال عبد الناصر وحمدى عبيد وخالد محيى الدين وجمال منصور والقاضى أحمد فؤاد .

وصدر أول منشور للضباط الأحرار فى نوفمبر عام ١٩٤٩ .

وقال جمال عبد الناصر إنه كان يتم طبع ألف نسخة من كل منشور .

وقد ساعد على نجاح التنظيم تركيز القيادة فى يد جمال عبد الناصر فقد استطاع أن يقاوم تطرف زملائه . مثل أنور السادات ، أثناء الحرب العالمية الثانية فى القيام باغتيالات سياسية للألمان، أو الوزراء ، أو نسف السفارة البريطانية .

ومنع زملاءه من التدخل العلنى المباشر فى المقاومة الشعبية للانجليز داخل القناة .

ورفض أن يتعاون مع منظمات كثيرة متطرفة وقد انضم مع بعض أعضائه إلى جماعة الإخوان المسلمين ثم انفصلوا عنه لأن جمال عبد الناصر رأى أن يكون التنظيم مستقلا رغم انه ضم الماركسيين والمستقلين الذين لاينتمون لأى حزب .

وخرج على الإخوان المسلمين حتى لايصبح جزءا منهم .

وكان فاروق يظن أنه سيضمن ولاء الجيش بتعيينه أحد رجاله وهو محمد حيدر باشا وزيرا للحربية والبحرية منذ ١٩ نوفمبر عام ١٩٤٧ وحتى فوز مصطفى النحاس باشا فى الانتخابات فى ١٢ يناير ١٩٥٠ !

* * *

كان محمد حيدر باشا ضابط شرطة اشتهر بعدائه للوفد .

عام ١٩٣٤ بينما كان فى الخدمة تحت قيادة السير توماس راسل باشا ـ البريطانى ـ حكمدار بوليس القاهرة ، وفى عهد وزارة إسماعيل صدقى ، أخمد بقسوة مظاهرات الوفد ضد الحكومة .

وكان محمد حيدر باشا مديرا لمصلحة السجون التابعة لوزارة الشئون الاجتماعية برتبة اللواء ورقى عام ١٩٤٤ وكيلا لوزارة شئون السجون .

وقد عينه الملك ، بالإضافة إلى منصبه الوزارى ، ياورا خاصا له وهو منصب شرفى ، ومنحه رتبة الفريق ، فانتقلت مصلحة السجون معه من وزارة الشئون الاجتماعية إلى وزارة الحربية .

وقيل أن من أسباب ذلك أيضا أن حيدر باشا كان يأمر بتشغيل المسجونين مجانا فى مزارع صاحب الجلالة !

وحيدر ثرى يملك مساحة شاسعة من الأرض ، وقد ظل فترة طويلة يرفض تقاضى مرتبه !

* * *

كان حيدر والفريق عثمان المهدى رئيس الأركان يتمتعان بكراهية الجيش فقد اعتبرا مسئولين عن هزيمة الجيش فى حرب فلسطين والأسلحة الفاسدة .

فى يونيه عام ١٩٥٠ شكا ٢٢ من كبار الضباط برئاسة اللواء حسيب فى منقباد من الأمر الصادر بعدم ترقية أى ضابط يصدر ضده تقرير سرى من قائده المباشر فتقرر تشتيت هؤلاء الضباط فى مواقع بعيدة

وفى أغسطس تلقى الملك منشورا بغير توقيع يطلب فيه الضباط أسلحة حديثة وزيادة مرتباتهم واتمام التحقيقات فى قضية الأسلحة الفاسدة والقضاء على الانحراف الذى انتشر فى جهاز الحكم .

وفى سبتمبر وجد منشور آخر موجه لصاحب الجلالة يطالب بعزل حيدر الذى يعتبر أى ضابط خائنا إذا لم ينافقه ويقبل يده ولأنه يملأ مناصب القيادات داخل الجيش بأولئك الضباط الذين خدموا فى الحرس الملكى .

وقال المنشور إن السخط يملأ الجيش وأن الأوسمة والرتب والألقاب تنهمر على أشخاص كل مؤهلاتهم الجبن والنفاق .

وطالب المنشور بإصلاح نظام الجيش والتجنيد الاجبارى ليسمح بادخال العناصر المتعلمة .

ولكن النحاس رفض استمرار حيدر فى الوزارة وأصر على تعيين أحد رجال الوفد فى هذا المنصب فاهتدى الملك والنحاس إلى حل وسط وهو تعيين محمد حيدر قائدا عاما للقوات المسلحة المصرية يتعامل مباشرة مع وزير الحربية مصطفى نصرت فإذا وقع خلاف بينهما عرض الأمر على رئيس الوزراء مصطفى النحاس !

* * *

وقد اضطر الملك إلى التضحية بحيدر وقبول استقالته فى نوفمبر عام ١٩٥٠ تحت ضغط النائب العام محمد عزمى الذى طلب ابعاد كبار الضباط لمصلحة التحقيق فى قضية الأسلحة الفاسدة .

* * *

قال ادجار جلاد باشا للسفير الأمريكى أن الملك رأى إرضاء صغار الضباط بإبعادحيدر .

ورأى السفير الأمريكى أن ذلك يدل على خطورة الحالة داخل الجيش ، وأن الملك فطن إلى ذلك بعد عودته من رحلة صيف فى الخارج يوم ٢٠ من أكتوبر ١٩٥٠ .

وأصدر فاروق مرسوما آخر باعتبار كل أفراد القوات المسلحة العاملين فى الجيش خلال حرب فلسطين من ١٥ مايو ١٩٤٨ إلى ١٤ سبتمبر ١٩٤٩ وكأنهم جميعا محاربون وبذلك يستحقون امتيازات المشاركين فى الحرب لإرضاء الجيش .

وقرر مجلس الوزراء يوم ١٢ من نوفمبر إحالة عثمان المهدى باشا رئيس أركان حرب الجيش إلى المعاش . وعين الفريق حسين فريد بك رئيسا لأركان حرب الجيش بالنيابة .

وفى مايو ١٩٥١ عاد الفريق محمد حيدر باشا إلى منصبه قائدا عاما للجيش وعثمان المهدى

باشا رئيسا للأركان لأن النيابة لم تجد دليلا ضدهما فى قضية الأسلحة الفاسدة فأحيل الفريق حسين فريد إلى الاستيداع .

وعكست التقلبات فى المناصب القيادية الاضطرابات داخل الجيش ، وتأثير منشورات الضباط الاحرار على صاحب الجلالة .

* * *

كان الضباط الأحرار يظنون ، حتى عام ١٩٥٠ ، أنهم يستطيعون تحقيق الاصلاح، فى ظل الملك .. بالضغوط على صاحب الجلالة .

وكانت انتخابات نادى ضباط الجيش أول مواجهة بينهم وبين صاحب الجلالة ، وقد تصادفت مع مقدمات حريق القاهرة !

اجتمعت الجمعية العمومية غير العادية لنادى الضباط يوم ١٧ من ديسمبر ١٩٥١ وحضرها ٣٥٠ ضابطا قرروا تعديل لائحة النادى بأن تقوم الجمعية بانتخاب أعضاء مجلس الإدارة ولا ينتخب كل سلاح ممثليه فى المجلس ، وحددوا الأسلحة التى تمثل فى المجلس واستبعدوا منها سلاح الحدود باعتبار أنه يضم ضابطا من كل الأسلحة ، وتخلى الفريق محمد حيدر باشا القائد العام عن منصبه كرئيس للنادى ليصبح رئيسا فخريا شرفيا .

وكان من نتيجة القرار استبعاد اللواء حسين سرى عامر مدير سلاح الحدود أحد رجال الملك من الترشيح لرئاسة مجلس إدارة النادى .

وكان حسين سرى عامر يشغل منصب أركان حرب سلاح الحدود فارتكب عدة مخالفات وثارت حوله اتهامات فى قضية الأسلحة الفاسدة ، فوضع تحت التحفظ تسعة شهور ، وأبعد من منصبه عام ١٩٥٠ ، ولكن فاروق أعاده وكيلا لسلاح الحدود ورقاه إلى رتبة اللواء فى أغسطس ١٩٥١ وتولى منصب مدير ذلك السلاح بدلا من اللواء محمد نجيب الذى نقل مديرا لسلاح المشاة .

رشح محمد نجيب نفسه لرئاسة النادى وكان ينافسه على الرئاسة ثلاثة آخرون هم اللواء حافظ بكرى مدير سلاح المدفعية واللواء إبراهيم الأرناؤطى مدير المهمات واللواء سيد محمد مدير الصيانة ، جرت الانتخابات يوم ٣١ من ديسمبر ١٩٥١ ، ففاز محمد نجيب كما فاز أربعة آخرون من الضباط الأحرار وهم العقيد رشاد مهنا الذى اختير سكرتيرا للنادى ، والبكباشى زكريا محيى الدين والبكباشى حمدى عبيد وقائد الجناح حسن إبراهيم والصاغ جمال حماد .

قال محمد نجيب فيما بعد أن هذه الانتخابات أنهت الملكية فى مصر !

وكان يمكن للملك أن يضرب ضربته ضد الضباط الأحرار فقد عرف اسماء بعضهم وهم الفائزون فى انتخابات .

وكان يمكنه أيضا إحالة محمد نجيب على الاستيداع . ولكنه لم يكن يعرف أبعاد الحركة وكانت الحركة سرية لأنها تكلف الضباط حياتهم إذا اكتشفت !

وكل ما فعله صاحب الجلالة أنه طلب ادخال حسين سرى عامر مجلس الإدارة فرفض مجلس إدارة النادى مما هز سلطة الملك ، لا على النادى فحسب ، بل على الجيش كله !

وكان نجاح الضباط الأحرار فى الانتخابات دليلا لقدرتهم على التخطيط .

* * *

فكر جمال عبد الناصر فى اغتيال اللواء حسين سرى عامر يوم ٨ من يناير باعتبار أن ذلك يخلص الضباط من أهم رجال الملك الفاسدين داخل الجيش .

زار اليوزباشى كمال رفعت فى منزله وعرض عليه الفكرة .

توجه معه ، ومع اليوزباشى حسن التهامى ، إلى منزل حسين سرى عامر للتنفيذ ، ولكن لم يتيسر ذلك فأرجئت العملية إلى اليوم التالى بعد ما انضم إليهم قائد الأسراب حسن إبراهيم الذى قام بعملية المراقبة .

وكان جمال عبد الناصر يقود عربته الأوستن الصغيرة وينتظر فى شارع مجاور !

وتولى كمال رفعت وحسن التهامى اطلاق الرصاص .

لم يصب حسين سرى عامر وإنما أصيب سائقه فقط .

وهذه العملية تبين إلى أى حد كان ضيق جمال عبد الناصر باللواء حسين سرى عامر ويقينه بأن التخلص منه باغتياله ينقذ الجيش ويطهره .

وكان يمكن للتحقيقات فى محاولة الاغتيال هذه أن تكشف أيضا كل خطط وأسماء الضباط الأحرار !

* * *

كان الملك فاروق خائفا وهو يصدر أوامره للجيش بالتدخل يوم حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ فلم يكن صاحب الجلالة واثقا من أن الجيش سيطيع أوامره ، وكان يخشى النفوذ الوفدى داخل الجيش .

ولم يكن يثق بالبوليس .

وتدخل الجيش فأوقف الحريق والفوضى

ووجه صاحب الجلالة رسالة إلى الجيش يشيد فيها بوطنيته العالية واخلاصه الذى أضاف صفحة رائدة إلى تاريخه النبيل .

ويلتقى السفير الأمريكى بفاروق فيجد لديه احساسا بالفخر لأن الجيش أطاع أوامره وتجددت ثقته به ، ولم يفطن صاحب الجلالة إلى الحقيقة التى بدت واضحة فى ذلك « السبت الأسود » وهى أن الجيش يستطيع أن يحكم وحده !

قال فاروق للسفير

- أستطيع الآن الاعتماد على الجيش .

وأضاف

- لو كان الجيش البريطانى قد تحرك من منطقة القناة إلى الدلتا ، للتدخل ضد الغوغاء .. فإنى لم أكن لأقوم بدور الخائن للوطن .

أراد السفير البريطانى ، بعد أحداث ٢٦ يناير ، إقامة جسور اتصال قوية مع قيادة الجيش

المصرى ، وتنسيق الخطط بينهما إذا تكررت الاضطرابات وتجددت الحرائق .

ورغب السفير فى معرفة الموقف داخل الجيش ، وهل سيؤيد الملك فى هذه الحالة أم لا على أن يكون التعاون بين جيش مصر وجيش الاحتلال عن طريق فاروق وبأمر منه!

* * *

فى اليوم التالى للحريق أوفد السفير الملحق العسكرى البريطانى للاجتماع بالقائد العام للجيش الفريق محمد حيدر باشا ورئيس الأركان وضباط هيئة الأركان العامة .

كان أنتونى ايدن وزير خارجية بريطانيا قد أعلن فى مجلس العموم فى ديسمبر «الجيش المصرى صديق لبريطانيا ، وهو أكثر المجموعات ، مسالمة فى مصر » .

ولكن الملحق العسكرى البريطانى ذهل وهو يستمع إلى الضباط المصريين ثم كتب يقول :

« القوات المسلحة المصرية معادية لنا بحسم وفقدوا كل الثقة فينا ، أى فى البريطانيين . والضباط فى مقر القيادة العامة موقنون بأن الأمة بأكملها تقف مؤيدة للوفد فى أحداث منطقة القناة ، والقتال فى الاسماعيلية بين القوات البريطانية وقوات الأمن المركزى .

وكان موقفهم العام باردا ورسميا » .

عرض الملحق العسكرى أن يقدم الجيش البريطانى تسهيلات لتحرك القوات المصرية من سيناء إلى القاهرة إذا استدعت الضرورة حضورها فورا لإخماد أى تمرد .

قال الضباط المصريون صراحة :

ـ لاحاجة بنا إلى مساعدة من الانجليز ونحن نسيطر على الموقف تماما .

سألهم .

ـ هل بوسعكم مواجهة إمكانية نشوب اضطرابات فى الضواحى والأقاليم ..

طمأنوه وقالوا :

ـ عمليات اعتقال مثيرى الشغب تصبح ممكنة فى أى جزء من البلاد .

وأضافوا

ـ كل قطاعات الشعب تقف الآن بصلابة ضد الا نجليز بسبب الأحداث التى وقعت فى منطقة القناة

وقال الملحق العسكرى

« تولد لدى انطباع بأن الجيش يقف ضدنا وسيقاتل ببسالة ، وبأفضل قدراته ، إذا تحركنا إلى القاهرة .

وسيظهرون تعصبا مثل بلوكات النظام فى الاسماعيلية .

انطباعى الرئيسى أن الشعور المعادى للبريطانيين بين ضباط هيئة الأركان زاد زيادة ملحوظة »!

ويكتب السفير البريطانى إلى لندن بعد أربعة أيام من الحريق .

« استعاد فاروق رباطة جاشه وثقته فى نفسه .

وهو ـ فاروق ـ متقلب وتستمر احاسيسه ، وحماسه ، لفترات قصيرة ولكنه ، فى هذه المناسبة تلقى درسا قاسيا .

وقد يقوم فى المستقبل بمسئولياته بجدية أكبر » .

* * *

وتظل بريطانيا تتابع الموقف داخل الجيش .

اجتمع السفير البريطانى بفاروق يوم ١٣ فبراير . قال له :

ـ من الضرورى لقواتنا أن تتخذ مواقع متقدمة أو تقيم مستودعات ذخيرة فى الصحراء فى وقت مبكر ، مما يسهل سرعة وصول القوات البريطانية إذا خرج الموقف عن سيطرتك .

ومن المستحسن تماما ألا تنظر القوات المصرية إلى مثل هذه الأعمال من جانب قواتنا على أنها أعمال معادية ، ومن الأهمية بمكان أن نقيم صلة ما ، غير ظاهرة ، بين قواتنا البرية وقواتكم .

قال فاروق .

ـ أوافق على أهمية إقامة هذه الصلة .

قال السفير

ـ سأرسل ملحقى العسكرى خلال بضعة أيام لمناقشة الأمر مع رئيس الأركان .

وافق الملك ، ووعد بإصدار التعليمات المطلوبة وقال :

ـ أرسلت أحد ضباطى الموثوق بهم إلى موقع الجيش المصرى على طريق السويس للتأكد من تنفيذ أوامرى يوم حريق القاهرة .

وتتمثل هذه الأوامر فى أن يتصدى الجيش بالمقاومة إذا تحركت القوات البريطانية إلى القاهرة قبل الأوان ، مع عدم المقاومة إذا خرج الموقف عن نطاق السيطرة تماما .

وقال الملك

ـ لا أفترض أن الجيش المصرى سيصمد طويلا أمام قواتكم . ولكنى متأكد من أنه إذا صدرت إليهم الأوامر بذلك فسيصمدون قدر استطاعتهم .

وأضاف .

ـ لقد فكرت فى استدعاء بعض القوات المصرية من حدود فلسطين .

وإذا اتضحت ضرورة ذلك فإنكم لن تثيروا المتاعب .

قال السفير :

ـ بل على العكس من ذلك .

ارسلت ملحقى العسكرى قبل الاضطرابات إلى القائد العام لأسأله عما إذا كانت قيادة الأركان العامة المصرية ترغب فى سحب أية قوات من سيناء .

وأشار إلى عرض سبق التقدم به وقبلته مصر فى أوائل نوفمبر ، وهو أنه فى استطاعة صاحب الجلالة أن يطمئن إلى ان بريطانيا التى تثير عقبات حول إعادة القوات المصرية من غزة فى مثل هذه الظروف .

شكره الملك وقال :

ـ لم ينجح الوفد كثيرا فى إفساد الضباط أو الجنود .

ومن هذا الحديث تبرز عدة حقائق ..

كان الانجليز يراقبون تحركات الجيش المصرى . وكان باستطاعتهم منعه من التحرك المفاجئ من سيناء إلى القاهرة إذا رغب صاحب الجلالة .

وكان هناك اتفاق بين الملك والسفير على التنسيق بين الجيش وقد وافق فاروق على تدخل الجيش البريطانى إذا قامت اضطرابات فى القاهرة .

ومعنى ذلك أن الانجليز كانوا يستطيعون السماح للجيش المصرى فى غزة بالعودة إلى القاهرة إذا قامت اضطرابات .

ويستطيعون حصار الجيش فى غزة إذا رغبوا فى ذلك لمصلحتهم ومصلحة صاحب الجلالة ! ولكن الانجليز خافوا أن يتدخل الجيش مع الشعب ضد القوات البريطانية ولم يخطر ببالهم أن الجيش سيتدخل أولا ضد صاحب الجلالة !

كتب السفير إلى حكومته يقول .

« أصبح مركز الملك فى النهاية ، يعتمد على ولاء الجيش له ، وليس ذلك موضع شك خطير » .

كتب اللورد كيلرن الذى أمضى فى مصر ١٢ عاما مندوبا ساميا وسفيرا لبريطانيا فى مصر

« خلال كل أعوامى فى مصر كان بديهيا أن الجيش وفى للملك » .

ويستدعى الملك مرة ثانية الفريق حسين فريد يوم ١٤ من مارس عام ١٩٥٢ من الاستيداع ليتولى منصب رئيس الأركان مرة أخرى بدلا من الفريق عثمان المهدى لتحقيق الانضباط داخل الجيش الذى ساده التسيب .

ولكن السفير البريطانى قال بعد عشرة أيام :

« أثار اغتيال الضابط الشاب عبد القادر طه ـ يوم ٢٤ من مارس ـ الذى ينتمى لحركة الضباط الأحرار غضبا شديدا بين صغار ضباط الجيش .

وشاع بأن كبار ضباط الجيش هم الذين دبروا الأغتيال معتقدين أنهم بذلك يخدمون الملك .

وتم التكتم على المسألة فى الحال ، ولكنها زادت من سخط الجيش » .

* * *

قام جمال عبد الناصر بإجازة فى أول يونيه . وكان عبد الحكيم عامر وصلاح سالم فى فلسطين .

وفى ١٢ من يوليه عاد جمال عبد الناصر إلى القاهرة من الإجازة ليجد فى انتظاره عبد الحكيم عامر!

ويصدر اللواء عباس زغلول ـ بناء على طلب الملك ـ فى ١٦ يوليه قرارا بحل مجلس إدارة نادى الضباط وتعيين اللواء على نجيب ، قائد المنطقة المركزية ، شقيق اللواء محمد نجيب ، رئيسا مؤقتا للنادى .

اجتمعت اللجنة التاسيسية للشباط الاحرار فى اليوم التالى ١٧ من يوليه واتفق على أن يقوم

أعضاء اللجنة باغتيال ثلاثين شخصية سياسية فى ليلة - ٢٠ يوليه - بالقاهرة والا سكندرية كما قال جمال عبد الناصر فى إحدى خطبه وسجله عبد اللطيف البغدادى فى مذكراته .

عُدل عن الفكرة لأن ثلاثة أعضاء فقط يملكون سيارات وهم جمال عبد الناصر وعبد اللطيف البغدادى وخالد محيى الدين ومن هنا استحالة التنفيذ ، كما أن العملية ستتحول إلى مذبحة ولابد من افتضاحها .

فى كتابه « أسرار الثورة » قال أنور السادات إن عزيز المصرى نصحه بأن ضباط الجيش يجب أن يتحركوا ضد النظام وسادته الانجليز قائلا

- لاخلاص إلا بانقلاب عسكرى .

وقررت اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار القيام بانقلاب فى عام ١٩٥٥ ثم عدل الموعد إلى نوفمبر ١٩٥٢ بمناسبة افتتاح البرلمان وأخيرا رأت اللجنة التعجيل به واتمامه فى ٥ اغسطس ١٩٥٢ ، ثم قررت مرة أخرى التعجيل بالانقلاب العسكرى فقد أصبحت المسالة سباقا بين الملك والضباط ، من يسبق بتصفية الآخر .

وتأكدت فكرة الانقلاب كل يوم ، بل كل ساعة .

فقد أبلغ محمد هاشم وزير الدولة وصهر حسين سرى باشا - زوج ابنته - اللواء محمد نجيب يوم ١٨ يوليه أن الجهات المسئولة عرفت أسماء ١٢ من الضباط الأحرار يتحركون ضد صاحب الجلالة

وقال اللواء فؤاد صادق لمحمد نجيب أنه سمع من الدكتور يوسف رشاد طبيب الملك أنه سيقبض على محمد نجيب لتزعمه حركة ثورية داخل الجيش .

وفى ٢٠ من يوليه أبلغ أحمد أبو الفتح رئيس تحرير جريدة « المصرى » صهره ثروت عكاشة وهو من الضباط الأحرار تليفونيا من الاسكندرية ، أن ١٤ ضابطا من الجيش ينتظرهم التشريد والاعتقال ، وأن الخطورة ستحيط بالضباط الأحرار إن لم يتحركوا بأسر ع وقت .

وقال أحمد أبو الفتح إن نجيب الهلالى كلف بتشكيل الوزارة وأن اللواء حسين سرى عامر سيعين وزيرا للحربية .

أبلغ ثروت عكاشة ذلك على الفور ، لجمال عبد الناصر قائلا

- يجب أن يتم الانقلاب غدا .

قال جمال عبد الناصر

- فليكن وإن كانت وحدات المشاة التى انتظر وصولها لم تصل إلا طلائعها .

وإذا كان اللواء حسين سرى عامر وهو مدير لسلاح الحدود قد دفع جمال عبد الناصر إلى فكرة الاغتيال فإن اختياره وزيرا للحربية كان لابد أن يدفع جمال عبد الناصر ، حتما إلى التعجيل بالانقلاب . مادامت أسماء قيادة الضباط الأحرار قد اصبحت معروفة لصاحب الجلالة .

وكان الضباط مضطرين لانقاذ أنفسهم من خطة اعتقال أعدها الملك فقد افتضح أمرهم .

أصبحت الحركة مكشوفة والاعتقال صارا أمرا قريبا محتوما وكان الملك فى طريقه للقضاء على

الضباط الأحرار ... إذا لم يقوموا بعمليتهم فإن الملك سيقوم بها . ومن يبدأ الخطوة الأولى يمكن أن ينتصر

ويجتمع الضباط الأحرار فى ذلك اليوم بمنزل صلاح نصر فيقول جمال عبد الناصر للمجتمعين:

ـ نسبة النجاح ضئيلة جدا فالملك متربص بنا ، والانجليز فى منطقة قناة السويس قد يتدخلون لضرب الثورة ، وأمريكا قد تتدخل بجانب الملك .. وقد يحدث تدخل من بعض وحدات الجيش .. ولكن لابد أن نتحرك .

ووافق جمال عبد الناصر على تأجيل تنفيذ الانقلاب ٢٤ ساعة ليتم فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل من مساء ٢٢ من يوليو لاستكمال الاستعدادات

واقترح أحدهم القيام باغتيالات جماعية للزعماء فى حالة فشل الانقلاب ، ولكن جمال عبد الناصر اعترض على ذلك .

* * *

اشتدت الأزمة داخل الجيش .

فى البرقية رقم ١٠٤٦ بتاريخ ٢٠ من يوليو ١٩٥٢ قال كريزويل القائم بأعمال السفير البريطانى لأن السفير سافر إلى انجلترا فى اجازته السنوية :

« ينبغى أن أحذركم من أن القلاقل داخل الجيش واسعة النطاق .

ويمكن أن تصل الأوضاع إلى ذروتها سريعا وربما يتطلب الأمر استدعاء قوات « روديو » باشعار قصير للغاية » .

يقصد بذلك التدخل البريطانى .

وقال .

« لدى معلومات غير مؤكدة أن بعض قوات الجيش المصرى تتحرك إلى الاسكندرية وأن عددا من الضباط فى القاهرة رفضوا اطاعة الأوامر .

والمرجح فى هذه الظروف حدوث تمرد عسكرى .

وإذا نجح واستغله المتطرفون ، فقد يؤدى سريعا إلى حالة من الفوضى .. وهذا مجرد تخمين محض فى الوقت الحاضر .

أرجو إبلاغ قائد القوات البريطانية بأن الموقف خطير .

وفى هذه الظروف قد يعجل بوقوع أزمة بعض الأعمال الحمقاء من الملك . وهناك امكانية لحدوث قلاقل واسعة النطاق خلا ل الأيام القليلة القادمة » .

وتبع كريزويل هذه البرقية بأخرى فى نفس اليوم ٢٠ من يوليو قائلا :

« تشير تقارير عديدة إلى أن الرأى العام داخل الجيش يتزايد عداوة للملك بسبب إصراره الأخير على تعيين أصدقائه المقربين وعملائه فى مناصب الجيش الهامة .

ويعد اللواء محمد نجيب رئيس نادى الضباط بالقاهرة محور هذه الحملة المعادية للملك .

وكان حسين سرى حريصا على ألا يثير ضباط الجيش ، فاقترح تعيين اللواء نجيب وزيرا للحربية .

رفض الملك تعيين محمد نجيب فقدم سرى استقالته .

وتوافرت دلالات عديدة فى الساعات القليلة الماضية عن مدى وعمق الاستياء الذى يعم أفراد الجيش ضد الملك الذى كان مصمما على اذلالهم ».

* * *

أبلغت لندن حكومات الكومنولث بأن « **الموقف السياسى فى مصر مائع للغاية وينذر بالخطر ، مما يستدعى تأهب القوات البريطانية فى منطقة القنال » .**

ونحن نراقب التطورات عن كثب » .

ويخطر رؤساء أركان حرب القوات البريطانية لتكون قواتهم مستعدة للتدخل والتحرك خلال ٤٨ ساعة بدلا من عشرة أيام كما كانت القاعدة المتبعة فى ذلك الوقت .

ويضع جيمس بوكر وكيل الخارجية البريطانية المساعد تقييما للموقف قال فيه « إن السفارة الأمريكية أقل احساسا بخطورة الموقف » .

وكانت السفارة الأمريكية هى الأكبر تأثيرا على فاروق ومن هنا قل إدراكه للخطر الذى يتهدده داخل الجيش .

وتدرك سفارات الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا خطورة الموقف فتقرر عقد اجتماع مشترك لتبادل المعلومات وتحليل الأوضاع للتنبؤ بالمستقبل .

اجتمع كريزويل بكافرى والقائم بالأعمال الفرنسى فى اليوم التالى .

قال كافرى .

ـ الخطر ليس وشيكا ولكنى أعتقد أن الاحتمالات تسوء إذا طال الاضطراب الحالى.

قال القائم بالأعمال الفرنسى :

ـ ربما يصبح الموقف معقدا للغاية والنتيجة المنطقية الأخيرة قد تكون عودة الوفد .

قال كافرى :

ـ أعارض أى اقتراح بالتعرض المباشر للملك أى الضغط عليه فى هذه الفترة وأنا على اتصال غير مباشر معه ومع رئيس ديوانه حافظ عفيفى باشا .

وكتب كريزويل إلى لندن فى اليوم ذاته يقول :

« تدهورت شعبية الملك الشخصية عند العناصر الشابة داخل الجيش بشكل كبير».

ولو أن السفير الأمريكى والقائم بالأعمال البريطانى ضغطا على الملك فى ذلك الوقت، أى قبل الانقلاب بأربع وعشرين ساعة ، لتغير تاريخ مصر كله. ولكن السفير والوزير المفوض كانا يرغبان فى مسايرة الملك دون الضغط عليه .. وكانا ـ وهما لايدريان ـ يمدان الحبل السياسى للملك ليشنق نفسه . وفى الساعة ١,١٣ ظهر يوم ٢٣ من يوليه ، يوم الثورة نفسه ، قال كريزويل :

« تشير القلاقل إلى وجود سخط شامل فى الجيش » .

* * *

اجتمعت اللجنة التأسيسية لآخر مرة في الرابعة من بعد ظهر الثلاثاء ٢٢ من يوليه في منزل خالد محيي الدين قبل ثماني ساعات من بدء الحركة التي أطلق عليها اسم « نصر » .

حضر الاجتماع لأول مرة زكريا محيي الدين الذي اشترك مع جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وكمال الدين حسين في وضع الخطة التفصيلية .

كتبت الخطة ـ وهي من ست صفحات ـ بخط عبد الحكيم عامر وأدخل عليها زكريا محيي الدين إضافات وكانت لعبد الناصر تعقيبات عليها .

قضت الخطة بأن تكون الوحدات المشتركة في العملية العسكرية في أماكنها في الواحدة بعد منتصف الليل . وحددت أسماء الضباط الذين سيعتقلون .

وكان زكريا محيي الدين هو أركان حرب العملية كلها .

أخرج زكريا الأوراق في جيبه وأخذ يقرأ الخطة ليعرف كل من الحاضرين دوره المحدد ، وحددت في هذا الاجتماع مهمة كل عضو من أعضاء اللجنة التأسيسية ثم احرقت أوراق الخطة حتى لاتقع في يد أحد إذا فشلت الثورة .

وتقضى الخطة بإقامة حصار حول المنطقة التي توجد فيها معسكرات الجيش ، واغلاق طريق السويس لمنع تدخل القوات البريطانية في منطقة القناة أو قوات الجيش المصري في سيناء وغزة والتصدي لهذه القوات إذا تحركت لمقاومة الثورة ومساعدة الملك .

وكان جمال عبد الناصر حذرا حتى انه لم يبلغ كل الضباط الأحرار ـ ٢٦٧ ـ بموعد الحركة بل أبلغ حوالي تسعين منهم شفاهة لا كتابة . وكان يتحرك بسيارته «الاوستين» السوداء الصغيرة .

ولم يسبق لثورة أن اعتمدت على هذا العدد القليل من الرجال .

ولم يسبق لانقلاب عسكري أيضا أن أعدت خطته في يومين وأن تطوف قياداته على الضباط في بيوتهم أو وحداتهم في اللحظات الأخيرة لإبلاغهم تفصيلات الخطة .

* * *

في الساعة ٦,٣٩ دقيقة مساء . بينما كان أعضاء اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار يطوفون على بيوت زملائهم ـ ٩٠ ضابطا تقريبا ـ يبلغونهم بموعد الثورة بعد ساعات أبرق كريزويل يقول:

« من السابق لأوانه تقييم رد فعل الجيش لتعيين إسماعيل شيرين ، زوج شقيقة الملك فاروق ، وزيرا للحربية والبحرية .

ولكن تعيين هذا الضباط الصغير السن قد يكون له صدى غير موات لدى كبار الضباط.

وقد بعث عدد من كبار الضابط ببرقيات إلى الملك فاروق شخصيا يعربون فيها عن ولائهم وذلك قبل تعيين شرين .

ويسيطر مجلس الوزراء الحالي على الأوضاع في الجيش رغم أن عنصر عدم الرضا لدى صغار الضباط لايزال قائما » .

* * *

كان الجيش دائما مرتبطا بالأسرة المالكة . وكان بعيدا عن الجهاز المدنى . وكان هذا درع الملكية ضد قوى الثورة .

ولكن وزارة الخارجية البريطانية وضعت تقييما جديدا للموقف فقالت

« **الملك فاروق يتعجل الأزمة بتصرف أحمق منه .**

هناك اضطرابات واسعة فى الجيش المصرى ويمكن حدوث شكل ما من الثورة ، مما يستدعى تأهب المملكة المتحدة فى منطقة القنال .

والفرق بين هذه الثورة والازمات السابقة أن التذمر الآن موجه ضد الملك وليس ضد الأجانب» .

كتبت قرينة حكمدار بوليس القاهرة السابق السير توماس راسل باشا إلى ابنها بعد حريق القاهرة

ـ كل شىء يعتمد الآن على إخلاص الجيش . ويقال إن جانبا كبيرا منه أصبح ضد الملك .

* * *

أبلغ أحمد مرتضى المراغى صاحب الجلالة بأنه يعرف أسماء الضباط الذين يطبعون المنشورات ويوزعونها فقال له فاروق :

ـ دعوا الجيش ولا تتدخلوا فى شئونه !

ولم يفطن صاحب الجلالة إلى أن المنشورات استمرت توزع داخل الجيش حتى ٢٣ يونيه عندما أصدر الضباط الأحرار منشورا يقول بأنهم يهدفون إلى « تكوين جيش قوى مطهر من الأذناب والخونة » .

* * *

سأل أحد الدبلوماسيين الأمريكيين الدكتور أحمد حسين الذى كان وزيرا للشئون الاجتماعية فى وزارة الوفد ، ثم أصبح بعد الثورة سفيرا لمصر فى وشنطن

ـ هل سيبقى الجيش مخلصا لصاحب الجلالة إذا قامت اضطرابات خطيرة فى الجيش .

أجاب الدكتور أحمد حسين :

ـ الفساد يغمر الجيش . والضباط الشبان يكرهون الملك !

دليل لكل انقلاب

لم يكن التفكير فى القيام بانقلاب عسكرى فى مصر مسألة غريبة أو شاذة . كان لانقلاب هتلر وموسولينى قبل الحرب العالمية الثانية أثر فى نفوس الشباب العربى .

وبعد الحرب العالمية الثانية فشلت تسعة منها .

بدأت الانقلابات بالبرازيل عام ١٩٤٥ ، سنة انتهاء الحرب .

وفى عام ١٩٤٧ وقعت ٤ انقلابات نجح منها اثنان فى نيكاراجوا وتايلاند وفشل اثنان فى اكوادور وباراجواى

وفى عام ١٩٤٨ وقعت ٨ انقلابات منها اثنان فى كل من بيرو وباراجواى وقد فشل انقلاب بيرو الأول ونجح الثانى ، وفشل انقلاب فى كوريا الجنوبية ، ونجحت الانقلابات فى فنزويلا والسلفادور وتشيكوسلوفاكيا .

وفى عام ١٩٤٩ ستة انقلابات فشل أحدها فى جواتيمالا ونجح الباقى فى بناما وباراجواى وثلاث انقلابات ناجحة فى سوريا

وفى عام ١٩٥٠ نجح انقلاب فى هايتى ، وفشل انقلابان فى اندونسيا ، كما فشل انقلاب فى فنزويلا .

وفى عام ١٩٥١ وقعت ٤ انقلابات نجح أحدهما فى فنزويلا كما نجح الثانى فى تايلاند وفشل الثالث فى تايلاند أيضا كما فشل انقلاب فى الارجنتين . وبلغ مجموع الانقلابات التى قام بها جيش تايلاند خمسة منذ عام ١٩٣٢!

وسبق الثورة فى عام ١٩٥٢ انقلابان فى كل من بوليفيا وكوبا .

ولم يكن العالم العربى غريبا على الانقلابات العسكرية .

قام الجيش العراقى بستة انقلابات فى الفترة بين عامى ٣٦ و ٤١ .

وقام الجيش السورى بثلاثة انقلابات بين عامى ٤٩ و ١٩٥٢ .

* * *

كان انقلاب العراق هو الانقلاب العسكرى الأول من نوعه فى الشرق الأوسط .

انتهز الفريق بكر صدقى فرصة غياب طه الهاشمى رئيس أركان حرب الجيش العراقى فى تركيا ، وتوليه هذا المنصب بالنيابة فقام بانقلاب عسكرى فى ٢٩ اكتوبر عام ١٩٣٦ .

تم الانقلاب بأسلوب غريب .

فى الثامنة والنصف صباحا ألقت خمس طائرات تابعة لسلاح الجو الملكى العراقى منشورات

وقعها بكر صدقى وجهها إلى شعب العراق بأن صبر الجيش نفد نتيجة معاناه الشعب من تصرفات الحكومة .

وطالب الملك بعزل الوزارة وتعيين وزارة أخرى بقيادة حكمت سليمان .

وقدم السياسى حكمت سليمان نفسه رسالة موقعة من بكر صدقى وعبد اللطيف نورى قائد الفرقة الأولى فى بغداد الى كبير الأمناء بأن يُعين رئيسا للوزراء خلال ٣ ساعات على الأكثر . وإلا فسيتولى الجيش مسئوليته للمصلحة العامة .

استدعى الملك السفير البريطانى للتشاور ، ثم اجتمعت الوزارة برئاسة ياسين الهاشمى وكان من اعضائها نورى السعيد وزير الخارجية .

بعد خمس ساعات قامت خمس طائرات بقيادة قائد الطيران بإلقاء ٤ قنابل ، احداها قرب بيت رئيس الوزراء ، والثانية قرب البرلمان فقتل سبعة من المارة .

وعلى الفور قدمت الحكومة استقالتها وكلف الملك حكمت سليمان بتشكيل الوزارة. ومر بكر صدقى فى شوارع بغداد فى موكب المنتصرين .

فوض الملك جعفر العسكرى وزير الدفاع للتفاوض مع بكر صدقى فتوجه إليه .

سأل بكر ضباطه .

ـ من منكم يتطوع لقتل جعفر العسكرى ؟

وجعفر العسكرى هو أول وزير للدفاع فى العراق عام ١٩٢٠ وقد تولى الوزارة مرتين وهو زوج شقيقة نورى السعيد كما كان نورى السعيد زوجا لشقيقته .

لم يتطوع أحد من الضباط .

كلف بكر صدقى أربعة منهم بقتل جعفر العسكرى ، فقتلوه ودفنوا جثته بغير احتفال .

شكل حكمت سليمان حكومته من المدنيين ولم يدخلها سوى عسكرى واحد هو عبد اللطيف نورى .

وظل بكر صدقى رئيسا للاركان ـ وكان كرديا وديكتاتورا وحياته الشخصية لا تشرفه. تزوج ٣ مرات وزوجته الثالثة راقصة نمسوية عادت لبلادها !

جاء الدور على بكر صدقى

خطط لاغتياله سبعة من الضباط أشهرهم صلاح الدين الصباغ مدير العمليات ، وأسرته من دمياط ، وكانت الحكومة تنوى إحالتهم إلى المعاش .

فى ١٠ من أغسطس ١٩٣٧ توقف بكر صدقى فى الموصل فى طريقه إلى تركيا فدخل أومباشى وقتله برصاصة . كما قتل زميله قائد الطيران .

وعاد الحكم المدنى إلى العراق !

* * *

مات غازى ملك العراق فى حادث سيارة فى ٤ من ابريل ١٩٣٩ وقيل أن الانجليز قتلوه !

وكان اثنان مرشحين ليكونا أوصياء على العرش حتى يبلغ الملك الطفل فيصل سن الرشد .

الأمير زايد شقيق غازى ، وعبد الاله ابن عم فيصل وشقيق أرملة غازى .

فرض الجيش عبد الاله ـ ٢٦ سنة ـ وصيا للعرش !

وجاءت الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر ١٩٣٩ وتنص معاهدة ١٩٣٠ على أن يدخل العراق الحرب إذا اشتركت فيها بريطانيا .

اقترح نورى السعيد إعلان الحرب على ألمانيا ولكن بعض السياسيين والوزراء رأوا الوقوف على الحياد فاكتفت الحكومة العراقية بقطع العلاقات مع ألمانيا وطرد الوزير الألمانى المفوض جروبا صاحب النفوذ فى العراق .

إستقال نورى السعيد رئيس الوزراء ورشح بدلا منه رشيد عالى الكيلانى كبير الأمناء ليؤيد بريطانيا فلا يستطيع معارضة نورى السعيد بعد ذلك ، أو يعارض بريطانيا فيبدو رشيد الكيلانى، على حقيقته ، أمام الانجليز ، معاديا لهم !

تولى رشيد عالى الكيلانى رئاسة الوزراء فى ٣١ مارس ١٩٤٠ .

وفى ابريل ١٩٤٠ استولى هتلر على الدانيمرك والنرويج .

وفى مايو زحف على دول الأراضى المنخفضة .

وفى يونيه قهر فرنسا ودخلت إيطاليا الحرب .

وبدأت اتصالات مفتى فلسطين الحاج أمين الحسينى الذى كان مقيما فى بغداد بفون بابن سفير ألمانيا فى انقره .

طلب السفير البريطانى قطع العلاقات مع ألمانيا وإيطاليا وتقديم التسهيلات العسكرية للانجليز فتلقى إجابة مبهمة من الكيلانى !

وأعلن السفير البريطانى ، فى أول سابقة من نوعها فى بغداد ، أن حكومة العراق لاتتمتع بثقة الحكومة البريطانية .

طلب الوصى على العرش والإنجليز إستقالة رشيد عالى الكيلانى . ولكن الجيش رفض ، وهدد بالتدخل .

عرف رشيد عالى الكيلانى أن البرلمان سيقيله فى ٣٠ من يناير ١٩٤١ فطلب من الوصى على العرش حل البرلمان ولكنه رفض ، فاستقال الكيلانى .

أراد الوصى تعيين محمد الصدر رئيس مجلس الشيوخ ولكن الجيش أصر على تعيين طه الهاشمى فعين .

ورغب طه الهاشمى ـ كوزير للدفاع بالإضافة إلى رئاسته للوزارة ـ نقل بعض ضباط مجلس الدفاع الأعلى فرفضوا .

وفى ٢ من ابريل حاصر الجيش بيت رئيس الوزراء فاستقال وفر الوصى ونورى السعيد إلى عمان .

وفى ٣ من ابريل أعلن رئيس الأركان الفريق أمين زكى أن الجيش كلف رشيد عالى الكيلانى بتشكيل حكومة للدفاع الوطنى .

واجتمع البرلمان وقرر ـ بمساعدة الضباط السبعة ـ عزل الوصى ، وتعيين الشريف شرف ، أحد أعضاء الأسرة المالكة وصيا

وفى ابريل ١٩٤١ غزا الألمان يوغوسلافيا واليونان وتقدموا إلى شمال أفريقيا حتى السلوم .

أعلن السفير البريطانى فى ٢٨ ابريل أن ألفى جندى بريطانى سيصلون إلى البصرة من الهند فرفض رشيد عالى الكيلانى . وعلى ذلك قررت بريطانيا التدخل العسكرى ضد حكومة الكيلانى فنزلت قواتها البصرة ، ولكن العراقيين حاصروا القوات البريطانية فى الحبانية وهاجموها بالطائرات العراقية فبدأت الحرب بين العراق وبريطانيا وانتهت بانتصار الانجليز .

هرب رشيد عالى والمفتى والضباط السبعة .

قبض عليهم بعد ذلك متفرقين . مات أحدهم فى السجن وحكم بسجن الثانى وشنق الخمسة الباقون وآخرهم العقيد صلاح الدين الصباغ فى ١٦ أكتوبر ١٩٤٥ .

وهكذا جرت فى العراق ستة انقلابات عسكرية بطرق مختلفة ولأهداف متعددة منذ عام ١٩٣٦ حتى عام ١٩٤١ .

كان الدستور محترما ظاهريا وكان يمكن أن تستمر انقلابات العراق إلى مالانهاية لولا تدخل القوات البريطانية عام ١٩٤١ .

وقد حدث تغيير فى الشركاء أو المشاركين فى الانقلابات لأن كل مجموعة سياسية كانت تعتمد على بعض الضباط الطموحين .

وفى سوريا وقعت ثلاثة انقلابات عسكرية فى سنة واحدة ١٩٤٩ .

فى ٢٧ مارس ٤٩ نشرت مجلة « ألف باء » السورية مقالا أشار كاتبه إلى أن كثيرا من المواطنين يتطلعون إلى الجيش فى هذه الأيام المريرة .

وكان خالد العظم رئيس الوزراء يريد تخفيض ميزانية الجيش الذى كان غاضبا لهزيمته فى حرب فلسطين . كما كان حسنى الزعيم رئيس أركان حرب الجيش على وشك أن يطرد من الخدمة !

وبعد ٣ أيام قام الزعيم حسنى الزعيم بأول انقلاب فى سوريا .

فى كتاب مايلز كوبلاند رجل المخابرات الأمريكية « لعبة الأمم » قال :

« كان انقلاب حسنى الزعيم من إعدادنا وتخطيطنا . فقد أوحى رئيس البعثة الدبلوماسية الأمريكية لحسنى الزعيم فكرة القيام بانقلاب عسكرى ، واضطلعنا ، نحن فى السفارة ، بمهمة وضع خطته وكافة تفصيلاته المعقدة .

كانت تحركاتنا سرية ومتقنة ولم تثر سوى بعض الشكوك عند الساسة السوريين. وعندما بدأت الروائح تفوح منه أخذت الألسن تتناقل هذه الكلمات

ـ حسنى الزعيم صبى من صبيان الأمريكان !

تم الانقلاب فى الثانية والنصف من صباح الأربعاء ٣٠ مارس ١٩٤٩ فتحركت وحدات المشاة والمدرعات من قطنه التى تبعد عشرين ميلا عن دمشق .

ألقت إحدى الوحدات القبض على رئيس الجمهورية شكرى القوتلى فى المستشفى حيث يعالج .

واعتقلت فصيلة أخرى خالد العظم رئيس الوزراء .

وبقيا فى الاعتقال ساعات فحسب .

وحاصرت باقى الوحدات محطة الإذاعة وقيادة الشرطة والأمن العام والتليفونات وقطعت الاتصالات مع العالم الخارجي وقبض على عدد من الوزراء والنواب .

وصدر البيان العسكرى رقم « ١ » بأن الجيش استولى على الحكم للإعداد لإقامة حكم ديمقراطى .

وعقد حسنى الزعيم مؤتمرا صحفيا أعلن فيه أن أسباب الإنقلاب ترجع إلى هجمات مجلس النواب على الجيش وعدم رضاء الشعب عن الحالة فى البلاد . وقال إنها حركة داخلية وسيقيم حكومة مدنية دستورية ويجرى انتخابات .

حل الزعيم مجلس النواب وشكل وزارة برئاسة محسن البرازى .

وفى ١٧ من ابريل تولى حسنى الزعيم رئاسة الوزارة وأصبح ديكتاتورا يعتقل الكثيرين ويحمل لقب مشير وعصا الماريشاليه . وانفرد بكل السلطات التشريعية والتنفيذية حتى تستأنف الحياة النيابية !

حل الأحزاب فى ٢٩ من مايو وأجرى استفتاء فى ٢٥ من يونيه ففاز بالرئاسة لأنه المرشح الوحيد .

وأعلن أن ٩٠٪ من المقيدين بالجداول صوتوا فى الانتخابات وأن ٩٩٪ انتخبوه .

ولم يستطع الجيش السورى التخلص من دوره السياسى .

فى الثالثة من صباح ١٤ من أغسطس بعد أربعة شهور ونصف من حكم حسنى الزعيم ، تحرك العقيد سامى الحناوى ، وقائد اللواء الأول ، بقواته من قطنه ليحاصر مقر حسنى الزعيم ويعتقله وكذلك محسن البرازى رئيس الوزراء ونقلا فى مصفحة إلى سجن المزة ليحاكما أمام محكمة عسكرية برئاسة سامى الحناوى بتهمة الخيانة وتبديد أموال الدولة والحنث بالعهود التى قطعاها .

حكم عليهما بالإعدام رميا بالرصاص ونفذ الحكم فورا بإطلاق ١٧٦ رصاصة على حسنى الزعيم . ودفن الاثنان !

ولم يسلم جثمان حسنى الزعيم لأهله إلا بعد ٤ شهور وعشرين يوما .

أذيع بيان الانقلاب الأول فى السابعة صباحا وفيه يقسم الجيش ، أمام الله ، والتاريخ ، بأنه سيترك حكم البلاد فى الوقت المناسب للزعماء المدنيين .

وصدرت فى ذلك اليوم ٦ بلاغات عسكرية .

أعلن الحناوى ابتعاد الجيش عن السياسة ودعا السياسى المحنك هاشم الاتاسى لتولى رئاسة الوزارة فى اليوم التالى للانقلاب . وقال إن مهمة الجيش ستقتصر على حفظ الأمن .

أدخل الحناوى تقليدا جديدا فى الانقلابات العسكرية السورية وهو تشكيل لجنة عسكرية لإجراء انتخابات . وكان هناك وزير واحد عسكرى .

أسفرت الانتخابات عن جمعية تأسيسية تؤيد الوحدة مع العراق قررت أن يؤدى رئيس الجمهورية يمين هذه الوحدة . ولم يكن الجيش مؤيداً لها .

قام العقيد أديب الشيشيكلى قائد اللواء الأول بانقلاب يوم ١٨ من ديسمبر فاعتقل الحناوى ثم افرج عنه وقد قتل الحناوى بعد ذلك برصاصة فى شوارع بيروت فى ٣٠ من اكتوبر ١٩٥٠ .

وكرر الشيشيكلى البيانات التقليدية بأن الجيش اضطر للتدخل للمحافظة على نظام الحكم الجمهورى ووضع حد لمؤامرات رئيس الأركان العامة وبعض السياسيين المحترفين الذين هددوا سلامة الجيش وبنيان الدولة .

وكان هدف الانقلاب منع الوحدة مع العراق .

اكتفى الشيشيكلى بأن يكون نائبا لرئيس الأركان . وفرض الحكومة التى اختارها برئاسة خالد العظم .

وأصبحت الوزارة المدنية تحكم ولكن السيادة الفعلية أصبحت فى يد الجيش .

وكان أديب الشيشيكلى موهوبا فى الدسائس والمؤامرات ولذلك فضل أن يترك السياسيين يحكمون ويتصارعون منذرا إياهم بتدخل الجيش .

وبقى وراء الستار عامى ٥٠و١٩٥١ حتى قام بانقلابه الثانى فى ٢٩ نوفمبر ١٩٥١ فاستقال رئيس الجمهورية وحل البرلمان وألغى الأحزاب وأنشأ الشيشيكلى حركة التحرير أو حزب التحرير العربى الذى خاض الانتخابات .

وفى مارس ١٩٥٢ طرد المجلس الثقافى البريطانى والمعاهد الثقافية الفرنسية والأمريكية وخفض عدد المكاتب الإعلامية الأجنبية . وأصبحت التجارة الخارجية ، بعد ذلك ، فى يد السوريين وحدهم ..

وأصبح الشيشيكلى رئيسا للجمهورية فى ٧ يوليه ١٩٥٣ بعد استفتاء كان المرشح الوحيد فيه . وظل فى الحكم حتى فبراير ١٩٥٤ عندما غادر سوريا هربا من انقلاب عسكرى جديد !

* * *

كان أهم ما حققه انقلاب حسنى الزعيم إلغاء الألقاب مثل بك وباشا . وإلغاء الأوقاف والحكم المباشر بواسطة قائد الانقلاب ، ثم الحصول على ٩٩٪ من الأصوات فى انتخابات الرئاسة !

وكان أهم ما حققه انقلاب سامى الحناوى أنه ترك الحكم لوزارة مدنية وبقى الجيش يحكم من وراء ستار . وهو نفس ما فعله أديب الشيشيكلى الذى ارتضى بأن يكون نائبا لرئيس الأركان فحسب وظل نحو عامين فى هذا المنصب ثم أنشأ حزب التحرير وكان المرشح الوحيد لرئاسة الجمهورية ففاز فى استفتاء عام .

* * *

أفاد جمال عبد الناصر من تجربة الجيش السورى فى الانقلابات وأيضا لمنع الانقلابات المضادة .

وكان السبب فى ذلك أن جمال عبد الناصر كان من بين القوات المصرية المحاصرة فى الفالوجة التى يقودها الاميرالاى ـ العميد ـ سيد طه .. لمدة ١٣٠ يوما .

وقع اتفاق الهدنة بين مصر وإسرائيل يوم ١٤ فبراير ١٩٤٩ فتقرر رفع الحصار والسماح بعودة القوات المحاصرة إلى مصر .

وقد وصلت طلائع هذه القوات إلى القاهرة فى ٥ مارس واستعرضها الملك فاروق فى قصر عابدين يوم ١٠ مارس . وقام حسنى الزعيم بانقلابه بعد ١٩ يوما .

* * *

فى كل الانقلابات العالمية والعربية توجد ملامح كلاسيكية تقليدية معروفة .

ولابد فى أى انقلاب من أربعة عناصر هى :

* الحافز .

* الفرصة .

* الوسيلة .

* التنفيذ .

إن الانقلاب العسكرى لايحدث فجأة ، بل لابد من قوة دافعة ـ حافز ـ وراء الرجال الذين يغامرون بأرواحهم للدفاع عن الجيش كطبقة أو كمؤسسة ، أو لتغيير الحكومة أو نظام الحكم كله انتقاما لإذلال الجيش واستعادة كرامته ، أو لأن الجيش يحتقر المدنيين ويرى أنهم ـ أى المدنيين ـ لايفهمون عظمة المثل العليا التى يحارب من أجلها الجيش ولذلك ينبغى أن تسند إليهم المهمة الوحيدة التى يجيدونها وهى العمل والطاعة !

والعسكريون يخشون ـ عادة ـ التدخل ، لأنهم ، إذا فشلوا ، ستنتهى حياتهم وربما ينتهى الجيش نفسه ، خاصة إذا كان قد هزم ، قبل ذلك ، فى معركة . ولكن الحرب تدعم نفوذ العسكريين وتمنحهم فرصة التدخل .

ولاتحدث الانقلابات فجأة بل ينبغى توفر عاملين : الحافز والفرصة وتشعلهما رغبة . وتتوفر لها الوسيلة .

فلابد من توافر الفرصة المناسبة ، التى تكفل النجاح للانقلاب . أو الفرصة التى يخلقها القائمون بالانقلاب .

وهناك الظروف الداخلية ، فبعض الحكومات تعتمد على الجيش كقوة بوليس .

ومن الظروف الداخلية استعمال العنف من قبل القوى السياسية المتصارعة فيتدخل الجيش .

وهناك الأزمات المزمنة .. عندما تكون هناك أقلية سياسية أو اجتماعية تكره حكما ولكنها لاتستطيع تغييره بالوسائل الدستورية فتلجأ إلى الجيش تحثه على التدخل .

ومن الظروف الداخلية أيضا فراغ السلطة ، عندما لاتوجد قوة سياسية ويوجد رأى عام قليل أو لايوجد رأى عام على الاطلاق .

ومن الظروف شعبية العسكريين ، وهذه الشعبية متقلبة ومتذبذبة مع الوقت والظروف . تقوى عندما تهبط شعبية المدنيين لعدم الكفاءة والفساد والمؤامرات السياسية .

وعندما يلمس العسكريون سوء إدارة المدنيين فإنهم يجدونها أفضل فرصة للتدخل إذ يعتمد الشعب على الجيش .. فى الخلاص .

* * *

ومن حوافز الانقلاب أن يكون له باعث أخلاقى ، أو رسالة لإنقاذ البلاد من نفسها، أو من الانهيار ، أو من تفاهة السياسيين ، عندما ينتشر احساس عام بالمرارة .

والا نقلاب ليس مجرد مناورة عسكرية فحسب بل هو عمل سياسى ينفذه عسكريون أو ينفذ باستعمال القوة المسلحة ولذلك لابد أن يتحسس النبض السياسى للشعب .

والانقلاب ليس ثورة وليس حرب عصابات . ولا هو مجرد تمرد بسيط فى القوات المسلحة إنه عملية واحدة سريعة ، عنيفة ، محددة ، دقيقة ، هدفها تغيير الحكام وإبدالهم بآخرين يعينهم الانقلاب ، فى ظل النظام القائم أو تغيير هذا النظام .

إن العسكريين الكبار ، قائد الجيش ، ورئيس الأركان ينبغى أن يكونوا جزءا من الانقلاب وإلا فلا يجب السماح لهم بعرقلته .

وسلاح الطيران أو البحرية لاتستطيع إلا أن تقدم تأييدا محدودا للانقلاب .. فهى تستطيع القيام بعملية تدمير جماعى ولاتقدر على القيام بعملية جراحية محددة .

ولابد من المحافظة على وحدة القوات المسلحة فى كل الأحوال . فمما يساعد الانقلاب تضامن العسكريين وعدم رغبة الوحدات فى إطلاق النار على بعضها . فإن الجيش يتعلم أن يحارب جيشا آخر ، لا أن يحارب بعضه بعضا .

والوحدات غير الملتزمة أو غير المتضامنة مع الانقلابيين ، تتبع نظرية الصبر والترقب قبل أن تتخذ موقفا ، ومادامت لم تتخذ موقفا فإنها تعطى تأييدا سلبيا للانقلاب !

ومن الأفضل أن يكون قائد الانقلاب ضابطا برتبة مقدم أو أكبر درس فى كلية أركان الحرب ، أو يكون قائد كتيبة على الأقل فى الخدمة العسكرية يحترمه الضباط الصغار ويثقون به .

واختيار القائد عملية هامة إذ لابد أن يكون محبذا للانقلاب ، وآراؤه السياسية معروفة ، وغير مرتبطة بنظام الحكم القائم ويحس بالواجب .

* * *

فى كتابه « الانقلاب » حدد جريجور فيرجسون القواعد التى تتم على أساسها وبمقتضاها الانقلابات العسكرية وبدونها لايتحقق النجاح .

وهذا الكتاب يعتبر دليلا للانقلابات أشبه بدليل السكك الحديدية والطيران ففيه جدول بمواعيد الانقلابات وأولويات كل عملية فيها .

أول درس فى دستور الانقلاب ـ فى رأيه ـ السرعة وتحديد من سيؤيد الانقلاب ، ومن سيعارضه بحيث لاتترك فرصة للمخلصين للنظام القديم القيام برد فعل مضاد وبحيث يتعذر عليهم الاتصال بقواتهم وأنصارهم .

إن السياسة فن الممكن وكذلك الانقلاب .

وبدون تحديد الأصدقاء والخصوم ، الحلفاء والأعداء ، يصعب تحديد الممكن وتحقيقه . ومن المهم أيضا تحديد من يحيدهم الانقلاب حتى يتم الاستيلاء على الحكم.

ويجب لمن يقوم بالانقلاب أن يجد الرجال الصالحين معه عند وضع الخطة ، أو فى البداية ، عند التنفيذ.

وإذا أغضب الانقلاب الطبقة المتوسطة يجب أن يضمن ولاء الطبقة العاملة إذا كانت منظمة فى نقابات واتحادات قوية .

إن هدف الانقلاب الاول البشر . ولذلك فالمطلوب معلومات عن تحركاتهم ومحال إقامتهم ولايجب الثقة بأنهم سينبعون روتين حياتهم وسيكونون فى مكان معين فى ساعة معينة . بل ينبغى معرفة مدى الدراسة حولهم ، ومتى يمكن صيدهم بسهولة، وتحديد كفاءتهم فى التحرك بسرعة لاتخاذ قرار حاسم

وفى كل هذه الأحوال لابد من إبعاد الحرس الخاص للملك أو الرئيس والأسلحة الثقيلة التى يملكها .

والدرس الثانى تحديد الهدف أى إبعاد القوى التى تستطيع مقاومة الانقلاب ومنعها من التجمع .

والدرس الثالث التوقيت أى القيام بكل هذه العمليات فى وقت واحد .

وأخيرا المعلومات أو المخابرات . اى ماهى الأهداف ، وأين توجد ، ومدى قوتها ، وكيف يمكن الاستيلاء عليها بأقل جهد ، والتوقيت المناسب لذلك .

فشل انقلاب فى الأرجنتين عام ١٩٥٥ بسبب عشر دقائق .. تلقى خلالها بيرون تحذيرا بأن هجوما قويا سيقع مما دعاه للاختباء وطلب نجدة من القوات الموالية .

وكان مقررا أن يبدأ الا نقلاب بغارة جوية على قصر الرئاسة حيث يوجد جوان بيرون .

ولابد أن يعرف قادة الانقلاب أين يوجد رئيس الدولة .

ومن الأفضل القيام بانقلاب ورئيس الدولة في الخارج أو القبض عليه وعلى أعوانه الأقوياء الأساسيين إذا كانوا في الداخل .

وكقاعدة عامة يجب ترك رئيس الدولة إذا كان بلا سلطة تنفيذية ومحاولة استمالته للانقلاب وبعد ذلك يمكن اقناع باقى الشعب

والخطوة التالية مباشرة ضمان الاستيلاء على الوزارات الأساسية ومحطة الإذاعة والتليفزيون، ومناطق كثيرة فى العاصمة ، يتركز فيها جهاز الحكم وقطع الاتصالات الأساسية ، وإغلاق الموانى والمطارات لمنع وصول المساعدة الأجنبية

إن الامتلاك هو تسعة أعشار القانون ، فالاستيلاء على بعض الوزارات الهامة يعطى احتراما وشرعية وقيمة أخلاقية للعملية فهذه المبانى تمثل قيمة رمزية واستراتيجية وفيها وسائل الاتصال . وهى عصب القوات المسلحة وتتخذ فيها كل القرارات وتتركز فيها كل المعلومات التى تؤدى إلى اصدار القرارات وتجعل الانقلاب يستمر ويستقر

وهناك نقطة عامة وهى تحالف النظام القائم مع القوى الأجنبية . إن أية حركة لقلب الحكومة يجب أن تعرف رد فعل القوى الاجنبية المساندة لهذه الحكومة . كما حدث عند تغيير الحكومة الشيوعية فى تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ فقد أعقبها تدخل الاتحاد السوفييتى .

وتكرر ذلك فى عام ١٩٨٣ عند تغيير الحكومة فى جرينادا فقد تدخلت الولايات المتحدة عسكريا.

وبعد ذلك توجد أهداف ثانوية وهى اتحادات ونقابات العمال والسياسيين المعادين.

وهناك الشخصيات السياسية الثانوية فى الأقاليم .

وهناك رجال الأعمال الذين يطبقون مبدأ « انتظر حتى ترى ».

وهناك الطلبة .

وهناك أحزاب المعارضة الجائعة للسلطة والتى لايهمها الدستور .

أما عن وسيلة الانقلاب فلابد من توفر القوة لتحقيق هذه الأهداف .

وثانيا وسائل الاتصال والتنظيمات للقيام بكل هذه العمليات بضربة واحدة .

وأخيرا الإعلام بحيث لايسمع الشعب إلا ما يريد الانقلابيون منهم أن يسمعوه .. وتقديم الانقلاب لهم باعتباره عملا تحقق فعلا حتى لو كانت هناك جيوب للمقاومة بحيث تضعف الروح المعنوية للخصوم .

وجهاز الإعلام ـ الإذاعة والتليفزيون والصحف ـ تمثل نصف المعركة فالشعب يتابع الأنباء عن طريقها والصحف ، ولذلك يجب الاستيلاء عليها قبل الآخرين حتى لايوجهوا منها نداء للشعب بطلب المساعدة .

ومن الأفضل القيام بالانقلاب بعد صدور الطبعة الأولى من الصحف .

وفى بلد مثل أمريكا توجد فيه مئات الصحف ومحطات الإذاعة المحلية لابد من جيش كامل للاستيلاء على أجهزة الاعلام !

ولابد من الإحاطة بنظام الحراسة على المبانى العامة .

وبالنسبة للإذاعة والتليفزيون ، بعض الدول لها أكثر من محطة إذاعة وتليفزيون واستديوهات فى مناطق متفرقة يصعب الاستيلاء عليها جميعا ولذلك لابد من تحديد أفضل وقت للاستيلاء عليها .

والليل هو أفضل الأوقات فالإرسال معطل ولايحتاج الأمر لتغيير البرامج الإذاعية لإعلان بيان الانقلاب فإن تغيير البرامج فجأة يثير الشكوك

والليل أفضل توقيت أيضا لأن أغلبية الشعب نائمة . والشوارع مهجورة أو خالية ، الرجال فى المبانى العامة والحراس قليلون . ولا توجد حالة طوارئ .

ويمكن القيام بانقلاب دون إطلاق عيار نارى واحد .

* * *

فى انقلاب شيلى ضابط و ٣ مهندسون تليفون قطعوا الخطوط التليفونية عن ١٨٠٠ من الأتباع المخلصين للنظام القائم .

وفى بعض الانقلابات قاوم الشعب الدبابات بأيد عارية لاتحمل سلاحا ويجب أن يعرف هؤلاء أن الانقلاب مستعد لمواجهتهم باستخدام الدبابات والرصاص فعلا . وعندئذ يخضع ، حتما ، الشعب والقوات الموالية للحاكم .

وفى أول مراحل الانقلاب يكون هناك اضطراب . لا أحد يعرف ماذا يجرى بل يوجد سخط على

الحكومة القائمة ولكن لايغامر أحد بتحطيم مستقبله ومعارضة الحركة .

وكل انقلاب له رجاله وخصائصه وظروفه .

انقلاب البرازيل عام ١٩٣٠ قام به صغار الضباط .

وانقلاب الأرجنتين الأول عام ١٩٤٣ قام به الضباط الذين لم يكن لهم مكان فى المجتمع ولم يكونوا بين الطبقة الحاكمة .

فى عام ١٩٤٤ فى الأرجنتين كان الرئيس راميريز قد قرر ألا ترتبط بلاده بالمحور - ألمانيا - إيطاليا - اليابان . ولم يعجب ذلك نائب الرئيس وبعض الضباط فاقتحموا قصر الرئاسة وأرغموه بمسدس على التنازل لصالح نائبه .

وهذا سهل جدا فى بلد تتركز فيه السلطة فى رجل واحد .

وفى الدول المتقدمة سياسيا يلقى الانقلاب العسكرى عداء من المجتمع ككل مما يهدم الانقلاب فورا .

وفى الدول ذات الثقافة السياسية المحدودة والمنظمات المدنية ضعيفة ، فإن ذلك يشجع العسكريين على التدخل .. فالضعف المدنى يغرى العسكريين إما باجراء انتخابات ، أو دخول الحلبة السياسية كحزب سياسى .

وفى الدول الأخرى فإن الرأى العام إذا لم يعد يثق بالمنظمات القائمة أو لأن هذه التنظيمات وصلت إلى طريق مسدود يصبح التغيير بالطريق الدستورى مستحيلا .

وفي هذه الحالة يصبح الجيش مقبولا ، لا للمبادئ التي يعلنها أو يضمرها ، بل لما يقف ضده الجيش ، أى لما يعاديه الجيش .

وفى الدول التى يتدخل فيها الجيش كثيرا أو له ماض فى التدخل ، فإن أهداف الجيش تصبح معروفة مثل اسبانيا عامى ٢٣ و ٣٦ وفنزويلا عام ٤٨ .

وفى الأرجنتين وقع الانقلاب الأول فأجرى انتخابات عام ١٩٣٠ فإن الشعب فقد ثقته فى النظام نتيجة الأزمات الاقتصادية والفساد والمحسوبية .

وكان الحزب الراديكالى الحاكم قد وصل إلى الحكم بانتخابات حرة عام ١٩١٦،وبقى فى السلطة حتى عام ٣٠ ولذلك عندما قام الجنرال أوبيورد بانقلابه رحب به الشعب وألقت مدينة بوينس ايريس الزهور على موكب الجيش ثم فقد الجنرال شعبيته لأنه كان يزور الانتخابات ويحكم فى ظل قانون الطوارئ فقام الجيش بانقلابه عام ١٩٤٣ فخلع كاستيللو ووضع مكانه جنرالا آخر هو الجنرال روسوت فحكم الجيش مباشرة عاما ونصف . ثم استبدله بالجنرال ريميزير فهتف الناس تحيا الحرية ، تحيا الديمقراطية !

ولم يكن فى نية الجنرال ريميزير اجراء انتخابات فعارضته الصحافة والجامعات والنقابات .

وكلما زاد النظام عسفا زادت الكراهية له .

وفى عام ٤٥ وجه رجال الصناعة ومربو الماشية والتجار بيانا مباشرا ضد نائب الرئيس جوان بيرون فى الأرجنتين لأنه مع العمال فبدأ العسكريون يستسلمون وألغى قانون الطوارئ فى

أغسطس وقامت مظاهرات كل الأحزاب وكانت المواكب تطالب بالدستور والحرية .

وحاولت الأحزاب اعتقال بيرون ففشلت وقامت مظاهرات مؤيدة لبيرون

ولم يكن هناك بديل له . واضطر الجيش لإجراء الانتخابات ففاز بيرون .

وفى البرازيل كان صغار الضباط هم الذين نظموا الانقلاب فى العشرينيات وهم الذين جاءوا بفرجاس إلى الحكم عام ١٩٣٠ ضد ضباط سان باولو .

وبعض الديكتاتوريين الذين تولوا السلطة فى دول أمريكا اللاتينية استقالوا من الجيش واستعانوا بالنقابات العمالية مثل بيرون فى الأرجنتين ، وفرجاس فى البرازيل ، وبنيلا فى كولومبيا

وفى عام ١٩٤٥ فى البرازيل أرادت بعض قطاعات الجيش أيضا التخلص من فرجاس لسياسته المؤيدة للعمال وجعلوه يستقيل !

وأحيانا تكون للجيش مصلحة إقليمية .

الجيش اليوغوسلافى هو الذى جعل الملك الكسندر يلغى الدستور عام ٢٩

وكان ١٦١ من الـ ١٦٥ جنرالا من منطقة الصرب .

.. وعلى أية حال ففى كل مرة تدخل فيها الجيش أعلن أن تدخله عملية مؤقتة !

وإذا طبقت هذه النظريات ، أو القواعد الأساسية لنجاح أى انقلاب ، على حركة الضباط الأحرار فى مصر نجد أنها استوفت كل الشروط كما لو أن قادة الحركة فحصوا كل شرط وطبقوه بالتفصيل وحرفيا .

كان النظام القديم يموت .

وكان الضباط الأحرار يمثلون احدى القوى التى ترى أنها جديرة بميراث العهد ، وزاد لديها ـ أى لدى الجيش ـ الاحساس بالقوة والشعور بالأهمية .

وهم يستطيعون التحرك بسرعة وقد نجحوا فى اختيار ضباط من عدد من الوحدات، يعتمد عليهم لإقناع الباقين أو منعهم من التحرك . أما القوى الأخرى فلا تستطيع الحركة إلا من خلال الجموع الحاشدة .

ولكنهم ـ الضباط الأحرار ـ لايستطيعون الاستعانة بالجيش كله وإلا فقدوا السرية.

والأساس فى أية حركة للجيش ، المفاجأة ، وتحييد أغلب الجيش حتى يتم الاستيلاء على وسائل الاتصال .

والجيش لديه ميزات سياسية تفوق تلك التى للمنظمات أو التنظيمات أو الهيئات المدنية .. إنه الهيئة الوحيدة المنظمة ، والمتضامنة ، أو هى أكثر الهيئات تنظيما فى الدولة. وقد تفوق فى التنظيم واحتكار السلاح

وفى رأيه أن المدنيين لايفهمون عظمة المثل العليا التى يحارب من أجلها الجيش .

وقد أذل هذا الجيش من الملك والحكومات والقيادات وأصبح غاضبا لديه الحافز للتدخل وعنده الإرادة وهو يسأل نفسه .. لماذا لايتحرك

وجاءت الفرصة والتوقيت المناسب تماما .

الملك فى الاسكندرية يلهو بلعبة تغيير الوزارات . ووزارة الهلالى لم تستقر فى الحكم سوى ٧ ساعات ، وهى وزارة لا حزب يناصرها ، وليس لها تأييد شعبى .

ووزير الحربية الجديد لم يسبق له أن تولى منصبا وزاريا أو منصبا حكوميا وكل أصدقائه من كبار الضباط فى الاسكندرية وهو - إسماعيل شبرين - لايعرف شيئا عما يجرى داخل الجيش ، ولم يتصل بأى من الضباط الشبان . قط . ولم يخدم فى وحدات الجيش .

والفريق محمد حيدر باشا قائد الجيش فى الاسكندرية ايضا ، وكان قد ضاق بفاروق منذ جرت انتخابات نادى الضباط وأعرب سرا عن رغبته فى الاستقالة ولكن الملك لم يبت فيها . ومن هنا فإن حيدر باشا كان متثاقلا فى القيام بعمل ضد تحركات الضباط الأحرار .

وزعماء الأحزاب فى الخارج

.. مصطفى النحاس زعيم حزب الوفد سافر يوم ١٤ من يوليه ، وتبعه - بعد أربعة أيام - فؤاد سراج الدين سكرتير عام الحزب

الدكتور محمد حسين هيكل زعيم حزب الأحرار الدستوريين غادر مصر يوم ٢٠ من يوليه للاصطياف فى أوربا مما يدل على أنه لا دور لهؤلاء الزعماء الثلاثة فى الانقلاب

وظلت الأحزاب تتبادل الاتهامات حتى اللحظة الأخيرة .

بعد سفر النحاس قال إبراهيم دسوقى أباظة باشا سكرتير عام حزب الأحرار الدستوريين منتقدا زعيم الوفد :

« هؤلاء الناس لا يفكرون إلا فى الصغائر ، أو بتعبير أصح لايفكرون إلا فى الكبائر لأنهم لايحملون إلا بكرس الحكم . إنما نحن معشر الأحرار لا نعمل إلا لوطننا » !

وإبراهيم عبد الهادى باشا رئيس الحزب السعدى فى الإسكندرية تحيط به حراسة قوية خوفا من اغتياله بواسطة الإخوان المسلمين بعد عمليات الاعتقال والتعذيب التى قام بها رجال الشرطة عندما كان رئيسا للوزراء ووزيرا للداخلية قبل ثلاث سنوات .

وقادة مصر الفتاة والأحزاب والجماعات اليسارية الصغيرة ضد فاروق وكذلك زعماء الإخوان المسلمين . حاقدون على فاروق .

لقد أقال النحاس بعد حريق القاهرة .

وغضب على زعماء المعارضة لأنهم قدموا إليه عريضة يشكون فيها من الفساد .

والبرلمان معطل .. حل الملك مجلس النواب ولم يحدد موعدا للانتخابات . ولا يستطيع مجلس الشيوخ الاجتماع فى غياب مجلس النواب . ولذلك فإن البرلمان لايمكن أن ينعقد للدفاع عن الدستور عند وقوع انقلاب .

والجامعات والمدارس فى عطلتها الصيفية السنوية ولاتوجد تنظيمات طلابية قوية تدعوهم ليتظاهروا ضد الجيش بفرض أنهم يرغبون فى التظاهر لحماية النظام القائم ضد انقلاب عسكرى.

والصحف تصدر من القاهرة ويمكن إحكام الرقابة عليها .

والتليفزيون لم يوجد بعد فى مصر .

والإذاعة تتوقف برامجها عند منتصف الليل .

ولايوجد مناخ مناسب أو ظروف أفضل للقيام بانقلاب وذلك فى ظل قاعدة معروفة وهى أن الجيش عادة متضامن ، لايطلق النار على أخيه ، ويتحد وراء الحكومة العسكرية .

وعبر العصور كان لكل انقلاب أسبابه ، وظروفه التى أدت إلى نجاحه .

عندما انتصر الجيش التركى على اليونانيين ودخل مدينة سميرنا فاتحا وألقى باليونانيين فى البحر ، لم يجد الجيش اليونانى حلا أمامه إلا الانتقام من أولئك الذين قادوه إلى الهزيمة وذلك بانقلاب عسكرى على المدنيين .

كون رجال الجيش اليونانى لجنة ثورية وأرغموا الملك على اعتزال العرش وحاكموا الوزراء وأعدموا ٦ جنرالات لأنهم ضحوا بالأهداف العسكرية !

وعندما هزم الجيش الأسبانى فى حرب الريف أمام المغاربة عام ١٩٢٣ لم يلم الجيش نفسه بل لام المدنيين لخيانتهم تطبيقا لنظرية فى علم النفس تقول بالتعويض فى مجال آخر .

إن الجيش الأسبانى رأى أنه إذا لم يهزم المدنيين ، ويتحول من مجرد قوة بوليسية للسلطة الحاكمة ، أن يتولى ـ بنفسه ـ الحكم فقام بريمودى ريفيرا بانقلاب جعله ديكتاتورا .

وماحدث فى اليونان وأسبانيا وقع ـ تقريبا ـ فى مصر .

إن الجيش المصرى رأى أن القيادة المدنية فى القاهرة والقيادات العسكرية داخل الجيش هى المسئولة عن هزيمته فى فلسطين . لقد حارب مرة واحدة ، وهزم .

إن شباب الضباط رأوا أنهم ، وحدهم ، يستطيعون تحديد احتياجات الجيش ومطالبه فهم الذين يعرفون مدى حاجة الجيش إلى المال والأفراد والسلاح .

ورفضوا أن يظل الجيش فى يد الحكومة ضد خصومها .

إن كل الضباط الشبان من الطبقة الاجتماعية المتوسطة يشتعلون وطنية ضد أولئك الذين يتحكمون فى أسرهم من الفلاحين .

ووجدوا أنه يمكنهم وحدهم الدفاع عن المصلحة الوطنية وانقاذ الأمة .

الجيش المحظوظ

أجمعت كل المصادر على أن المقدم يوسف صديق أخطأ إذ ظن أن موعد الانقلاب هو الساعة الثانية عشرة أى منتصف الليل تماما بدلا من الواحدة بعد منتصف الليل وبذلك تحرك قبل الموعد المحدد بساعة كاملة .

وهذه الساعة أسقطت فاروق عن عرشه .

قال جمال عبد الناصر إنه بعث النقيب زغلول عبد الرحمن إلى يوسف صديق ليبلغه بأن موعد التحرك هو الساعة الواحدة صباحا .

وكان الخطأ من جانب زغلول عبد الرحمن الذى قال إن الموعد هو منتصف الليل !

وترددت قصة أخرى بأن يوسف صديق أخطأ فى سماع الموعد .

وقصة ثالثة ترجع إلى مرض يوسف صديق . فقد أصيب بتسوس فى العمود الفقرى وظل ١٨ شهرا يرتدى جاكتة من الجبس . ثم أصيب بسل الرئة ، وينزف صدره بين الحين والآخر ، وقد نزف مرتين ليلة الثورة كما أصيب بتلبك معوى .

وقد أراد أن يتحرك مبكرا للحاق بإحدى الصيدليات المفتوحة ليأخذ الحقنة المعتادة التى توقف النزيف .. وهذا هو السبب فى أنه بكر بالموعد ساعة كاملة .

وقصة رابعة وهى أن عبد الناصر أوفد إليه النقيب زغلول عبد الرحمن مرة أخرى يطلب منه التحرك برجاله مبكرا بعد أن عرف نبأ افشاء سر الحركة للملك فقد رأى أن العجلة دارت ولن تتوقف . وقد رفض عبد الناصر التراجع أو الهرب .

وربما يكون الأقرب للواقع أن يوسف صديق تحرك مبكرا عن عمد وإصرار بعد إذاعة السر ليضع الجميع أمام الأمر الواقع ، الملك والثوار [١] وكان ضروريا لنجاح الثورة مافعله يوسف صديق.. فإن الثورة كانت سعيدة الحظ فى تلك الليلة .. ليلة ٢٣ يوليه ١٩٥٢ .

* * *

وقد قيل إن كثرة أخطاء يوسف صديق فى تلك الليلة ، بعد خطأ الموعد هى من أسباب نجاح الثورة .

كان يوسف صديق فى الثانية والأربعين من عمره . ولد فى زاوية المصلوب ـ مركز الواسطى ـ بمحافظة بنى سويف .

تخرج من الكلية الحربية عام ١٩٣٠ ، قبل عبد الناصر بثمانى سنوات .

وكان ماركسيا .

اشترك فى الحرب العالمية الثانية فى الصحراء الغربية .

وفى فلسطين كضابط مشاة كان له دور فى معركة أسدود .

وقد تعرف أثناء ذلك بالضابط وحيد رمضان الذى ضمه للضباط الأحرار عام ١٩٥١ ، وقدمه إلى جمال عبد الناصر .

لم يكن الضباط النوبتجى للكتيبة ١٣ مشاة نائما فى المعسكر فرأى يوسف صديق استغلال ذلك الترتيب لمصلحة الحركة وقاد مقدمة الكتيبة مدافع ماكينة .

تحرك يوسف صديق بمقدمة الكتيبة الأولى « مدافع ماكينة » من هاكستيب ولم يكن معهم غير البنادق ، ومائة طلقة لكل جندى ، وبعض الرشاشات .

ولم يكن مع يوسف صديق سوى ضابطين برتبة النقيب و ٣ لوارى تقل قواته !

فى مذكراته قال يوسف صديق

« استطعت بقوة صغيرة ، أن أقوم بدور فى ثورة ٢٣ يوليو .

تحركت على رأس هذه القوة منتصف ليل ٢٣ يوليو فقابلت فى طريقى من معسكر هاكستب قائد فرقة المشاة العسكرية اللواء عبد الرحمن مكى وأخذته أسيرا » .

ولو أن يوسف صديق تأخر بضع دقائق لدخل مكى باشا المعسكر وسيطر عليه وتغير مصير الثورة .

أخطأ يوسف صديق للمرة الثانية بعد خطأ الموعد .

وضع القائد فى عربته وعليها علمه وسار فى الموكب فلما التقى بالقائد الثانى فى مدخل مصر الجديدة العميد عبد الرءوف عابدين استوقفه وفتح له اللواء مكى العربة فدخل وهو يظن الأمر عاديا أن يستقل السيارة مع قائده دون أن يدرى أن هذا القائد معتقل وأنه تحت الحراسة !

وارتكب يوسف صديق الخطأ الثالث .

اتجه إلى شارع جانبى بدلا من الطريق الطبيعى ليجد جنوده يلتفون حول رجلين يريدان استطلاع أمر هذا الطابور العسكرى المتحرك وفيه قائدان وعلى سيارتهما علم القيادة .

ويتبين أن الضابطين هما جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر اللذين شرحا له أن أمر الانقلاب قد افتضح وعرفت به قيادة الجيش وأن اللواء حسين فريد رئيس الأركان مجتمع فى مكتبه بالقيادات العسكرية التى ستتوجه إلى وحداتها بعد ذلك .

طلبا من يوسف صديق أن يتوجه بقوته إلى مبنى القيادة واقتحامها والقبض على كل القيادات .

وكان محمد نجيب قد علم بالاجتماع من شقيقة اللواء على نجيب قائد قسم القاهرة فأبلغ عبد الحكيم عامر .

ويلعب الحظ دوره وتفيد الثورة من أخطاء الجميع !

الفريق حسين فريد يعرف أمر الحركة من العميد أحمد كامل قائد بوليس القصور الملكية فى الاسكندرية فى التاسعة مساء فيتوجه إلى مكتبه ومنه يستدعى قادة الجيش إلى ميدان قصر عابدين وهو يظنه مكانا لتجمع الانقلاب تكرارا لما حدث من عرابى . ولكن لم يحضر أحد فيعود حسين

فريد إلى قيادة الجيش ويتجه القادة إلى قواتهم بعد أن تحرك الثوار وسيطروا على الوحدات ويتلقفون القواد القادمين متأخرين أسرى ومعتقلين .

مقر قيادة الجيش كان يحرسه سبعة جنود فقط مع كل منهم ٥ طلقات !

وفى اللحظة الأخيرة فطن الضابط المنوب فى القيادة لذلك فطلب مجموعات لحراسة المبنى .

ولكن مرة أخرى يتدخل الحظ فتوقف كل مجموعة بواسطة الضباط الأحرار ، لسبب أو لآخر ، قبل وصولها إلى رئاسة الجيش ، ويجرد بعضها من سلاحه ، وينضم الآخر للثوار .

* * *

قسم يوسف صديق جنوده الستين ، بعضهم يراقب الطريق وبعضهم يقف عند مقر القيادة ليمنع قوة قادمة لمقاومة الثورة . وبعشرين جنديا اقتحم مبنى رئاسة الجيش ليقبض على الفريق حسين فريد رئيس أركان الجيش المصرى ومن معه . ويستولى على مبنى الرئاسة ، ويرسل المعتقلين إلى سجن الكلية الحربية الذى خصص فى تلك الساعات للذين اعتقلهم قادة الانقلاب ، إن رئيس الأركان والقادة كانوا فى مصيدة !

فى كتابه « كلمتى للتاريخ » وصف محمد نجيب وصوله إلى مقر القيادة فقال

« لم أجد حسين فريد فى مكتبه ، وإنما وجدت ضباط الثورة ينصتون - وقوفا - للبكباشى يوسف صديق الذى كانت قواته القادمة من هاكستيب فى ضواحى القاهرة البعيدة هى أول قوات تحتل القيادة ، وتعتقل اللواء حسين فريد » .

وقال البكباشى جلال ندا ، وهو من أوائل الضباط الذين قاوموا الملك فاروق ونحدوه بعد نجاح الحركة - إنه وجد يوسف صديق يجلس على مقعد الفريق حسين فريد فاستقبله قائلا :

- أنا النهاردة أمبراطور مصر .

وهذا كله يبين أهمية دوره فى نجاح الانقلاب واحساسه بذلك مما أثار مخاوف جمال عبد الناصر من منافسته ولذلك لم يستمر يوسف صديق طويلا فى مجلس الثورة فأبعد فى ديسمبر لهذا السبب ولأنه شيوعى

وقد تعقبه جمال عبد الناصر بعد ذلك طويلا !

* * *

قبض على اللواء على نجيب ، شقيق اللواء محمد نجيب ، عند وصوله إلى مركز تدريب المدفعية .

واعتقل حافظ بكرى قائد المدفعية عند تقاطع طرق فى مصر الجديدة تسيطر عليه وحدة من الثوار .

وفى سلاح الفرسان أسر العميد حسن حشمت قائد اللواء المدرع وهو يحاول الدخول من الباب.

واعتقل الضباط عشرين من اللواءات من ضباط القيادة وأرسلوهم إلى سجن الطلبة بالكلية الحربية وسيطروا على كل الطرق الرئيسية واحتلوا ثكنات العباسية والبرلمان وقصر عابدين والقلعة والمطار وجسور النيل ومحطة الإذاعة والتليفونات ومحطة الكهرباء .

أرسلت قوة لسد الطريق الممتد من منطقة القناة خشية أن تحاول القوات البريطانية التدخل لصالح الملك ، وتولى صلاح سالم . مع أخيه جمال سالم أمر وحدات سيناء .

* * *

كان الجيش المصرى يتألف من ٣٠ ألف جندى وعدد الضباط الأحرار ٢٦٤ من الجيش والقوات الجوية أما البحرية فلم يكن لها أى دور واشترك فى عملية الثورة ذاتها نحو ٨٠ ضابطا فحسب .

ووقعت عدة أخطاء .

العريش والا سكندرية والسويس لم تعرف بموعد الحركة .

وكان كل شهداء الثورة اثنان من الجنود .

الأول رقيب على باب رئاسة الجيش رفض أن يقدم سلاحه لقوة يوسف صديق فأطلق عليه الرصاص وهو الأمباشى عبد الحليم محمد من منقباد .

والثانى من قوة يوسف صديق عندما أطلقت عليه وعلى زملائه قوات الحراسة الرصاص وهو عطية السيد دراج من نهطاى غربية ، وكسرت ترقوة اللواء جوى حقى هارون أثناء مقاومته لمن جاءوا لاعتقاله !

وأصيب اثنان آخران فى القاعدة الجوية بألماظة عند الاستيلاء عليها .

والانقلاب دائما يصبح أكثر نجاحا كلما كان غير دموى ، وهذه كانت السمة المميزة لحركة ٢٣ يوليه .

* * *

ساعد الحظ الثورة .

تهاون الملك ووزير الحربية الجديد إسماعيل شيرين والفريق محمد حيدر قائد القوات المسلحة ونجيب الهلالى رئيس الوزراء ..

كان الجميع مفرطى الثقة بالنفس وظنوا أن الجيش لن يتحرك ضدهم رغم أنه كان يغلى منذ حرب فلسطين .

ومن هنا لم يسرع مسئول واحد بالسفر إلى القاهرة يستطلع الموقف ويوقف التحركات وتركوا لحكمدار القاهرة أن يكون حلقة اتصال بينهم وبين الجيش .

ولم يكن فى القاهرة فى ذلك الوقت مسئول من القصر أو وزير واحد .

هذا هو الفريق حيدر يتصل بقائد المدفعية اللواء حافظ البكرى بعد منتصف الليل فيرد عليه أحد الضباط الأحرار ـ اليوزباشى ـ النقيب ـ أبو الفضل الجيزاوى ـ منتحلا صفة قائد المدفعية قائلا انه جاء إلى قيادة المدفعية وأنه يسيطر على الموقف وسيعلن حالة الطوارئ .

بعد ساعة يتصل به مرة ثانية ليسمع مايطمئنه .

وفى المرتين يقول حيدر أنه سمع « دوشة » فإن القائد العام للقوات المسلحة المصرية لم يدرك أبعاد الحركة وأنها ثورة .

ويتصل حيدر للمرة الثالثة فقد قيل له فى الاسكندرية إن الضباط استولوا على كوبرى القبة ، أى على قيادة الجيش .

ويشك الفريق فى صوت محدثه ويطلب مايؤكد أنه قائد المدفعية ليكتشف أن الانقلاب قد نجح تماما !

* * *

ومن يسيطر على القاهرة يسيطر على مصر

نجحت الثورة بطريقة تفوق كل الآمال البعيدة للثوار . فخلال ٤ ساعات فقط احتل الجيش القاهرة ، ومن يسيطر على القاهرة يسيطر على مصر .

وكان الانقلاب أبيض وناجحا تماما وانتهى كمعجزة فإن انقلابا واحدا فى العالم لم يتم بهذا الهدوء دون إراقة دماء .

قال صلاح سالم

ـ لم نصدق أنها ستكون سهلة إلى هذا الحد .

وقال عبد اللطيف البغدادى أن احتمالات النجاح لم تكن تتجاوز عشرة فى المائة .

وفى رأى زكريا محيى الدين أن احتمالات النجاح لم تكن تتجاوز ٣٠ فى المائة وأن الثورة كانت محظوظة ! فإن تنظيم الضباط الأحرار لم يضم سوى ٢٦٤ ضابطا ، أى خمسة فى المائة فقط من ضباط الجش ، وقد شارك ٢٢٦ منهم فى الانقلاب ، وتخلف ٣٨!

* * *

ولايوجد دليل على أن الحظ ساعد الثوار أكثر من هذه الملاحظة وهى أن قائد الثورة جمال عبد الناصر لم يكن يقود قوات عاملة وكذلك زكريا محيى الدين ، وكمال الدين حسين فهم مدرسون بكلية أركان الحرب وكان عبد الحكيم عامر برئاسة المشاة فى رفح وأنور السادات أيضا فى رفح !

وهؤلاء جميعا شاركوا فى قيادة الثورة فحسب .. بلا قوات تتبعهم مباشرة أو تأتمر بأمرهم !

وكان عبد اللطيف البغدادى وحسن إبراهيم فى المنزل ينتظرون احتلال القيادة للتحرك مع قوات الحركة لاحتلال المطار ، وقاموا بذلك صباح اليوم التالى ، ٢٣ يوليه!

وكان جمال سالم فى العريش وصلاح سالم فى رفح ليلة قيام الحركة ، ولم يبلغا بموعدها إلا بعد الثالثة صباحا .

ولذلك فإن واحدا فقط من قادة الثورة ـ خالد محيى الدين ـ هو الذى كانت تتبعه قوات عاملة فى سلاح الفرسان ، وعاونه اثنان لم يكونا فى لجنة القيادة وهما حسين الشافعى وثروت عكاشة .

واكتشف ثروت عكاشة بعد نجاح الثورة أن مدفعه الرشاش الذى حمله معه طوال العملية فارغ بلا ذخيرة !

فى كتابه « فاروق ملك مصر » قال بارى سانت كليرماك برايد :

« كان الانقلاب تدريبا عسكريا . ولم يكن مخططا بالكامل ولكنه تشكل حسب مقتضيات الظروف » !

وقال هارى هوبكنز فى كتابه « مصر .. البوتقة »

« الروايات العديدة للمشاركين فى الانقلاب تتباين فى تفصيلاتها ، ولكنها تشكل صورة واضحة يبرز فيها انطباعان رئيسيان ، وان كانا متناقضين .

الأول ذلك الطابع المحلى المفرط للانقلاب . وذلك المزيج الغريب و « المصرى حقا » من العفوية الكاملة والميلود راما الثقيلة ، من الجدية والخفة ، من الأبنية الورقية العظمى التى تعلو على الواقع الهش ، وكأن تلك التفاعلات الجماعية القلقة والمعقدة والعشوائية فيما يبدو ، والتى تسفر بشكل ما عن نتيجة فى نهاية الأمر ، هى أشبه بالمعجزات » !

* * *

لم يبق خارج المعتقل من كبار ضباط الجيش سوى اللواء محمد نجيب بينما اعتقل شقيقه على نجيب

وصدرت التعليمات للوحدات بأن تسمح للضباط ، حتى رتبة الصاغ ، بالاستمرار فى عملهم ، أما أصحاب الرتب الأعلى فقد صدرت إليهم التعليمات بالتزام منازلهم حتى تصدر أوامر خاصة بهم .

واستدعى بعد ذلك ضباط الاسكندرية من رتبة المقدم فما فوق إلى القاهرة .. وطلب إليهم عدم العودة إلى الاسكندرية إلا بعد صدور أوامر أخرى .

وقام كثير من الضباط الأحرار بأدوار فدائية بطولية ولكن لم يكن كل الضباط الأحرار فدائيين . تخلف عدد من الضباط فى اللحظة الأخيرة عن القيام بواجبهم لأسباب شتى وأعذار واهية .

عدلوا فى اللحظة الأخيرة وخافوا مسئولية الفشل الذى كان متوقعا !

* * *

اتصل المراغى ، باللواء محمد نجيب فى منزله فى الثانية صباحا وقال له .

ـ يانجيب بك ، أتوسل إليك كضابط وطنى أن توقف هذا العمل .

أجاب محمد نجيب

ـ ماذا تقصد بالضبط ؟

قال .

ـ أنك تعرف ما أعنى .. فأولادك ومعظمهم من سلاح المشاة الذى تقوده ، بدأوا شيئا فى كوبرى القبة . وإن لم تمنعهم سيتدخل الانجليز ويعود حادث عرابى والخديو توفيق

أجاب

ـ لا أعرف ماتتحدث عنه !

قال المراغى :

ـ يانجيب أنت تعرف جيدا ماأقوله .. فتحرك قبل فوات الأوان .

قال محمد نجيب متسائلا :

ـ هل تشك فى أنى أدبر انقلاب .. هل تريد أن تلصق بى هذه التهمة .

قال المراغى

ـ أقصد أن لك سيطرة على ضباطك وجنودك وتستطيع أن تكبح جماحهم .. إذهب إلى كوبرى القبة وأصرفهم .

قال محمد نجيب :

ـ كيف أعرف أن المتحدث هو مرتضى المراغى ؟

قال

ـ يانجيب .. سيستدعيك رئيس الوزراء قريبا .

ويتصل المراعى باسماعيل شيرين وزير الحربية يبلغه ماسمعه وأنه أبلغ القواد ليتسلم كل منهم مسئولية وحدته من اللواء أحمد طلعت قائد بوليس القاهرة .

فيرد عليه اسماعيل شيرين قائلا .

ـ هل اتصلت بالقائد العام ؟

فيجيبه المراغى بالايجاب

ويتصل اسماعيل شيرين بحيدر الذى رد قائلا

ـ اتصلت بالفريق حسين فريد وقلت له أن يتخذ مايلزم من احتياطات وأن رئيس الأركان أبلغه أنه فى قصر عابدين ويجرى تحقيقا فى الأمر

ويبلغ حيدر وزير الحربية ، بعد ذلك ، بأن حسين فريد أبلغه بأن هناك هجوما على قيادة الجيش .

وتنقطع الاتصالات بقيادة الجيش فى القاهرة فيبقى كل المسئولين فى الاسكندرية لايتحركون انتظارًا لخبر يجىء من وزارة الداخلية التى ظلت المصدر الوحيد للمعلومات

* * *

بعد أقل من ربع ساعة ، اتصل فريد زغلوك ، وزير التجارة والصناعة بمحمد نجيب يطلب منه تهدئة الضباط قائلا :

ـ ولادك يانجيب عاملين دوشة فى كوبرى القبة قوم شوف الحكاية !

قال محمد نجيب :

ـ أنا ماعنديش ولاد ، وليس عندى أمر كتابى ولاصفة لى ، فلماذا أفعل

قال فريد زغلوك :

ـ مايمليه عليك ضميرك مع ملاحظة أن تقارير المخابرات تقول بأن الانجليز تحركوا من السويس فى اتجاه القاهرة .

أخذ فريد زغلوك يهدد

ـ إذا لم توقف الانقلاب فسيعود الانجليز لاحتلال مصر .

* * *

جاء بعد ذلك صوت أحمد نجيب الهلالى عبر أسلاك التليفون من الاسكندرية .

ـ يانجيب .. أنا أستاذك فى مدرسة الحقوق .. مايحدث الآن مسألة عواقبها وخيمة .. وتفتح الباب لتدخل الانجليز

ولكن محمد نجيب عاد للمرة الثالثة فنفى معرفته بما يجرى .

وكان نجيب فى بيته مما ينفى عنه الاشتراك فى الانقلاب .

وأخيرا تكلم الفريق محمد حيدر القائد العام للجيش ليؤكد للواء محمد نجيب استعداد الملك لتعيين اللواء محمد نجيب وزيرا للحربية .

لقد ظن رجل الملك داخل الجيش ـ حيدر ـ أنه يمكن شراء قائد الثورة بمنصب الوزير الذى أباه الملك على محمد نجيب مرتين خلال الشهور الستة السابقة عندما اقترحه كل من على ماهر وحسين سرى على صاحب الجلالة .

وقال حيدر لمحمد نجيب .

ـ سيغفر لك الملك كل شىء إذا أوقفت الانقلاب .

* * *

عاود وزير الداخلية الاتصال بحكمدار القاهرة يسأله عن الموقف .

قال الحكمدار :

ـ إنهم يتوجهون إلى الإذاعة فماذا أصنع ؟

ـ هل تستطيع أن تصنع شيئا ؟

قال الحكمدار

ـ يا أفندم . هل من الممكن أن أقاوم دبابات الجيش ببنادق رمنجتون وموزر ؟

قال المراغى :

ـ لم أقل لك أن تقاوم

قال الحكمدار

ـ اتصل بى قومندان بوليس السراى الملكى منذ عشرة دقائق وقال إن جلالة الملك يريد معرفة الحال فأخبرته عن تحركات جنود الجيش فكان جوابه :

ـ يقول جلالة الملك لاتحاول المقاومة ، وامنع البوليس من الخروج للاصطدام بالجيش

قال الوزير .

ـ إذا جد شىء اتصل بى .

وبعد عشر دقائق عاد الحكمدار يطلب وزير الداخلية ويقول :

ـ فى مكتبى الآن القائمقام ـ العقيد ـ أحمد شوقى قائد لواء القاهرة .

ـ أعرفه وأظنه ابن خالتك .

ـ نعم . وهو يطلب منى ألا يقاوم البوليس الجيش .

* * *

قال لى فريد زعلوك وزير التجارة فى وزارة الهلالى ، وهو أوثق الوزراء صلة بالهلالى، إن مرتضى المراغى وزير الداخلية واللواء أحمد طلعت حكمدار بوليس القاهرة اتصلا ، قبل الانقلاب ، برئيس الوزراء وأبلغاه أن هناك حركة فى الجيش ويعرفان أفرادها ويريدان القبض عليهم فقال لهم الهلالى

ـ لاتتعرضا لهم .

ولم يتصل الهلالى بفاروق يسأله الرأى حتى لايبطش صاحب الجلالة بالضباط !

وقد صدرت الأوامر بعد منتصف الليل لرجال الشرطة بعدم التصدى لقوات الجيش والاكتفاء بملاحظة الحالة إلا إذا اعتدى رجال الجيش على المواطنين أو على المنشآت .

* * *

كان محمد نجيب فى بيته ينتظر النتيجة فقد طلب إليه البقاء فيه لأنه كان مراقبا من السلطات الحكومية .

وفى الثالثة صباحا كما يقول :

« جاء الفرج » .

رن التليفون .. وعندما رفع السماعة ، سمع صوت الصاغ ـ الرائد ـ جمال حماد ، أركان حربه فى سلاح المشاه ، يهنئه .

قال :

ـ مبروك يافندم .. كله تمام .

وهنأه بنجاح المرحلة الأولى للخطة واتمام احتلال القيادة العامة للقوات المسلحة .

وقال :

ـ سأرسل ثلاث عربات مدرعة لإحضارك من منزلك .

رد نجيب :

ـ لاداعى لذلك سأركب فورا عربتى الأوبل الصغيرة التى يقودها سائقى الخاص توفيرا للوقت.

كان الجيش كله ـ فى الرابعة صباحا ـ فى أيدى الضباط الأحرار .

.. وبقى الشعب .

ومن هنا كان التفكير فى بيان الثورة الأول .

وصل محمد نجيب إلى كوبرى القبة ، وهناك استقبله بعض ضباط الثورة . وانتقل من عربته إلى سيارة جيب دخل بها مركز قيادة الجيش . والتف حوله الضباط يتبادلون التهانى .

عهد محمد نجيب إلى الصاغ جمال حماد بكتابة بيان الثورة الذى فكر فيه جمال عبد الناصر وأدخل عليه تعديلات بخطه مع عبد الحكيم عامر وأنور السادات ، ووقعه محمد نجيب .

وحمله أنور السادات إلى دار الإذاعة بشارع علوى لإذاعته ، عندما يبدأ الإرسال الإذاعى فى السادسة والنصف صباحا .

روى لى فهمى عمر الذى أصبح بعد ذلك رئيسا لهيئة الإذاعة ماحدث فى ذلك الصباح عندما كان فى بدء حياته العملية مذيعا وقارئا لنشرة الأخبار .

وصل إلى الإذاعة فى السادسة وعشر دقائق فوجد قوات الجيش تحيط بها ، وهناك بعض الضباط والجنود .

وكان رجال الأمن التابعين للشرطة يحرسون المبنى منذ حريق القاهرة ولكن وجود رجال

الجيش أثار دهشة المذيع .

وعندما اقترب من المبنى استوقفه أحد الجنود قائلا :

ـ قف من أنت ؟

قال إنه المذيع.

قاده الجندى إلى رئيسه الضابط ثم أنور السادات .

عرفه فهمى عمر فقد كان أحد المتهمين فى قضية أغتيال أمين عثمان وزير المالية السابق ، ثم محررا فى مجلة « المصور » ، ونشرت الصحف صورته .

حيّاه أنور السادات قائلا :

ـ معلهش يا أستاذ فهمى . سندخل تعديلا على البرنامج . سألقى بيانا لأننا لانريد أن يكون لكم شأن بما يجرى .

أدرك فهمى عمر أن فى الأمر شيئا فقال :

ـ تحت أمرك !

توجه الاثنان إلى الاستديو فى السادسة و ٢٨ دقيقة . وبدأ الارسال فى موعده المحدد بمارش عسكرى ثم أعلن المذيع عن بيان يلقيه مندوب القيادة

ولكن الإرسال الإذاعى قطع .

تساءل أنور السادات عن السبب .

قال فهمى عمر بعْد أن وجد على بدلة أنور السادات ما يدل على أنه ينتمى إلى سلاح « الاشارة الملكى » :

ـ أنت تعرف أن الارسال يتم عن طريق محطة الإرسال فى « أبو زعبل » وهى التى تتحكم فيه .

خرج أنور السادات من الاستديو واتصل بالضباط مجدى حسنين . الذى أصبح بعد ذلك مديرا لمديرية التحرير وسفيرا ـ قائلا :

ـ احتل أبو زعبل

عاد الإرسال فى السابعة والربع صباحا فقال فهمى عمر :

ـ لندع البرنامج يبدأ كالمعتاد بالقرآن الكريم .

وافق أنور السادات .

قطع الإرسال مرة أخرى من مصلحة التليفونات هذه المرة ، فإن الإرسال كان يوجه من الاستديوهات إلى مصلحة التليفونات ثم إلى محطة أبو زعبل .

ومرة أخرى أجرى أنور السادات اتصالا لمنع تدخل انصار الملك ورجال الحكومة .

واستؤنف الإرسال فى السابعة و ٢٨ دقيقة بتلاوة الذكر الحكيم .

وكان موعد نشرة الأخبار فى السابعة والنصف تماما . فعزف اللحن المميز وقال فهمى عمر فى بداية النشرة

ـ إليكم الآن بيان من القيادة العامة للقوات المسلحة يلقيه مندوب القيادة .

قرأ أنور السادات بيان اللواء محمد نجيب الذى لم يتضمن مبادئ ثورة بل كان اعتذارا عن تقصير العسكريين القديم .

أعلن البيان ـ بلغة استخدمها قائدو الانقلابات العسكرية أن الجيس لاينوى التدخل فى السياسة .

ولم يذكر البيان أية أهدافا سياسية معينة ، ولم يذكر ، ايضا شيئا عن الولاء للملك قال البيان الأول للانقلاب .

« اجتازت مصر فترة عصيبة فى تاريخها الأخير من الرشوة والفساد وعدم استقرار الحكم ، وكان لكل هذه العوامل تأثير كبير على الجيش ، وتسبب المرتشون ، المغرضون فى هزيمتنا فى حرب فلسطين .

وأما فترة ما بعد هذه الحرب فقد تضافرت فيها عوامل الفساد ، وتآمر الخونة على الجيش وتولى أمره إما جاهل أو خائن أو فاسد حتى تصبح مصر بلا جيش يحميها ، وعلى ذلك فقد قمنا بتطهير أنفسنا ، وتولى أمرنا فى داخل الجيش رجال نثق فى قدرتهم وفى خلقهم وفى وطنيتهم ولابد أن مصر كلها ستتلقى هذا الخبر بالابتهاج والترحيب .

أما من رأينا اعتقالهم من رجال الجيش السابقين ، فهؤلاء لن ينالهم ضرر ، وسيطلق سراحهم فى الوقت المناسب .

وإننى أؤكد للشعب المصرى أن الجيش اليوم كله أصبح يعمل لصالح الوطن وفى ظل الدستور مجردا من أية غاية ، وانتهز هذه الفرصة فأطلب من الشعب ألا يسمح لأحد من الخونة بأن يلجأ لأعمال التخريب أو العنف ، لأن هذا ليس فى صالح مصر . وإن أى عمل من هذا القبيل سيقابل بشدة لم يسبق لها مثيل ، وسيلقى فاعله جزاء الخائن فى الحال ، وسيقوم الجيش بواجبه هذا متعاونا مع البوليس .

وإنى أطمئن إخواننا الأجانب على مصالحهم وأرواحهم وأموالهم . ويعتبر الجيش نفسه مسئولا عنهم .

والله ولى التوفيق .

القائد العام للقوات المسلحة

لواء أركان حرب محمد نجيب

انصرف أنور السادات من الإذاعة بعد إلقاء البيان الذى لم يسجل فإن موعد حضور مهندس التسجيلات فى التاسعة والنصف صباحا ولم يكن أحد منهم فى دار الإذاعة فى ذلك الوقت ، كما أن التسجيل لا يتم بالأشرطة المعروفة الآن وإنما على أسطوانات .

وقد تكررت إذاعة البيان بعد ذلك عدة مرات فألقاه اليوزباشى محيى الدين عبد الرحمن ، وكان القاؤه مرتبكا مهزوزا .

وفى ٢٣ يناير ١٩٥٣ بمناسبة الاحتفال بمرور ستة أشهر على الحركة قام أنور السادات بتسجيل البيان مرة أخرى بصوته .

والجدير بالذكر أن القيادة لم تنتبه إلى أن الإذاعة فى تلك الأيام لاتستمر فى إرسالها طول اليوم بل يتوقف فى الثامنة صباحا ليستأنف لمدة ساعة ابتداء من العاشرة صباحا ثم من الثانية بعد الظهر إلى الثالثة والربع وأخيرا من الخامسة مساء حتى الحادية عشرة والثلث .

ولذلك فإن البيان كان يذاع عدة مرات فى فترات الإرسال لأن القيادة لم تفطن ، أو لم تر ضرورة استمرار الإرسال الإذاعى طول اليوم !

* * *

توجه نجيب الهلالى وفريد زعلوك إلى المقر الصيفى لمجلس الوزراء فى بولكلى ودعى الوزراء وبينهم وزير الحربية الجديد إسماعيل شيرين الذى اتصل باللواء محمد نجيب فوجده فى مقر القيادة .

اتصل الهلالى باللواء محمد نجيب فى القاهرة يطلب منه الحضور إلى الإسكندرية لمناقشة الموقف .

اعتذر محمد نجيب عن الحضور .

وحضر اجتماع مجلس الوزراء حسنى نجيب بك مدير الإذاعة الذى كان فى الاسكندرية .

قال الهلالى للوزراء إنه مستعد للسفر إلى القاهرة للتفاوض مع الضباط بشرط أن يفوضه الملك.

أبلغ إسماعيل شيرين ذلك لصاحب الجلالة تليفونيا ثم عاد للهلالى يقول .

ـ يريد صاحب الجلالة أن ترجع إليه بالنسبة لمطالب الضباط !

أدرك الهلالى أن تفويضه ليس كاملا فعدل عن السفر .

أبدى المراغى استعداده للسفر فقال له الهلالى :

ـ سافر بصفتك الشخصية .

* * *

اتصل المراغى بشركة مصر للطيران ولم يجد أحدا حتى الخامسة صباحا عندما أعدت طائرة استقلها فى السادسة إلى القاهرة .

وصل المطار حوالى السابعة واستقل سيارة كانت فى انتظاره وتوجه إلى ثكنات الجيش بقصر النيل .

استوقف الحراس السيارة ثم جاء ضابط فسأله الوزير عن اللواء محمد نجيب . طلب منه الانتظار وعاد بعد عشر دقائق ليقول إن اللواء محمد نجيب خرج !

وتوجه وزير الداخلية إلى مكتبه فى الثامنة والربع صباحا وطلب البحث عن مكان اللواء نجيب .

قيل للوزير أنه فى ثكنات الجيش بالعباسية ، فى اجتماع مغلق مع أعضاء لجنة القيادة .

وفى الساعة التاسعة والربع دق جرس التليفون . وكان المتكلم اللواء نجيب :

ـ الآن فقط علمت بقدومك إلى القاهرة .

ـ قدمت الساعة السابعة وحاولت مقابلتك .

ـ خيرا .

ـ إنى مبعوث من مجلس الوزراء للتكلم معكم .

صمت محمد نجيب فترة ثم قال بصوت متردد :

ـ ولكن . ولكن . ولكن .

لم يكن وزير الداخلية يعلم فقال متسائلا

ـ ولكن ماذا ؟

ـ أصل المسألة أن الملك كلف على باشا ماهر بتشكيل الحكومة وقدم الهلالى استقالته .

ـ متى تم ذلك ؟

ـ فى الساعة التاسعة صباحا .

ثم سكت برهة وقال

ـ على كل حال إذا كنت تريد مقابلتى فأهلا وسهلا .

قال الوزير مستسلما :

ـ إنى مبعوث مجلس الوزراء إليكم ، وباستقالة الوزارة انتفت عنى صفة المبعوث .

وبقى الوزراء فى بولكلى ينتظرون عودة أحمد مرتضى المراغى دون طعام .

وفى الخامسة مساء اتصل فريد زعلوك بالمراغى فوجده قد عاد من القاهرة بعد أن سلك طريقا فرعياعبر مدينة المحلة خوفًا من أن يطارده الجيش !

لم تعرف السفارة البريطانية التى كانت تحكم مصر ، وتكاد تحصى أنفاس المصريين، بالانقلاب إلا فى السادسة وخمسين دقيقة من صباح ٢٣ من يوليه عندما بعث مارك كريزويل القائم بأعمال السفير البريطانى بأول برقية إلى لندن ، قال فيها :

« تردد أن الحركة يقودها ضابط شاب من القوات الجوية وتضم بلاشك نفس المجموعة المسئولة عن القلاقل فى نادى الضباط .

ويعتبر هؤلاء الأشخاص بصفة عامة من المتعاطفين مع الوفد .

وسيكون الموقف بالغ الخطورة إذا عاد قادة الوفد الموجودون حاليا فى فرنسا .

لايمكن فى الوقت الحالى تقدير قوة التمرد ولكن يعتقد أن اللواء نجيب قائد منطقة القاهرة من المتمردين ولذلك فمن المحتمل أن جميع القوات فى القاهرة قد انضمت للتمرد» .

* * *

بعث الملك الذى عرف بنجاح الانقلاب ، عم الملكة ناريمان ، مصطفى صادق ـ مدير شركة طيران سعيده ـ بطائرة خاصة إلى القاهرة ليتوسط بين الجيش وصاحب الجلالة.

وصل مصطفى صادق إلى مقر القيادة فى الثامنة صباحا ، أى بعد إذاعة البيان بنصف ساعة ليلتقى بمحمد نجيب معلنا استعداد فاروق لاجابة كل مطالب الجيش بل وتاليف حكومة عسكرية أيضا .

تخلص محمد نجيب من اعطاء جواب مقنع فعاد مصطفى صادق إلى الاسكندرية .

ورأى محمد نجيب والضباط أن هذه الوساطة واستجابة فاروق السريعة تمثل استسلاما

كاملا من صاحب الجلالة ، ولم يكونوا يتوقعونها !

* * *

ويتصل اسماعيل شيرين بصاحب الجلالة مرتين من مجلس الوزراء يسأله عن هذه الوساطة .

قال فاروق :

ـ لم أكلف أحدا .

وكان صاحب الجلالة يكذب !

ويكذب صاحب الجلالة مرة ثانية فى الحادية عشر صباحا عندما راجت اشاعة بأنه قرر اعتزال العرش فينفى الملك ذلك لاسماعيل شيرين .. زوج شقيقته ووزير الحربية الجديد الذى عين فى منصبه قبل ساعات !

فى الحادية عشرة صباحا اتصل فريد زعلوك بمحمد نجيب فى القاهرة .

وكان معروفا أن فريد زعلوك يتحدث باسم الهلالى .

قال :

ـ نحن حكومة شرعية وتوجد قوات للجيش فى الاسكندرية ، وقوات فى القاهرة ، ولانريد صداما بل نريد تجنيب البلاد المخاطر حتى لايتدخل الانجليز وتتكرر مأساة عرابى .

قال محمد نجيب :

ـ نريد تغيير وزيرين .

قال فريد زعلوك :

ـ ومن هما ؟

قال محمد نجيب :

ـ أحمد مرتضى المراغى واسماعيل شيرين .

قال فريد زعلوك .

ـ اعتبر الوزارة كلها مستقيلة .

قال محمد نجيب :

ـ كلنا ثقة فى نجيب باشا ولكن نرغب فى تغيير الوزيرين .

قال فريد زعلوك .

ـ لقد قرر نجيب باشا الاستقالة .

وأضاف .

ـ من رئيس الوزراء الذى تريدونه ؟

قال محمد نجيب :

ـ الأغلبية تريد على ماهر .

* * *

كتب نجيب الهلالى استقالته وتوجه للقاء فاروق ، دون موعد لأول مرة .

قال صاحب الجلالة :

ـ مستحيل أقبل على ماهر .

قال نجيب الهلالى .

ـ ولن يقبل على ماهر !

قال فاروق :

ـ لقد اتصل بى على ماهر وأبلغنى أنهم توجهوا إليه ليتولى رئاسة الوزارة وقال انه طردهم وأبلغهم أنه لايعرف للبلاد إلا سيدا واحدا وهو مليكها .

قال الهلالى :

ـ أنا أدرى بعلى ماهر لقد عملت معه فى كلية الحقوق . وكنت مديرا لمكتبه عندما كان وزيرا للمعارف وأرجو جلالتك تكليفه برئاسة الوزارة ، أو أكلفه أنا بناء على أمر جلالتك .

قال فاروق .

ـ قل لحافظ عفيفى ـ رئيس الديوان ـ أن يكلفه برئاسة الوزارة .

أبلغ الهلالى الرسالة لحافظ عفيفى الذى كان فى بولكلى فاتصل بعلى ماهر فى القاهرة.

قال على ماهر :

ـ اتصل بى ، بعد ساعة لأملى عليك أسماء الوزراء .

قال حافظ عفيفى .

ـ الموقف خطير يارفعة الباشا .

قال على ماهر باطمئنان :

ـ الموقف فى يدى .

إن على ماهر قال للعسكريين إنه معهم ، وقال لصاحب الجلالة إنه معه .

وسمع الهلالى من فاروق رغبته فى اعتزال العرش لولده ، فإن صاحب الجلالة أدرك منذ البداية أنها ثورة .

* * *

لم تدرك صحافة مصر أنها ثورة .

قالت عناوين صحيفة « المصرى » :

« على ماهر باشا يؤلف الوزارة الجديدة

اللواء محمد نجيب بك يقود حركة عسكرية مفاجئة .

القائمون بالحركة يقبضون على الفريق حسين فريد بك .

مظاهرات عسكرية بالدبابات والطائرات فى الشوارع والميادين ، احتلال الإذاعة ومكاتب ماركونى » .

وقال محمد نجيب لمندوب الأهرام

« ستنتهى هذه الحركة بعد أن يتم تأليف الوزارة » !

* * *

بقيت نقطة ثانوية .

قال يوسف صديق أنه عندما التقى بعبد الناصر وعبد الحكيم عامر كانا يرتديان ثيابا مدنية ـ قمصانا بيضاء ـ عند القبض عليهما ، وبعد احتلال القيادة عادا بالزى العسكرى . وهدف يوسف صديق من اعلان ذلك أنهما كانا يريدان تأمين نفسيهما إذا فشلت الثورة !

وقد نفى جمال حماد ذلك فى كتابه « أطول يوم فى التاريخ » وقال إنهما كانا يرتديان الزى العسكرى .

وظلت هذه النقطة وغيرها مثار جدل .

أنور السادات كان فى السينما مع زوجته ـ وقد توجه لمنزله جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين ولكنهما لم يجداه فتركا له ورقة بموعد الحركة وكان الاجتماع بمنزل عبد الحكيم عامر ولكنه لم يعرف ذلك إلا بعد خروجه من دار السينما .

ولو أن أنور السادات عرف فى الموعد المحدد ونجح فى مهمته بتعطيل شبكة التليفونات الموصلة بين القيادة ووحدات الجيش لكان قد تعذر على قيادة الانقلاب الاتصال بالوحدات !

فى مذكراتها التى نشرت بعنوان « سيدة من مصر » قالت جيهان السادات :

« تلقى أنور السادات خلال وجوده فى رفح رسالة من جمال عبد الناصر بأن الثورة سوف تقوم بين ٢٢ يوليه و ١٥ أغسطس وأنه لابد أن يعود إلى القاهرة .

ولكن شيئا جديدا عجل بمولد الثورة وهو ماعرف من أن الوزارة الجديدة التى يشكلها الملك فاروق ستضم حسين سرى عامر وزيرا للحربية ، وهو يعرف شخصيا ٧ من الضباط الأحرار وهدد بالكشف عن خططهم للملك .

عندما عدنا فى منتصف الليل ، تقصد من السينما ، إلى منزل أسرتى سألنى بواب المنزل :

ـ أين زوجك ؟ ..

قلت :

ـ إنه يضع سيارته فى الجراج ..

أعطانى ورقة وقال إن أحدهم جاء يسأل عنه مرتين وترك له هذه البطاقة

.. وعندما أعطيت البطاقة لأنور قال :

ـ علىّ أن أرحل الآن فورا .

جريت وراءه داخل حجرة النوم حيث كان يرتدى زيه العسكرى .

ـ إلى أين أنت ذاهب الآن ؟.

قال :

ـ أحد أصدقائى مريض جدا ويجب أن أذهب إليه .

قلت له :

ـ بالزى العسكرى ؟
رد بقوله :
ـ حتى يساعدنى ذلك إذا احتجنا لنقله إلى مستشفى ..
وأسرع يعدو .
ولم يتوجه إلى المستشفى بل إلى مقر القيادة .
وقد فسر البعض ذهاب أنور السادات إلى السينما فى هذه الساعات بأنها محاولة من جانبه لإثبات عدم اشتراكه فى الانقلاب ، أو الثورة ، فى حالة الفشل .
والتمس ـ بعد ذلك ـ قائد الأسراب حسن إبراهيم العذر لأنور السادات لأنه أراد حماية نفسه !
وهو العذر الذى يلتمس لعبد الناصر وعامر فيما لوصح مانسب إليهما من ارتدائهما ثيابا مدنية .
والهدف من ذلك أن يقال إن الضباط الأربعة ، إذا فشلت الحركة لم يشتركوا فيها .
وكان مستحيلا أن ينجو أحدهم من المحاكمة والسجن أو الاعدام فلا مهرب لهم من الأدلة ضدهم وهى شهادة كل الضباط الذين قاموا بالحركة !

* * *

عقد أول اجتماع للجنة القيادة برئاسة محمد نجيب بعد ما أدرك الجميع أن الحركة نجحت تماما .
وقام اللواء محمد نجيب بجولة فى القاهرة فى الصباح بسيارة مكشوفة ، فلقى ترحيبا وتصفيقا من الجماهير مما يقطع بالتأييد الشعبى التام للحركة .
وحلقت طائرات نفاثة لعدة ساعات فوق العاصمة .
وابتداء من الساعة العاشرة صباحا طاف فى قلب القاهرة موكب عسكرى من حوالى ٤٠٠ جندى فى عربات نقل حربية تتقدمهم حوالى ست دبابات .
ولم يؤثر هذا الموكب تقريبا على سير حركة المرور .
وعند الظهر كانت العلامة الوحيدة لسيطرة العسكريين وجود بضع دبابات . وعربات مدرعة ، موزعة عند نقاط التقاطع الاستراتيجية .
ولما كان قد تم إبلاغ قادة البوليس بالموقف منذ وقت مبكر ، فقد خرج البوليس بكامل قوته إلى الشوارع كاجراء وقائى ضد أية أعمال تعكر صفو الأمن .. وهو الإجراء الذى ثبت أنه غير ضرورى .
وكان موقف البوليس خلال الفترة الحاسمة هو موقف التعاون السلبى مع العسكريين .
قال السفير البريطانى :
« قوبل الانقلاب بدهشة وأعجاب وحماس بين كل الطبقات على الاطلاق ، وكان تأييد الحركة يكاد يكون شاملا » .
وقال السفير الأمريكى إنه « كان واحدا من أهدأ الانقلابات . وفى الصباح كانت القاهرة تتسم

بهدوء ملحوظ » .

وصف محمد نجيب الموقف فى تلك اللحظة فقال ·

« كنا نتحكم فى الموقف تماما .. وكانت طائراتنا ومقاتلاتنا تطير فى سماء القاهرة والاسكندرية وبعض مدن الدلتا .. واتخذت الدبابات أماكنها أمام المبانى العامة ، وفى الميادين الهامة بالعاصمة .. ولم تكن هناك أية مقاومة ، على العكس ، كان هناك ترحيب هائل » .

أعيدت إذاعة بيان اللواء نجيب فى الإذاعة . مع بيان آخر موجه إلى القوات المسلحة ومع أمر يومى إلى القوات التى اشتركت فى الانقلاب . وكانت لهجة البيان العام حاسمة فى تحذير الشعب من عدم اطاعة الأوامر والاحتفاظ بالهدوء ، وعدم الالتفات إلى الاشاعات .

ولكن بعد إذاعة البيان فى المساء عزف السلام الملكى !

لم ينتبه صاحب الجلالة أو مجلس الوزراء أو الانجليز إلى أن بيان الانقلاب الأول أذيع بتوقيع اللواء محمد نجيب بصفته قائدا عاما للجيش ، ولم يكن صاحب الجلالة قد عينه ــ فى هذا المنصب ــ بعد !

غموض وتردد وانتهازية

لم يجد الملك فاروق من ينقده من الموقف الذى أصبح فيه بعد الانقلاب فاتصل بالسفير الأمريكى جيفرسون كافرى فى الثامنة صباحا يستنجد به قائلا :

ـ لا أستطيع أن أفعل ماهو أكثر من ذلك .

المتمردون يتحكمون فى الموقف بالقاهرة . وإذا كانت هناك مساعدة يمكن أن تقدم لى فيجب أن تأتى من خارج مصر .

إنى اعتمد عليكم لضمان وصول هذه الرسالة إلى الأشخاص الذين يجب أن أتصل بهم .

وكان الملك يعنى بذلك إبلاغ الرسالة إلى القوات البريطانية فى مصر لتتدخل لانقاذ عرشه ، وإلى الحكومة الأمريكية فى وشنطن .

* * *

كان جيفرسون كافرى واحدا من أقدر السفراء الأمريكيين حتى أنهم اطلقوا عليه اسم « الدبلوماسى » .

أمضى ٣٩ عاما فى السلك السياسى الأمريكى فهو أقدم رجال السلك ، عرف بالأناقة ، ملابسه يقوم بتفصيلها أرقى صناع الأزياء فى لندن . أعصابه باردة ، وذكاؤه حاد يستطيع توثيق صلته بالمصادر العليا فى كل مكان عمل به .

وكانوا فى وشنطن يعهدون إليه بالعمل فى أية دولة يريدون إعادة النظام والسلام إليها وتوثيق علاقة الولايات المتحدة بها .

ولد عام ١٨٨٦ ، فى السادسة والستين من عمره . اسرته اقطاعية غنية فى ولاية لويزيانا : درس القانون والتحق بوزارة الخارجية الأمريكية عام ١٩١١ وعمل سكرتيرا للسفارة الأمريكية بطهران عام ١٩١٦ أثناء الحرب العالمية الأولى .

وحضر مؤتمر الصلح فى باريس عام ١٩١٩ .

تنقل بين السفارات الأمريكية فى اليونان واليابان وأسبانيا والسويد والسلفادور وكولومبيا وكوبا حتى اختير سفيرا لبلاده فى البرازيل عام ١٩٣٧ .

أمضى فى منصب السفير ٢٤ عاما متصلة وعمل فترة وكيلا مساعدا للخارجية الأمريكية .

كان أول سفير لبلاده فى باريس بعد تحريرها من الألمان عام ١٩٤٤ وظل فى هذا المنصب خمس سنوات كاملة شهد خلالها صعود الجنرال ديجول .

ولم يكن قد زار مصر قط عندما وصلها لأول مرة سفيرا فى ٢٢ سبتمبر عام ١٩٤٩ ولكنه استطاع أن يقيم صلة وثيقة بالملك فاروق ومعظم زعماء مصر .

وكان على اتصال مستمر ، بجهاز لاسلكى ، بالملك فاروق أثناء حريق القاهرة .

وقال لى دافيد ايفانز مساعد الملحق الجوى الأمريكى إنه كان هناك خط تليفونى مباشر بين الملك فاروق والسفير كافرى .

وفى كثير من التقارير البريطانية أن كافرى يكن مشاعر العداء للانجليز ، ويشجع المصريين على اتخاذ مواقف عدائية ضد بريطانيا !

* * *

عاود الملك الاتصال بجيفرسون كافرى مرة أخرى .

فى هذه المرة أخذ فاروق يزداد وضوحا بشأن مطالبه وهو أنه لاشىء يمكن أن ينقذه ـ أى فاروق والأسرة المالكة ـ وينقذ العرش ، إلا التدخل الأجنبى .

ولم يطالب فاروق صراحة بتدخل عسكرى بريطانى لإنقاذ عرشه ولكن كافرى فهم مضمون الرسالة بجلاء .

قال لفاروق :

ـ إنى على اتصال بالبريطانيين

وعبر ايدن فى مذكراته عن موقف الملك قال :

«كان فاروق يعتقد أنه لو حدثت ثورة فإن القوات البريطانية ستجد نفسها ، فى النهاية مرغمة على نجدته وإنقاذه »

بعث كافرى إلى وشنطن البرقية رقم ١٤٤ وفيها يقول

« الموقف فى القاهرة أفلت تماما من سيطرة الملك وأصبح تحت قيادة محمد نجيب التى لاينازعها أحد .

ولم تقع تطورات حتى الآن فى الاسكندرية » .

ورأى كافرى إبلاغ رسالة فاروق لكريزويل الوزير البريطانى المفوض والقائم بأعمال السفير الذى ، كان قد سافر إلى لندن ليقضى اجازته السنوية ظنا منه أن الأمور هادئة تماما فى مصر .

كان كريزويل هو الرجل الثانى فى السفارة البريطانية ، ولكنه كان أحدث الدبلوماسيين البريطانيين فى مصر وأقلهم خبرة بالشئون المصرية !

عمره ٤٣ سنة . درس فى اكسفورد . والتحق بوزارة الخارجية وعمره ٢٤ عاما وتنقل بين السفارات واشتغل قائما بالأعمال فى طهران ثم نقل إلى سنغافورة . وعين بالقاهرة فى ١٦ يوليه ١٩٥١ ، أى أنه : أمضى بها عاما واحدا فقط لم يتصل خلاله إلا بكبار المسئولين المصريين والطبقة العليا من المجتمع بحكم زواجه من بارونة !

قال السفير الأمريكى لكريزويل :

ـ ما رد فعلك لطلب الملك ؟

قال كريزويل :

ـ أبلغت الحكومة فى لندن والقائد العام للقوات البريطانية فى مصر بالأحداث الكاملة.

ووجهة نظرى الشخصية أن هذه مسألة داخلية بحتة . ولا أعتقد أن الحكومة البريطانية سترغب فى استخدام القوات البريطانية لهذا الغرض .

وأضاف كريزويل :

ـ سأقوم بتوصيل الرسالة .

وتمهل كريزويل لحظة ثم قال :

ـ هل تعتقد أن إجابتى هذه ، أى أن الانقلاب مسألة داخلية ، مصر ، ستجعل الملك يغادر البلاد.

رد كافرى :

ـ الملك فى حالة ذعر شديد . ولكنى سأبذل قصارى جهدى لأجعله يحتفظ بهدوئه ويبقى متماسكا .

قال كريزويل :

ـ قل لصاحب الجلالة إن هذه نصيحة منى ايضا . فلم تصدر عن المنشقين فى القاهرة أية طلبات من الملك .

ولو احتفظ الملك بهدوئه فى الوقت الحاضر فقد يخرج من هذا الموقف بصفته عاهلا دستوريا . وافقت وزارة الخارجية الأمريكية على نصيحة كافرى للملك بالتماسك وإنه إذا تصرف بحكمة وكان مستعدا للتضحية ببعض مستشاريه الفاسدين فبإمكانه استعادة الكثير من مركزه .

ولكن هذه النصيحة التى بدت سليمة فى ذلك الوقت ساعدت قادة الانقلاب على الاستمرار فى خطتهم بعد أن أيقنوا من عجز فاروق واستسلامه !

ورحبت بهذه النصيحة أيضا وزارة الخارجية البريطانية فأبرقت لكريزويل تقول:

« ١ ـ أوافق على المشورة التى اقترحت أن يقدمها مستركافرى للملك فاروق .

٢ ـ آمل أن يمتنع الملك عن اتخاذ أى إجراء وهو فى حالة ذعر .

وينبغى طبعا أن يستمر فى الاتصال بحكومته التى يجب أن تكون قادرة على الاتفاق مع نجيب » .

وفى الوقت نفسه خاف فاروق أن يقوم قادة الانقلاب بقطع الاتصالا ت التليفونية عنه فأوفد إلى كافرى مبعوثا خاصا يقول :

ـ المتمردون يسيطرون على التليفونات . وقد يقطعونها فى أية لحظة وعندئذ لا أستطيع الاتصال بك تليفونيا . وإذا كان لابد من عمل شىء فيجب القيام به الآن.

لاتقللوا من خطورة الموقف . القاهرة ضاعت ولا أعرف ما الذى سيحدث هنا فى أية لحظة .

تبادل كافرى الآراء مع المبعوث الملكى واتفقا على أن يتم الاتصال بينهما عن طريق الرسل عند الضرورة !

* * *

استمرت السفارة البريطانية فى جهلها بحقيقة موقف القوات المسلحة .

فى الساعة الحادية عشرة و ٤٢ دقيقة بعث كريزويل إلى لندن :

« علم الملحق الجوى حالا أن القوات الجوية الملكية المصرية تبحث اتخاذ موقف محايد وأن دوريات الجيش تراقب مطارات ومنشآت السلاح الجوى المصرى » .

ولكن فى البرقية نفسها قال كريزويل :

« علمت من القاهرة أن مسيرة ومظاهرة ستنظمان هذا الصباح للتعبير عن فوز حركة الجيش وتأييد الجماهير لها » .

وفى هذه البرقية أوضح كريزويل لحكومته أن الأسطول مع الملك . والقوات الجوية محايدة ، والجيش ضد صاحب الجلالة وكذلك الشعب !

وعلى لندن فى هذه الحالة أن تقرر وأن تختار هل تقف مع الجيش أو البحرية أو مع صاحب الجلالة .

ولكن كان من الصعب على بريطانيا الوقوف فى صف فاروق وتأييده ففى برقية كريزويل التى أرسلت فى الساعة ٤٢ر١١ من صباح يوم ٢٣ يوليه قال القائم بالأعمال البريطانى :

« بدأ تشغيل محركات اليخت الملكى ـ المحروسة ـ فى ساعة مبكرة من هذا الصباح ولكن اليخت لايزال فى الميناء .

وقد استولى الجيش على نادى اليخت المواجه لمرسى اليخت الملكى » .

وهكذا بدا فاروق خائفا يفكر فى الهرب بعد ٤ ساعات تقريبا من البيان الأول لقادة الانقلاب !

وأكدت برقيات وزارة الخارجية البريطانية لسفارتها فى القاهرة جهل الانجليز بشخصيات القائمين بالانقلاب .

فى الساعة ٢٥ر٢ قالت برقية بعثت وزارة الخارجية البريطانية إلى سفارتنا بالقاهرة:

« ليس واضحا ما إذا كان قائد الانقلاب هو اللواء محمد نجيب مدير تدريب المشاة أم شقيقه اللواء على نجيب قائد عام منطقة القاهرة أم أن الاثنين قاما معا بالانقلاب » .

وكان اللواء على نجيب ـ فى ذلك الوقت معتقلا بأمر لجنة القيادة ، وشقيقه اللواء محمد نجيب يقود الانقلاب !

شرح كافرى أسباب الانقلاب ، وأنه لم يأت نتيجة لفشل المفاوضات مع بريطانيا أو أن لبريطانيا دورا فيه .

قال .

« كان تيار الاحداث يتجه بصورة حتمية نحو حركة من النوع الذى يجرى الآن . ولا ألمح أية صلة محددة بين الانقلاب العسكرى وبين المفاوضات مع بريطانيا ، ولكن الانقلاب نتيجة للموقف العام المتدهور » .

* * *

بدأ السفيران الأمريكى والقائم بأعمال السفارة البريطانية يبرقان إلى واشنطن ولندن بكل تطورات الموقف .

* * *

ظل كريزويل فى الاسكندرية فقد ظن أن بقاء الملك بها يجعلها مركز الثقل ، ومصدر الأخبار .

ولم يكن أمامه فى الاسكندرية أحد من ضباط الثورة كما أنه لم يكن يعرفهم . ولذلك قصد إلى حافظ عفيفى رئيس الديوان يسأله :

ـ متى تسوى إضطرابات الجيش ؟

أجاب رئيس الديوان الملكى فى ثقة :

ـ خلال عشرة أيام . ويمكن حل المشكلة عن طريق تقديم المزيد من التشجيع لأمانى الضباط الشبان .

وهناك تقارير بأن أتباع أحمد حسين زعيم مصر الفتاة مصممون على إحداث اضطرابات ، ولكنى لا أشعر بقلق !

وهذا الحديث يدل على أن رئيس الديوان الملكى يظن أن حصار قيادة الجيش والقبض على كبار الضباط وإعلان بيان الانقلاب فى إذاعة القاهرة .. ظن رئيس الديوان أن كل هذه أمور تسوى خلال عشرة أيام !

والحقيقة أنها سويت خلال أربعة أيام فقط ولكن بطريقة أخرى لم تخطر على بال حافظ عفيفى باشا !

* * *

عند الظهر وعلى وجه التحديد فى الساعة ١٢و ٣٥ دقيقة أذاع مكتب علاقات دول الكونولث فى لندن بيانا سريا على الدول الأعضاء يقول :

« الموقف غامض فى الوقت الحاضر . ولايمكننا تقدير النتائج وما ينشا عنها بخصوص أمن القوات البريطانية ، وقوات الكومنولث ، فى منطقة القناة ، وكذلك بخصوص حرية الملاحة فى قناة السويس » .

وفى الساعة الواحدة وصف كافرى الموقف فى القاهرة فقال فى برقيته رقم ١٤٧ :

«لم تقع اضطرابات عامة أو شغب فى القاهرة هذا الصباح .

وأخذت مجموعة من الوحدات العسكرية مكونة من خمس دبابات و ٤٠٠ جندى تجوب وسط المدينة فى هدوء تام بدءا من العاشرة صباحا بينما حلقت ست طائرات مقاتلة فوق المنطقة .

ومع حلول الظهر انسحبت جميع وحدات الجيش إلى ثكنات العباسية باستثناء دبابتين ومدرعتين .

وينتشر رجال الشرطة بكامل اسحلتهم وقد تمكنوا من السيطرة على الأحوال الآمنية بنجاح ولم يحدث بينهم وبين الجيش أية احتكاكات .

وترفض ماركونى ـ شركة إرسال البرقيات إلى الخارج ـ نقل أية مادة صحفية بسبب تعليمات غير مؤكدة من الرقابة » .

... أخذ العالم كله يتابع إذاعة القاهرة التى كانت المصدر الوحيد للأنباء .

أما وزارتا الخارجية فى لندن ووشنطن فإن برقيات سفارتيهما فى مصر أضافتا مصدرين جديدين للأنباء أحدهما السفارة الأمريكية ـ وثيقة الصلة بالملك ـ والسفارة البريطانية وليس لها أى اتصال بالقوات المسلحة !

* * *

بدأ قادة الانقلاب يفكرون فى الخطوة التالية بعد هذا الترحيب الشعبى .

قال محمد نجيب للضباط :

ـ علينا الآن تشكيل وزارة وإلا سنواجه بانقلاب .

ظهر رأى فى قيادة الثورة بأن يظل أحمد نجيب الهلالى رئيسا للوزارة باعتباره معاديا للأحزاب فقد تبرأ من وفديته السابقة .

ولكن رأت الأغلبية أن يتولى رئاسة الوزارة على ماهر باشا . فهو أصلح سياسى فى ذلك الوقت للقيام بما يطلبه الجيش .

إنه يعرف الملك منذ كان طفلا .. وهو الذى وضعه على العرش ، وقد خدم كرئيس للديوان الملكى وكرئيس للوزراء مرتين .

وهو رجل الأزمات والمواقف الصعبة ، وأكثر سياسى يمينى فى البلاد ، واختياره يعنى أن الشرعية قائمة ومستمرة وأن حركة الجيش ترتبط ، وتتمسك ، بالنظام القائم.

وبالنسبة للوطنيين فإن على ماهر معروف بعدائه للانجليز فقد أرغموه على الاستقالة من منصبه أوائل الحرب العالمية الثانية .

وبالنسبة للغرب فهو الرجل المناسب ايضا . يستطيع تبديد مخاوفه من أن النظام الجديد متطرف .

وكان هذا التردد بين الهلالى وعلى ماهر دليلا على أن قادة الانقلاب لايعرفون ماذا يفعلون ، وليس لديهم برنامج محدد فإن هدفهم كان مجرد القضاء على الفساد . ولاينشدون السلطة بل يريدون إقامة حكم دستورى

ولكن اختيار على ماهر كان قرارا صائبا فإن فاروق فى تلك الفترة كان مستعدا لسماع سياسى واحد وهو على ماهر !

ولم يكن القادة يعرفون منزل على ماهر فاستدعى الكاتب الصحفى احسان عبد القدوس رئيس تحرير مجلة « روزاليوسف » إلى القيادة .

سأل احسان عبد القدوس .. اللواء محمد نجيب

ـ والآن ماذا ستفعل ؟

ـ سنحافظ على الدستور وندعم الجيش .

ـ هل ستتولى السلطة ؟

ـ الدستور يمنع ذلك .

وجد احسان عبد القدوس ، فى مقر القيادة ، جمال عبد الناصر .

وكان جمال عبد الناصر يتردد على مكتب احسان فى روزاليوسف كأى ثورى يبحث عن طريق ، ويستطلع الأخبار .

ولم يكن يحضر بمفرده أبدا بل يصحب معه أحد الضباط كرشاد مهنا أو غيره .

ولم يعلن عبد الناصر زعامته لأية هيئة ثورية ، وكان صامتا يستمع أكثر مما يتكلم .

وكان احسان يثق به كأحد الثوار المشتركين فى الحركة الوطنية العامة ضد ماهو قائم ولم يتوقع أبدا أنه الزعيم ، وكان عبد الناصر صموتا لدرجة أن احسان لم يكن يعلم !

وفوجىء احسان بأن جمال عبد الناصر هو الزعيم !

* * *

توجه أنور السادات وكمال الدين حسين ، عضوا مجلس قيادة الثورة واحسان عبد القدوس إلى بيت على ماهر فى الجيزة ليعرضا عليه رئاسة الوزارة .

استمر اللقاء ساعة .

قال لى كمال الدين حسين :

ـ فرح على ماهر جدا ووافق على الفور ، فقد أراد أن يكون له دور ، وأبدى استعدادا للتعاون مع رجال الجيش .

ولو أن على ماهر رفض قبول الوزارة فى ذلك اليوم فربما أصبح موقف الحركة شديد الحرج لأنها ستضطر إلى الحكم المباشر للجيش .. وفى هذه الحالة ربما يكون هناك احتمال لتدخل بريطانى أو تعاون مع الملك بقوات الاسكندرية .

وكان على ماهر شديد الذكاء .

اعتقد فى البداية أن ماقام به حركة الجيش ليس أكثر من حركة إصلاحية .

وظن على ماهر أنه سيجعل الضباط اداة فى يده ضد الملك والأحزاب .

وظن الضباط أنه سيكون إداة طيعة فى أيديهم .. وكان الضباط على حق !

وصف احسان عبد القدوس الاجتماع . قال :

« حاول أنور السادات أن يتكلم فضغطت على رجله حتى يصمت لانه كان يتكلم كلاما لايتمشى مع عقلية على ماهر .

بدأ يقول :

ـ « هانخلص » من الملك .

طلبت منه الصمت لأنى أعرف أن على ماهر لايتحمل فكرة إلغاء الملكية .

عرضت عليه أن يتولى الوزارة لتحقيق مطالب الجيش دون تحديد هذه المطالب أو أعلن عن أهداف الثورة ، لكى اكسب على ماهر فى الفترة الحرجة التى تمر بها الثورة .

قال على ماهر

ـ لااستطيع قبول الوزارة دون الاتصال بالملك ، فهو الذى يكلفنى بتشكيل الوزارة.

... تماما كما فعل النحاس فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ولكن مع فارق هام وهو أن الانجليز فى ذلك

اليوم هم الذين طلبوا وزارة برئاسة النحاس .

عرض على ماهر ان يشترك « ادجار جلاد » صاحب جريدتى « الزمان » و «الجورنال ديجيبت» وأحد المقربين لفاروق فى الكلام وكان يجلس فى حجرة مجاورة فرفضت .

وتركت على ماهر حسب عقليته فى الاسكندرية يتصل بالملك .

وافق الملك فورا على أن يقوم على ماهر بتشكيل الوزارة !

استقال نجيب الهلالى فى الرابعة بعد الظهر بعد أن ظلت وزارته فى الحكم ٢٣ ساعة فقط وأصدر فاروق أمرا بتعيين اللواء محمد نجيب قائدا عاما للجيش وهو المنصب الذى عين نفسه فيه! وقبلت استقالة الفريق محمد حيدر باشا من منصبه .

* * *

استدعى الملك فاروق السفير الأمريكي جيفرسون كافرى لمقابلته فى الثالثة بعد الظهر .

بعد أن طلب الجيش إجراء الانتخابات فورا وإلغاء الأحكام العرفية .. مما يدل على أن العسكريين لم يكونوا راغبين فى الحكم فى ذلك اليوم .

وصف كافرى ملك مصر فى ذلك اليوم بأنه « كان مكتئبا والحزن الشديد باد عليه».

قال فاروق للسفير

ـ اتجاه الأمور إلى هذا المنعطف الحاسم يعنى أنه إذا كان لابد أن أحتفظ بعرشى فيجب أن أنفذ ما يطلبه منى العسكريون .

وأضاف :

ـ إن لدى دليلا قاطعا على أن البريطانيين هم المحرضون على هذا الانقلاب .

رد كافرى :

ـ ذلك أمر لا يصدقه عقل .

قال فاروق :

ـ أرسل إلىّ العسكريون ، الذين يزدادون وقاحة ، عند منتصف النهار تقريبا ، كلمة يقولون فيها إنهم يريدون منى طرد وزارة نجيب الهلا لى وتعيين على ماهر رئيسا للوزارة .

وقدم نجيب الهلالى استقالته منذ قليل .

وقال فاروق :

ـ طلبت من على ماهر ، على مضض ، أن يشكل وزارة جديدة .

وصف السفير الأمريكى لكريزويل كل ماجرى بينه وبين الملك تفصيلا ، وقال إنه يشعر بالمرارة فى حقكم ، أى تجاه الانجليز ، ربما بسبب عدم تدخلكم ، فكتب كريزويل إلى لندن يقول :

« تبدو على الملك علامات الهدوء ولا يفكر فى الرحيل » .

* * *

وتجتمع لجنة القيادة فى السادسة والربع مساء بكامل أعضائها بعد أن انضم إليها كل من قائد الجناح جمال سالم ، والصاغ ـ الرائد ـ صلاح سالم قادمين من العريش .

ساد الاجتماع شعور بالارتياح بعد ماتحققت أغلب الأهداف . فالجيش كله وراء محمد نجيب ، وكبار قادته السابقون معتقلون والملك لم يقاوم ، بل وافق على تغيير الوزارة ، والإنجليز لم يتدخلوا .

* * *

وحتى الساعة السادسة و ٥٥ دقيقة مساء كان كريزويل يجهل أبعاد الحركة وأسماء القائمين عليها وأهدافهم الحقيقية .

فى برقية رقم ١٠٦٠ قال :

« بعث قائد المجموعة لى رسالة عن طريق عضو فى سفارة الولايات المتحدة تفيد أنهم سيقومون بمقاومة منظمة لأى تدخل بريطانى وأن الحركة ليست مهتمة بأية قضية خارجية ولكنها مهتمة فحسب بالقضاء على الفساد فى البلاد .

وقالت رسالتهم :

« لقد كررتم مرارا أن القوات البريطانية لن تتدخل لإبقاء الملك فاروق على عرشه .

وتردد أن الحركة يقودها ضابط شاب من القوات الجوية وتضم بلا شك نفس المجموعة المسئولة عن القلاقل فى نادى الضباط .

ويعتبر هؤلاء الأشخاص بصفة عامة من المتعاطفين مع الوفد .

وسيكون الموقف بالغ الخطورة إذا عاد قادة الوفد الموجودون حاليا فى فرنسا.

ولايمكننى فى الوقت الحالى تقدير قوة التمرد .

ويعتقد أن اللواء نجيب قائد منطقة القاهرة من المتمردين . ومن المحتمل أن تكون جميع القوات فى القاهرة قد انضمت للتمرد » .

* * *

كانت الحكومة البريطانية حائرة فهذه أول مرة منذ ثورة عرابى عام ١٨٨٢ يفلت ـ من يدها ـ زمام الأمور . فالملك فى الاسكندرية ، والسفير البريطانى يقضى إجازة فى لندن ، وقادة الجيش الجدد فى القاهرة ولا تعرف الحكومة البريطانية عنهم شيئا .

والولايات المتحدة تلح فى عدم تدخل القوات البريطانية .

وتخشى لندن أن يعود الوفد إلى الحكم .

والاحداث تتحرك بسرعة كما تقول وزارة الخارجية البريطانية فى برقية للقاهرة قالت فيها مساء ٢٣ يوليو « يصعب علينا أن نحكم على الموقف من هنا » .

ومع ذلك وجدت وزارة الخارجية البريطانية أن عليها ان تبعث إلى سفيرها فى مصر بالخطوط العامة للسياسة البريطانية فى مصر .. على فرض أن بريطانيا تستطيع تنفيذ هذه السياسة !

قالت :

« من الافضل تجنب الديكتاتورية العسكرية ، إذا أمكن .

والحل الافضل لفاروق ان يظهر بمظهر الملك الدستورى ... اى يسمح لحكومته بان

تمارس الحكم وأن تتفاهم معنا ـ أى بريطانيا ـ إذا أمكن .

ولن يحدث ذلك إلا إذا تم « تخويف » صاحب الجلالة تماما من جديد .

ولابد من إجراء تطهير شامل واستئصال أكبر عدد ممكن من رجال الحاشية ولا شك أن كريم ثابت والياس اندراوس أول من يجب عليهما الرحيل .

وآمل أن يتمكن الملك من منح كامل العون لترتيب يمكن التوصل إليه بين نجيب والحكومة فى ظل أى رئيس للوزراء بشرط ألا يبدو ذلك مقدمة لعودة الوفد.

وإذا أمكن التوصل إلى مثل هذا الترتيب فمن المرغوب فيه ألا يبالغ فى التشديد فى شروطه وإلا سيعمد الملك إلى إفساد أى ترتيب .

وقد يثبت استحالة التوفيق بشكل مناسب بين جميع العناصر المتضاربة فى الموقف . وإنى على ثقة تامة من قدرتك على معالجتها » .

.. أى أن الخارجية البريطانية ظنت بدورها أن القائم بأعمال سفارتها فى القاهرة يستطيع أن يسيطر على الموقف !

وكانت آمال الخارجية البريطانية تفوق كل الأحلام !

فى الساعة السادسة و ٥٩ دقيقة وصف كريزويل الموقف فأشار إلى بيان اللواء محمد نجيب ونقل خطوطه العامة إلى لندن .

وقال :

« نصب الجيش نفسه مسئولا عن حماية الأجانب » .

وكان أهم مالاحظه كريزويل على بيان اللواء نجيب أنه لم يذكر أهدافا سياسية محددة أو يذكر ـ كما هو معتاد فى البيانات العسكرية ـ الولاء للملك ، بالرغم من أنه تم عزف السلام الملكى بعد البيانات .

وقال كريزويل فى الساعة السابعة و ٥٥ دقيقة .

« مجموعة المنشقين تسيطر سيطرة كاملة على القاهرة « والجيش هادئ فى الاسكندرية ».

وكشف كريزويل عن نوايا على ماهر وطموحاته الواسعة وهى ان ينتصر على الملك ويتغلب على العسكريين . قال كريزويل :

« يبدو لى أن على ماهر لن يكتفى على المدى البعيد بالعمل رئيسا للوزارة تحت إمره العسكريين .

بل يريد تدعيم موقفه الآن فحسب .

ويحتمل أن يسعى للحصول على تأييد سياسى واسع النطاق . وطبقا للخبرة السابقة فربما يتطلع إلى حزب الوفد للحصول على ذلك » .

وهكذا ظلت بريطانيا تخطئ فى تقدير أبعاد الثورة وأهدافها الحقيقية فقد ظنت أنها يمكن أن تكون لصالح الوفد أو أن على ماهر يستطيع ، بالتضامن مع الوفد ، أن يتغلب على العسكريين !

فى السابعة وخمس دقائق مساء بدأت صورة الموقف داخل القوات المسلحة تتضح لكريزويل

بعث إلى لندن البرقية رقم ١٠٦٨ وفيها يقول :

« القوات الجوية المصرية فى القاهرة أقل « حيادا » مما بينته المعلومات التى قدمها الملحق الجوى . أنها متعاطفة تماما مع الجيش وقامت باستعراض للطائرات فوق مدينة الاسكندرية .

وتقوم سرية من القاهرة بنفس الشىء » .

* * *

لايوجد انقلاب نموذجى تم بالتدريج وطبقا للمراحل الكلاسيكية للانقلاب العسكرية مثل انقلاب الجيش المصرى .

كانت المراحل تدريجية ومنطقية .

لم يكن هدف الانقلاب إلغاء الحكم المدنى على الإطلاق . ولم يكن الضباط على ثقة بأنفسهم إلى الحد الذى يجعلهم يفعلون ذلك .

ولم يكن الجيش يطمع إلا فى تغيير قيادته والحكومة بأخرى .

وكانت الانتهازية طابع تلك الفترة الغامضة .

على ماهر وكل السياسيين يعتقدون أن أهداف الحركة محدودة ولذلك تمسكوا بالولاء لفاروق.

وكانت الولايات المتحدة وبريطانيا تريدان « تخويف » الملك ليقاوم الفساد ويبعد حاشيته الفاسدة ويحكم بالدستور ويضغط للانضمام لمنظمة الدفاع المشترك .

وصاحب الجلالة حائر لايعرف ماذا يفعل ، هل ينجو بجلده ، أم يلعب لعبة الصبر والانتظار بأعصاب باردة .

* * *

ظن كافرى أنه يستطيع المحافظة على النظام والافادة من حركة الجيش للضغط على بريطانيا من ناحية وصاحب الجلالة من ناحية أخرى .

بعث إلى حكومته يطلب منها الضغط على بريطانيا لتغيير سياستها نحو مصر .

قال :

« احداث تغيير فى سياسة وزارة الخارجية البريطانية هو السبيل الوحيد لمنع تدهور تدريجى ، ولكنه مؤكد ، فى الحياة السياسية فى مصر تصاحبه على المدى البعيد حالة فوضى»

ولكنه قال :

« هناك خطر حقيقى وشديد مع نمو نفوذ العسكريين وانهيار تاثير عوامل الاستقرار ومن قيام الجماعات المتطرفة ، وخاصة الاخوان المسلمين ، بدور متزايد.

هذه الحركة قد تكون الأضعف فى مسلسل يتغير بسرعة » .

* * *

لم يتوقع أغلب السياسيين ان الحركة ستؤدى إلى عزل الملك فقد توجه عدد منهم إلى قصر رأس التين يقيدون أسماءهم فى سجل التشريفات الملكية . وبين هؤلاء نجد اثنين من كبار الوفديين هما على زكى العرابى باشا رئيس مجلس الشيوخ ومحمد صلاح الدين باشا وزير الخارجية السابق .

ولم تفطن الصحف المصرية إلى أبعاد حركة الجيش وأهدافها البعيدة .

قالت عناوين صحيفة « الأهرام » ·

«الجيش يقوم بحركة عسكرية سلمية » .

« اعتقال عدد من كبار الضباط وحماية المرافق العامة » .

« اللواء محمد نجيب بك يتولى القيادة العامة للقوات المسلحة » .

« ويعلن أن الجيش كله أصبح يعمل لصالح الوطن فى ظل الدستور » .

« قبول استقالة وزارة الهلالى وتكليف على ماهر تأليف الوزارة الجديدة » .

ونشرت الأهرام حديثا للواء محمد نجيب فقد سأله مندوب الأهرام :

ـ هل انتهت حركة الجيش ؟

قال محمد نجيب

ـ استطيع القول أننا مسيطرون على الموقف سيطرة تامة . وستنتهى هذه الحركة بعد أن يتم تأليف الوزارة .

وكان العنوان الرئيسى لصحيفة « الأخبار » صباح الخميس ٢٤ يوليه يقول :

« اللواء محمد نجيب يقوم بحركة تطهير » .

وقالت عناوين أخرى لجريدة الأخبار ·

« على ماهر يؤلف الوزارة اليوم » .

« على ماهر يقابل الملك فى الاسكندرية »

« اعتقال عدد من كبار الضباط » .

وكتبت الصحيفة :

«عاشت القاهرة ليلة مثيرة ، فى تجربة جديدة على حياتها السياسية بدت النذر منذ أول الليل على شكل اجتماعات سرية فى جهات متناثرة من العاصمة ، وكان هناك رسل يروحون ويجيئون يحملون تعليمات وتدبيرات .

ولم تشعر القاهرة بهذا الذى يحدث فى شوارعها . وعاشت حياتها ، ككل ليلة ، بينما القدر يدبر لها أن تكون هذه الليلة .. ليلة حافلة .. ليست ككل ليلة .

أسفرت الاتصالات والاجتماعات والتدابير عن تحديد موعد للقيام بحركة عسكرية تقوم بها مجموعات من القوات المسلحة .

وكانت الكلمة الثابتة هى :

ساعة الصفر الواحدة والنصف .

والمكان فناء ثكنات العباسية .

وبدأ الضباط الذين تقرر أن يقوموا بالعملية يغادرون بيوتهم قبل الموعد بكثير . وهم على أتم استعداد ، وكانت هناك بعض التحركات السريعة .

وكان الهدف الأول

إن تنحى القيادة القديمة عن الجيش ، وتحل محلها قيادة جديدة .

ورأى الذين أشرفوا على العملية أن سلامتها تقتضى أن يحجز جميع قواد الأسلحة ويبعدوا عن الميدان حتى لايكون هناك مجال لأى احتكاك ، ولتمر الحركة الخطيرة فى نطاق من السلام يكفل لها أن تحقق أهدافها ، وكذلك رأى الذين اشرفوا على الحركة ضرورة توفير قوات كبيرة تكون الأساس الذى تعتمد عليه القيادة الجديدة .

وسار الرأيان معا ابتداء من ساعة الصفر .

وساعد القدر كثيرا فى عملية إبعاد القيادة القديمة .

وكانت هناك سرايا من المنفذين مهمتها أن تحجز اللواءات من قواد الأسلحة فى مبنى الكلية الحربية ، وزودت هذه السرايا بعناوين هؤلاء الضباط .

وتدخل القدر فقد ذهب الفريق حسين فريد بك رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى ، إلى مكتبه فى رئاسة الجيش ثم رأى من التطورات ما أثار ريبته فدعا قواد الأسلحة من اللواءات إلى اجتماع عاجل يعقد فى مكتبه عند منتصف الليل .

وذهب اللواءات ، واصبحت المهمة سهلة ميسورة .. قابلة للتنفيذ السريع .

ولم تحدث أية مقاومة على الاطلاق .

وذهب حسين فريد بك تحت الحراسة وبالاحترام العسكرى الواجب لرتبة الفريق إلى الغرفة التى اعدت لحجزه .

ثم بدأت عملية تجميع القوات التى تقف وراء القيادة الجديدة ونجحت العملية نجاحا فاق كل ما كان متوقعا .

وفى الساعة الثانية ، أى بعد نصف ساعة من بدء العملية ، كان الهدف الأول قد تحقق وأصبحت كل منطقة الثكنات بالعباسية قلعة مسلحة تنبض بالحركة والحماسة.

وفى هذا الوقت فقط بدأ بعض المسئولين خارج هذه القلعة يشعرون بما يجرى فى المنطقة .

وخرج على الطريق الذى يصل القاهرة بمصر الجديدة حراس مسلحون يستوقفون السيارات المارة بالليل ويتأكدون من شخصيات أصحابها .

وعاد صوت جنود الجيش يدوى

قف من أنت .

وجاء محافظ القاهرة ومدير الأمن العام إلى حدود المنطقة المحروسة وتوقفا فى محطة البنزين التى تقع فى نهاية شارع الملكة وأحسا أن شيئا هائلا يجرى أمامهما ثم عادا إلى دار المحافظة ليتصلا بالمسئولين فى الاسكندرية .

وبدأ رجال البوليس خارج منطقة الحوادث يمنعون السيارات من أن تدخل إليها منعا لأى

احتكاك . ولم يتعرض أحد بالطبع لسيارات الجيش التى كانت تخرج فى مهمات سريعة على شكل دوريات أو شكل سيارات جيب تحمل رسائل عاجلة .

وقد خرجت بعض الدوريات لحراسة محطة الإذاعة والإشراف عليها .

وخرجت بعض الدوريات لحراسة مرافق أخرى من مرافق العاصمة رؤى ضرورة وضعها تحت الحراسة .

وفى الساعة الثالثة صباحا كان كل شىء داخل منطقة الحوادث وخارجها على استعداد .

ودق التليفون فى بيت اللواء محمد نجيب بك وكان المتكلم بيت شقيقه اللواء على نجيب يسألونه إن كان قد سمع شيئا فإن اللواء على نجيب لم يعد إلى البيت حتى الآن . وكان الذى حدث هو ان اللواء على نجيب حجز ضمن من احتجزوا من اللواءات بوصفه قائد منطقة القاهرة لتفادى أى سوء فهم .

وقال اللواء محمد نجيب لأسرة شقيقه إنه لا يعلم شيئا عن الموضوع .

ولكن اللواء نجيب بك أحس أن مسائل هامة تجرى .

فظل مستيقظا يحاول أن يعرف التفصيلات .

واتصلت الاسكندرية به عدة مرات تسأله عما حدث فقال ... إنه ليست لديه أية صورة واضحة عما يجرى . وأنه ، والأمر كذلك ، سيذهب ليستطلع بنفسه حقيقة الحوادث .

وبعدها بقليل وقبل أن يغادر نجيب بك بيته دق التليفون وكان المتكلمون الضباط الذين يسيطرون على قلعة الحوادث وكانوا يطلبون من نجيب بك أن يذهب إليهم فورا وأن يستعد لتحمل مسئوليات جديدة .

وكان موعد اللقاء محطة البنزين عند كوبرى القبة .

ووصلت سيارة نجيب بك المدنية بيضاء اللون إلى قرب محطة البنزين عند كوبرى القبة .

ووجد نجيب بك أن قوة من الدبابات تحرس الكوبرى وأن سيارة مصفحة تنتظره لتنقله إلى رئاسة القوات .

واستمع نجيب بك إلى تفصيلات ما حدث فى الساعات القليلة الأخيرة »

ومن هذه الكلمات تتضح حقيقة هامة وهى أن محمد نجيب لم يكن مدبر الانقلاب والمخطط له بدليل أن هذا كله نشر والصحف تصدر فى القاهرة حيث يسيطر الجيش .

وربما كان النشر ، بهذا الأسلوب ، مقصودا منذ اللحظة الأولى ، لإعلان حقيقة دور اللواء محمد نجيب فى الانقلاب ! أو على الأقل أفاد مجلس الثورة فيما بعد عندما أراد الاطاحة بمحمد نجيب !!

البرقية الحاسمة

كان عبد الفتاح عمرو باشا يتولى منصب السفير المصرى وهو فى الثالثة والأربعين من عمره ، درس فى القاهرة ولندن ، وعين دبلوماسيا فى سفارة مصر بلندن . واختير نائبا لرئيس الغرفة التجارية الانجليزية المصرية .

وعين سفيرا لمصر فى بريطانيا عام ١٩٤٥ وظل يشغل هذا المنصب حتى عام ٥١ عندما استدعاه فاروق بعد هدم الانجليز لقرية كفر عبده فى منطقة القناة واختاره مستشارا له فى ٢٥ من ديسمبر مع استمرار شغله منصب السفير المصرى فى بريطانيا.

وعمرو باشا من رجال فاروق المقربين ، جعل السفارة جزءا من الديوان الملكى وتثق به وزارة الخارجية البريطانية كل الثقة !

وعندما توفى ملك بريطانيا أوفد إلى لندن للاشتراك فى تشييع الجنازة وبقى لمار سة عمله فى السفارة !

لاحظ السكرتير الثانى للسفارة محمد عصمت عبد المجيد - نائب رئيس الوزراء المصرى ووزير الخارجية وأمين عام الجامعة العربية فيما بعد - اختفاء السفير من دار السفارة بعد أن عرف بحركة الجيش .

ورأى عمرو باشا من ناحيته ، أن تقوم القوات البريطانية بإرهاب الجيش الثائر واخضاعه لفاروق .

ولكنه فى الوقت نفسه حذر الانجليز من الصدام المسلح مع الجيش المصرى .

توجه عمرو باشا إلى وزارة الخارجية البريطانية ليلتقى بروجر الين مدير الإدارة الأفريقية فى وزارة الخارجية البريطانية .

وروجرالين فى الثالثة والأربعين ، تخرج من جامعة كامبريدج واشتغل بالمحاماه ثم التحق بوزارة الخارجية .

وقد تدرج بسرعة فى المناصب الكبرى فتولى رئاسة قسم الأمم المتحدة ، وفى ١٤ من فبراير عام ١٩٥٠ اسندت إليه رئاسة القسم الأفريقى الذى تتبعه الشئون المصرية والسودانية .

وكانت خبرة الين واسعة باختصاصات الأمم المتحدة ، وأنها قد تقف ضد أى تدخل بريطانى عاملا أساسيا فى الموقف البريطانى من ثورة ٢٣ يوليه .

قال عمرو باشا لروجرالين :

- اعتبر تجنب الصدام المسلح بين البريطانيين والمصريين أمرا بالغ الأهمية . ولا يجب اتخاذ إجراء من شأنه استفزاز القوات المسلحة المصرية .

وأضاف السفير :

ـ يجدر بكم الإعلان عن بعض إجراءات الاستعداد من جانب القوات البريطانية فى منطقة القناة لإعطاء الانطباع بأن القوات البريطانية مستعدة للتحرك ، إذا لزم الأمر ، لا لحماية نفسها فقط .

وفسر عمرو باشا نواياه :

ـ أريد أن يحدث نوع من إعادة توزيع القوات بما فى ذلك المدرعات ، والقيام ببعض الطلعات الجوية الاستطلاعية . ولكن ذلك كله يجب أن يكون داخل منطقة القناة .

ومن المهم للغاية ألا تخرج أية قوات من المنطقة .

وطلب عمرو باشا أن ينقل رأيه إلى انتونى ايدن على الفور ، وكان مريضا يستجم خارج لندن .

أعد روجرالين مذكرة بنص الحديث قدمها إلى سلوين لويد وزير الدولة للشئون الخارجية وهو يدخل قاعة اجتماع مجلس الوزراء فإن ايدن تخلف ـ لمرضه ـ عن حضور الاجتماع .

قال الين فى مذكرته

« هذه المقترحات تتناسب بصفة عامة ، مع تفكير وزارة الخارجية » .

ونص حديث عمرو باشا لم يعرف به قادة الثورة أبدا . ولم يعلموا أن السفير المصرى طلب عدم الصدام العسكرى بين المصريين والانجليز .

وكان كل ما رغب فيه عمرو باشا أن تتحرك قوات بريطانية داخل منطقة القناة ولاتنتقل إلى القاهرة ، ربما لإرهاب قادة الانقلاب ومنعهم من التمادى فى مطالبهم بعزل فاروق ، والتلويح لهم بأن بريطانيا قد تتدخل .

وقد أحيل كل أعضاء السفارة التسعة ، بعد الثورة إلى لجان التطهير عدا محمد عصمت عبد المجيد ، الذى كان والده محمد فهمى عبد المجيد مديرا لمستشفى المواساة وخصما لفاروق وكذلك الملحق العسكرى القائمقام ـ العقيد ـ المهندس حمدى المغربى والملحق الجوى اللواء حسن محمود.

وعلى أية حال فإن قادة الثورة نقلوا عمرو باشا ـ بعد رحيل الملك ـ سفيرا فى نيودلهى فاعتذر عن تنفيذ قرار النقل ولذلك أصدر على ماهر باشا كوزير للخارجية ، قرارا باحالة السفير إلى المعاش فاستقر فى لندن .

ويقول محمد عصمت عبد المجيد أن عمرو باشا لم يتقدم بطلب رسمى لبريطانيا للتدخل العسكرى لإنقاذ فاروق وكان يستطيع أن يفعل ذلك باسم الملك ، وموقف عمرو ساعد الحكومة البريطانية على المضى فى سياستها بعدم التدخل .

* * *

كانت حملة انتخابات الرئاسة الأمريكية فى عفوانها فى واشنطن .

وكان هناك سبعة من المرشحين عن الحزب الجمهورى يتقدمهم تافت ، ويليه الجنرال ايزنهاور قائد قوات الحلفاء فى أوربا أثناء الحرب .

وكان أقوى منافسيه فى الحزب الديمقراطى محافظ ولاية الينوى « إدلاى ستيفنسون » .

أثناء التصويت فى مؤتمر الحزب الجمهورى قبل أيام من الانقلاب فى مصر فاز «ايزنهاور » بأن يكون مرشح الحزب لانتخابات الرئاسة .

ولم يكن أمرا مقبولا بالنسبة للرئيس الامريكى « هارى ترومان » أن يتخذ موقفا فى مصر ضد ثورة يقوم بها الجيش فى الوقت الذى يرشح الحزب المنافس له قائدا عسكريا لرئاسة الولايات المتحدة فى ظل نظام ديمقراطى !

قالت صحيفة نيويورك تايمس :

« إذا استطاع محمد نجيب الحد من طموحاته ، وطموحات المتطرفين الوطنيين والتزم بعزمه على تطهير الفساد فى المناصب العليا فلن يخشى من التدخل الأجنبى » .

* * *

كان فاروق يستغيث بالسفير الأمريكى لإقناع زميله البريطانى وقائد القوات البريطانية بالتدخل العسكرى لصالحه بواسطة القوات البريطانية فى منطقة القناة وهى تفوق جيش مصر عددا وعتادا .

ولم يكن فاروق يعرف موقف الحكومة الأمريكية منه .

فى الساعة الواحدة و ٤٦ دقيقة بتوقيت واشنطن أى السادسة و ٤٦ دقيقة صباحا بتوقيت لندن بعث السيراوليفر فرانكس السفير البريطانى فى الولايات المتحدة ببرقية إلى وزارة الخارجية حسمت الموقف بالنسبة للتدخل البريطانى فى مصر .

قال السير فرانكس :

«ترى وزارة الخارجية الأمريكية ألا نتدخل بقوات بريطانية إلى جانب فاروق»،

وصلت هذه البرقية إلى لندن بعد ٤ ساعات ولم يعلم بها الملك فاروق .

ولم يعرف فاروق أن موقف الحكومة الأمريكية منه لايختلف كثيرا عن موقف الحكومة البريطانية .

ولم يعرف فاروق أبدا أن الحكومة الأمريكية طلبت من الحكومة البريطانية ألا تتدخل لصالحه!

وكانت البرقيات السرية المتبادلة بين كافرى وواشنطن تتم فى معظم الأحيان ، خلال أيام الثورة، عن طريق لندن ووزارة الخارجية البريطانية نفسها فإن الحكومة الأمريكية أرادت متابعة الأخبار بسرعة وكانت الاتصالات عن طريق لندن أسرع !

وتشرشل تربطه بالأمريكيين صداقة قديمة ويقدر لهم موقفهم فى التضامن مع بريطانيا اثناء الحرب العالمية الثانية .

استمع تشرشل إلى نصيحة وشنطن بعدم التدخل فى ٢٣ من يوليه عام ١٩٥٢ وبذلك نجح الضباط واستطاع الجيش ارغام فاروق على التنازل وطرده من مصر .

وقد كرر الرئيس الأمريكى ايزنهاور هذه النصيحة إلى انتونى ايدن عام ١٩٥٦ إذ طلب إليه عدم التدخل العسكرى فى مصر بعد تاميم جمال عبد الناصر لقناة السويس .

ولم يستجب ايدن للنصيحة فى عام ١٩٥٦ وتدخل عسكريا مع فرنسا واسرائيل ضد مصر وبذلك ساعد عبد الناصر مرة ثانية على أن يحقق مايريد بتأميم القناة فأصبح عبد الناصر بطلا أسطوريا !!

* * *

كان انتونى ايدن وزير خارجية بريطانيا فى الخامسة والخمسين من عمره وهو خبير بالشئون المصرية منذ كان وكيلا لوزارة الخارجية ، وهو يتابع أيضا شئون البترول الإيرانى منذ عام ١٩٣٣ . يعرف اللغتين الفرنسية والألمانية كما درس الفارسية والعربية .

كان انتونى وزير خارجية بريطانيا مريضا بالصفراء يقيم بالريف ولم يذكر فى مذكراته أنه كان مريضا ولم يحضر اجتماعات مجلس الوزراء بل قال إنه كان يصدر التعليمات بشأن مصر !

والحقيقة أنه كان يبلغ هذه التعليمات إلى سلوين لويد وزير الدولة للشئون الخارجية الذى يحضر اجتماعات مجلس الوزراء .

ولكن محضر مجلس الوزراء يقول صراحة بأن ايدن طلب أن يكون التدخل البريطانى فى مصر، بقرار وزارى أى بقرار منه لا بقرار من قادة الجيش المحليين .

وكان وزير الدفاع ضد التدخل .

قال إنه ينبغى ترك قدر معقول من حرية التصرف للقادة المحليين ، الذين يمكن أن يعهد إليهم بمهة تحاشى الظهور بمظهر من يتجاوز عن أحد الأطراف فى نزاع مصرى داخلى .

وكان تشرشل صاحب الرأى الحاسم بعدم التدخل .

قال إنه فى الظروف الراهنة ، ينبغى على أى تحرك من تحركات القوات البريطانية فى مصر أن يتسم بأكبر قدر ممكن من عدم التطفل .

وكان رأى المسئول الأول فى وزارة الخارجية الذى يقدم مذكراته إلى سلوين لويد وزير الدولة للشئون الخارجية ثم مجلس الوزراء فى غياب ايدن ، عدم التدخل .

وهذا المسئول هو السير وليم سترانج وكيل وزارة الخارجية الدائم منذ أول فبراير ١٩٤٩ .

وسترانج ـ ٥٩ سنة ـ التحق بوزارة الخارجية منذ عام ١٩١٩ وأمضى فى العمل الدبلوماسى ٣٣ سنة . وخبرته وتجاربه طويلة . يعرف اللغة الروسية وعمل سكرتيرا للوفد البريطانى فى مؤتمر الصلح فى باريس بعد الحرب العالمية الأولى وكان مستشارا سياسيا للقائد البريطانى فى ألمانيا ، بعد الحرب العالمية الثانية .

وكان يعاونه الوكيل المساعد للخارجية السير جيمس بوكر ـ ٥١ سنة ـ الذى عمل بالقاهرة ٣ سنوات وزيرا مفوضا وقائما بالأعمال منذ عام ٤٥ حتى عام ٤٧ ويعرف ظروف مصر وأحوال فاروق .

* * *

اجتمع مجلس الوزراء البريطانى بعد وصول برقية واشنطن برئاسة رئيس الوزراء ونستون تشرشل فى الساعة الحادية عشرة والنصف ، بتوقيت بريطانيا الصيفى ـ منتصف الواحدة ظهرا بتوقيت القاهرة ـ يوم ٢٣ يوليه ١٩٥٢ . وكانت مصر هى المادة الأولى فى جدول الأعمال .

ولم يتكلم فى الجلسة عن مصر سوى وزير الدفاع « ايرل الكسندرأوف تونس » .

وكان بين الحاضرين السيروالتر مونكتون وزير العمل والخدمة المدنية الذى كان صديقا للملك ادوارد الثامن الذى اعتزل العرش ليتزوج المرأة التى يحبها واليس سيمبسون ، ويصبح شهيرا

باسم دوق وندسور! وكان مونكتون خبيرا باجراءات اعتزال العرش ... البريطانى !

قال قرار مجلس الوزراء البريطانى :

« وصل نبأ للوزارة بانه خلال الليلة الماضية وقع انقلاب عسكرى فى القاهرة قامت به مجموعة من ضباط الجيش الذين أحكموا سيطرتهم الكاملة على المدينة وأنهم بدأوا محادثات مع الحكومة فى الاسكندرية .

واعلن قادة هذه المجموعة من الضباط انهم لايهتمون بالعلاقات الخارجية ويهدفون فقط إلى قمع الفساد فى داخل البلاد ، غير أنهم أوضحوا للسفارة البريطانية أنهم سيقومون بمقاومة منظمة ضد أى تدخل بريطانى .

وكانت السفارة قد طلبت بالفعل من السلطات العسكرية البريطانية فى منطقة القناة أن تعطيها بلاغا مسبقا قبل اتخاذ أى عمل عسكرى تحسبا للتبعات السياسية المحتملة.

وربما كان وزير الخارجية يتمنى أن يذهب لأبعد من ذلك ويطلب ألا يكون هناك أى تدخل عسكرى دون موافقة صريحة .

قال وزير الدفاع انه يامل أن نترك حرية التصرف لحكمة القادة المحليين الذين نثق بانهم سيتجنبون الظهور بمظهر الانحياز لأى جانب فى صراع داخلى فى مصر.

قال رئيس الوزراء إنه فى الظروف الراهنة يجب أن تكون تحركات القوات البريطانية فى مصر بعيدة عن التدخل بقدر الأمكان » .

* * *

قال انتونى ناتنج وزير الدولة البريطانى إن طلب فاروق بتدخل بريطانيا رفض بعد مشاورات عاجلة بين لندن وواشنطن » .

وفى كتاب « واشنطن تخرج من الظل « قال المؤلف جيفرى أرونسون :

« نقل الجنرال سليم قائد القوات البريطانية فى مصر إلى ايدن طلب الملك فاروق بالتدخل فأبلغه ايدن إلى وشنطن .

وكان رد الرئيس الأمريكى هارى ترومان سلبيا فإن الولايات المتحدة لاتقر أى تدخل أجنبى لإنقاذ فاروق » .

وقال بارى سانت كلير فى كتابه « فاروق ملك مصر » إن ترومان استشير عبر اتشيسون وزير خارجيته وكان ـ أى ترومان ـ ضد التدخل البريطانى .

* * *

كانت إيران هى المادة الثانية فى جدول الأعمال . وهى ـ إيران ـ السبب المباشر أو السبب الأول الذى جعل مجلس الوزراء البريطانى يمتنع عن التدخل لصالح فاروق ضد حركة الجيش .

وكان انتونى ايدن وزير خارجية بريطانيا يرى أن الاتفاق مع إيران أهم من حركة الضباط فى مصر . ففى اليوم السابق ـ ٢٢ يوليه ـ أصدرت محكمة العدل الدولية فى لاهاى حكما بعدم اختصاصها نظر القضية التى أقامتها الحكومة البريطانية ضد إيران لتأميمها شركة البترول .

وصدر الحكم بعدم الاختصاص بأغلبية تسعة أصوات ضد خمسة .

وقد صوت القاضيان المصرى والفرنسى مع الأغلبية .

اعتبرت الحكومة البريطانية هذا الحكم لطمة لها . وكانت تأمل أن تصدر محكمة العدل الدولية حكما لصالح شركة البترول البريطانية فى إيران بعد أن قرر مجلس الوزراء اتخاذ الإجراءات القانونية ضد كل من يشترى البترول الإيرانى من الشركة المؤممة . وأذاعت الحكومة البريطانية بيانا بذلك فى مجلس العموم .

وكانت أزمة تأميم البترول الإيرانى أهم مايشغل أذهان المسئولين والشعب البريطانى .

بدأت الأزمة قبل إعلان مصر الغاء معاهدة عام ١٩٣٦ فى ٨ أكتوبر ١٩٥١ بل إن الانجليز يرون ان موقف مصدق هو الذى شجع الوفد على الغاء المعاهدة .

فقد اختير الدكتور مصدق رئيسا للجنة البرلمانية التى اقترحت تأميم شركة البترول.

وعين مصدق رئيسا لوزراء إيران فى ٢٨ ابريل عام ١٩٥١ فأصدر فى اليوم التالى قانون التأميم .

وتوقف شحن البترول الإيرانى إلا بعد اعتراف ربابنة السفن بأن البترول ملك لشركة البترول الإيرانى المؤممة .

عرض النزاع على مجلس الأمن فقرر تأجيله حتى تصدر محكمة العدل الدولية قرارها .

وأرادت بريطانيا التدخل العسكرى ضد إيران لاستعادة شركة البترول فمنعتها الولايات المتحدة ، وكان ذلك عاملا هاما فى منع بريطانيا من التدخل فى مصر .

وكان واضحا أن الولايات المتحدة تريد أن تحل محل بريطانيا فى إيران .

ورغب مصدق فى تدعيم منصبه وسلطاته فلما رفض الشاه استقال مصدق ، واختير قوام السلطنة رئيسا للوزراء ، ولكنه لم يمض سوى خمسة أيام فى الحكم فقد قامت المظاهرات العنيفة ضده واضطر الشاه إلى دعوة مصدق مرة أخرى لرئاسة الوزارة الإيرانية بعد أن أيد عودته ٦١ من ٦٤ نائبا .

وفى الليلة السابقة على الثورة فى مصر كان مصدق ـ ٧١ سنة ـ قد عاد لتولى الوزارة وأصدرت محكمة العدل الدولية حكمها الذى يعتبر انتصارا لمصدق الذى قرر اعتبار يوم ٢٣ يوليه عيدا قوميا بمناسبة صدور الحكم .

ولم تستطع بريطانيا تحمل هذه الصدمات ومواجهتها بالتدخل العسكرى فى مصر لإنقاذ فاروق بينما ترى بريطانيا نفسها غارقة فى أزمة تأميم البترول الإيرانى ولاتستطيع الدخول ، مختارة ، فى أزمة أخرى بالقاهرة .

ولم تكن هذه هى الأزمة الوحيدة التى تواجهها بريطانيا وتعانى منها وتمنعها من التدخل العسكرى فى مصر .

كانت المشكلات والأزمات تلاحق بريطانيا فى كل دولة عربية توجد فيها قوات احتلال بريطانية حتى ان المسئولين البريطانيين اعلنوا أن عام ١٩٥٢ هو عام الثورات فى الوطن العربى !

* * *

فى بغداد استقال نورى السعيد رئيس وزراء العراق ـ رجل بريطانيا الأول فى العراق ـ يوم ١٠ من يوليه قبل ١٢ يوما من حركة الجيش فى مصر ، ورغم أنه اختار لرئاسة الوزراء أحد خدمه ـ كما تقول وزارة الخارجية البريطانية وهو مصطفى العمرى ـ إلا أن بريطانيا تطمئن إلى نورى السعيد أكثر مما تطمئن لخدمه !

وقال السفير البريطانى إن الصحافة العراقية معادية للانجليز .

وأصبح نقد السياسيين القدامى عاما من الطبقة الوسطى المتعلمة وظهر السخط الشعبى من الأحوال الاجتماعية التى لم تتغير منذ زمن .

ومن هنا فإن بريطانيا كانت تعانى أزمة اخرى فى العراق تمنعها من التدخل ضد الثورة .

وكان العراق فى أزمة مع العقيد أديب الشيشيكى قائد الانقلاب فى سوريا الذى يعارض الاتحاد بين العراق وسوريا .

* * *

وفى الاردن كانت الأحوال مضطربة . اغتيل الملك عبد الله يوم ٢٠ يوليه ١٩٥١ وانتحر قاتله واتهم بعض قيادات الاردن بتدبير مؤامرة الاغتيال ومن بينهم الكولونيل عبد الله التل قائد منطقة القدس فحكم عليه بالإعدام ولجأ إلى القاهرة .

وتولى الحكم ولده الملك طلال ولكن بعد عام واحد من جلوسه على العرش عاد من سويسرا يوم ٣ من يوليه ٥٢ مريضا يقيم فى قصره بعمان تنتابه الأمراض العصبية فلا يستقبل أحدًا .

بعث إليه الملك فاروق اثنين من الأطباء المصريين أحدهما للاعصاب والثانى طبيب نفسى قالا إن حالته العصبية خطيرة ، حتى بالنسبة لزوجته وأسرته ، ويحتاج لعلاج خارج الأردن .

واتفق رئيس وزراء الأردن مع صاحب الجلالة على اعتزال العرش ، ولكن طلال عدل عن الاعتزال وقال إنه لن يسافر إلا مرغما .

وبعد قيام الثورة المصرية عقد اجتماع مشترك للبرلمان الأردنى بجلسة ـ يوم ١١ أغسطس ـ قرر خلع طلال بعد عشرة شهور تقريبا من جلوسه على العرش . وأعلن البرلمان حسين ملكا على الأردن بعد اقل من شهر من قيام الثورة المصرية !

* * *

وفى لبنان ظل الشيخ بشارة الخورى رئيسا يتمتع باحترام وتقدير الشعب اللبنانى ٨ سنوات كاملة فهو أول زعيم مارونى نادى بعروبة لبنان ، وأول رئيس للجمهورية بعد الاستقلال .

ولكن أوائل عام ١٩٥٢ شهدت بدء انهيار نظامه .

استقالت وزارة عبد الله عبد الباقى ، وألف سامى الصلح وزارة جديدة فى فبراير ١٩٥٢ من زعماء الاقطاع ورجال الأعمال .

وفى مارس وابريل زاد السخط الشعبى وانتشرت الاضرابات وامتدت إلى السكك الحديدية والتليفونات والمحامين واضطر رئيس الجمهورية إلى تغيير مديرى الأمن العام والشرطة ودخل فى صراع دموى مع الصحافة التى انتقدته فعطل الصحف وقدم صحيفة كمال جنبلاط زعيم الدروز إلى المحاكمة !

ثم اضطر الشيخ بشارة الخورى ، بعد أقل من عامين فقط من انتخابه رئيسا للمرة الثانية ، إلى الاستقالة فى ١٨ من سبتمبر ١٩٥٢ .

* * *

وفى ليبيا التى أعلن استقلالها عام ١٩٥١ بدأت المعركة الانتخابية أوائل عام ١٩٥٢ باضطرابات دامية قتل فيها ١٧ وجرح أكثر من ٢٠٠ واضطرت الحكومة الليبية إلى طلب تدخل القوات البريطانية لحفظ الأمن .

وتقرر نفى زعيم المعارضة بشير السعداوى وابنه إلى مصر .

وكان هناك ٦٠ ألف إيطالى يريدون استعادة أملاكهم التى كانت لهم أثناء الاحتلال الإيطالى لليبيا .

وقامت أزمة بين الحكومتين البريطانية والليبية بشأن إقامة معسكرات لقوات الاحتلال أضيفت إلى الازمات التى تواجهها بريطانيا فى العالم العربى وتمنعها من مواجهة الجيش المصرى وأثارة مشكلة جديدة !

* * *

فى الساعة الواحدة بعد الظهر اتصل كريزويل بكافرى قائلا :

« انى مقتنع بأنه ليس لدى الحكومة البريطانية نية استخدام القوة للتدخل فى مصر فى هذه المرحلة »

أبرق كافرى بذلك إلى واشنطن . قال :

« من الواضح أن البريطانيين لايفكرون فى التدخل » .

وكان ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا قد زار الولايات المتحدة فى يناير ١٩٥٢ وعقد ثلاث إجتماعات بالرئيس ترومان أخرها يوم ٨ ابريل ثم خطب فى الكونجرس فدعا كلا من الولايات المتحدة وفرنسا وتركيا لإرسال قوات رمزية إلى مصر وطلبت بريطانيا إلى هذه الدول والدول الأخرى التى تستخدم القناة المساعدة على بقائها مفتوحة للملاحة .

ولكن الولايات المتحدة رفضت ـ أثناء المباحثات ـ إرسال قوات رمزية أمريكية إلى مصر !

واجتمع يوم ٢٥ يونيه رؤساء أركان حرب القوات الأمريكية فى واشنطن لبحث الموقف فى مصر.

وقدم رئيس الأركان الجنرال عمر برادلى مذكرة إلى وزير الخارجية قال فيها :

« يحتمل ان تلجأ القوات البريطانية إلى استعمال القوة للمحافظة على موقعها فى مصر وستبحث عن مساندة دولية وبالذات من الولايات المتحدة . فإذا استخدمت القوة فإن القوات البريطانية ستتضاعف اعدادها وستبقى فى مصر لسنوات عديدة .

وتأمل رئاسة أركان القوات الأمريكية أن يتجنب البريطانيون استخدام القوة للمحافظة على موقعها فى مصر » .

وعلى هذا الأساس فإن الموقف الأمريكى قبل شهر من الثورة ، ودون توقع قيامها هو تجنب التدخل العسكرى البريطانى فى مصر !

* * *

ويستدعى فاروق السفير الأمريكى للقائه بقصر المنتزه فى الثالثة بعد الظهر ويبلغ كافرى نص حديث صاحب الجلالة إلى كريزويل قائلاً :

- يشعر الملك فاروق بالمرارة تجاهكم وربما يكون ذلك بسبب عدم تدخلكم لصالحه

اتصل كافرى بفاروق فى الخامسة بعد الظهر لينقل له رسالة من القائم بالأعمال البريطانى قال :

- ابلغنى كريزويل بأن وزارة الخارجية فى لندن وقيادة القوات البريطانية فى فايد على اطلاع تام بمجريات الأمور . ولكن كريزويل يشك فى أن بريطانيا ستتدخل فى شئون مصرية داخلية .

قال فاروق :

— أفهم ذلك ولكن الوقت يمضى ، واستعراض ينطوى على قليل من الجدية يمكن أن يغير الصورة برمتها .

رد كافرى ٠

- معلوماتنا عن الحركة أنها ليست ضد شخصك .

أجاب فاروق يائسا :

- إنهم يقولون ذلك فقط كى يحولوا دون تدخل البريطانيين .

وفى برقيته إلى واشنطن ، وفى حديثه مع كريزويل قال كافرى .

« حرصت على ألا اذكر للملك أى تشجيع يجعله يتوقع أن يقدم الانجليز على تحرك لمصلحته »!

* * *

فى السادسة مساء بتوقيت لندن بعث هولمز السفير الأمريكى فى لندن إلى وزير خارجيته دين اتشيسون يعلن بصفة قاطعة حاسمة موقف بريطانيا من الانقلاب .

قالت البرقية الموجزة رقم ٢٥ :

« البريطانيون لن يتدخلوا » !

ويجتمع المسئولون فى المركز البريطانى فى الشرق الأوسط ، وهو الذى حل محل الوزير البريطانى المقيم فى الشرق الأوسط أثناء الحرب . ويبعث السير راب مدير المركز ببرقية إلى لندن . قال :

« بعد مناقشة غير رسمية هنا تقرر عدم اتخاذ عمل عاجل عدا إعلان حالة الاستعداد بين القوات البريطانية .

وقد أمر قائد القوات البريطانية فى الشرق الأوسط عدم القيام بطلعات جوية فوق دلتا نهر النيل » .

وصدر أمر للقوات البريطانية بأن تكون على قدم الاستعداد لحالة الطوارئ .

وقال الأمر بأن الا ستعدادات العسكرية لاتستهدف مطلقا القوات المسلحة المصرية. وستبذل بريطانيا كل مجهود للحيلولة دون وقوع أى حادث .

وقررت قيادة القوات البريطانية فى الشرق الأوسط تخفيض حالة الاستعداد لقواتها المشتركة فى

عمليتى « روديو » و « برنارد » إلى ٤٨ ساعة بالنسبة لبعض القوات وإلى ٩٦ ساعة بالنسبة لقوات أخرى .. أى أن تستعد هذه القوات خلال يومين أو أربعة أيام على الأكثر ثم تكون جاهزة بعدها للتحرك والعمل .

* * *

ووضعت قيادة الشرق الأوسط تقييما لردود الفعل المحتملة فى مصر إذا قامت باستعراض للقوة فى مصر وماذا سيكون موقف الجيش المصرى فى منطقة القناة .

قال التقييم .

« * الجيش المصرى :

كل الأدلة متوفرة لدينا تظهر أن الجيش الآن يقف موقفا قويا وراء نجيب ويؤيد طرد مهرجى الملك والمعينين من قبله ، وربما أيضا الحد من نفوذ صاحب الجلالة

واستعراض القوة لن يؤدى بأى شكل إلى فهم الضباط المصريين للنتائج السياسية التى ترتبت على انقلابهم ولكن من المحتمل أن يثيرهم علينا .. أى على الانجليز .

* منطقة القنال

هذه المنطقة هادئة الآن لكنها متوترة بطبيعة الحال . فقد تجمع عدد من غير المرغوب فيهم فى الاسماعيلية فى انتظار ذريعة لاساءة التصرف .

البوليس متوتر واستعراض القوة قد يعطى القوى غير المرغوب فيها الذريعة التى يحنون إليها.

ولسنا واثقين من أن البوليس مستعد وقادر على المحافظة على القانون والنظام فى موقف يمكن فيه تصور أى عمل على أنه تدخل فى السياسة المصرية تأييدا للملك .

وإذا صدرت لنا التعليمات بالاستعداد كما يقترح ـ كريزويل ـ فسنطلب معرفة الهدف النهائى الذى يجب أن تسعى أعمالنا إلى تحقيقه » .

* * *

فى الساعة ٥٨ر٨ دقيقة مساء ٢٣ يوليه بعثت وزارة الخارجية إلى كريزويل برسالة تقول :

« يجب أن يرى « هاملتون » المستشار الشرقى للسفارة البريطانية بالقاهرة نجيب و إبلاغه الرسالة التالية :

« لاترغب بريطانيا فى التدخل فى الشئون الداخلية المصرية ولكننا لن نتردد فى التدخل إذا اعتبرنا ذلك ضروريا لحماية أرواح البريطانيين .

وقد صدرت تعليمات محددة للقوات البريطانية بأن تكون على قدم الاستعداد لحالة الطوارئ .

وتضع الحكومة البريطانية فى اعتبارها بيان اللواء نجيب بأن الجيش المصرى سيكون مسئولاً عن حماية أرواح الأجانب وممتلكاتهم . وتامل الحكومة البريطانية بإخلاص ، تبعا لذلك ، ألاتنشأ ضرورة لتدخل القوات البريطانية » .

وقالت الرسالة

« لاتستهدف الاستعدادات العسكرية التى تقوم بها القوات البريطانية مطلقا القوات المسلحة المصرية . وستبذل بريطانيا كل مجهود للحيلولة دون وقوع أى حادث » .

تلقى مايكل كريزويل القائم بأعمال السفير البريطانى هذه الرسالة فى التاسعة والنصف مساء فأبلغها إلى هاملتون فى القاهرة .

فى مذكراته قال إيدن أن هاملتون « أوسع الناس خبرة فى شئون مصر » .

وكان هاملتون قد عمل فى مصر لأول مرة عام ١٩٣٧ ثم انتقل إلى بيروت قائما بالأعمال .

وعاد إلى مصر عام ١٩٤٢ ليعمل بمكتب الوزير البريطانى للشرق الأوسط .

وكان كريزويل يعرف ماضى هاملتون فى مصر .

قال كريزويل فى برقية إلى لندن :

« راقب الجيش مكالمات الملك التليفونية . وعن طريقها استطاع نجيب وضباطه معرفة كل شىء عن محادثات الملك مع كافرى مقترحا التدخل البريطانى .

وقد أثارتهم تلك النقطة » .

أبرقت وزارة الخارجية البريطانية بأن « الحكومة البريطانية ليست مستعدة لاتخاذ اجراءات استفزازية .

ولكنها خفضت استعداداتها فأصبحت تستطيع التدخل بعد ٤٨ ساعة من إخطارها بذلك .

ويحدد اللواء محمد نجيب الساعة الحادية عشرة مساء اليوم التالى للحركة ـ ٢٤ يوليو ـ للقاء هاملتون الذى جاء يرافقه مساعد الملحق العسكرى البريطانى وقد لاحظا هدوء مقر القيادة .

أبلغ مستشار السفارة اللواء محمد نجيب رسالة أنتونى ايدن قائلا إن الرسالة من الحكومة البريطانية .

استمع اللواء محمد نجيب إلى الرسالة . وعلى الفور كرر تأكيده بأنه سيكون مسئولا عن حماية ارواح الأجانب فى مصر .

قال هاملتون :

ـ لاحظت الحكومة البريطانية بيانك وتأمل ألا توجد ضرورة للتدخل .

وأضاف محذرا

ـ على أية حال توجد قوات بريطانية كبيرة ، وهى فى حالة تأهب تام .

وقال :

ـ لقد طلب منى سفير الولايات المتحدة أن أعلن تأييده لكل ما أقول .

وكان هذا هو أول إنذار من الانجليز للثورة .

وكان الانذار مؤيدا من الولايات المتحدة الأمريكية !

استمع محمد نجيب للرسالة باهتمام ، ولكن بروح ودية ، فإن الحركة لم تكن تخشى فاروق بعد استسلامه ، ولكنها كانت تخاف التدخل البريطانى الذى قد يؤدى إلى مذبحة وإلى فشل الإنقلاب .

واستمر هاملتون يفسر كلمات الإنذار .

قال

هناك ثلاث نقاط رئيسية أود أن أضعها نصب أعينكم شخصيا .

١ ـ أية اراقة للدماء ستكون بالتأكيد بداية لسلسلة كبيرة من الأعمال التى ستؤدى حتما إلى التدخل البريطانى لحماية الأرواح البريطانية .

٢ ـ إذا تلى رحيل الملك فراغ دستورى دون إعلان عن تشكيل مجلس للوصاية وبقاء استمرار النظام الملكى فسيثير ذلك موقفا خطيرا للغاية ويمكن أن يؤدى إلى اراقة الدماء.

وفى ضوء رد الفعل الشعبى لتنازل الملك فاروق عن العرش سينشأ خطر يتولد عن انفجار عناصر غير مسئولة تحت ستار الابتهاج الشعبى .

وأعتقد أنك كقائد عام أو على ماهر باشا كحاكم عسكرى ، ستعيدان نظام حظر التجول .

لم يعترض اللواء نجيب أو أحد من أعضاء القيادة الذين حضروا الاجتماع على كلمة مما قاله هاملتون رغم مافيها من تدخل فى شئون مصر فإن رسالة الحكومة البريطانية كانت تتوقع من البداية ، عزل الملك أو توحى بذلك للضباط !

إن بريطانيا أصرت على بقاء النظام الملكى وتعيين مجلس للوصاية ، أى عدم قيام الجيش مباشرة بحكم مصر .

وأخذ جون هاملتون يملى على نجيب رسالة ايدن فأخذ نجيب يكتبها ثم توقف قائلا لهاملتون:

ـ هذا يذكرنى بحصة الاملاء عندما كنت أدرس فى كلية جوردون بالخرطوم!

ولم يكن فى وسع نجيب إلا الموافقة ، والاستسلام ثم قال :

ـ يحاول على ماهر ادخال الدكتور محمد صلاح الدين ومحمد ركى العرابى فى الوزارة .

اشارة إلى أن الوفد أيضا سيدخل الوزارة ، وانها ستكون ائتلافية معبرة عن أحزاب مصر كلها .

وكان هدف محمد نجيب إرضاء الانجليز ولم يكن يعرف مدى عداء الانجليز للوفد .

بعث هاملتون إلى ايدن يقول :

« نفذنا العمل بدقة وشكرنى اللواء محمد نجيب ، كما شكر مساعد الملحق العسكرى» .

وقال كريزويل :

« كانت العصبية بادية على الضابط المصرى ـ يقصد عبد المنعم أمين ـ الذى جاء إلينا يشرح دوافع الإنقلاب وينقل إلينا تحذيرا بعدم التدخل ولكن زالت شكوك الجيش بعد أن وصلهم توضيحكم ليلة ٢٤ يوليه » .

وفى اليوم التالى بعثت وزارة الخارجية الأمريكية رسالة إلى كافرى لإبلاغها إلى على ماهر . قالت الرسالة .

« تعتبر الولايات المتحدة الموقف من الشئون الداخلية المصرية . وقد لاحظت بيان اللواء محمد نجيب بشأن أمن الأجانب . ونعتقد أن ذلك يمثل سياسة حكومة على ماهر » .

* * *

بعد لقائه بمحمد نجيب أبرق هاملتون إلى لندن يقول :

« بدت قيادة الجيش واثقة من نفسها » !

.. وكان مبرر الثقة واضحا فقد اطمأنت الحركة إلى أن بريطانيا لن تتدخل ، والولايات المتحدة تؤيد ذلك . ومادام الانجليز لايتدخلون لصالح فاروق فإن أحدا لم يكن مستعدا للتدخل لحسابه ! فإن رسالة ايدن تبين بوضوح أن بريطانيا تتوقع رحيل فاروق عن مصر .

وربما تكون هذه الرسالة قد شجعت مجلس الثورة على اتخاذ قرار مساء ٢٤ يوليه، أى مساء نفس اليوم ، بعزل فاروق !

ولم يكن فاروق يعرف أن مصيره قد تحدد نهائيا بهذا اللقاء وتلك البرقية .

العقبـات تنهـار

صباح الخميس ٢٤ يوليه ، اليوم الثانى للإنقلاب توقف النشاط العسكرى المكشوف تماما .

وجرت الاستعدادات للخطوة التالية .

توجه محمد نجيب وجمال عبد الناصر واسماعيل فريد ، الذى أصبح بعد ذلك ياورا لمحمد نجيب فى السادسة والنصف صباحا إلى على ماهر باشا رئيس الوزراء فى بيته بالجيزة لإبلاغه بمطالب الحركة النهائية من الملك ، وهى إلغاء الأحكام العرفية وإجراء الانتخابات فورا .

نظر على ماهر إلى الضباط الثلاثة وسألهم

ـ من منكم محمد نجيب ؟

.. فلم يكن يعرفه !

قال محمد نجيب لعلى ماهر :

ـ كنت أنوى دعوة حسين سرى إلى السلطة ، فإن ـ استقالته ـ كانت النتيجة المباشرة لعدم موافقة الملك على طلب سرى باشا بتعييني ـ أى محمد نجيب ـ وزيرا للحربية .

لم يرد على ماهر ولكن تفسيره الذى قاله لكريزويل أن الجيش فقد الثقة فى حسين سرى منذ سمح لكريم ثابت أن يكون وزيرا فى وزارته .

ويتفق على ماهر ، مع محمد نجيب ، على ألا يتمادى رجال الجيش فى إجراءاتهم ضد رجال البلاط المقربين من الملك .

قال محمد نجيب :

ـ إطمئن . إذا استجاب الملك لمطالبنا إنتهى كل شىء بسلام .

ويودع القائد العام على ماهر فى محطة سكة حديد القاهرة فإن آمال الانقلاب تركزت فى على ماهر ، والصورة التى سينقلها لصاحب الجلالة ، واللقاء الذى سيتم بين الرجلين فإذا اتفقا معا ضد الجيش فإن الحركة قد يكون مصيرها الفشل .وتصدر لجنة القيادة تحذيرا ضد مروجى الإشاعات وتاكيدا للأجانب بحماية أرواحهم وأملاكهم . فإن الحركة كانت ترى أن حماية الأجانب هى العامل الأساسى الذى يمنع التدخل البريطانى .

وقال على ماهر للصحفيين .

ـ قابلت مندوبين عن الضباط صباحا وفهمت مايشكون منه ، ثم دعوت اللواء محمد نجيب بك لمقابلتى بعد الظهر ، فوصل وفى رفقته ٦ من ضباطه ، تفاهمت معهم . فى الموضوعات التى تسبب عنها وقوفهم الموقف الحالى ، وأملى كبير أن تحل هذه المسائل بما فيه خير مصر .

وأضاف :

ـ يمكنكم فى النهاية أن تطمئنوا أهالى البلاد عموما .. وطنيين وأجانب ، إذ ليس هناك ما يوجب القلق وإن شاء الله ستحل كل المشاكل ويطمئن الجميع .

وقال إن ثورة سنة ١٩ جعلت الوطنية تسمو فوق كل شىء .

ولم يكن على ماهر يدرك أن الأمور تدعو إلى القلق وأن السفارة البريطانية ستغضب كل الغضب لإشارته لثورة عام ١٩١٩ !

* * *

فى الكتاب الذى وجهه فاروق إلى على ماهر يسند إليه تشكيل الوزارة كتب صاحب الجلالة أرق كلمات وجهها إلى رئيس وزرائه منذ جلس على عرش مصر .

كان الكتاب نداء ومناشدة ، وتوسلا إلى رئيس الوزراء أن ينقذ فاروق .

قال :

« عهدناكم صادق الوطنية ، عظيم المقدرة ، واسع الخبرة .

والوطن اليوم ، فى اللحظات العصيبة التى يمر بها ، فى أشد الحاجة لجهود الأوفياء من رجاله ، ليؤدوا واجبهم نحوه ، بما يحفظ كيانه ، ويدعم بنيانه ويوحد صفوفه ، ويدرأ عنه شرور الخلف والانقسام ولا يصرفه عن المضى فى تحقيق أهدافه ، ويشيع فيه السكينة والاستقرار لتبقى له مكانته وتصان صوالحه من كل ضرر أو خطر » .

أجاب على ماهر :

« ماترددت لحظة فى مواجهة الصعاب ، ومعالجة هذه الأحداث التاريخية لتحقيق ماتنشده البلاد من إحكام أواصر التعاون والتآزر ، وإشاعة الأستقرار والطمأنينة فينعم الشعب بحكم صالح قويم نزيه تتجه فيه الجهود لإسعاد المواطنين جميعا » .

ولم يدرك على ماهر وهو يكتب رسالته لصاحب الجلالة أنه سيعالج هذه الأحداث التاريخية بطريقة لاتخطر له أو لصاحب الجلالة على بال !

وكانت هذه آخر وزارة يشكلها فاروق وتؤدى يمين الولاء لصاحب الجلالة !

* * *

قال مارك كريزويل لعلى ماهر

ـ عندى شعور قوى بأنك كنت تعلم ماذا يدور منذ عدة أيام .

أخذ على ماهر يشرح كيف اتصل به اللواء محمد نجيب ، وكيف أرسل ضباطا لمقابلته فى البداية ثم ذهب إليه بنفسه أخيرا . وقال :

ـ كنت مشغولا بكتابة مذكراتى . ولم يكن لدىّ وقت لمتابعة الأحداث .

قال كريزويل فى برقية إلى لندن :

« هذه عملية تغطية فمن خبرتى بعلى ماهر ، أرى أنه بالتاكيد ليس من النوع الذى يغرق نفسه فى دراسات أدبية ، عندما تتفجر أزمة سياسية ، فقد كان اسمه عالقا فى الذهن خلال الأسابيع القليلة الماضية ، وأعتقد أنه كان مشتركا عن كثب فى مرحلة مبكرة جدا ، ومن

المحتمل أن رجال الجيش كانوا متفتحى العقل بشان على ماهر .

وابلغنى حافظ عفيفى رئيس الديوان الملكى أنه كان مرشحا لرئاسة الوزارة بدلا من أحمد نجيب الهلالى يوم ٢٢ من يوليه » .

قصد محمد نجيب بعد ذلك إلى الكلية الحربية لزيارة كبار الضباط المعتقلين ووعدهم بالافراج، وتم ذلك فعلا فإن الحركة لم تعد تخشاهم فقد لقيت ترحيبا وتأييدا فوريا شاملا .

وبقى فى المعتقل ٢٣٦ سجينا منهم ٣٤ شخصا ذوى ميول شيوعية !

* * *

أراد اللواء محمد نجيب تدعيم موقف على ماهر فى مباحثاته مع الملك .

نظم فى القاهرة مسيرة عسكرية .

وأرسل سربا من الطائرات طارت على ارتفاع منخفض فوق قصر الملك فى الاسكندرية . ويجتمع على ماهر بالملك فى قصر المنتزة ساعتين وعشرين دقيقة .

حضر الاجتماع لأول مرة حافظ عفيفى باشا رئيس الديوان .

تناول الحديث مطالب الضباط بصفة عامة ، وهى ضرورة بناء جيش جديد مجهز من حقه تطهير نفسه ، وطرد الموظفين الحكوميين غير الأكفاء ، وتقديم الفاسدين منهم للمحاكمة ، وإجراء انتخابات حرة فى ظل حكومة دستورية وتطهير مستشارى صاحب الجلالة ، وإلغاء الأحكام العرفية .

ثم قدم على ماهر لفاروق مطالب محددة من اللواء نجيب :

ـ تعيين اللواء محمد نجيب قائدا عاما للقوات المسلحة ، وتخويله سلطة إحالة ٥٦ من كبار ضباط الجيش الذين بلغوا سن السادسة والخمسين إلى التقاعد ، وتسريح الحرس الملكى .

وإبعاد ستة من حاشية الملك هم .

* كريم ثابت باشا المستشار الصحفى السابق للملك فاروق .

* الياس اندراوس باشا المستشار الاقتصادى .

* محمد حسن خادم الملك الخاص .

* العميد محمد حلمى حسين بك سائق الملك الخاص الذى أصبح مديرا لإدارة السيارات الملكية .

* انطون بوللى بك كهرباتى القصر الذى رقى إلى منصب مدير الشئون الخصوصية لفاروق والمعنى الحقيقى لذلك انه يشرف على متعه الشخصية وملذاته !

* الدكتور يوسف رشاد بك كبير أطباء اليخوت الملكية الذى نظم الحرس الحديدى لفاروق .

وهنا لابد ان نلاحظ الفارق بين هذه المطالب وما قدمه الضباط المصريون فى يناير عام ١٨٨١ـ فيما عرف بعد ذلك بالثورة العربية ـ لمنع التفرقة فى المعاملة بين الضباط المصريين والجراكسة !

وصرح على ماهر بعد الاجتماع :

ـ تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك فوافق على ما اتسع الوقت لرفعه إلى مسامعه الملكية من

مطالب الجيش ولم يبق منها إلا مسائل بسيطة لم يتسع الوقت لعرضها .

ومالم يقله على ماهر هو أن الملك وافق بسرعة على المطالب السياسية ولكنه لم يكن مستعدا ـ بعد ـ لكرامته الشخصية أن يضحى بأقرب المقربين إليه من رجال الحاشية!

واستطرد رفعته قائلا :

ـ أهم عمل للوزارة فى الوقت الحاضر هو مسألة الجيش وسوف تظهر تفصيلات هذا الموضوع قريبا . وكلنا نأمل أن تصل البلاد إلى استقرار الحكم فيها .

وقال إن الملك منح رتبة الفريق للواء محمد نجيب .

. فقد ظن فاروق أنه يستطيع شراء نجيب برتبة الفريق ، ولم يكن يعرف أبعاد تنظيم الضباط الأحرار ، ومدى سيطرتهم على محمد نجيب ، وأيضا مدى زهد محمد نجيب فى رتبة تمنح له بهذه الطريقة !

وكان مطلوبا من فاروق أن يتصرف كملك ، ولكنه لم يفعل ذلك فى يوم من الأيام !

* * *

شكلت الوزارة من عشرة وزراء واحتفظ على ماهر لنفسه بثلاث وزارات هى الخارجية والحربية والبحرية والداخلية . وكانت وزارته هى وزارة الرجل الواحد وهى أيضا آخر وزارة يحمل أعضاؤها رتبا منحها الملك فؤاد أو ابنة فاروق : « بك » و«باشا».

فقد ألغت الثورة الألقاب بعد ذلك .

شكل على ماهر حكومته ، تحت رقابة الجيش ، من السياسيين غيرالمحترفين وأغلبهم كانوا أعضاء فى حكومته السابقة التى استقالت فى أول مارس .

ولم يضف إلى الوزارة الجديدة سوى وزيرين هما فؤاد شيرين للأشغال العامة وعبد العزيز عبد الله سالم للشئون القروية .

وأبعد وزيرين هما زكى عبد العال وأحمد مرتضى المراغى اللذين كان يشغلان وزارتى المالية والداخلية ، وكانا أقوى شخصيتين من الوزارة السابقة . ولم يكن رجال الجيش يرتاحون إلى مرتضى المراغى باعتباره متعاونا وقريبا من فاروق ووزارة الداخلية لايمكن أن تترك فى تلك الأيام.. للقصر !

وكان سبب الإبعاد أن على ماهر اعتبرهما خططا لسقوط وزارته الأخيرة .

وأصدر مجلس الوزراء قرارات تعتبر تافهة فى تلك الظروف وهى :

إلغاء مصيف الحكومة بالاسكندرية والانتقال إلى القاهرة .

وإلغاء سيارات الوزراء دون صرف بدل لهم تنفيذا للسياسة التى رسمها على ماهر فى وزارته السابقة .

وتعيين حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا حاكما عسكريا عاما .

قالت السفارة البريطانية .

«إصرار الجيش على طرد أصدقاء الملك من مناصبهم داخل القصر ـ كريم ثابت وبوللى

ورئيس المركبات الملكية . و ... لأنهم متطفلون يكتزون اللحم والشحم فى ترتيب شئون الترفيه والأرباح الملكية » .

* * *

اجتمع على ماهر بابراهيم عبد الهادى باشا رئيس الوزراء الأسبق و ٣ مندوبين يمثلون حزب الوفد . وأعلن ماهر أنه كان يود تشكيل حكومة ائتلافية . ولكن حال بينه وبين ذلك غياب مصطفى النحاس رئيس حزب الوفد والدكتور محمد حسين هيكل رئيس حزب الأحرار الدستوريين فى أوربا .

سعدت وزارة الخارجية الأمريكية بتعيين رئيس الوزراء الجديد .

قال وكيل الخارجية الأمريكية .

ـ إنه أقرب السياسيين المصريين إلى النزاهة . ومن العلامات المبشرة دعوته ليتولى رئاسة الوزارة . وقد شعرنا بأسف حقيقى عندما استقال وحل محله نجيب الهلالى وحسين سرى .

ويجتمع مسئول فى وزارة الخارجية الأمريكية بالسفير الكندى فى واشنطن ويقول له :

ـ نجد بعض العزاء فى عدم وجود مايشير إلى قيام الوفد بدور فى الإنقلاب .

ولكن من السابق لأوانه ـ فى رأينا ـ استبعاد وجود علاقة بين الوفد واللواء نجيب بك . لقد سرت بين الضباط الذين يمثلهم عدوى التعاطف مع الوفد .

.. إن وزارة الخارجية الأمريكية كانت تخشى أن يكون الوفد وراء الإنقلاب ، وانه ـ أى الوفد ـ رأى أخيرا استخدام الجيش ضد فاروق ، فإن الوفد فى تلك الفترة وبعد حريق القاهرة كان العدو اللدود للانجليز والأمريكيين وكانوا يخشون أن يكون وراء الإنقلاب أو له صلة به .

ومن هنا قال الوكيل للسفير الكندى :

ـ لايمكن أن نتصور أن يؤدى تعاطف الضباط الصغار فى الجيش إلى التعجيل بعودة الوفد إلى السلطة .

ولكن السفير الأمريكى فى القاهرة رأى فى الأحداث مايريب فقال :

ـ هذا المسلسل يتغير بسرعة .

* * *

عقد اللواء محمد نجيب مؤتمرا صحفيا فى الرابعة بعد الظهر احتشد فيه مئات الصحفيين الأجانب .

أشعل نجيب غليونه ورأى أن يتحدث باللغة العربية وقام مترجم بترجمة مايقوله إلى الانجليزية .

بدأ المؤتمر بسؤاله عن أعماله العسكرية فى فلسطين ثم سأله أحد الصحفيين .

ـ كيف قمت بالانقلاب .. كيف فعلتها ؟

قال :

ـ تذكر أنه لم تمر سوى ٢٤ ساعة . ولاتنتظر من طفل وليد أن يقول لك كيف ولد.

ـ كم عدد رجالك . سمعنا أن العدد صغير ؟

ـ كبير أم صغير ، هذه تعبيرات نسبية . نحن جيش مصر .

ـ كيف ستحكم مصر ؟

ـ مصر تحكم دائما بدستورها . ونحن نريد تطبيق الدستور وهو ينص على أن بلادنا ملكية دستورية . وأستطيع القول الآن بأن سياسيا يوثق به هو على ماهر باشا عين رئيسا للوزارة .

ـ وأنت ؟

ـ ألم تسمعوا أن الملك عيننى قائدا عاما للجيش .

ـ هل تم التعيين قبل ، أو بعد ، بيان الإذاعة ؟

ـ ربما أنكم تطلبون منى ذكر الحقيقة أقول أن التعيين جاء بعد ذلك !

وقال محمد نجيب إن الجيش سيظل مشرفا على المرافق العامة حتى تنتج الحركة ماسعت إليه .

* * *

تحركت قيادة الإنقلاب لتجرى مزيدا من الاتصالات بالسفارتين الأمريكية والبريطانية لطمأنة حكومة البلدين وإقناعهما بعدم التدخل وأن الحركة لأمور داخلية وليست شيوعية وتريد التحالف مع الغرب !

دعت المخابرات الحربية المصرية فى الخامسة والنصف من مساء ٢٤ يوليه دافيد ايفانز مساعد الملحق الجوى الأمريكى وماك كليرى مساعد الملحق العسكرى الأمريكى وتاملينسون مساعد الملحق العسكرى البريطانى للحضور للقاء المقدم ـ سليمان محمود والرائد عبد المنعم النجار بمقر قيادة المخابرات .

ولم يعلن شىء فى مصر عن هذا الاجتماع .

قال ايفانز الذى كتب محضر الاجتماع وقدمه للسفير الأمريكى .

ـ الضباط متفائلون ومتعاونون وفى حالة نفسية تجعلهم مغرمين بالكلام .

وقد وجه الملحقون العسكريون الأسئلة التالية :

س . هل أقام القادة العسكريون للتمرد أى تعاون مع زعماء مصر السياسيين قبل التمرد ؟

الإجابة : لا

س : من الواضح أن التمرد العسكرى نجح حتى الآن .. فهل للقادة العسكريين الحاليين أية طموحات سياسية ؟

الإجابة : لا . فسياسة الجيش هى ترتيب الموقف الداخلى والجيش يرغب فقط فى تخليص نفسه من العجز والفساد ، ويريد الاحتفاظ بالملك والحكومة والدستور فى السلطة .

س : هل قدمتم أية شروط لعلى ماهر بصدد تشكيل الحكومة .

الإجابة : لا

س : من الذى سيتولى منصب وزير الحربية والبحرية ؟

الإجابة : على ماهر باشا .

س . من الواضح أن عملية التمرد قد انتهت . فما الذى يشغل أذهانكم فى المقام الأول ؟

الإجابة : المعدات العسكرية .

وبعد ذلك أخذ ضابطا المخابرات المصرية يسألان الملحق العسكرى البريطانى عن تحركات عسكرية بريطانية فى منطقة القناة .

س . هل لديك أية معلومات عن مصريين يرسلون استغاثات لطلب تدخل عسكرى بريطانى مباشر أمس ؟

أكد تاملنسون ان البريطانيين لن يتدخلوا طالما جرت المحافظة على القانون والنظام ولكنهم سيتدخلون إذا تعرضت الأرواح والممتلكات البريطانية للخطر .

قال الضابط

ـ استطيع أن أفسر هذا على أنه تعهد .

وحذر الضابطان المصريان أن يأوى البريطانيون « خونة » مصريين .

طمأنهما تاملين بشأن هذه النقطة .

أعاد الضابطان التأكيد بأنه ستتم المحافظة على الأمن الداخلى مهما كان الثمن .

وأكدا على طبيعة الإنقلاب المعادية تماما للشيوعية .

وقالا إن على ماهر سيتولى الاتصالات السياسية . وعندما تبدأ حكومته العمل سيقتصر دور نجيب على القوات المسلحة فقط رغم أنه سيعمل فى « تعاون » وثيق مع على ماهر .

وأوضح الضابطان المصريان أن فروع المخابرات فى الجيش والبوليس التى نظمت حديثا تعتزم طلب مساعدة البريطانيين والامريكيين فى تنظيم الحملة المضادة للشيوعية فإن أحد أهدافهم الأولية الآن هى قمع النفوذ الشيوعى فى مصر .

ولكن كافرى كان يحس بخطر استيلاء العسكريين على الحكم .

كتب فى الثامنة مساء يقول :

«هناك خطر حقيقى وشديد مع نمو نفوذ العسكريين ، وانهيار تاثير عوامل الاستقرار وقيام الجماعات المتطرفة وخاصة الاخوان المسلمين ، بدور متزايد .

وما يطلق على نفسه الحركة السرية للقوات المسلحة المصرية برئاسة محمد نجيب هى مجموعة هلامية من ضباط الجيش من ذوى الرتب المتوسطة ، تربط افرادها مشاعر الإشمئزاز المشترك ضد رؤسائهم .

وكانت الصدمة الكهربائية التى حركت هذه المجموعة قبل الأوان هى اتفاق الهلالى مع الملك على إحالة نجيب وحسين سرى عامر إلى التقاعد ولم تكن لدى المجموعة فرصة لإعداد برنامج بعد استيلائها على السلطة .

والآن وقد أصبحت هذه المجموعة فى مركز السلطة ، فإن الصفات المطلوبة مختلفة تماما عن تلك التى يحتاج إليها انقلاب ناجح .

وهذه الصفات ليست متوفرة بالضرورة ، ومن هنا ينشأ الخطر من احتمال تاثير

جماعات متطرفة بل من احتمال إستيلاء هذه الجماعات على السلطة .

وجاء ذكر الهضيبى المرشد العام للجماعة ، بالفعل ، كوزير للعدل .

إن نجيب بطل عسكرى فى نظر اتباعه ولكنه ليس قائدا قويا أو ذكيا بوجه خاص .

والقرارات التى تم اتخاذها خلال الساعات الأربع والعشرين الأولى على سبيل المثال كانت فى اجتماعات تضم بين ستين وسبعين ضابطا .. وكانت لكل منهم وجهة نظره .

ومن الواضح أن مثل هذا الموقف لا يمكن أن يستمر طويلا ، والسؤال الجدى :

ـ ماهو الشئ الذى سيحل محله ؟» .

وظل كافرى يكرر تحذيراته لواشنطن بضرورة الوصول إلى اتفاق بين بريطانيا ومصر .

قال :

« احداث تغيير فى موقف وزارة الخارجية البريطانية هو السبيل الوحيد لمنع تدهور تدريجى ، ولكنه مؤكد ، فى الحياة السياسية فى مصر ، تصاحبه ، على المدى البعيد حالة فوضى »

فى الاجتماع الأسبوعى الذى يعقد بين وكيل وزارة الخارجية الأمريكى والسفير الكندى فى واشنطن قال الوكيل :

ـ نرى بصفة مبدئية أن الانقلاب العسكرى الذى قام به اللواء محمد نجيب يرجع لأسباب داخلية وليس له مغزى دولى .

وقد أبلغ اللواء نجيب القائم بالأعمال البريطانى فى القاهرة بأنه ـ أى محمد نجيب ـ لايهتم إلا بدفع الغبن عن الجيش المصرى وليست لديه دوافع سياسية ولايهتم بالنزاعات الدولية بين مصر والدول الأخرى ..

وتميل وزارة الخارجية حاليا إلى قبول هذه التأكيدات بصورتها الظاهرية .

وفى رأى كافرى أن الإنقلاب نتيجة لتدهور الموقف الداخلى فى مصر عامة ، وهذا بدوره يرجع إلى حد كبير إلى الفشل فى التوصل إلى تسوية مع البريطانيين حول الدفاع عن الشرق الأوسط وحول مستقبل السودان .

.. وهكذا كان رأى كافرى دواما بأن فشل الملك فى عقد معاهدة مع بريطانيا كان من أهم أسباب الإنقلاب .

وقال وكيل خارجية الولايات المتحدة :

ـ الموقف فى مصر لايزال بالغ الغموض . ويصعب القيام بتقييم يوثق به عن الأحداث الأخيرة وتوقعات المستقبل .

واجتمع السفير البريطانى فى واشنطن السير أوليفر فرانكس بهنرى بايرود الوكيل المساعد للخارجية للتشاور وتقييم الثورة ومن وراءها وهل هم الشيوعيون كما أشار المراغى .

قال بايرود :

ـ الانطباع الناشىء لدى الرأى العام الأمريكى وشجعت عليه وزارة الخارجية فى توجيهها للصحافة أن حركة اللواء نجيب أمر داخلى مصرى محض وأهدافه مقبوله بوجه عام .

قال فرانكس .

ـ إذا اتضح حقا أن هناك إيعازا أو قيادة شيوعية أو متطرفة أخرى ، أو إذا فتحت الاجراءات التى يقترحها الجيش موجة جديدة من العداء للأجانب فسيتعين إعادة توجيه الرأى العام الأمريكى بطريقة مكثفة

وأضاف

ـ إذا كان هناك خطر حقيقى من الشيوعية . ويتعين القيام بشىء لمواجهة مثل هذا الموقف فسنقوم بالتصرف الضرورى .

ونأمل أن يحظى ذلك بموافقة الحكومة والرأى العام فى الولايات المتحدة .

قال بايرود ٠

ـ لابد أن نضع ـ على الحركة ـ لافتة شيوعية واضحة جدا حتى يبدو أن هناك مبررا للتدخل .

قال السير اوليفر فرانكس فى برقية لحكومته تاريخها ٢٤ يوليه :

« لايوجد أى احترام للملك فاروق فى أمريكا . وحركته تهدف للقضاء على الفساد بل حتى القسوة فى معاملة الباشوات الذين استفادوا منه سينظر لها بوجه عام فى الولايات المتحدة على أنها شىء طيب تماما .

أما وجود حركة شيوعية معلنة تهدف ، بوضوح إلى الاستيلاء على السلطة فى مصر لصالح روسيا فسيكون شيئا آخر . وسيعتبر تهديدا للمصالح الدفاعية الغربية .

ومن المحتمل أن يبرر ذلك التدخل ضدها .

وستحتاج الحكومة الأمريكية والرأى العام إلى قدر كبير من الاقناع بأن الحركة الحالية تنتمى إلى الشيوعية » .

* * *

أبلغ كافرى ملك مصر بأنه لن يحدث تدخل من جانب القوات البريطانية فى مصر .

أصيب فاروق بالذعر فرد قائلا :

ـ فى حالة إرغامى على مغادرة البلاد سأخذ ابنى معى .

ويكتب كافرى إلى واشنطن .

«الحديث يتردد فى بعض الدوائر هنا حول تنازل الملك عن العرش وتشكيل مجلس وصاية ليحكم أثناء الفترة التى تسبق بلوغ الأمير أحمد فؤاد سن الرشد.

واحاول اقناع فاروق بان يحكم كملك دستورى » .

ومرة أخرى يخشى كافرى أن يكون للوفد دور فى عملية الإنقلاب .

كتب إلى واشنطن فى اليوم الثانى للحركة :

« إذا جرت الإطاحة بالنظام الملكى واقيمت جمهورية وفدية فإننى أرى متاعب جمة فى الطريق » .

* * *

أذاع محمد نجيب بيانه الثانى على الشعب ، بصوته لأول مرة مساء يوم ٢٤ من يوليه . بعد العشاء .

قال

« إخوانى أبناء وادى النيل ، لشد مايسرنى أن أتحدث إليكم مع ما أحتمله فى هذه اللحظات من مسئوليات لاتخفى عليكم ، فقد حرصت على أن أحدثكم بنفسى ، لأقضى على ماينشره خصومكم وخصوم الوطن من شائعات مغرضة حقيرة .

لقد أعلنا منذ البداية أغراض حركتنا التى باركتموها من أول لحظة ، لأنكم لم تجدوا فيها ظلما لشخص ولاكسبا لفرد بل إننا ننشد الإصلاح والتطهير فى الجيش وفى جميع مرافق البلاد ، ورفع لواء الدستور .

إن حركتنا نجحت لأنها باسمكم ومن أجلكم وبهديكم ، وما يملأ قلوبنا من إيمان إنما هو مستمد من قلوبكم .

بنى وطنى

إن كل شىء يسير على مايرام ، وقد أعددنا لكل شىء عدته ، فاطمئنوا إلى نجاح حركتنا المباركة، واتجهوا بقلوبكم إلى الله العلى القدير ، وسيروا خلفنا إلى الامام .

والله نسأل أن يسدد خطانا ، وأن يطهر نفوسنا ، وأن يعيننا على أن نسمو بوطننا إلى المكانة التى تنشدونها له ، وأنتهز هذه الفرصة لأؤكد لكم أن كل شىء يسير على مايرام» .

* * *

تلقت الثورة أول برقية تأييد من أساتذة بجامعة الاسكندرية . قالت البرقية إن مجلس الجامعة قد اجتمع وأعلن تأييده للثورة .

ولم يكن مجلس الجامعة قد اجتمع . وكان مصطفى عامر مدير الجامعة يعلن فى مكتبه بالاسكندرية أن اجتماعا لم يتم .

ولكن الصحف التى كانت تحت رقابة الجيش فى القاهرة لم تنشر تصريحات مصطفى عامر .

وكان الدكتور رشوان فهمى الأستاذ بكلية الطب بجامعة الاسكندرية هو الذى بعث بالبرقية كما طاف بمكاتب الصحف بالمدينة وسلمها نسخة من برقية التأييد .

وقدرت الثورة موقف الدكتور رشوان فهمى فى البداية ثم اعتقلته بعد فترة عندما طالب بالدستور والديمقراطية !

وظل اللواء محمد نجيب يتلقى طوال يومى ٢٣ و ٢٤ يوليو رسائل تأييد من وحدات الجيش وقوات الشرطة والجامعات والرأى العام بشكل عام .

وأعربت الأحزاب السياسية القديمة عن حماسها .

* * *

أسكرت الضباط الأحرار خمر النصر .

إن كل عقبة كانت تنهار واحدة بعد الأخرى .

ولكن الضباط كانوا مختلفين فيما بينهم على الخطوة القادمة .. أو لايعرفون ماذا يفعلون بعد هذا النجاح الساحق !

الوزير الخائن

عاود الرعب الملك فاروق وأمسك بزمامه الخوف ففكر فى الهرب مع أسرته . إنه لم يعد يريد تدخلا بريطانيا للحفاظ على عرشه بل أصبح ينشد حماية أمريكية لشخصه وأسرته !

بعث فى الخامسة من صباح اليوم الثانى للثورة الخميس ـ ٢٤ يوليه ـ رسولا إلى جيفرسون كافرى برسالة تقول :

ـ يسألك صاحب الجلالة عما إذا كان من الممكن أن تقوم سفينة حربية أمريكية بنقله وأسرته بعيدا عن مصر .

وأضاف :

ـ أراد الملك الرحيل على اليخت الملكى المحروسة ولكن قائد اليخت الملكى أبلغه أنه لايستطيع الإفلات من المدفعية الساحلية وسيتعرض لنيرانها .

وقال :

ـ يطلب صاحب الجلالة ، طائرة ، إن لم تتيسر السفينة ، ليفر بها .

أجاب كافرى بهدوء :

ـ على صاحب الجلالة الاحتفاظ برباطة جأشه والبقاء هادئا .

وأخذ السفير الأمريكى يحث الملك ـ عن طريق رسوله ـ بضرورة البقاء .

وامتنع كافرى عن الإجابة على الطلب الملكى فإن السفير لايملك سلطة إصدار القرار، بل أسرع يبرق لحكومته طالبا رأيها .

رفض وزير الخارجية دين اتشيسون الفكرة على الفور وأبرق إلى كافرى يقول :

« لاتريد وزارة الخارجية الأمريكية أن تصبح متورطة فى التزامات نحو الملك».

وطلب الوزير إلى سفيره أن يستمر فى اقناع الملك بألا يفزع أو يشعر بالخوف .

وقال

ـ استخدم نفوذك لمنع الملك من الهرب لتحول دون إقامة جمهورية متطرفة مما يؤدى إلى كارثة.

وقال :

ـ تتجنب الحكومة الأمريكية التدخل فى شئون مصر الداخلية وتتناقض ، مع تلك السياسة ، أن نرسل سفنا أو طائرات حربية إلى مصر .

ويطلب جلال علوبه قائد اليخت الملكى المحروسة إلى « بالتاز » الملحق البحرى الأمريكى

مقابلته فى قصر رأس التين
وعقب اجتماعهما سأله ·

ـ هل يمكن وصول مدمرتين أمريكيتين ، إلى الاسكندرية فى الحال فقد يصبح من الضرورى إنقاذ الملك .

وقال :

ـ يستحيل استعمال « المحروسة » لهذا الغرض إذا عارض العسكريون .

وأضاف :

ـ لا أريد اصطحاب الملك بطريقة مشينة فقد يتمرد البحارة وإن كانت البحرية لاتزال مخلصة لصاحب الجلالة .

وقال جلال علوبة

ـ أفضل سفنا أمريكية بدلا من سفن بريطانية قد تثير شبهة العسكريين .

رد الملحق البحرى قائلا :

ـ ربما يكون هذا صحيحا لولا أن السفن الأمريكية لم تزر ميناء الاسكندرية منذ سنين وحضورها الآن يثير الشبهات .

قال علوبة :

ـ أطلب إلى السفير الأمريكى أن يطمئن صاحب الجلالة ويقنعه بالبقاء فى مصر .

أبلغت الرسالة للسفير الذى رد على علوبة قائلا :

ـ حضور سفن أمريكية إلى الاسكندرية مسألة مستبعدة تماما .

ولكن الحكومة الأمريكية أخذت تدرس مواقع السفن الحربية الأمريكية لمعرفة أيها يوجد فى منطقة قريبة .

وبدأ البحث عما إذا كانت حياة الملك فاروق فى خطر . أو أن هناك دليلا واضحا ، على أن الشيوعيين وراء حركة الجيش .

وأبلغت الحكومة الأمريكية السفير البريطانى فى واشنطن السير أوليفر فرانكس بأنه فى هاتين الحالتين ، فقط ، ربما تراجع نفسها ، وتعيد النظر فى موقفها .

وسألت الوزارة السفير عن الموقف البريطانى :

ـ هل توجد سفن حربية بريطانية قريبة ؟

فى مصر قال السفير الأمريكى جيفرسون لكريزويل :

ـ ربما أنجح فى إقناع الملك بالبقاء إذا لم يتخذ ضده إجراء عسكرى مباشر اليوم .

ومعنى ذلك أن الأمريكيين حتى تلك اللحظة كانوا يعرفون أن الإنقلاب لم يتخذ قرارا نهائيا بشأن عزل الملك . فبدأ السباق بين السفير الأمريكى ولجنة القيادة بشأن مستقبل صاحب الجلالة .. هل يبقى ليمنع إقامة جمهورية متطرفة ، كما يريد الأمريكيون ، أم يعزل ليحكم قادة الإنقلاب .

كتب كافرى إلى واشنطن يفسر سر ضغطه على الملك للبقاء . قال :

« إذا تمت الإطاحة بالنظام الملكى وقامت جمهورية وفدية فإننا سنواجه متاعب جمة .
وعلى سبيل المثال فإن الغنائم الجذابة للأموال الملكية ستكون جائزة مثيرة للغاية لشهية زعماء الوفد .
وعلاوة على ذلك لا أعتقد أن جمهورية وفدية يمكن أن تدوم أشهرا عديدة .
وقد ظل الشعب المصرى محكوما لأكثر من خمسة آلاف سنة من سنوات التاريخ المعروف بواسطة بيت ملكى ما .
والجماهير ليس لديها فى الوقت الحالى أى فهم لمعنى الجمهورية .
وقد تتعلم فى الوقت المناسب غير أنها الآن بعيدة جدا عن هذا الفهم .
ولهذا السبب نصحت الملك بألا يهرب. وسأسعى إلى الابقاء عليه هنا طالما ، كان عملى هذا مجديا » .

* * *

طلب كريزويل من الملحق العسكرى وأعضاء السفارة الانتشار بين ضباط الجيش المصرى للحصول على اية معلومات

وكتب إلى لندن يقول

« استطاع رجا لى تكوين انطباع لا بأس به ، عن صغار الضباط بأن أهداف الإنقلاب المسلح تطهير الجيش والقضاء على الفساد .
ويبدو أن العوامل الفاصلة فى المستقبل ستكون :
(أ) الأفكار السياسية لهؤلاء الضباط المنظمين الأساسيين . وربما تشمل هذه، العشرين ضابطا الذين قام مرتضى المراغى بنفيهم إلى مناطق نائية فى مايو الماضى ، وعلى سبيل المثال مصطفى كمال صدقى إلى العريش .

ولم يكن كريزويل يعرف الحقيقة الواضحة وهى أن مصطفى كمال صدقى من الحرس الحديدى للملك ولم يكن من الفريق الثائر !

(ب) استخدام على ماهر للقوة السياسية التى تؤيده ويشمل ذلك عناصر الاخوان وليس أعضاء الوفد الذين لم يبرزوا فى الإنقلاب .. بالرغم من أن القائد أحمد شوقى الذى يعتبر محمد نجيب رقم (٢) يعتنق آراء الوفد » !

وهذا أيضا يدل على جهل السفارة البريطانية فإن العقيد أحمد شوقى لم ينضم إلى الضباط الأحرار إلا قبل قيام الثورة بيوم واحد !

* * *

وجد كريزويل انه من الضرورى الاتصال بعلى ماهر فأوفد أحد موظفى السفارة ليلتقى بسكرتير رئيس الوزراء لسؤاله .

لم يتردد سكرتير رئيس الوزراء فى الإجابة ، فإنه كان يريد التقرب إلى الانجليز كما كان طابع كل المسئولين فى العهد الملكى .

قال السكرتير

ـ يشك على ماهر إلى حد كبير فيما يمكن أن يسفر عنه الموقف الحالى الذى يحتاج إلى كل ما عرف عنه من براعه

وأضاف

ـ أبلغنى على باشا ماهر أنه احتاج إلى ٤ ساعات من المناقشة لتسوية الأمور مع اللواء محمد نجيب.

وقد سألته عن الشائعات التى تنتشر حاليا فى الاسكندرية حول نيته فى تشكيل وزارة ائتلافية تضم ممثلين عن الأحزاب بما فيهم الاخوان المسلمين فنفى رئيس الوزراء ذلك وطلب منى أن أنفيها على لسانه !

قال كريزويل

« معنى ذلك أن على ماهر لم يكن من أطراف الحركة العسكرية الأصلية . ولكن ذلك يعنى ، من ناحية أخرى أن المتآمرين ، بعد أن أكملوا المرحلة الأولى ، وجدوا أنفسهم فى خلاف حول الخطوات التالية » .

لم يكن أمام كريزويل أحد يشرح له أسرار ما يحدث فى مصر فهو لايعرف ضباط الجيش الذين قاموا بالانقلاب .

* * *

توجه كريزويل إلى حافظ عفيفى رئيس ديوان الملك فاروق يسأله رأيه فى الموقف .

اعترف حافظ عفيفى بأن معلوماته ، ومعلومات حكومة نجيب الهلالى عن الاضطرابات داخل الجيش كانت خاطئة تماما ، وأن المشكلة أوسع وأعمق جذورا مما قيل .

قال حافظ عفيفى :

ـ اللواء نجيب رجل معقول وشريف ويمكن الاعتماد عليه ، وإن لم يكن عبقريا ، وكنت أحبه دائما ، وأؤيده لدى الملك ، الذى كان يعارضه بشدة

إن كل شىء يتوقف الآن ، على ما إذا كان الضباط الصغار سيظلون قانعين بالوضع الذى تحقق الآن .

قال كريزويل :

ـ أعتقد أن اللواء نجيب مجرد رئيس رمزى وأن المحرضين الحقيقيين هم صغار الضباط .

قال حافظ عفيفى :

ـ أوافقك تماما على هذا الرأى . ولم يفعل هؤلاء الضباط شيئا يتعارض مع الأهداف المعلنة للحركة ، ولكنهم ببساطة لا يعرفون ما الذى يريدونه .

إن على ماهر يتبنى وجهة نظر هادئة مسئولة عن مجريات الأمور . وسيؤدى تأثيره إلى بقاء الأمور على ماهى عليه فى الوقت الحاضر .

وقد أعلن أنه يريد اجراء انتخابات برلمانية . ولكنه ، وقد استقر الآن فى السلطة ، فإن الانتخابات ستؤجل !

ـ والملك ؟

قال حافظ عفيفى :

ـ أصبح الملك الأن أكثر هدوءا بوجه عام ، فقد اكتشف أن الأمور ليست بالسوء الذى كان يظنه فى وقت من الأوقات .

وكان أميل للعناد بشأن بعض الأجراءات التى يرى العسكريون ، والحكومة ، أنه يجب اتخاذها .

واستطرد رئيس الديوان

ـ أمل أن يكون الملك معقولا ويدرك أن الاجراء المطلوب منه ليس إذلالا وإنما اجراء حكيم وسياسى !

إن عددا من رجال الحاشية الملكية سينقلون لمناصب جديدة .

قال كريزويل :

ـ أننا ـ أى الانجليز ـ نشعر أن اندراوس وكريم ثابت ومن على شاكلتهم يجب أن يخرجوا لانهم سببوا كثيرا من الضرر .

قال حافظ عفيفى .

ـ لا أكن لهم أى تعاطف .

بعد أن عرف كريزويل رأى حافظ عفيفى فى كل الأمور بدأ ينقل إليه رأى الحكومة البريطانية فى الموقف . قال :

ـ لسنا سلبيين ، ولدينا قوة عسكرية كبيرة عن قرب .

خاف حافظ عفيفى من التدخل البريطانى فقال :

ـ امل أن يكون موقفكم وديا ومتفهما للحكومة الجديدة وللواء نجيب .

قال كريزويل

ـ هذا موقفنا !

واتفق القائم بالاعمال البريطانى ورئيس ديوان فاروق على أن الضباط الصغار يشعرون بغرور شديد الأن ولابد أن يكون هناك حد لطامحهم ، وأنهم قد يكونون سعداء بدباباتهم وطائراتهم ، ولكن امتلاكهم لهذه الأسلحة لايجعلهم أقوياء تماما ، وقد يقوى يد اللواء نجيب أن يشعر صغار الضباط بأن كثيرا من الدبابات الأفضل والطائرات الأفضل فى أيد قريبة !

. يقصد ان الا نجليز فى منطقة القنال لديهم ضباط أكثر وطائرات أحدث !

قال حافظ عفيفى قبل أن يفترق الرجلان :

ـ يمكن أن تمارسوا ـ أى الانجليز ـ تأثيرا من أجل الاستقرار بالإبقاء على صلة ودية مع على ماهر واللواء نجيب

جاءت المحاولة الخامسة لاقناع بريطانيا بالتدخل من احمد مرتضى المراغى وزير الداخلية السابق

بعث أحمد مرتضى المراغى وزير الداخلية برسالة عاجلة إلى كريزويل فأوفد أحد موظفى السفارة لمقابلته .

قال المراغى للدبلوماسى البريطانى

ـ دبر على ماهر والضباط المتمردون هذه المؤامرة . وقد استطاعوا ـ حتى الآن ـ تنفيذ ما خططوا له وتعتمد الحركة على الشيوعيين والإخوان المسلمين .

وأضاف المراغى :

ـ لقد انتهى الملك ولم يعد مصيره يهم أحدا . وتريد المجموعة العسكرية رأسه .

ولكن المراغى لم يتوقف عند هذا الحد بل طالت بالتدخل العسكرى البريطانى لأنه إذا ترك الموقف بلا تدخل ، فإن الإخوان المسلمين والشيوعيين سيجرون الانتخابات ويقيمون نظاما ثوريا معاديا للرأسمالية .

فى البداية ظن كريزويل أن المراغى يبالغ ولكنه فى الوقت نفسه خشى أن يكون هناك كثير من الحقيقة فى تقدير المراغى بأن المتمردين تدفعهم مبادئ متطرفه معادية للرأسمالية .

قصد كريزويل ومعه رونى باروز ـ من اعضاء السفارة البريطانية ـ في اليوم التالي ـ ٢٤ يوليو ـ للقاء أحمد مرتضى المراغى وأخذا يسألانه شخصيا عن معلوماته كوزير للداخلية إلى ما قبل الإنقلاب بيوم واحد .

قال المراغى وكأنه يعرف الحقيقة ، أو يستنتجها:

ـ نجيب ليس إلا واجهة لجماعة تتكون من أكثر العناصر تطرفا فى الجيش المصرى . وهو ضعيف محدود الذكاء يقوده صغار الضباط وسيكون رئيسا شرفيا .

وإنى على ثقة من أن الشيوعيين والإخوان هم القوة المحركة . وكانت الدعاية الشيوعية مؤيدة للجيش فى الأسابيع الأخيرة . كما أن عددا من صغار الضباط المشتركين لهم مشاعر متعاطفة مع الشيوعيين . ومحمد نجيب نفسه عضو فى الإخوان مثل معظم المدنيين المؤيدين للحركة .

وإنى أؤكد لكم أن بعض الشيوعيين والإخوان عملوا معا فى الماضى .

والهدف إقامة حكومة عسكرية .

وهم يسعون وراء الملك يريدون رأسه . وهو يستحق تماما كل ما سيحدث له .

وما أعلنته البيانات من قبيل تضليل الرأى العام .

وكنت على علم مسبق بقيام الحركة فى الساعة الثانية من صباح ٢٣ يوليه وأكد لى المتمردون أن انتفاضتهم ليست موجهة ضد وزارة نجيب الهلالى بل ضد السراى وأهدافها مقصورة على تطهير الجيش والتخلص من الفساد .

وفيما عدا هذه الرؤية الواضحة فإن ما قاله المراغى بعد ذلك كان بمثابة دعوة أو تحريض للإنجيز على التدخل .

كان المراغى يستعدى الانجليز ويكرر تجربة الخديو توفيق عندما طالب بتدخل الانجليز ضد عرابى .

قال وزير الداخلية السابق :

ـ كثير من أعضاء مجموعة الضباط التى قامت بالحركة مسئولون بصورة مباشرة عن تنظيم أعمال الأرهاب فى منطقة القناة فى الشتاء الماضى .

وهذه الحركة تسير بخطوات مرحلية مضطردة نحو أهدافها . وقد تنقضى بضعة أسابيع حتى يمكنهم الإعداد لعمليات إرهابية شاملة الدلتا وفى منطقة القنال ، تنتهى إلى ثورة عامة .

وسينصب جهدها على تنظيم حرب عصابات وليست حرب مواجهة مباشرة مع القوات البريطانية وستسلح قوات العصابات من أسلحة الجيش إستعدادا لثورة فى كل أنحاء مصر . إن المجموعة قررت التحول إلى العنف على جميع الجبهات لتحقيق أهدافها، وهى القيام بثورة اقتصادية واجتماعية وسياسية شاملة وطرد البريطانيين بالقوة وتأسيس نظام ديكتاتورى يجمع بين الشيوعيين والإخوان المسلمين بدلا من النظام الملكى .

وقال المراغى لكريزويل :

ـ أعرف تماما أنكم لاتستطيعون التدخل لإنقاذ الملك . واعتقد أن الملك يجب أن يخرج فورا . وتستطيعون التصرف بعد ذلك .

أسرع كريزويل وباروز يبلغان جيفرسون كافرى بنص الحديث فقال كافرى :

ـ المراغى عادة يبالغ !

وأضاف السفير الأمريكى .

ـ لقد تدهور الموقف منذ ظهر أمس وهناك خطر حقيقى من أن يكون العسكريون مدفوعين بعناصر متطرفة ومريبة ، خاصة وأن اللواء نجيب لايتميز بالذكاء .

.. وكما قال الملك فإن العسكريين يزدادون كل يوم جرأة وعنادا .

ولكن« كريزويل » و « وروني باروز » كان لهما رأي آخر في حديث المراغي . أبرقا إلى لندن يقولان :

« نحن مقتنعان بأن تحليل المراغى سليم وقائم على أساس معلومات حصل عليها كوزير للداخلية رغم وضوح دوافعه .

ولعل النقطة الأساسية ليست تنظيمات وقيادات الشيوعيين بقدر ماهى الآراء اليسارية المتطرفة للمسئولين فى الحركة » .

وقالت البرقية :

« الموقف فى مصر يتدهور بشكل خطير منذ ظهر أمس .

وهناك خطر لايستهان به يتعلق بأن يطغى المتطرفون أو غيرهم على العسكريين ، خاصة وأن نجيب نفسه لايتميز ببريق خاص .

ومن الخطأ أن نبدو سلبيين تماما .

ولن يكون بلا جدوى أن نقوم باستعراض ملموس للقوة العسكرية والاستعدادات النشيطة . وهذا رأى كافرى شخصيا . ولكنه لايحب أن ينقل عنه ذلك ، أو يبلغ لوزارة الخارجية الأمريكية » .

قال كريزويل فى برقية بعث بها إلى لندن فى الساعة الثانية ودقيقتين من صباح يوم ٢٤ يوليه ، قال :

« يبدو لى أنه من الضرورى أن نضع فى حسابنا خطورة قيام نظام متطرف فى مصر تحت واجهة عسكرية .

أقترح أن تقوم حكومة جلالة الملك فورا ببحث إمكانية إعداد قوات خاصة لتكون جاهزة خلال أربع وعشرين ساعة . وإعادة توزيع القوات حتى نقاط متقدمة من خط « أرسكين » كما اقترح تحركا شاملا للقوات البحرية ولابد من إخطار السلطات المصرية أن البارجة «جلاسجو » ووحدات أخرى من أسطول البحر الأبيض المتوسط التى كانت فى طريقها غدا إلى بورسعيد ستتجه إلى الاسكندرية .. ولابد على أى حال من ترتيب مظاهرة بحرية من أى نوع.

وخط أرسكين يمثل الحدود التى كان مقررا أن تتحرك إليها القوات البريطانية فى منطقة القنال فى زحفها إلى الدلتا .

وهذه الاجراءات وان كانت لاتعنى التزاما بالتدخل إلا أنها سوف تكون عاملا مؤثرا فى الموقف . وقد تمنع المتمردين من المضى فى تحقيق برنامجهم الثورى على الفور ، لأنهم يبدون عصبية شديدة وقلقا ازاء نوايانا .

وربما يكون دخول سفننا إلى الاسكندرية مؤديا إلى اثارة مظاهرات معادية للبريطانيين ، ولهذا فمن الأفضل ظهور سفننا قريبا من الشواطئ حتى يتم إعداد القوات الخاصة .

وقد استطاع الملحق البحرى أن يقيم علاقة طيبة مع القيادة البحرية المصرية، وأثق معه فى أننا لن نجد أى رد فعل معاد من جهتهم .

والخطر الكبير الذى أخشاه أن تتطور الأمور باضطراد إلى موقف ثورى مفاجئ لايمنحنا أية فرصة لاتخاذ اجراء وقائى ، لأن الموقف يكون متأخرا .

والاحتمالات القائمة هى قيام نظام يكون نموذجا كلاسيكيا لحكومة كيرنسكى .. التى جرفها المتطرفون . ولاشك أن أغلبية ضباط الجيش سيعارضون ذلك إذا أمكن ردهم إلى صوابهم منذ الآن » .

ومعروف أن وزارة كيرنسكى فى روسيا كانت وزارة انتقالية مهدت للثورة البلشفية عام ١٩١٧.

وأهم ماتكشفه هذه البرقية أن البحرية المصرية كانت متضامنة مع الملك ومستعدة لمساعدته ضد الإنقلاب !!!

* * *

خشى كافرى أن تقتنع وزارة الخارجية البريطانية بأهمية التدخل فى مصر خاصة وأنه يعلم أن مشاورات بين البلدين تجرى فى كل من واشنطن ولندن فأبرق إلى وزير خارجيته قائلا :

« رواية المراغى تتسم بدرجة كبيرة من الكذب والتلفيق لتلائم هدفه فى حث بريطانيا

والولايات المتحدة على التدخل العسكرى ضد النظام الجديد.

غير أنه لايمكن تجاهل ماورد فى حديثه عن تأثير العناصر المتطرفة وربما احتمال سيطرتها على هذه الحركة الجديدة » .

ومن هذه البرقية يتضح أن القائم بالأعمال البريطانى فى القاهرة يريد أن تقوم بريطانيا بمناورات لارهاب قادة الحركة فحسب ، لا التدخل العسكرى .

* * *

وعلقت وزارة الخارجية الأمريكية على حديث المراغى فقالت :

« هذه الرسالة محاولة من جانب فاروق للمبالغة فى تقدير الأخطار المحيطة به لإقناعنا بالتدخل لوقف الزحف الشيوعى بعد ان بات واضحا أننا غير راغبين فى التدخل لإنقاذ العرش » .

ولكن وزارة الخارجية البريطانية قالت فى تخطيطها :

« نحن نضع فى الاعتبار امكانية أن تتحقق الأخطار التى أشار إليها المراغى »

* * *

رأت وزارة الخارجية البريطانية عرض الأمر على مجلس الوزراء ، قدمت مذكرة **قالت فيها :**

« تلقى مايكل كريزويل رسالة من وزير مصرى سابق بالحكومة المصرية السابقة بأن انقلاب اللواء نجيب هو نتيجة لحركة ألهمت من الشيوعية والإخوان المسلمين وتهدف إلى إقامة نظام ثورى معاد للرأسمالية .

وهذه الإشارة على مافيها من مبالغة يكفى محتواها لتبرير وضع القوات البريطانية فى المنطقة فى حالة تأهب . وفى رأينا وضع القوات البريطانية ، المخصصة للتدخل عند تعرض الأرواح والمصالح البريطانية فى القاهرة والاسكندرية للخطر ، فى حالة الاستعداد خلال ٢٤ ساعة من صدور الأوامر . ويقضى ذلك ببقاء الرجال والذخائر فوق السفن .

أما إذا كانت مدة الاستعداد للتحرك ٤٨ ساعة فيمكن شحن السفن بالذخائر والمعدات ويمكن أن يصعد الرجال إلى السفن سريعا ، إذا نشأت حالة طوارئ ، وكانت السفن المطلوبة للعمل فى الاسكندرية مبعثرة لأن بعضها فى زيارة لاستانبول .

وإذا كان من الضرورى وضع هذه السفن فى حالة الا ستعداد خلال ٤٨ ساعة فيجب إلغاء الزيارة ولايمكن أن يحدث ذلك دون إعلان » .

ورأت وزارة الخارجية أن حركة السفن الحالية لايمكن تغييرها ولايجب أن تحول إلى ميناء الاسكندرية ولايجب أن يقوم الأسطول بالتظاهر أمام سواحل الاسكندرية .

ووجدت الحكومة البريطانية أنه من الصعب اقتحام سفينة حربية بريطانية ميناء الاسكندرية لأن المدفعية الساحلية المصرية مستعدة ومزودة جيدا بالرجال !

وقالت الوزارة إنه من الضرورى أن يطلب من القائد العام للبحر المتوسط أن يفعل مابوسعه لتخفيض مدة الاستعداد للتحرك قدر امكانه إلى أقل من ٩٦ ساعة .

ولكن وزير الدفاع أبلغ مجلس الوزراء ، رأيه بعدم استدعاء السفن من استانبول فى الوقت الحاضر

ووافق على أن تبقى السفن البريطانية فى منطقة القناة فى حالة الاستعداد خلال ٤٨ ساعة كما أنه ، فى ضوء الأحداث ، سيبلغ السلطات المصرية بنوايا بريطانيا عن أى طريق .

وقالت وزارة الخارجية أنه لايزال من السابق لأوانه تحديد ما إذا كان اللواء نجيب هو المسيطر على الموقف أو أنه أداة لشخصيات سياسية لايمكن الاعتماد عليها .

وإذا ظهر تهديد بديكتاتورية شيوعية فقد يلزم التدخل لحماية الأرواح البريطانية وعندئذ يتعين على بريطانيا ضمان موافقة وتأييد العالم الحر بالتدخل للحفاظ على نظام ديمقراطى .

وفى الوقت ذاته ، مادامت الأرواح البريطانية غير معرضة لأى خطر ، فإن أى تحرك من جانب القوات البريطانية سيعتبر تدخلا فى شئون مصر الداخلية .

* * *

وضعت قيادة القوات البريطانية فى الشرق الأوسط تقييما للموقف فى مصر رفضت فيه القيام باستعراض للقوة لإرهاب قادة الانقلاب قالت فيه :

« جميع الإدلة التى لدينا تشير إلى أن الجيش يقف بحزم خلف نجيب ويؤيد طرد مرشحى الملك وعملائه وربما تقليل نفوذه .

ونعتقد أن مثل هذا العمل - أى استعراض القوة - سيطلع الضباط المصريين على العواقب السياسية لعملهم ولكن من المرجح أنه سيجعلهم يتحولون ضدنا .

وهناك هدوء حاليا فى منطقة قناة السويس ولكن من الطبيعى أنه هدوء يشوبه التوتر .

وقد تجمع عدد من الأشخاص غير المرغوب فيهم مؤخرا فى الاسماعيلية وربما كانوا فى انتظار مبرر لسفك الدماء .

ويسود القلق البوليس .

وفى اعتقادنا أن استعراض القوة سيمنح العناصر غير المرغوب فيها المبرر الذى يتطلعون إليه .

وبالإضافة إلى ذلك فنحن غير متأكدين تماما من أن البوليس سيكون مستعدا وقادرا على المحافظة على النظام والقانون فى موقف يمكن تفسير عملنا فيه على أنه تدخل فى السياسة المصرية تأييدا للملك .

اقتراح السفارة البريطانية القيام باستعراض للقوة لايمكن اعتباره عملا ملائما لإظهار القوة على الرغم من أن هذه العملية ستكون ضرورية نتيجة لذلك .

وإذا أمرتنا وزارة الدفاع بالقيام بالاستعراض المقترح فسنحتاج إلى ارشادات فيما يتعلق بالهدف الأساسى الذى يستهدف عملنا تحقيقه » .

* * *

اجتمع مجلس الوزراء البريطانى يوم ٢٤ يوليه وهى المرة الثانية خلال يومين ، وكان ايدن

متغيبا أيضا . وحضر الاجتماع سلوين لويد وزير الدولة للشئون الخارجية.

وكان أغلب الجلسة مخصصا لمناقشة موضوعات برلمانية .. بريطانية .

وكان الإنقلاب قد استقر فى مصر .

بدأ المجلس يبحث موضوع أسعار اللحوم فى بريطانيا فقرر زيادة سعر الرطل من شلن و ٩ بنسات إلى شلنين !

وكان موضوع اللحوم بالنسبة للشعب البريطانى ومجلس وزارته أهم من موضوع مصر التى كانت المادة الخامسة فى جدول الأعمال .

بحث المجلس موضوع إصدار إعلان رسمى لنوايا بريطانيا ازاء الحكومة المصرية الحالية .

وقد وجد أنه من الأفضل إصدار تأكيد غير رسمى للواء نجيب عبر القنوات العسكرية بأنه لاتوجد لدى بريطانيا أية نية للتدخل مالم تتعرض الأرواح البريطانية للخطر .

ويقرر مجلس الوزراء :

* تخويل وزير الدفاع سلطة الترتيب لجعل القوات البريطانية فى منطقة القناة ، المخصصة لعمليات فى القاهرة ، فى حالة استعداد للتحرك خلال ٤٨ ساعة من صدور الأوامر بذلك .

* لايجب تغيير تحركات وحدات أسطول البحر المتوسط أى لاتستدعى السفن من استانبول ولاتكون هناك أية مظاهرة بحرية قرب سواحل الاسكندرية . وفيما عدا ذلك يجب اتخاذ كل الخطوات العملية لضمان جعل السفن مستعدة للمشاركة فى أية عمليات فى الاسكندرية فى أقصر وقت ممكن بعد صدور الأوامر بذلك .

وأبرقت كل من وزارة الخارجية ووزارة الدفاع إلى كريزويل وإلى قادة القوات البريطانية فى منطقة القناة فى الرابعة وعشر دقائق من بعد ظهر الخميس ٢٤ يوليه بأن الحكومة البريطانية ليست مستعدة لاتخاذ أية اجراءات استفزازية أو تلفت الأنظار .

ولم تكن لجنة القيادة تعرف هذا كله . وكانت تجهل ماقاله أحمد مرتضى المراغى لكريزويل .

* * *

قال أنتونى ناتج وزير الدولة البريطانى فى كتابه « ناصر ! .

« تمت الثورة بهدوء يدعو إلى الدهشة ولم يشهد التاريخ فى الواقع سوى نماذج قليلة من الثورات الهامة التى ، تمت بمثل هذه السرعة ، وبهذا القدر الذى لايذكر من الاضطراب أو أراقة الدماء ، إذ لم تسفر إلا عن مقتل اثنين واصابة ثمانية أشخاص بجراح .

وظل الجيش البريطانى ، الذى لم يتدخل لانقاذ الملك بمنأى عن الأحداث كما لو أنه تثبت فى قواعده بمنطقة القناة » !

كان قادة الإنقلاب فى تلك الفترة يصدقون كل إشاعة وبالذات ماكان منها متعلقا بشئون الأمن فقد كانوا شديدى الحرص على الحفاظ على الأمن حتى لايتدخل الإنجليز . قيل لهم ـ بعد ظهر يوم ٢٤ يوليه ـ أن قادة البوليس المخصوص ـ المباحث العامة أو مباحث أمن الدولة ـ يزمعون احراق السفارتين الأمريكية والبريطانية وقذفهما بالقنابل واغتيال بعض الشخصيات البريطانية البارزة

فى القاهرة والاسكندرية حتى تضطر بريطانيا إلى التدخل العسكرى فقبضوا على هؤلاء القادة .

قال الرائد عبد المنعم النجار المتحدث الصحفى باسم اللواء محمد نجيب للملحقين العسكريين الأمريكى والبريطانى والفرنسى والتركى .

ـ علم الجيش بأن القصر طلب من ضباط البوليس خلق نوع من الاضطرابات فى القاهرة .

وكان المأمول أن يؤدى ذلك إلى صدام بين البوليس والجيش مما يترتب عليه وقوع تدخل بريطانى . وهذا هو سبب القبض على كبار البوليس ذوى النفوذ .

وقال العقيد أحمد شوقى للملحق العسكرى البريطانى :

ـ حصلنا على أدلة بأن الملك فاروق عندما وجد نفسه فى مأزق أمر البوليس السياسى ـ مباحث أمن الدولة ـ باغتيال بعض الشخصيات البريطانية البارزة فى القاهرة والا سكندرية وبذلك يجبر الانجليز على التدخل .

ولم يعرف على سبيل اليقين ما إذا كان فاروق دبر ذلك ، أم أن رجال البوليس السياسى هم الـذين أعدوا الخطـة نفـاقـا للملك حتى يحتفظوا بمنـاصبهم إذا عـاد الجيش إلى ثكنـاته أو أنـه لاتوجد خطة بهذا المعنى على الإطلاق .

وعلى أية حال فإن الجيش رأى كاجراء وقائى اعتقال قادة البوليس السياسى !

وأذاع بيانا على الشعب قال فيه :

« نمى إلينا من أوثق المصادر أن بعض ضباط القلم السياسى والقسم المخصوص ووزارة الداخلية يتآمرون على الاخلال بالأمن العام الذى تضامنا مع هيئات البوليس فى المحافظة عليه مما دعانا إلى القبض على الآتين بعد :

اللواء عبد المنصف محمود باشا وكيل وزارة الداخلية .

اللواء أحمد طلعت بك حكمدار العاصمة .

اللواء المحلى محمد أمام إبراهيم بك رئيس القسم المخصوص بالداخلية .

البكباشى توفيق السعيد والبكباشى محمد الجزار من البوليس السياسى .

وإنا نهيب بالمواطنين عدم الاستجابة لمروجى الفتنة والتزام كل فرد بواجبه فى حدود القانون وإن كنا قد تحفظنا على هذا العدد البسيط تأمينا للحركة فقد سبق أن قبض على أضعافهم من رجال الجيش وهم جميعا مع هؤلاء تحت رعاية وعناية خاصة مما يطمئن عائلاتهم .

كما نرجو من إخواننا ضباط البوليس الاستمرار فى تقديم المساعدة ، والمحافظة على الأمن تحقيقا لسلامة الوطن الذى هو الهدف الأسمى لكم ولنا ولكل وطنى غيور».

علق كريزويل على ذلك فى برقياته فقال :

« تورط الشرطة فى عمليات الاخلال بالنظام العام واضح » .

وقبض رجال الجيش على اللواء حسين سرى عامر وهو يحاول الهرب إلى ليبيا وأدرك كريم ثابت والياس اندراوس أن عليهما الدور فى الاعتقال فحاولا السفر إلى لندن ولكنهما منعا فى المطار وقبض عليهما .

* * *

اتفقت الحكومتان البريطانية والأمريكية على اتخاذ موقف موحد إزاء الإنقلاب .

طلب كل منهما إلى سفيره فى القاهرة إبلاغ على ماهر باشا رئيس الوزراء رسالة مضمونها واحد ولكنها ليست مشتركة فقد خشيت الحكومتان أن تفسر مثل هذه الرسالة على أنها انذار ، ولكنها ـ فى حقيقتها ـ كانت انذارا .

قالت الرسالة الامريكية الموجهة من دين اتشيسون إلى جيفرسون كافرى :

« نظرا لاحتمال التدهور فى الموقف فى مصر . تعتقد الوزارة أنه من المرغوب فيه ألا يكون لدى على ماهر ـ ومن خلاله اللواء نجيب ـ أدنى شك فى أن الولايات المتحدة تراقب التطورات عن كثب ، وتتوقع الحماية الكاملة لأرواح وممتلكات الأجانب .

وفى الوقت الذى نقر فيه بان المصريين قد يسيئون تفسير هذا السعى من جانبنا ، ويعتبرون أننا مشتركون بشكل ما فى الاستعدادات العسكرية البريطانية لتحقيق حالة من التاهب ، فإننا نرى أن التاثير المفيد بالنسبة لتمثيلنا الدبلوماسى يفوق أهمية الأضرار المحتملة .

وتعتبر الولايات المتحدة أحداث الأيام القليلة الماضية ذات طابع داخلى ومن غير المناسب التعليق عليها .

وترغب الولايات المتحدة فى إيضاح أنها تتابع الموقف باهتمام شديد وتتوقع من السلطات التى تولت الأمور أن تواصل بذل كل جهد ممكن للحفاظ على القانون والنظام .

وفى هذا الصدد وجدنا تشجيعا فى التصريحات المنسوبة إلى اللواء نجيب والتى جاء فيها أن أرواح وممتلكات الأجانب سوف تلقى الحماية الكاملة .

وتفترض الولايات المتحدة أن الحكومة المصرية ترى نفس هذا الرأى .

وينبغى أن تطلب مقابلة على ماهر فى أسرع وقت وتبلغه ذلك » .

وكان أهم ما طلبته بريطانيا ألا يلغى على ماهر الأحكام العرفية أو يجرى انتخابات لمجلس النواب .

قالت برقية وزارة الخارجية البريطانية للقائم بالأعمال البريطانى فى القاهرة أرسلت فى الثامنة والنصف من مساء الخميس ٢٤ يوليه .

« يجب أن تلتقى بعلى ماهر ، بنفسك ، باسرع ما يمكن ، أو أن تصدر أمرا لمعاونيك ليفعلوا ذلك ، وأن تتكلموا فى إطار الخطوط التالية :

ليست لدى الحكومة البريطانية اية رغبة فى التدخل فى الشئون الداخلية لمصر. ولكن الحكومة البريطانية تشعر بانه يصبح احاطة رئيس الوزراء المصرى علما بانها لن تتردد فى التدخل لحماية أرواح البريطانيين إذا استدعى الأمر ذلك .

وصدرت تعليمات للقوات البريطانية لوضعها فى حالة استعداد . وقد أحيط اللواء اللواء نجيب علما بذلك ، وأوضحنا للواء نجيب أن هذه الاستعدادات ليست موجهة ، بحال من الأحوال ، ضد القوات المسلحة المصرية ولن ندخر جهدا فى تجنب إمكانية أى حادث.

وقل لعلى ماهر إنى لاحظت بمزيد من القلق مجرى الاحداث فى مصر خلال الشهر الماضى.

والموقف الراهن هو النتيجة الحتمية للفساد وسوء الحكم الذى تفاقم فى مصر.

ولدى أمل قوى فى أن تزول العناصر الفاسدة وأن تظفر مصر بإدارة أكثر استقرارا.

ولكن يبدو لى أن نتيجة الأزمة الراهنة ليست واضحة بشكل قاطع . ولايزال من المستحيل الآن أن نتأكد من كيفية تطور الأحداث .

وفى هذه الظروف فإن أى حديث عن إلغاء الأحكام العرفية أو اجراء الانتخابات يمكن أن يكون سابقا لأوانه . وأول شىء هو إعادة مصر إلى الوضع السوى » .

* * *

كان على ماهر ودودا للغاية مع كريزويل عندما التقى به صباح يوم ٢٥ يوليه ، ووافق على كل ما جاء فى رسالة انتونى ايدن .

قال كريزويل لرئيس وزراء مصر :

ـ لاترغب الحكومة البريطانية التدخل فى شئون مصر الداخلية ، ولكنها لن تتردد إذا أصبح ذلك ضروريا لحماية أرواح البريطانيين .

قال على ماهر :

ـ جئت إلى الاسكندرية فى ٢٤ من يوليو للتأكد من بعض المطالب المحددة لمحمد نجيب من الملك وهى

(أ) تعيين نجيب قائدا عاما للجيش المصرى على أن تكون له سلطة إحالة ٥٦ من كبار الضباط إلى التقاعد بما فيهم ٢١ لواء كان قد تم اعتقالهم ، وحل الحرس الملكى ، ودمجه فى الجيش .

(ب) طرد ٧ من رجال الملك كانوا مثيرين للاضطرابات .

وأضاف على ماهر :

ـ وافق الملك على المطلب الأول فى ٢٤ من يوليو .

واستسلم للمطلب الثانى صباح ٢٥ من يوليو بشرط السماح لهؤلاء الأشخاص بالاستقالة

قال كريزويل :

ـ ترى الحكومة البريطانية أن أى حديث عن الأحكام العرفية ، أو إجراء الانتخابات سابق لأوانه وأول شىء هو إعادة مصر إلى الوضع السوى .

وقال رئيس الوزراء :

ـ ستنتقل الحكومة قريبا إلى القاهرة . وستستمر الأحكام العرفية ، وسأقوم بنفسى بتحديد موعد الانتخابات فيما بعد فقد ترك لى العسكريين هذه المسألة السياسية .

وأضاف :

ـ ستبقى الوزارة مستقلة وربما أعين وزراء دولة للاتصال بالأحزاب السياسية ، وسأحاول تجنب هذا التعيين . وإذا أحسست بأنه محتوم ، ولابد منه ، فسأختار لهذه المناصب رجالى .

ومعنى ذلك أن مجلس القيادة فرض ، أو فكر فى أن يفرض على رئيس الوزراء تشكيل وزارة ائتلافية . أى أن مجلس القيادة حتى تلك اللحظة لم يكن يفكر فى تولى الحكم !

أراد على ماهر بعد تعيينه أن يذكر الناس بالارتباط أو التشابه أو التكامل بين الثورة الحالية وثورة عام ١٩١٩ .

ورأى كريزويل أن ثورة ١٩١٩ تعتبر فى رأى الانجليز إفراطا فى معاداة بريطانيا وجريمة !

قال لعلى ماهر :

ـ شعرت بالفزع لهذه الإشارة .

بدلا من أن يحتج على ماهر على الوزير البريطانى تراجع فورا وقال

ـ أؤكد أن ما أقصده ، وما يذكره المصريون فى المقام الأول ، نزاهة وإيثار هؤلاء الذين قادوا حركة ١٩١٩ السياسية .

ولم يكتف رئيس الوزراء بذلك بل أضاف :

ـ لم أكن أعنى معاداة بريطانيا وسأتجنب هذه التلميحات فى المستقبل .

واستمر رئيس الوزراء يتحدث عن مشروعات وزارته . قال .

ـ اعتزم أن احتفظ باستقلال وزارتى ، وسأعيد تنظيم الجهاز الإدارى وأقضى على الفساد السياسى فى تعيينات الحكومة وأفرض سيطرة الدولة على المشتريات وتوزيع الأغذية المستوردة .

وأبدى رئيس الوزراء تعاطفا كبيرا مع رجال الجيش فإن القصر يعين محاسيبه لا الضباط الشبان الأكفاء . وقد أهمل استيراد العتاد ووضع اعتمادات أموال الجيش فى الأيدى الخطأ .

انتهز كريزويل الفرصة فقاطع رئيس الوزراء . قال

ـ ربما نستطيع أن نساعد على ذلك كجزء من اتفاقية دفاع إذا تم توقيعها معك!

وكان كريزويل يعتقد أن حركة الجيش تعتبر أفضل فرصة للوصول إلى اتفاقية لقيادة الشرق الأوسط التى رفضها النحاس.

وكان على ماهر يظن أنه يلقى خطبة العرش المعتادة أمام البرلمان .

وكان يعتقد بأن القائم بالأعمال البريطانى لايزال يوجه السياسة المصرية .

وكان رئيس وزراء مصر يظن أن الجيش سيعود إلى ثكناته ، وأن المدنيين سيحكمون ، وأنه سيظل رئيسا للوزارة !

ويبدى على ماهر مخاوفه لكريزويل . قال :

ـ اللواء محمد نجيب وضباطه يشعرون بضرورة التخلص من الملك وإلا حاول تدمير مراكزهم.

ولم يكن على ماهر على يقين من اتجاهات الضباط بالنسبة للملك ، ولذلك أفرج عن فتحى رضوان وزميله عبد المجيد حلمى ونقل فتحى رضوان بطائرة عسكرية إلى الاسكندرية ليعرف منه تطورات الموقف باعتبار أن لفتحى رضوان صلة بأنور السادات !

ومرة أخرى لم تدرك صحافة مصر أبعاد الحركة .

أهتمت الصحف بتشكيل الوزارة لابحركة الجيش .

قالت الأهرام فى عناوينها الرئيسية صباح يوم ٢٥ من يوليه .

« الوثائق الرسمية لتأليف وزارة على ماهر وقبول استقالة الهلالى .

الرئيس والوزراء يحلفون اليمين الدستورية بين يدى جلالة الملك » .

وبعد ذلك قال عنوان الأهرام :

« اللواء محمد نجيب يقول :

« نريد تطبيق مانص عليه الدستور من أن بلادنا ملكية دستورية » .

* * *

أبلغ مكتب علاقات الكومتولت فى لندن الدول الأعضاء بأن الموقف فى مصر تدهور ، وأن القائد العسكرى فى منطقة القناة خول سلطة احتلال القاهرة والاسكندرية إذا رأى أن حياة البريطانيين مهددة طبقا للخطة التى اعدت فى ١٤ نوفمبر عام ١٩٥١ و ٢٥ يناير ١٩٥٢ أى قبل يوم من حريق القاهرة .

وطلب إلى كريزويل أن يبلغ وزارة الخارجية البريطانية إذا رأى ضرورة بدء العمليات ضد القاهرة والاسكندرية .

أى أن قرار احتلال العاصمة حيث توجد قيادة الجيش ، والاسكندرية حيث يوجد الملك أصبح فى يد رجل واحد لايصدر بنفسه القرار ، ولكن الحكومة البريطانية تصدق كل ما يقوله عن الانقلاب.

وكان مارك كريزويل ، فى الحقيقة ، لايدرى !

كتب كامل الشناوى فى الصحفة الأولى من جريدة الأخبار يقول :

« إما ان يفر الشعب من وجه الظلم . واما ان يفر الظلم من وجه الشعب !

شهدنا خلال خمسة أشهر ، خمس وزارات ، من بينها وزارة عاشت شهرا ، وأخرى عاشت ثمانية عشر يوما وثالثة لم تعش غير بضع ساعات فالشعب لم يتحرك لأنه مكبل ، ومكمم ، وسجين .

.. حاول ان يصرخ ، فإذا صرخاته أنات .. أراد أن يمشى ، فإذا هو يرسف من الأغلال ومع ذلك فقد تهاوى الحكام واحدا بعد الآخر كما لو كان الشعب هو الذى انتزعهم من مقاعدهم عنوة ، قسرا ..! فأية قوة هذه التى اقتلعت هؤلاء الحكام من مقاعد الحكم اقتلاعا؟! إنها قوة الشعور بالظلم ...

بقاء الأبرياء فى المعتقلات ظلم .

والاستخفاف بأحكام القضاء ظلم .

والعبث بالدستور ظلم .

ووقف الحياة النيابية ظلم .

والرقابة على الصحف ظلم .

واستمرار الأحكام العرفية ظلم .

وترك المفسدين والمرتشين واللصوص بلا عقاب ظلم .

والتساهل فى الحق أو الواجب ظلم .

إن ما نحن فيه أزمة عدالة ، فإذا أردتم أن تعالجوا الأزمة فلا تظلموا ، واحكموا ولاتتحكموا .. «وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » .

* * *

فى لندن جلس روجرالين مدير الإدارة الأفريقية بوزارة الخارجية ينتظر . ثم ابرق إلى القاهرة يقول :

« نحن ننتظر ـ حابسى الأنفاس ـ تطور الأحداث » !

الدور الأمريكى

بدأت الولايات المتحدة تفكر فى خلع بريطانيا من موقعها ونفوذها فى مصر بعد إلغاء الأمتيازات الأجنبية عام ١٩٣٧ فقد أرادت واشنطن أن تجد منتجاتها الصناعية فرصة متساوية مع السلع البريطانية فى مصر بوصفها أكبر الأسواق فى العالم العربى .

وزاد الاهتمام الأمريكى بمصر خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها قدم بنك التصدير والاستيراد الأمريكى أول قرض لمصر قدره ٢٥ر٧ مليون دولار فى ١٦ من يوليه عام ١٩٤٧ .

وكانت مصر تأمل مساعدة أمريكا فى الضغط على بريطانيا لتحقيق جلاء القوات الأجنبية عن مصر بغير قيد ولا شرط . ولكن الحرب الباردة بين الشرق والغرب جعلت الولايات المتحدة تترك لبريطانيا ممارسة مسئوليتها الأولى فى الدفاع عن قناة السويس بينما توسع الولايات المتحدة نشاطها الاقتصادى فى مصر .

ورغم أن مصر تقع جنوب الخط الذى حددته الولايات المتحدة لاحتواء الاتحاد السوفييتى والذى يقع بين تريستا وطهران فإن واشنطن رأت أن القاعدة البريطانية فى منطقة السويس استطاعت تموين ٤١ فرقة محاربة أثناء الحرب العالمية الثانية كما أن القناة تمثل شريانا حيويا للتجارة العالمية .

وعقد فى البنتاجون ـ مقر وزارة الدفاع الأمريكية ـ اجتماع فى ١٦ من أكتوبر ١٩٤٧ حضره ممثلون عن بريطانيا والولايات المتحدة لوضع استراتيجية مشتركة فى شرق البحر المتوسط فتقرر تأييد بقاء القوات البريطانية فى مصر باعتبار أن الشرق الأوسط جزء من خطة الدفاع الأمريكية وأن بريطانيا تتولى مسئولية الدفاع عن المنطقة .

وفى تقرير لمجلس الامن القومى الأمريكى تاريخه ٢٣ من نوفمبر عام ١٩٤٨ وآخر عام ١٩٥٠ تنبأ المجلس بأن الجيش الأحمر ــ السوفييتى ــ يمكنه ، فى حالة الحرب ، الوصول إلى القاهرة وتهديد إمدادات البترول ومحو أكبر قاعدة غربية فى الشرق الأوسط ، ولاتستطيع الولايات المتحدة حماية هذه القاعدة

* * *

وقع ميثاق حلف الأطلسى فى ٤ من ابريل عام ١٩٤٩ .

وفى مايو عقد مؤتمر لسفراء أمريكا فى العالم العربى فكر فى مد نظام حلف الأطلسى إلى الشرق الأوسط بأسلوب آخر .

واجرى السوفييت تجربتهم النووية الأولى فى سبتمبر ١٩٤٩ مما غير الموازين الاستراتيجية بين واشنطن وموسكو .

ويجتمع لمدة ٤ أيام رؤساء البعثات الأمريكية فى الشرق الأوسط فى استانبول يوم ٢٢ من نوفمبر عام ١٩٤٩ ، وهى نفس الفترة تقريبا ، التى بدأ فيها تنظيم الضباط الأحرار ، لبحث الموقف فى دول الشرق الأوسط .

اعترف الحاضرون بانتشار الفساد فى هذه الدول ولكنهم وجدوا أن الاستقرار ، فى مصر ودول الشرق الأوسط ، أهم من الإصلاح الاجتماعى والاقتصادى وخافوا من معارضة الفساد وماقد تؤدى إليه .

وانتهى الرأى إلى أن المساعدة الاقتصادية ، وليست الثورة الاجتماعية ، هى الوسيلة لضمان الاستقرار ، وأن الزبد ، لا البندقية ، هو بؤرة المساعدة الاقتصادية لمصر ، وأن مصر إذا كانت آمنة اقتصاديا فإنها تستقر سياسيا .

وعلى هذا الأساس انتهى قرار الدبلوماسيين إلى ضرورة مساعدة نظام حكم الملك فاروق اقتصاديا ، مهما كانت درجة فساد هذا النظام .

ففى مصر ملك منحل وسياسيون متشاحنون ، وفقر مدقع بجانب صفوة مرفهة ، وسخط شعبى وجماعات يسارية وإسلامية متطرفة آخذة فى النمو ، واختلط ذلك كله ، فى مزيج ، ينذر بالانفجار .

وقدم بيرتون بيرى مساعد وكيل الخارجية لشئون الشرق الأدنى مذكرة تاريخها ٢٤ من فبراير عام ١٩٥٠ بأنه يوجد فى العالم الإسلامى موقف سياسى غير صحى لاتستطيع الولايات المتحدة أن تسبح فيه إلا إذا أبعدت العناصر التى تسيطر على الموقف ، ولكن هذا الإبعاد يعتبر مغامرة .

وقال الدبلوماسيون إن النظام السياسى فاسد ، ولايمكن إصلاحه ، ولكن من مصلحة الولايات المتحدة المحافظة عليه .

ويجتمع ٥٢ دبلوماسيا أمريكيا ، مرة أخرى ، فى القاهرة يوم ٧ من مارس ١٩٥٠ لمناقشة وتقييم نتائج مؤتمر استانبول ، فأيدوا قراراته ، ونادوا ، بحزم ، بضرورة الاحتفاظ بالأوضاع السياسية لأن أى تغيير سريع فى النظام القائم فى مصر سيستغله الشيوعيون .

ويزور ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا الولايات المتحدة ويجتمع بالرئيس الأمريكى ترومان ويطلب إليه إرسال قوات أمريكية ، ولو كانت رمزية ، إلى مصر تضامنا مع بريطانيا كما اقترحت ذلك الحكومة البريطانية فى اجتماع لوزراء الخارجية فى مايو عام ١٩٥٠ ولكن ترومان رفض ذلك .

ويعلن البيان المشترك الصادر عن الاجتماعات تأييد المقترحات الرباعية بإنشاء قيادة للشرق الأوسط مقرها القاهرة وتطابق أهداف البلدين .

وظلت الولايات المتحدة تؤمن بأن تقدم الاقتصاد المصرى وتوفير الحياة المناسبة للمصريين ، مع ضمان الحالة الأمنية للغرب ، يمكن أن يتحقق من خلال نظام فاسد .

وقامت الحرب الكورية فأجرى « معهد بروكنجز » الأمريكى دراسة عن الشرق الأوسط انتهت

إلى أن تلك المنطقة هدف للسوفييت ولابد أن تكون خطط الدفاع عنه جماعية مثل كوريا . ومن هنا نشأت فكرة المسئولية الجماعية فى الدفاع عن الشرق الأوسط .

وقال السفير الأمريكى فى مصر جيفرسون كافرى فى ٦ يوليه ١٩٥٠ إن امتناع مصر عن التصويت فى مجلس الأمن فى مسألة كوريا يمثل بالنسبة للمصريين فرصة لضرب ثلاثة يكرهونهم: اليهود والولايات المتحدة والانجليز .

وقالت الحكومة الأمريكية إن حرب كوريا هى أول طلقة فى المعركة العالمية بين الشرق والغرب وأن الشرق الأوسط سيجر إلى هذه الحرب ، وأن بقاء القوات البريطانية فى قاعدة السويس يمثل رمزا للقوة ويقدم استقرارا للمنطقة

ووجدت الولايات المتحدة أن بقاء بريطانيا فى مصر أمر ضرورى لأن مصر لاتستطيع الدفاع عن نفسها ، وما حدث فى حرب فلسطين يؤكد عجز القوات المصرية كما أن ميثاق الضمان الجماعى العربى يعتبر نمرا من ورق !

وعلى هذا الأساس فشلت كل محاولات مصر لإقامة علاقات سياسية عسكرية مع الولايات المتحدة مستقلة ومنفصلة عن بريطانيا ، كما رفضت واشنطن كل طلب لإرسال بعثة عسكرية امريكية إلى مصر أو مساهمة مصر فى حلف الأطلسى أو حلف للشرق الأوسط يكمل حلف الأطلسى.

واعتبرت واشنطن أن معارضة مصر للوجود البريطانى مسألة خيالية .

وهدد الدكتور محمد صلاح الدين وزير خارجية مصر ، ماك جى وكيل الخارجية الأمريكى المساعد فى ١٩ من أكتوبر ١٩٥٠ بأن مصر قد تتجه إلى الكتلة السوفييتية للحصول على السلاح الذى منعت بريطانيا تصديره فى ١١ من سبتمبر ١٩٥٠ مع أن مصر دفعت ثمن جانب منه .

ورأى الانجليز للتغلب على اعتراضات مصر ضد بقائهم ، أن تشترك الولايات المتحدة بقوات رمزية فى مصر فاقترح مايكل رايت وكيل الخارجية البريطانية المساعد إنشاء قاعدة لحلف الأطلسى فى أبو صوير يساهم فى الدفاع عنها ضباط من سلاح الطيران الأمريكى ولكن الحكومة الأمريكية رفضت ذلك كما ابى ماك جى أن تقدم الولايات المتحدة التزامات عسكرية للدول العربية مثل دول حلف الأطلسى .

واقترح الانجليز عقد اتفاق ثلاثى يضم مصر وبريطانيا والولايات المتحدة ينظم الدفاع عن قاعدة قناة السويس ولكن الولايات المتحدة رفضت أية مسئولية وأية التزامات استراتيجية فى مصر ، فإن واشنطن كانت تهتم ، فى الحرب الباردة ، بإيران وتركيا والسعودية والعراق .

وقال لويس جونز مدير قسم الشرق الأدنى بوزارة الخارجية أن النزاع المصرى البريطانى لن يحل بشروط مصر أو بريطانيا وأن مايريده الغرب ـ كحد أدنى ـ أن تبقى قاعدة السويس فى أيد أمينة وأن تكون مستعدة إذا قامت الحرب . واقترح خبراء الشرق الأوسط فى واشنطن أن الحل يكمن فى وجود قوات من جنسيات متعددة فى قاعدة السويس .

وقال ماك جى للمسئولين المصريين فى منتصف فبراير ١٩٥١ إن حياد مصر عقبة أمام إقامة

حلف يعزز الدفاع الغربى ويقاوم السوفييت فى الشرق الأوسط .

وعندما أممت إيران بترولها فى مارس ١٩٥١ فزعت الولايات المتحدة وأخذت تفكر فى الاستجابة للاقتراحات البريطانية بإقامة منظمة سياسية عسكرية فى الشرق الأوسط .

وعبرت صحيفة « نيويورك تايمس » عن القلق الأمريكى فقالت فى ١٨ من يونية ١٩٥١ أن الشرق الأوسط هو أضعف حلقة سياسية وعسكرية ونفسية فى الحلف العالمى ضد الشيوعية .

* * *

ويوافق مؤتمر حلف الأطلسى فى ٢١ سبتمبر ١٩٥١ فى أوتاوا على قبول تركيا وإيران عضوين كاملين فى الحلف لأسباب كثيرة منها أنه يمكن لتركيا فى هذه الحالة أن تنضم إلى قيادة الشرق الأوسط .

ويجد دين اتشيسون وزير الخارجية الأمريكى أن قيام قيادة للشرق الأوسط يحول دون مزيد من تدهور النفوذ البريطانى .

ويقدم سفراء بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا وتركيا إلى مصر يوم ١٣ من أكتوبر عام ١٩٥١ مذكرة يدعونها لتكون عضوا مؤسسا فى قيادة الشرق الأوسط الجديدة .

ويكون هدف الدول الأربع من قيام هذه القيادة أن تبقى القوات البريطانية فى مصر خلف واجهة متعددة الجنسيات وحتى لايهتم العرب بفلسطين .

ولكن هذه الدول ارتكبت خطأ وهى تفعل ذلك فقد قدم الاقتراح لمصر باعتباره خطة بريطانية تؤيدها الدول الثلاث ، لتسوية الخلاف بين بريطانيا ومصر ، بشأن الجلا ء والدفاع عن الشرق الأوسط .

ولكن الخطأ الأكبر أن دعوة مصر قدمت بعد خمسة أيام من اعلان مصطفى النحاس باشا رئيس وزراء مصر فى البرلمان إلغاء معاهدة عام ١٩٣٦

وتضاعف بريطانيا قواتها فى مصر من ٤٠٠ ر١٠ جندى إلى ٨٠ ألفا فى نوفمبر ١٩٥١ .

وترفض الولايات المتحدة الاعتراف بفاروق ملكا على مصر والسودان كما تعلن أن إلغاء المعاهدة عمل غير شرعى .

ويزور رئيس وزراء إيران ، محمد مصدق مصر ، فى ٢٢ من نوفمبر ويعترف بفاروق ملكا على مصر والسودان ويناقش مع مصطفى النحاس الوزراء فكرة إقامة كتلة محايدة تضم إيران ومصر وباكستان ، مما يضاعف الفجوة بين مصر والولايات المتحدة ويجعل واشنطن أكثر التصاقا بلندن ضد القاهرة .

ونوقش موضوع التدخل الأمريكى فى مصر فى حلقة دراسية عقدها مجلس العلاقات الخارجية الأمريكية فى ١١ من ديسمبر عام ١٩٥١ ، قبل ستة أسابيع من حريق القاهرة .

قال جورج لويس جونز مدير قسم الشرق الأدنى بوزارة الخارجية الأمريكية بضرورة إبعاد العصابة القديمة من السياسيين المصريين فهم ليسوا أكفاء لتسليم دولهم للغرب !

وأضاف :

« هناك مجموعة من شباب الضباط متوسطى الرتب الذين درسوا فى المعاهد العسكرية فى

الولايـات المتحدة وفرنســا وانجلترا . وهذه المجموعـة يجب الاتصال بها حتى تقـوم قيادة الشرق الأوسط .

وكانت الـولايات المتحدة ، قد قدمت منحـا لثمانية من الضباط المصريين للتدريـب فى الولايات المتحدة طبقا لبرنامج المساعدات المتبادلة » وتبين فيما بعد أن ستة منهم من الضباط الأحرار !!

وطالب جونز « بالاهتمام بالعسكريين الشبان فى مصر » .

وكان الدبلوماسيون الأمريكيون يشيرون إلى كمال أتـاتورك باعتباره النموذج المثالى ، للتطور السياسى العربى .

قال لويس جونز فى اجتماع المجلس « أنجح حكومة فى الشرق الأوسط هى الحكومة التركية » .

وقال المجلس « تنظر وزارة الخارجية الأمريكية إلى العسكريين فى دول الشرق الأوسط باعتبار أنهم يمكن أن يكونوا شركاء لأمريكا فى الحرب الباردة المشتعلة ضد السوفييت » .

وقال المجلس إن هؤلاء الضباط المقهورين بـالفساد يريدون تخليص شعوبهم من الاستعمار لبناء جيـش قوى واقتصـاد حديث . وهـؤلاء الضباط يخشـون وقوع ثورة شعبيـة فجائيـة من الجماهير .

وتطورت فكرة إنشـاء قيادة للحلفاء فى الشرق الأوسط فى عـام ١٩٥٠ بإقامة قـوات لبريطانيا ودول الكومنولث فى مصر تدعمها قوات محلية وأخرى من حلف شمال الأطلسى بحرية وجوية .

وأبدى أعضاء الحلقة الدراسية مخاوفهم من أن التـدخل الأمريكى سيؤدى إلى اتهام الولايات المتحدة بالأمبريالية .

ولكن الاجتماعات انتهـت إلى ضرورة تغيير الوضع السياسى القائم فى مصر لحمايـة المصالح العسكرية الأمريكيـة فإن الولايات المتحدة أرادت مد نفوذها لمصر . واعتبرت أن ذلـك حق للولايات المتحدة نتيجة للحرب الباردة خاصة وأنه لايمكن الدفاع عن وجود الاستعمار البريطانى فى مصر .

ورأت واشنطن من حقها ذلـك لعناد مصر ، وعجز انجلترا . وقالت سيكون هذا التـدخل مؤقتا وليس دائما .

وفى أواخر عام ١٩٥١ كانت واشنطن وجمال عبد الناصر يتساءلان فى وقت واحد :

ـ إذا لم يقم الجيش المصرى إصلاحا سياسيا واقتصاديا فمن يفعل ذلك ؟

* * *

بعث القائم بالأعمال الأمـريكى فى لندن هولمز يوم ٧ من ينايـر عام ١٩٤٩ إلى دين اتشيسـون وزير الخارجية الأمريكى يقول :

« ابلغنى مسئول فى وزارة الخارجيـة البريطانية بأن الأمـور فى مصر تسير من سيئ إلى أسوأ . ويبدو أن قيام الثورة أمر محتوم » .

وكتب جيفرسـون كافرى ، السفير الأمريكـى ، إلى واشنطن فى نوفمبر عام ١٩٥٠ عـن انتشار شائعات خاصة بحدوث انفجار وشيك فى مصر .

وفى أغسطس ١٩٥١ قال مجلـس الأمن القومى الأمريكـى أن الموقف فى الدول العربيـة تدهور بدرجة تفوق كل التوقعات .

وفى يوليه ١٩٥٢ حذر هنرى بايرود وكيل الخارجية الأمريكية من أن « **الفشل فى إيجاد مخرج للنزاع المصرى ـ البريطانى سيفضى إلى اندلاع المظاهرات والقلاقل التى قد لاتستطيع الحكومة المصرية السيطرة عليها** » .

ولذلك ظل الأمريكيون يتابعون الموقف بعناية ..

أوفد بيرتون بيرى مساعد وزير الخارجية الأمريكية كيم روزفلت رجل المخابرات المركزية الأمريكية إلى القاهرة ، وهى تحترق فى ٢٦ من يناير ١٩٥٢ ، يحاول للمرة الأخيرة ، تحقيق أمل واشنطن فى قيام ثورة سلمية « من فوق » واصلاح الملك الفاسد .

وينجح روزفلت فى إقناع الملك فاروق ورجاله بتعيين على ماهر رئيسا للوزراء ، كما يقول الأمريكيون .

وفى شهر مارس أعرب كيم روزفلت عدوله عن فكرة تحقيق الثورة السلمية بقيادة فاروق لأن محاولات إصلاح الملك والسياسيين العجائز غير مثمرة فقد فشلت المحاولة تماما .

وفى يونيه كانت الولايات المتحدة قد نجحت تماما فى إزالة النفوذ البريطانى السياسى وإبعاد ، هذا النفوذ ، عن صاحب الجلالة الملك فاروق الذى أصبح يتطلع إلى الولايات المتحدة طلبا لتأييدها بل إن السفير الأمريكى أصبح وسيطا بين صاحب الجلالة وزعماء مصر السياسيين وباشواتها !

ولكن الولايات المتحدة التى حلت محل الانجليز ، كانت غير قادرة ، أو غير راغبة فى الحد من نزوات صاحب الجلالة الملك فاروق !

* * *

كان مايلز كوبلاند رجل المخابرات الأمريكية أول من أشار إلى أن لوكالة المخابرات المركزية دورا فى ثورة ٢٣ يوليه ١٩٥٢ .

قال فى كتابه « لعبة الأمم » الذى صدر عام ١٩٦٩ .

« أول العناصر التى لسنا ضرورة وجودها توفر شخصية ما مثل عبد الناصر بالذات . وبعبارة أخرى فإن « ناصرا ما » كان من ضمن العناصر الحيوية للمسرحية التى عزمنا على اخراجها » .

وقال ·

« لم يخف دين اتشيسون وزير الخارجية شغفه بدبلوماسية ماوراء الكواليس ، بل دفعة اهتمامه بذلك لأن يطلب من وكالة المخابرات المركزية إعارته كيرميت روزفلت ليرأس ـ وبسرية تامة ـ لجنة ضمت الإخصائيين بالشئون السياسية فى كل من وزارتى الخارجية والدفاع والأعمال التجارية والجامعات الأمريكية لدراسة شئون العالم العربى وترتيب المشاكل تبعا لأهميتها واقتراح الحلول لها » .

وقال :

« كنا بحاجة إلى حاكم عربى يجمع بكلتى يديه سلطات تفوق كل شىء لم تيسر لحاكم عربى آخر لاتخاذ قرارات تنفر منها الشعوب وتأباها » .

وقال :

« رحل كيرميت وروزفلت إلى مصر وأمضى الشهرين الأولين من عامى ١٩٥٢ ليحاول تنظيم ثورة سلمية فى مصر تحت قيادة الملك فاروق نفسه ، يصفى فيها النظام القديم ويستبدله بنظام جديد ، مطوقا بذلك محاولات الثورة المتكررة ضده .

وكان روزفلت مفوضا بأن ينتقل إلى المخطط الثانى إذا واجهته صعاب فى إخراج المخطط الأول إلى حيز الوجود .

ولم يكن المخطط الثانى يعنى سوى البحث عن زعيم « مجنون سلطة » أو زعيم للواجهة أو الاثنين معا » .

وقد اضطر روزفلت فى مارس ١٩٥٢ إلى أن يرفع يديه مستسلما وموافقا على أن الجيش وحده قادر على مواجهة الموقف المتدهور فى مصر ، وعلى إقامة حكم يستطيع الغرب أن يقيم معه علاقات وتفاهم » .

وقال

« انتهى روزفلت إلى أن لقاءاته فى مصر أفهمته أن لجميع من قابل من الضباط علاقة وثيقة بضابط استوعب كليا شروط أى استيلاء على السلطة والمحافظة عليها ، وأنه لا محالة مقدم على هذا .

وقد تأكد أن هذا الضابط أدرك تماما مقاصدنا ومرامينا وقبل التزامنا بتسديد تكاليف تحقيقها . ولم يعد عسيرا قيام أى تفاهم متبادل وعلاقات وطيدة عندما يحين الوقت المناسب » .

ومعنى هذا كله أن المخابرات الامريكية أعدت المسرح السياسى المصرى للانقلاب وأن محمد نجيب سيكون زعيم الواجهة وجمال عبد الناصر مجنون السلطة وأنه سيتفاهم مع الولايات المتحدة فى الوقت المناسب .

وبعد نجاح الحركة قال مايلز كوبلاند .

« غمرت المسئولون فى واشنطن موجة من السرور نتيجة الانقلاب ، وأدركوا جميعا أنه أصبح فى حوزتهم على المسرح العالمى لاعب جديد من الطراز الذى بذلوا قصارى جهدهم للعثور عليه ، وأن كل ما سيضعونه معا من الخطط سيحظى بنسبة عالية من التعاون المثمر واحتمالية ضئيلة من الخلاف والشجار » .

* * *

فى كتابه « فاروق ملك مصر » قال المؤلف بارى سان كلير باك برايد إن الأمريكيين استغلوا كراهية المصريين للإنجليز فشجعوا حركة الضباط الأحرار أو تسامحوا معها.

وقال الكاتب إن إحدى السيدات المقيمات فى القاهرة قالت إنها شاهدت أحد المسئولين فى السفارة الامريكية يجلس بجوار جمال عبد الناصر فى سينما ريفولى بالاسكندرية فى ديسمبر عام ١٩٥١.

ومن الواضح أن هذه أكذوبة فإن جمال عبد الناصر لم يظهر علانية قبل الثورة ، مثل السادات، وبذلك لايمكن أن يكون أحد - رجل أو امرأة — وبالذات من الأجانب قد تعرف عليه قبل سبعة شهور من الثورة .

وفى كتاب « وكالة المخابرات المركزية الأمريكية » قال الكاتب اندرو تالى إن الوكالة ساعدت فى طرد فاروق وأنها كانت تعرف عبد الناصر ومناوراته الخفية .

ويقول المؤلف إنه من المحتمل فى يناير عام ١٩٥٢ أن تكون الولايات المتحدة وبريطانيا قد قررتا أن فاروق يجب أن يذهب .

وقال المؤلف إن عملاء وكالة المخابرات المركزية الأمريكية والمخابرات البريطانية كانوا قريبين من الضباط الأحرار ودعموا قواتهم وأعطوا الضوء الأخضر للانقلاب .

وفى كتاب بارى روبين « أمريكا والثورة المصرية ١٩٥٠ ـ ١٩٥٧ » كرر ماكتبه كوبلاند .

قال :

« تلقت الولايات المتحدة بعض المعلومات ، ولكنها لم تتورط فى الانقلاب .

وكان المسئولون الأمريكيون يحدوهم الأمل ، عقب حريق القاهرة ، فى أن يظهر رئيس وزراء قوى يستطيع السيطرة على زمام الموقف .

وفى أواخر مارس كان روزفلت على علم بالثورة المتوقعة ، وبدور ناصر كزعيم للضباط الأحرار، وهى مجموعة اعتبرتها السفارة الأمريكية منظمة تصحيحية خالصة يقتصر اهتمامها على الشئون العسكرية » .

وفى كتاب جون رافيلانج « ارتفاع وسقوط وكالة المخابرات المركزية » . قال : « إن الوكالة ساعدت جمال عبد الناصر فى الوصول إلى السلطة . وكانت السياسة البريطانية ترى استمرار نظام فاروق بينما رأى الشقيقان جون فوستر دالاس وزير الخارجية الأمريكية والان دالاس مدير الوكالة أن ذلك يعتبر بمثابة دعوة للشيوعيين لقلب نظام الحكم .

وقد نصح كيرميت روزفلت قادة الانقلاب ومولهم ضد السياسة البريطانية » .

ولكن كوبلاند نفسه قال بعد ذلك ، وفى كتاب لعبة الأمم أيضا

« سبق الانقلاب سيل من المعلومات تدفق من خلال تقارير المخابرات المركزية ، مشيرا إلى أن احداثا ماستقع دون تحديد زمنها أو تحركاتها » .

.. ومن هذا يتضح أن المخابرات الأمريكية لم تدبر الانقلاب ولا تعرف الكثير عنه!

فى كتاب جوفرى ارونسون « سياسة الولايات المتحدة نحو مصر من عام ١٩٤٦ إلى عام ١٩٥٦ قال إن بيل ليكلاند السكرتير الثانى بالسفارة الأمريكية المختص بالشئون السياسية كان ضابط الاتصال بين السفارة والضباط الأحرار .

وليكلاند ــ ٢٩ سنة ـ عمل فى انقره وميونيخ وهما موقعان شديدا الحساسية والأهمية فى الحرب الباردة بين واشنطن وموسكو ، وهو ضابط بحرى سابق ، وقد ساعده شبابه وماضيه العسكرى على أن يصادق الضباط الأحرار وبالذات جاره جمال عبد الناصر .

وقد أبلغ جمال عبد الناصر السفير الأمريكى كافرى عن طريق ليكلاند بأن الضباط الأحرار يرغبون فى صداقة الولايات المتحدة . وقد اقتنع كافرى بأن مساعدة الجيش هى العامل الوحيد الذى يضمن الاستقرار فى مصر ومساندة الغرب . لذلك ، ونتيجة الارتباط بين عبد الناصر وليكلاند

فإن السفارة الأمريكية وواشنطن كانا على علـم بأهداف الضباط الأحرار في النصف الأول من عام ١٩٥٢ .

ولكن من المشكوك فيه أن كافرى أو ليكلاند كانا يعرفان خطة الضباط الأحرار التى تقررت في يوليو ١٩٥٢ »

وفي كتاب « حبال من رمـال » اعترف رجل المخابرات الأمريكية ويلبور كريـن ايفلاند باشتراك الوكالة في الإنقلاب .

وقال ايفلاند إنه بعـد عشرين عاما من الانقلاب ، في عام ١٩٧٢ ، ناقـش مع كيرميت روزفلت ماقاله كوبلاند عن اتهام الوكالة بأنها رتبت طرد فاروق فقال كيم روزفلت :

ـ لو أنى حقيقة طردت فاروق ماكنت قد حصلت على ثقة زبائنى من الملوك .

وكان كيرميت روزفلت قـد استقال من عمله في المخابرات ، واشتغـل في إحدى شركات البترول خارج الولايات المتحدة ، ومن هنا حرص على استمـرار صلته بملوك وأمراء وزعماء الخليج ولذلك نفى أن تكون له صلة بعزل الملك ».

وقد استبعد كتاب « المخابرات البريطانية والعمل السرى » أن يكـون لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية دور في انقلاب الجيش المصرى .

وقال المؤلفان جوناثان بلوك وباتريك فيتزجيرالد :

« راجت شائعات بأن الوكالة ساندت حركة الجيـش ، ويبدو غريبا أن تغامر الوكالة بالإساءة إلى حلفائهم البريطانيين » .

* * *

ولقد نشر الكثير عن علاقة الثورة بالامريكيين .

قيل أن عبد الناصر قام بالثورة وهو يعلم أن الانجليز تعهدوا له بعدم التدخل .

وقيل إن للمخابرات الأمريكية صلة ببعض الضباط .

وقال أحمد مـرتضى المراغى « وزعـت المخابرات الأمـريكية تقـارير على الضباط عـن الثورة الكوبية »

ولكن الواضح أن كـل الكتب التى ألفها رجال المخابـرات الأمريكية عن صلة الوكـالة بالثورة ، وتدبيرها له ، صدرت بعد القطيعة بين جمال عبد الناصر والولايات المتحدة وشرائه لصفقة السلاح التشيكية ، واقتناع الامريكيين بأن جمال عبد الناصر قد انحاز نهائيا للسوفييت .

وزاد تدفق هذه الكتب بعد هزيمة مصر عـام ١٩٦٧ ، ورغبة المخابرات الأمريكية التى كان لها دور في تلك الهزيمـة ، في الإجهاز على جمال عبـد الناصر بتلـويث سمعتـه واظهار ارتبـاط الثورة بالولايات المتحدة

وقد نشر مـايلز كـوبلانـد كتابـا آخر عـام ١٩٨٩ اسمه « لاعـب اللعبة » قـال فيه إن وكـالة المخابرات المركـزية الأمريكية التقت في القاهـرة ثلاث مرات بلجنة من الضباط الأحـرار وذلك قبل أربعة شهـور من الثـورة وأن جمال عبد النـاصر حضر اللقاء الثـالث . وتـم الاتفاق معـه على أن

تتلخص مهمة حكومته الجديدة فى وجود جماهير متعلمة ، وطبقة متوسطة كبيرة ، ومستقرة ، وإشاعة شعور بين أبناء الشعب المصرى بأن هذه الحكومة ليست مفروضة من الانجليز أو الأمريكيين أو الفرنسيين أو الأتراك » .

ولو أن هذه الرواية كانت صحيحة لكان كوبلاند قد ذكرها فى كتابه « لعبة الأمم » ولكان قد نشر صور اللقاء ادعى أنها التقطت أثناء الاجتماعات ! !

وعلى أية حال فإن أجهزة المخابرات لاتذيع وثائقها .. أبدا ، وان كان بعض أفرادها ، المتمردين عليها ، والذين أحيلوا إلى المعاش ، أو طردوا من الوكالة ، يتكلمون ويكتبون مذكراتهم .

وقيل إن نجاح الضباط الأحرار فى انتخابات نادى الضباط جذب اهتمام وكالة المخابرات المركزية الأمريكية . وفى الوقت ذاته سعى الضباط إلى إقامة الاتصالات مع الأمريكيين حتى لاتواجه الثورة عداء أمريكا عند القيام بها أو بعد نجاحها .

وكان الأمريكيون من ناحيتهم حريصين على تخفيض نصيب الانجليز من بترول الشرق الأوسط ، والحد من نفوذهم السياسى ومنع اختراق السوفييت .

* * *

كان أول قرار لمجلس القيادة إيفاد على صبرى إلى ايفانز مساعد الملحق الجوى الأمريكى لإبلاغه بأن الثورة قامت لأسباب داخلية .

وكان هدف الثورة من ذلك الا تتكرر تجربتين اليمتين فى التاريخ المصرى المعاصر الأولى عندما تحرك الانجليز وتدخلوا عسكريا ضد أحمد عرابى لمصلحة الخديو محمد توفيق عام ١٨٨٢ وغزوا مصر واحتلوها عسكريا حتى تلك الساعة .

أما التجربة الثانية فقد حدثت يوم ٤ فبراير عام ١٩٤٢ عندما حاصر الانجليز قصر عابدين فى القاهرة وأرغم السفير البريطانى السير مايلز لامبسون ـ اللورد كيلرن ــ الملك فاروق على تعيين مصطفى النحاس باشا رئيسا لوزراء مصر .

وإذا كان الملك فاروق قد اعتمد على الولايات المتحدة لكبح جماح ايدن أو الحد من تصرفاته فإن الضباط الأحرار كرروا التجربة نفسها وأرادوا من الولايات المتحدة الضغط على ايدن حتى لايتحرك الجيش البريطانى لإنقاذ فاروق !

وفى مذكراته قال عبد اللطيف البغدادى عضو مجلس قيادة الثورة :

« كنا نرى ضرورة تجنب الصدام مع القوات البريطانية المعسكرة فى منطقة القناة وأن نعمل على تحييدها بعد نجاحنا فى الخطوة الأولى حتى لاتتحرك لمقاومة الانقلاب .

اتفق على أن نبلغ السفير البريطانى بأن الجيش المصرى تحرك لأمور داخلية ولغرض مطالبة السلطات المصرية ببعض المطالب الخاصة به ، وأننا حريصون على مصالح الأجانب وحماية أرواحهم ، ومحذرين فى نفس الوقت من أى تدخل من القوات البريطانية سيدفعنا للتصدى لها والاشتباك معها . وستشترك معنا فى هذا التصدى منظمات وهيئات شعبية .

وكانت المشكلة أمامنا كيف يمكن الاتصال بالسفير الأمريكى لإبلاغه تلك الرسالة وكانت الساعة حوالى الرابعة من صباح يوم ٢٣ يوليو .

ولما كنت أعرف مدى صداقة على صبرى ـ وكان مديرا للمخابرات الحربية فى قواتنا الجوية ـ بالملحق الجوى الأمريكى بالقاهرة (ايفانز) لذا اقترحت على باقى الزملاء فكرة استدعاء على صبرى لإبلاغ السفير الأمريكى عن طريق الملحق الجوى بالإنقلاب ، على أن يقوم السفير الأمريكى بابلاغ السفير البريطانى بتلك الرسالة .

واتصلت بعلى صبرى تليفونيا وطلبت منه الحضور إلى القيادة العسكرية ، وكلف بإبلاغ هذه الرسالة وقام بها » .

قال لى خالد محيى الدين عضو مجلس قيادة الثورة أن « هدف جمال عبد الناصر من ذلك تامين الثورة . ولم يكن باستطاعة جمال عبد الناصر الاتصال ببريطانيا أو الاتحاد السوفييتى » .

واجمع كل المراقبين على أن الأمريكيين ساعدوا الثورة فى أيامها الأولى بإقناع الملك بالاستسلام وإقناع الانجليز بعدم التدخل ..

قالت صحيفة « نيويورك تايمس » فى اليوم التالى ـ ٢٤ يوليه ـ إن وزارة الخارجية الأمريكية اعتبرت الثورة مسالة داخلية مصرية وانها نتيجة لظروف داخل الجيش ومؤامرات القصر .. وذلك على أساس معلومات السفارة الأمريكية .

وكانت الحكومة الأمريكية تأمل كسب محمد نجيب إلى فكرة قيادة الشرق الأوسط إذا ضمنت له الأسلحة والمعدات العسكرية .

وفى مذكراته قال دين اتسيشون إن التغيير الذى جرى فى مصر اعتبرناه عاملا مشجعا هادئا كما اعتبر الرئيس ولسون الثورة الروسية فى فبراير عام ١٩١٧!

ويضيف عبد اللطيف البغدادى أن الاتصال بالسفير الأمريكى « كافرى » كان عاملا مساعدا فى توثيق العلاقة بين أمريكا ومصر فى السنين الأولى من الانقلاب حتى أنها أعطت انطباعا خاطئا عند البعض ، فيما بعد ، على أن الثورة كانت على اتصال مسبق بالأمريكيين قبل قيامها » .

ومن هذا يتضح أن ايفانز هو أول أمريكى اتصلت به الثورة المصرية .

* * *

قابلت فى واشنطن كيرميت روزفلت فى ١٤ ديسمبر عام ١٩٨٤ ، وكان عجوزا مريضا ، وربما كان يهمه فى تلك اللحظة أن يتكلم إبراء لذمته وللتاريخ .

روى لى القصة كاملة

قال إنه كان يقوم بالتدريس ويعد رسالة دكتوراه عن وسائل الدعاية عندما اتسع نطاق الحرب العالمية الثانية

دعاه ذلك لكتابة مقال عن ضرورة قيام الولايات المتحدة بإنشاء منظمة تقوم بالعمليات السرية.

لم ينشر المقال بل ارسله إلى بيل دونوفان الذى دعاه للعمل معه فى مكتب الخدمات الاستراتيجية الذى تحول ـ فيما بعد ـ إلى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية .

وانتدبه دين اتشيسون ـ وكيل وزارة الخارجية الامريكية حينئذ ، ووزيرها فيما بعد ـ للقيام بمهمة فى مصر قبل أن يوفده إلى إيطاليا .

وفى مصر تعرف على عـدد من الشخصيات أصبحـوا أصدقـاء له بينهم الـدكتور أحمد حسين الذى تولى وزارة الشئون الاجتماعية فى وزارة الوفد وسفيرا لمصر فى واشنطن عقب الثورة .

انتهت الحرب فطلب إليه اصدقاؤه أن يحضر إلى القاهرة ليلتقى ــ كما أكدوا له ـ بالرجل الذى سيزيح الملك فاروق عن عرشه ويجلس مكانه .

قال لهم إنـه لايستطيع ـ كموظـف فى الحكومة الأمـريكية ـ أن يلتقى ويتحـدث ويحاور رجلا يتآمر ضد رئيس دولة صديقة ، حتى ولو كان ذلك الرئيس يستحق التوبيخ !

وعلى هذا الأساس أرجأ اللقاء إلى مابعد قيام الثورة !!

وقام بالزيارة فى يناير عام ١٩٥٣ .

وكان اللواء محمـد نجيب ـ رسميا ــ رئيس الدولة . ولكـن وضـح ـ بغير شك ــ أن جمال عبد الناصر هو الذى يتولى مقاليد الأمور .

أبلغ ذلـك لهنرى بـايرود وكيـل الخارجية المسـاعد الـذى اختير بعد ذلـك عام ١٩٥٥ سفيرا للولايات المتحدة فى القاهرة فصدق ماقال وآمن به .

أما السفير الأمـريكى فى القاهـرة جيفرسـون كافرى ، الـذى كان يداعـب كيم روزفلـت طفلا ويضعه على ركبتيه عنـدما كان ملحقا شابا فى أسبـانيا خلال الحرب العالمية الأولى، فإنــه لم يأخذ كلامه بجدية ، وظن أن محمد نجيب هو قائد الثورة الحقيقى !

* * *

وفى واشنطن قابلت اللفتنانت كولونيل دافيد ايفـانز مساعد الملحق الجوى الأمريكى فى القاهرة ليلة قيام الثورة .

وجدت ايفانـز مسئولا عن العلاقات العسكـرية بين الولايات المتحدة والصين الـوطنية بعد أن اعترفت بلاده بالصين الشعبية وقطعت علاقتها « العلنية » بالصين الوطنية !

ودافيد ايفانز يستطيع أن يروى كثيرا من الأسرار عن علاقة الثورة بأمريكا .

كان دافيد ايفانز فى الثالثة والثلاثين من عمره عند قيام الثورة .

وصل إلى مصر فى اكتوبر عـام ١٩٥١ تخرج من كلية مخابرات الدفاع الأمـريكية ودرس علوم المخابرات وتخطيط العمليات فى المحيط الباسفيكى .

وقد ظل فى مصر حتـى يوليو عام ١٩٥٤ واستطـاع أن يوثق صلته بضبـاط الجيش وسمعهم كثيرا قبل الثورة وهم يقولون :

ـ إن حكومتنا عميلة للاستعمار .

قال لى ايفانز :

ـ كنـت أشجع الضبـاط على أن يمارسوا استقـلالهم وأن يكونـوا مصريين . وكنت أثير معهـم قضية القومية العربية . وكنت أقول لهم · مهما شق الفـرنسيون قناة السويس فأنها ستبقى جزءا من أرض مصر .

وقد شجع ذلك الضباط على الثورة !

وقال لى دافيد ايفانز :

ـ عرفت بالثورة قبل على صبرى وذهبت إليه فى سلاح الطيران استفسر منه وطلبت منه أن يسأل .

وقد عاد إلىّ يقول إنه عرف بحركة الضباط الأحرار وأن أخاه واحد منهم !!

وأضاف :

ـ لم يكن مندوب وكالة المخابرات المركزية فى القاهرة يعرف شيئا عن الثورة . ولكنى كنت أعلم أن شيئا ما سيحدث فى مصر . وقبل عشرة أيام من قيام الثورة أبلغنى على صبرى أن محاولة لثورة ستحدث أو أن إنذارا سيوجه للملك فاروق .

وقد قابلت على صبرى نحو ٤ أو ٦ مرات خلال شهر يوليو . وكان مصدر معلومات لى .

وفى رأيى أن الثوار ابلغونا مقدما بحركتهم حتى لا يأتى رد فعل الولايات المتحدة سيئا أو معاديا لهم .

وأضاف ايفانز لى .

ـ خلال الأسبوع الأول للثورة لم يكن لنا مصدر للأخبار !

وأضاف :

ـ فى الساعة الحادية عشرة من مساء يوم ٢٢ من يوليو طلبت على صبرى فى منزله فقالت لى زوجته إنه خرج قبل ساعتين أو ثلاثة .

وكنت أقيم فى شارع المرعشلى بالزمالك فجاءنى على صبرى فى الرابعة صباحا وأيقظنى من النوم وأبلغنى بقيام الثورة وأهدافها قائلا :

ـ هذه ثورة غربية قامت لتحقيق حياة أفضل للمصريين وإقامة الديمقراطية على الأسس الغربية .

ولم يقل على صبرى أبدا أنهم يفكرون فى عزل الملك للتخلص من الفساد .

وقال على صبرى إنه يريد إبلاغى رسالة من مجلس القيادة لإبلاغها للقائد البريطانى فى منطقة القنال .

وكان للانجليز أيامها ٩٧ ألف جندى من أحسن الجنود المدربين فى الامبراطورية .

قلت :

ـ لست مخولا سلطة الاتصال بالإنجليز . وليست لى وسيلة لأفعل ذلك . وكل ما أستطيع عمله إبلاغ رسالتك إلى سفيرى ـ السفير الأمريكى ـ للاتصال بالانجليز ولا أعرف ماذا سيفعل بالرسالة.

قال على صبرى :

ـ هذا يكفى .

اتصلت بعامل تليفون السفارة واسمه شحاته الذى كان يعرف كل مايجرى فى مصر أفضل من الملك ، وربما كان رجل الملك داخل السفارة !

وكان السفير كافرى فى بيته بالاسكندرية فأوصلنى به .

قلت للسفير :

ـ أرجو أن تسمعنى بعناية .

وأبلغته الرسالة .

قال كافرى :

ـ سأرى ماذا أفعل .

ولم يقل لى شيئا . ولكنى واثق من أنه فعل شيئا .

* * *

قال خالد محيى الدين عضو مجلس قيادة الثورة فى حديث صحفى بعد سنوات :

« كان على صبرى ـ ضابط مخابرات سلاح الطيران . فاتصل به مساعد الملحق الجوى الأمريكى فى القاهرة ، وقد أدرك هذا الرجل أن هناك شيئا ما فى الجيش . فسأل على صبرى عما إذا كانت هذه الحركة شيوعية أو لها ميولا شيوعية .

وقال له بصراحة مطلقة :

ـ إذا كانت للحركة أية ميول شيوعية فسوف تتحرك أمريكا وبريطانيا معا لإيقافها.

فأكد له على صبرى العكس تماما . وقال :

ـ الحركة أبعد ماتكون عن هذه الميول .

وكانت كل الاتصالات تتم بمعرفة عبد الناصر .

* * *

وروى على صبرى قصة إبلاغه النبأ للسفارة الأمريكية فقال فى حديث لمجلة «الوطن العربى » .

« رن جرس التليفون وإذا بهم يطلبون منى التوجه إلى القيادة .

دخلت إلى مكتب يجلس فيه جمال عبد الناصر وبعض زملائه وكان رنين التليفونات لاينقطع والخطة فى الخارج قيد التنفيذ خطوة خطوة ، بنجاح تام .

كانت لدى المجتمعين خشية من تدخل الانجليز ، وكان الملك فى الاسكندرية وكانت لى علاقات متعددة بالسفارات الأجنبية بحكم عملى كرئيس لمخابرات سلاح الطيران .

كان من طبيعة هذا العمل أن أكون على صلة مستمرة بالملحقين العسكريين فى هذه السفارات وكانت لى علاقات شخصية مع الأمريكيين ، فقد سافرت فى بعثة عام ١٩٥١ إلى الولايات المتحدة دامت أربعة أشهر عشتها فى قاعدة جوية لدراسة الأمن المركزى المعلومات وتحليلها والاستكشاف وغير ذلك وكان هذا التدريب قاصرا على مواطنى دول حلف الأطلسى .

لذلك كلفت بالاتصال بالسفارة الأمريكية لأبلغ رسالة تحذيرية أشبه بالتهديد .

ولم نفكر مطلقا فى الاتصال بالانجليز حتى لايصل بهم الظن إلى اننا فى مركز ضعيف ، ولم يكن ممكنا أيضا أن نهددهم . وكانت الساعة تشير إلى الثانية أو الثالثة صباحا ، ولم نستول بعد على القاهرة أوالإذاعة .

أخذت السيارة وقدتها بنفسى إلى منزل الملحق الجوى الأمريكى فى الزمالك .

لم يكن نائما ، فما أن ضغطت على الجرس حتى فتح لى الباب بنفسه ، متسائلا :
ـ ماذا حدث ؟
وكان قد علم !
أبلغته الرسالة .
قلت له :
ـ هذه الحركة داخلية فى القوات المسلحة وليست لها أهداف سياسية إلا إصلاح القوات المسلحة وتطهيرها من القيادات الفاسدة ولا نطلب إلا أن يتصل السفير الأمريكى بالسفير البريطانى ويبلغه ذلك ، حتى لايحدث أى تدخل من جانب القوات البريطانية ، من شأنه أن يؤدى إلى مذبحة ، لأن الجيش لن يستسلم .
وقد أخبرنى فيما بعد بأنه كان يعلم بأن الثورة ستقوم ليلة ٢٣ يوليو .. وان كنت أشك فى ذلك.
وكان الأمريكيون مرتاحين ، لأن الذى عناهم أولا أن القائمين بالحركة ليسوا يساريين وكان اهتمامهم الأساسى ألا تكون حركة شيوعية . وكانت معرفتهم ببعض الشخصيات هى التى طمأنتهم ودفعتهم لاتخاذ موقف محايد .
ومالم يذكره على صبرى قاله آخرون من الذين ألفوا عن الثورة وكتبوا تاريخها فقد اجمعوا على أن على صبرى أوقف عند مدخل القيادة بعد استدعائه لأنه لم يكن يعرف كلمة السر .. وبالتالى فلم يكن من قيادة الحركة ، ولم يكن يعرف موعد قيامها .
وإذا كان على صبرى لايدرى فمن باب أولى أن ايفانز لم يكن يعرف !
ويوجد دليل آخر على أن كافرى لم يكن مشاركا فى الحركة . فقد أبرق فى الرابعة من مساء ٢٥ يوليه بالتفاصيل الجديدة التى عرف بها . قال :
« تشير معلومات إضافية إلى أن مائة وتسعين من كبار الضباط قد اعتقلوا حتى الآن فى القاهرة .
وقام بعملية التخطيط الأساسية للإنقلاب عشرون ضابطا « مثاليا » ، بينهم عدد من الإخوان المسلمين .
وقام بتنفيذ الإنقلاب ٣٠٠ وأعلى رتبة فيهم هى البكباشى وضابط برتبة لواء هو الوحيد الذى قاوم وقد أصيب مع ضابط آخر « بجراح طفيفة » .
وسيتم السماح « للشرفاء » ، ولكن غير الأكفاء من المعتقلين بالاستقالة ، أما الخونة فيقدمون إلى مجلس عسكرى .
واستقبل الضباط الأصغر سنا الذين لم يشاركوا فى الانقلاب هذه الحركة بحماس » .
ولكن المؤكد أن السفارة الأمريكية كانت أول سفارة غربية عرفت أسماء أعضاء لجنة القيادة فقد أبرق جيفرسون كافرى يوم ٣٠ يوليه إلى واشنطن بالأسماء التسعة وهم :
« البكباشى جمال عبد الناصر (مشاة) والبكباشى أنور السادات وقائد الجناح عبد اللطيف بغدادى وقائد الجناح جمال الدين مصطفى سالم والصاغ عبد الحكيم على عامر (مشاة) والصاغ

خالد محيى الدين والصاغ محمد كمال الدين حسين (مدفعية) وقائد السرب حسن إبراهيم » .

.. اسم واحد فقط لم تعرفه السفارة وهو صلاح سالم واكتفت بالقول أنه برتبة مقدم .

وكان صلاح سالم يوم الثورة برتبة صاغ « رائد » .

وعرف دافيد ايفانز أسماء أعضاء المجلس الاثنى عشر كاملة فى ٢٥ سبتمبر بعد أن أضيف الأعضاء الجدد ولكن ايفانز ظن منذ البداية أن محمد نجيب يرأس مجلس قيادة الثورة .

* * *

إن الولايات المتحدة كانت تأمل أن يعتدل القادة الجدد فى سياستهم وأن يتعاونوا مع الولايات المتحدة وأن يكونوا أقوياء فى اتخاذ قرارات غير شعبية وازالة العوائق التى تمنع مصر من الاشتراك فى النظام الدفاعى الغربى .

ومن ناحيتهم فإن قادة مصر الجدد كانوا متفائلين بالموقف الأمريكى للتشابه بين حركتى التحرير فى مصر والولايات المتحدة ضد بريطانيا .

وكان القادة الجدد فى حاجة إلى مساعدة من أمريكا فى السلاح والتدريب .

ومن هنا كانت هناك مصالح مشتركة للطرفين . ولذلك قامت الشائعات بأن هناك علاقة سابقة بين الثورة والولايات المتحدة وأن الدبلوماسيين الأمريكيين كانت لهم اتصالات مع الضباط الأحرار.

ولكن هذه الادعاءات لم تتأيد أبدا .

وعلى أية حال فإن اتصالات الثورة مع السفارة الأمريكية فى الساعات الأولى لقيامها تدل على أن الضباط الأحرار كانوا يعرفون حقيقة الموقف الأمريكى منهم .

وما أن بدأ الاتصال بين الضباط الأحرار والأمريكيين حتى أصبح السفير الأمريكى الوسيط مع انجلترا .

وكان كافرى هو الذى أكد للسفارة البريطانية أن مصالح الإنجليز ستحترم .

ولكن سياسة الولايات المتحدة فى واشنطن كانت تنتظر لترى !

فاروق يستسلم

كل شيء فى يد ضباط الجيش ، وبقيت مشكلة واحدة . فاروق .. ماذا يفعلون معه ..

حمد نجيب :

نا فى هذه المرحلة لم تكن قد وصلت إلى حد عزل الملك وإقامة جمهورية . ولكن اهتمامنا
لأخطاء المباشرة التى نعانى منها مثل ضعف القيادات الكبيرة، وفساد رجال الحاشية ،
الهائلة التى أحاطت بصفقات الأسلحة .

، زكريا محيى الدين : « الخطة فى البداية كانت تغييرا داخليا فى الجيش » .

دى نجاح الثورة وتضامن الجيش فى سيناء والاسكندرية معها ، والتأييد الفورى
شامل لها ، وامتناع الانجليز عن التدخل ، إلى التفكير فى عزل الملك .

* * *

فكرة عزل الملك بعد أن اكتشفت الحركة ضعفه وخوفه .

لبداية شك كريزويل فى أن هدف الثورة إما التخلص تماما من الملك فاروق ، أو تقليم
اتيا ، وبشكل دائم .

برقية له يوم ٢٣ من يوليه « هناك من يدفع العسكريين إلى ذلك » .

بعد ذلك :

**ثمة شك فى أن الخطة الأصلية تتضمن طرد الملك غير أن أكبر الاحتمالات تشير إلى
جيب الواضح ، فى مطالبة الملك بالتخلى عن العرش، يرجع إلى شكوكه وعدم تأكده
انت القوات البريطانية سوف تتدخل .**

**واضحا أن العصبية بادية على نجيب بالنسبة للموقف البريطانى ، ويبدو أنه لم
البداية ـ يؤيد بشكل كامل طرد الملك . ولكن لم يكن لدى فاروق شك ازاء الخطر
رض له » .**

كرات ثروت عكاشة أكد ذلك . قال : « كنا نقصد إقصاء معوقات تحقيق أهدافنا واسناد
آكفا رجال السياسة الموثوق فى وطنيتهم وتفانيهم » .

« قصارى ماكانت تريده الحركة وقف الملك عند حده ، ورده عن طغيانه وتثبيت أركان
. »

بعد نجاح الحركة فى يسر غير متوقع ــ على حد تعبيره ـ اتصل به جمال عبد الناصر
لمقر القيادة ليلة ٢٤ ـ ٢٥ يوليه ليبلغه بما استقر عليه الرأى من خلع الملك .

سـأله ثروت عكاشة عن مصير صاحب الجلالة قائلا :

ـ حسبنا خلع الملك وإبعاده دون إراقة دماء كما تعاهدنا .

قال جمال عبد الناصر :

ـ هذه نيتى الشخصية ، وإنى حريص على أن تظل ثورتنا بيضاء .

وسأل جمال عبد الناصر الضابط ، الذى أصبح بعد ذلك مديرا للمخابرات العامة صلاح نصر .

ـ ما رأيك فى عزل الملك . نخشى تدخل الأمريكين مع أننا قمنا بطمأنتهم ؟

قال صلاح نصر :

ـ لاأظن أنهم سيقامرون على ورقة خاسرة .

وفى مذكرات صلاح نصر قال :

« يبدو أن فكرة عزل فاروق لم تكن قد تقررت بشكل حاسم ».

ومن الواضح أن رجال الجيش حتى يوم ٢٤ يوليه كانوا مستعدين للابقاء على الملك.

ولكن قرر مجلس القيادة مساء ذلك اليوم ـ ٢٤ يولية ـ عزل الملك بعد الرسالة البريطانية لمحمد نجيب بعدم التدخل !

تحركت قوتان عسكريتان من ثكنات الجيش بالعباسية إلى الاسكندرية صباح الجمعة ٢٥ يوليه بالطريق الصحراوى فوصلتا قبل الغروب وعسكرتا فى الملعب الرياضى الكبير « الاستاد » .

تولى القيادة العقيد أحمد شوقى قائد قسم القاهرة وتألفت من ٤ كتائب مشاة والاى مدرع وآخر دبابات وعدد من بطاريات المدفعية . وكانت ضمن هذه القوات الكتيبة ١٣ مشاة التى قامت بالعمل الأساسى ليلة الثورة وحققت نجاحها .

* * *

وصل محمد نجيب إلى الاسكندرية مساء الجمعة ـ ٢٥ يوليه ـ بالطائرة فاستقبلته الجماهير هاتفة « يحيا نجيب مصر منقذ مصر » .

ووصل مع محمد نجيب إلى الاسكندرية أيضا البكباشى ـ المقدم ـ أنور السادات والمقدم زكريا محيى الدين والمقدم حسين الشافعى والمقدم عبد المنعم أمين ، والمقدم يوسف صديق واتخذوا مقرا لهم ثكنات مصطفى باشا .

وزار اللواء محمد نجيب « الاستاد » ليلا للاطمئنان على هذه القوات وبات الضباط والجنود فى « الاستاد » بملابسهم العسكرية .

وهكذا جمعت الاسكندرية لأول مرة بين الملك وقائد الإنقلاب !

أحس المصريون فى مدينة الاسكندرية أن هذه اللحظات تسبق العاصفة ، خاصة وهم يشاهدون القوات تصل إلى الاسكندرية ، ويعرفون أن الملك فاروق ينتظر ، فى قصره ، مصيره .

توقع الشعب مواجهة بين الرجلين ولكن لم يعرف الناس كيف ستكون بين الملك وقائد الجيش!

وبدأ نشاط محمد نجيب باجتماع لأعضاء مجلس القيادة بقادة القوات البحرية الذين أعلنوا تأييدهم للحركة .

ووجد زكريا محيى الدين أن الجنود الذين جاءوا من القاهرة مرهقون فتقرر تأجيل حصار القصر الملكى إلى الغد .

ويلتقى محمد نجيب بعلى ماهر فى المساء ، وكان معه سليمان حافظ وكيل مجلس الدولة .

حاول محمد نجيب جس نبض على ماهر قائلا .

ـ أفكر وضباطى فى اتخاذ حل أكثر حسما ، وإلا عاد الملك إلى ألاعيبه القديمة .

ولم يضف !

قال على ماهر ، بعد ذلك ، لكريزويل :

ـ أعتقد أن الضباط كانوا على حق فى تقديرهم !

* * *

جلس نصف أعضاء مجلس القيادة فى ثكنات الجيش فى معسكر مصطفى كامل بالاسكندرية يجرون أغرب محاكمة للملك فاروق مساء ذلك اليوم ويحددون مصيره بعد خلعه .

وكانت أمامهم ثلاث بدائل

* إعتقال فاروق ومحاكمته .

* السماح له بالرحيل .

* إعدامه فورا بعد محاكمة سريعة أو دون محاكمة .

كان يمثل النيابة ، أو الادعاء ، جمال سالم .

قال :

ـ قررنا عزل فاروق ، ولكننا لم نقرر مصيره .

وأخذ جمال سالم يصرخ قائلا .

ـ فى رأيى محاكمته على جرائمه فى حق مصر وفلسطين .

وطالب بإعدام صاحب الجلالة . قال :

ـ يستطيع الملك بالأموال التى هربها أن يحارب الثورة . والاستعماريون يستطيعون استعماله كمخلب قط .

وكان محمد نجيب ، قاضى تلك المحاكمة ، على الحياد .. لايهمه حياة الملك أو موته قال .

ـ فى رأيى أنه مهما كانت جرائم الملك فإننا لايجب أن نحاكمه أو نسجنه . لنتركه يقرر مصيره ونلتفت نحن إلى مستقبل البلاد .

صاح جمال سالم .

ـ لا يجوز أن نترك الملك حرا .

وأضاف :

ـ تذكروا شهداء فلسطين .. تذكروا أن عليكم الانتقام لهم .

قال محمد نجيب.

ـ اهتمامى الآن بمستقبل مصر .

وامتد النقاش إلى ما بعد منتصف الليل دون الوصول إلى قرار . فقد انقسم الحاضرون بين محاكمته واعدامه أو السماح له بالرحيل .

وكان جمال سالم قد أصيب فى حادث طائرة وأجريت له ١٣ عملية جراحية فى لندن وحالته النفسية مضطربة . ولذلك رأى محمد نجيب التخلص من صياح جمال سالم واصراره فقال له ·

ـ مثل هذا القرار الخطير يجب أن نأخذ فيه رأى جميع أعضاء مجلس الثورة ونصفهم فى القاهرة . عليك أن تركب الطائرة وتسافر إلى القاهرة ، وتعرض الأمر على جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وعبد اللطيف البغدادى وكمال الدين حسين وتعود برأيهم .

قال جمال سالم ·

ـ ولماذا لا نسألهم بالتليفون ؟

قال محمد نجيب :

ـ ذلك مستحيل فى هذه الظروف !

* * *

كانت امام الضباط أفكار عامة لما فعلته الثورات بالملوك .

الثورة الانجليزية بقيادة اوليفر كرومويل أعدمت الملك شارل الأول عام ١٦٤٩.

وكان الملك قد اختلف مع البرلمان فقامت حرب أهلية وقاد كرومويل ـ عضو البرلمان ـ جيش البرلمان ضد الملك عام ١٦٤٥ واستطاع إلحاق الهزيمة به .

حاول الملك الهرب وأخذ يشن المعارك ضد قوات البرلمان ولكن أسر صاحب الجلالة وسجنه البرلمان . وحوكم امام محكمة عليا أدانته بالخيانة . وقضت باعدامه ونفذ الحكم يوم ٣٠ يناير ١٦٤٩ .

* * *

أما الثورة الفرنسية فقد بدأت باجتماع مجلس طبقات الأمة يوم ١٧ يونية ١٧٨٩ فأعلن الاعضاء أنفسهم جمعية وطنية تأسيسية تضع دستورا للبلاد متحدين بذلك الملك لويس السادس عشر . وهاجم الشعب سجن الباستيل فى ١٤ يوليه فاعتبر ذلك اليوم عيدا لفرنسا .

ووضعت الجمعية دستورا للبلاد عام ١٧٩١ فأراد الملك الهرب ولكن قبض عليه وألغت الجمعية النظام الملكى فى ٢٦ سبتمبر ١٨٩٢ .

وأصدرت حكما بالاعدام على لويس السادس عشر ونفذ الحكم بالجيلوتين ـ المقصلة ـ فى ٢١ يناير عام ١٧٩٣ فى ساحة ميدان الكونكورد فى باريس .

* * *

وفى أسبانيا قام الجيش بانقلاب فى ١٧ يوليه ١٩٣٦ . وعين الجنرال فرانكو قائدًا للانقلاب فى ٢٦ سبتمبر ١٩٣٦ ورئيسا للدولة وقائدًا للجيش . وظلت الحرب الأهلية ٣ سنوات حتى مارس ١٩٣٩ .

* * *

وفى تركيا أحاطت كتيبتان بقصر السلطان عبد العزيز يوم ٣٠ مايو ١٨٧٦ وحاصرت القوات البحرية القصر وارغمت السلطان على الاعتزال واختارت مراد الخامس سلطانا لتركيا .

وقرر مجلس الـوزراء فى ٣١ أغسطس عزل مراد الخامس لجنونـه ، كما أعلن الأطباء . وأختير عبد الحميد الثانى سلطانا بدلا منه .

وظل عبـد الحميد الثانـى يحكم تـركيا حتى عـام ١٩٠٨ عندما اضطـر إلى الخضوع لمطـالب جمعية « تركيا الفتـاة » وإعادة البرلمان القديم وذلك دون ثورة ودون اقتحـام جندى واحد للقصر الملكى .

والعجيب فى التاريـخ أن قرار السلطان بإعـادة البرلمان صدر يوم ٢٣ يوليـه ١٩٠٨ وهو يوم قيام الثورة المصرية ولكن بعد ٤٤ سنة !

ولكن عبد الحميد الثانى بقى على العرش سنة أخرى .

وعزل عبد الحميد الثـانى بدوره بعد ثورة الأرمن والمذابـح التى ادت إلى مصرع ٣٠ ألفا فى ١٤ ابريل ١٩٠٩ فزحف الجيش التركى على استانبـول واجتمع البرلمان فى جلسة سرية يوم ٢٢ ابريل ١٩٠٩ وأعلن نفسه جمعية تأسيسية وطنية .

قاوم بعض رجال السلطان الجيـش الزاحف ولكنهم هزموا فأعلنت الأحكـام العرفية وأقيمت محاكم عسكرية أمرت باعدام كل من قاوم الجيش .

وجاءت النهايـة يوم ٢٧ ابريل عنـدما اجتمعت الجمعية التـأسيسية فى مسجد «أياصـوفيا » وقررت ، بناء على فتوى شرعية ، عزل السلطان لتآمره وإعلان اخيه محمد الخامس سلطانا .

ومات محمد الخامس فى ٢٨ يونيه ١٩١٨ فتولى العـرش أخوه محمد السادس الذى كان ايضـا دمية فى يد جمعية الاتحاد التركى .

وقرر مصطفى كمال اتاتورك فى اجتماع لمجلس الوزراء يوم ٣١ اكتوبر ١٩٢٢ إلغاء السلطنة. وفى اليوم التـالى وافقت الجمعيـة الوطنية على الفصـل بين الخلا فة والسلطنـة ، فأبقـت الخلافة ، وألغت السلطنة . وبقـى محمد السـادس خليفة على المسلمين ، أى لـه القيادة الدينية وحـدها دون الحكم .

وظلت الجمعية الوطنيـة تحكم تركيا فهرب السلطان خـوفا على حياته داخل مدمـرة بريطانية يوم ١٦ من نـوفمبر إلى منفاه فى سـان ريمو . وفى اليوم التـالى خلعته الجمعية الوطنيـة من منصبه كخليفة للمسلمين . واختير عبد المجيد الثانى خليفة أى قائدًا دينيا لا يحكم أيضـا .

انتخبت الجمعيـة الوطنية اتـاتورك رئيسـا لها فى ١١ أغسطس ١٩٢٣ واقترح اتاتـورك إلغاء السلطنة وإعلان الجمهورية فوافقت الجمعية ، بعد تردد ، فى ١٠ اكتوبر ١٩٢٣ واختارت اتاتورك رئيسا للجمهورية .

وفى ٣ مارس ١٩٢٤ أعلنت الجمعية الوطنية إلغاء الخلافة وبذلك انتهت الأمبراطورية العثمانية بعد ٦٤٠ عاما منذ تاسيسها .

وغادر الخليفة استانبول فى اليوم التالى .

* * *

وكان هناك مثال آخر قريب فى اليونان .

عزل الجيش اليوناني الملك كونستانتين وتولى ابنه جورج الثانى العرش فى ٢٧ سبتمبر عام ١٩٢٢ .

ولكن قامت ثورة مضادة ضد الحكم العسكرى الذى قمعها بقسوة . وقرر إعدام خمسة من رؤساء الوزارات السابقين وأحد الجنرالات فتدخل الملك ــ جورج الثانى ـ لدى قادة الجيش يطلب وقف تنفيذ أحكام الأعدام فرفض طلبه وحوصر فى قصره بينما طلب ضباط الجيش والبحرية عزل صاحب الجلالة فقد اتهموه بأن له دورا فى الثورة المضادة .

طلب صاحب الجلالة الرحيل من البلاد فغادرها فى ١٩ ديسمبر عام ١٩٢٣ بعد أن حكم ١٥ شهرا . وقررت الجمعية الوطنية فى ٢٥ مارس عام ١٩٢٤ إقصاء الأسرة المالكة كلها عن العرش . وأيد ذلك استفتاء شعبى .

وفى ١٠ أكتوبر عام ١٩٣٥ أعادت الجمعية الوطنية الملكية . ووافق على ذلك أيضا استفتاء شعبى فجلس صاحب الجلالة جورج الثانى على عرش اليونان مرة ثانية ، ولكن الألمان والإيطاليين عزلوه عام ١٩٤١ بعد حكم استمر ٦ سنوات أخرى ثم عاد إلى العرش مرة ثالثة فى ٢٧ أكتوبر عام ١٩٤٦ ومات بعد ستة شهور .

وفى خلال أزمة إعدام رؤساء الوزارات الخمسة والجنرال طلبت بريطانيا إلى اليونان وقف احكام الأعدام . ولما رفض الجيش ذلك قطعت بريطانيا علاقاتها باليونان .

وتدخل القائم بالأعمال الأمريكى يكرر نفس النصيحة للحكومة اليونانية ويطلب تامين سلامة الملك وحياته .

وكان القائم بالأعمال الأمريكى هو الذى أصبح بعد ذلك سفيرا لأمريكا فى مصر الذى يتدخل لدى الثورة لتأمين حياة فاروق . . وهو جيفرسون كافرى !

* * *

استشار جمال عبد الناصر معلم فاروق القديم اللواء عزيز المصرى الذى قال :

ـ رأس فاروق تهمنى بعد سقوطها .

وكان عزيز المصرى يطالب بحمامات الدم لتطهير الطبقة الحاكمة .

فى مذكراته قال عبد اللطيف البغدادى عضو مجلس قيادة الثورة :

« كنا قد أخلدنا للنوم بعد هذا المجهود المضنى والمستمر دون نوم أو طعام منذ ليلة ٢٢ يوليو غير شرب الشاى والقهوة عندما أيقظنا جمال سالم من نومنا .

كان مجهدا للغاية وصوته لايكاد يسمع إلا بصعوبة من كثرة الإرهاق . وأثار موضوع محاكمة الملك وإعدامه ، وأن البعض فى الاسكندرية يطالبون باتخاذ هذه الخطوة .

تناقشنا فى الأمر واستقر الرأى على أنه من الأفضل أن يترك الملك وشانه وللتاريخ أن يحكم عليه . وليس على الملك إلا أن يغادر البلاد بعد أن يوقع على وثيقة التنازل عن العرش » .

عاد جمال سالم إلى الاسكندرية فى الرابعة والنصف صباحا وسلم محمد نجيب رسالة من جمال عبد الناصر يقول فيها :

« يجب أن تتخلص حركة التحرير من فاروق بأسرع مايمكن لتتفرغ إلى ماهو أهم ، وهو القضاء على الفساد فى مصر .

ويجب علينا أن نمهد الطريق لعهد جديد ، يتمتع فيه الناس بالحرية والكرامة والعدل .

ولايمكن أن نضع فاروق أمام محكمة ، ولا نضعه ايضا فى السجن ، ونشغل أنفسنا وننسى أغراض الثورة .

دعونا نترك فاروق يذهب إلى المنفى ، ونترك التاريخ يحكم عليه بالموت » .

* * *

سمع دافيد ايفانز أحد ضباط الجيش يقول :

ـ سنقتل فاروق إذا وقع التنازل عن العرش . وسنقتله إذا لم يوقع التنازل .

نصحهم بعدم سفك الدماء .

اتصل بالسفير قائلا :

ـ قل لهم . لاتقتلوا الملك . لاينبغى أن يقتل فاروق كرجل عادى . الشعب المصرى فى حاجة إلى النظام الملكى .

واعترف على ماهر للسفير الأمريكى بأن بعض الضباط والشبان المتهورين خرجوا لقتل الملك .

قال لى دافيد ايفانز :

ـ نجح السفير كافرى فى إقناع لجنة القيادة بالاكتفاء بعزل فاروق وتركه يرحل من مصر .

وقد يكون ذلك صحيحا وقد لايكون . فالحقيقة الوحيدة هى أن مجلس القيادة اجتمع وقرر عزل فاروق بدلا من محاكمته وإعدامه .

وقد يكون السبب فى ذلك تدخل السفير كافرى ، أو الخوف من التدخل العسكرى البريطانى .

بعث كريزويل إلى لندن يقول : « علم اللواء محمد نجيب ، ربما بالتصنت على المكالمات التليفونية لكل محادثات الملك مع كافرى التى يقترح فيها التدخل البريطانى وهم ـ الضباط ـ مستاءون جدا من ذلك ».

* * *

كانت لساعات الترقب والانتظار تأثيرها القاتل على أعصاب فاروق .

وصفت الملكة ناريمان حال فاروق وأسرته داخل قصر المنتزه . كتبت فى مذكراتها تقول :

« سيطر على كثير من خدمنا الخوف ، عندما أخذت قاذفات الثائرين تحوم فوق قباب المنتزة وأبراجه ، وعندما صوبت المدرعة المصرية التى كانت فى الخليج مدافعها على القاذفات ، فإن القوات البحرية ظلت أمينة للعرش فارسلت تلك المدرعة للدفاع عن الملك .

ركضت الأميرات فريال وفوزية وفادية إلىّ قلقات مضطربات لانهن خشين أن تنشب معركة بين المدرعة والقاذفات . وكانت فريال مستاءة لأن الطائرة تحمل شارة الطيران الملكى المصرى »!

فى المساء قرر فاروق الانتقال من قصر المنتزه المنعزل إلى قصر رأس التين ليكون أكثر أمنا حيث يوجد الحرس الملكى والبحرية الملكية وليقاوم ، أو ليهرب بالباخرة «المحروسة » .

قال للملكة ناريمان :

ـ أظن أنهم سيحاولون قتلنا إذا استطاعوا .

وأريد أن أقاوم فى رأس التين حيث يستطيع الجميع أن يروا علمى على سارية القصر.

لتحل علىّ اللعنة إذا أفسحت لهم مجال الادعاء بأنى انتحرت .

وأرسل فاروق بطلب سيارته الخصوصية ، وهى « مرسيدس » ألمانية .

سألته ناريمان :

ـ ماذا يجب أن أحمل معى ؟

قال :

ـ لاتهتمى بشىء ، تعالى كما أنت. أفضل لنا أن نعيش صفر الأيدى، من أن نموت بين الثياب الفاخرة !

استقرت ناريمان مع ولى العهد الأمير الرضيع أحمد فؤاد والمربية الانجليزية «كرمسيد » فى مقعد السيارة الخلفى ، وجلس فاروق مكان السائق وبجواره الطيار حسن عاكف وبين يديه مدفع رشاش.

انطلق فاروق بسرعة جنونية وكأن الثوار يطاردونه .

كانت الشوارع مظلمة خالية . وناريمان ترتمى على المربية « آن كرمسيد » تارة وترتمى « كرمسيد » عليها تارة أخرى .

ولشدة السرعة كانت الملكة والمربية تمسكان ولى العهد أحمد فؤاد كلما دارت السيارة فى منعطف .

* * *

سأل الملحق العسكرى البريطانى عبد المنعم النجار فى القاهرة قال له :

ـ لقد اتجه طابور مدرعات إلى الاسكندرية ، الدبابات بالسكك الحديدية والعربات المدرعة بالطريق البرى فما السبب ؟

قال النجار

ـ الأمن .. وهناك سبب آخر لا أستطيع افشاءه .

أسرع الملحق العسكرى يبلغ كريزويل فى الاسكندرية قائلا :

ـ عندى شعور عميق بأن هناك عملية عسكرية فى الطريق فى الوقت الحاضر ويحتمل أن تكون متعلقة بالملك .

وأبلغ دافيد ايفانز السفير كافرى بأنه رأى أثناء سفره بالطائرة إلى الاسكندرية طابور القوات المتجهة إليها .

* * *

أصبح الملك فاروق مرة أخرى معزولا فى قصر رأس التين لايستطيع أن يغادره .

لو أنه تحرك ، وكانت البحرية معه ، وهناك ضباط فى الجيش مخلصون له أو يمكن أن يتبعوه ، فينقسم الجيش على نفسه .

لو أنه اتجه إلى ثكنات الجيش فى مصطفى كامل .

لو أنه انتقل إلى القاهرة وواجه الضباط .

لو أنه طار إلى بلد عربى وقاوم الإنقلاب من هناك .

لو .. وعشرات من الاحتمالات .

ولكنه لم يفعل لأنه كان قد اعتزل العرش واقعيا منذ زمن طويل .

بقى صاحب الجلالة ساهرا تحوطه زوجته الثانية الملكة ناريمان وأقاربها ! ولكن ذلك كله لم يزرع ، فى قلبه الطمأنينة !

عند الفجر حوصر قصر عابدين والقبة فى القاهرة ومستشفى المواساة بالاسكندرية حيث اعتاد فاروق الإقامة بها أحيانا .

وأمر نجيب قوات حسين الشافعى بمحاصرة قصر المنتزه ــ ظنا منه أن فاروق لايزال يقيم به ـ ولكن اكتشف أن الملك غادر القصر ، فتقرر أن تحاصر قصر رأس التين القوة التى وصلت من القاهرة فأحاط بالقصر الاى مدرعات ، ٢٦ دبابة وعربات مدرعة وبطارية مدفعية و ٤ كتائب مشاة .

ظلت القوات المسلحة تتدفق على القصر وأحكمت حوله الحصار . وصوبت إليه المدافع وقامت القوات البحرية بدوريات أمام القصر طبقا للخطة التى أعدها زكريا محيى الدين وبذلك « تمت الاستعدادات لاتخاذ الخطوة القادمة للثورة » .

أخذ فاروق ، أثناء الليل ، يفتش جنود حرسه الملكى وأمر بالاستعداد للمقاومة وعزز الحراسة عند نوافذ الدور الأرضى ومداخله . ونصب المدافع فى ممراته ثم قال لناريمان :

ـ هنا فرقة الحرس ـ وهى مؤلفة من جنود سودانيين ـ بكاملها وتضم ثمانمائة رجل وأظن أننا نستطيع المقاومة طويلا .

قالت ناريمان :

ـ لماذا نقاوم؟

أجابها .

ـ سيحاولون قتلنا فى الهجوم الأول ولكنهم لن ينجحوا . فإذا استطعنا أن نصدهم عن القصر إلى مابعد الظهر ، استطيع أن أدبر شيئا!

لم يستطع فاروق الانتظار اتصل على الفور ـ فى الثامنة صباحا ـ بالسفير الأمريكى من أحد الخطين السريين الذين لم يفطن إليهما أحد بعد أن قطعت القوات المحاصرة باقى الخطوط التليفونية.

قال للسفير فى فزع

ـ القصر محاصر .

وبعد الثامنة صباحا ، بدقائق حلقت ٣ طائرات « لانكستر » على ارتفاع منخفض فوق القصر .

فى مذكراته قال المقدم عبد المنعم عبد الرءوف قائد الكتيبة ١٩ بنادق مشاة الذى كان ضمن القوات التى حاصرت القصر

« كانت التعليمات التى سلمها لى العقيد أحمد شوقى « منع دخول وخروج أى شخص ومنع الاحتكاك » .

فى السابعة وعشر دقائق تحركت الكتيبة من ملعب البلدية بالاسكندرية متجهة نحو القصر فوصلته فى السابعة وأربعين دقيقة .

وأثناء تنظيم الحصار حول مواقع المنطقة المشرفة على الميناء أطلقت طلقات نارية من جهة السراى على قواتى ، وشاهدت مدفع « فيكرز » ينصب فى حديقة القصر ، خاصة وقد بدأ فتح النيران فوجدت أنه من الضرورى سرعة تأمين قواتى خاصة وقد بدأ فتح النيران من ناحية الحرس.

أمرت باطلاق النيران على مواقع مدفع الحرس وتم ذلك .

ترك طاقم المدفع موقعه ودخلوا القصر » .

خرج خمسة من ضباط الحرس على رأسهم اللواء عبد الله باشا النجومى معلنين الاستسلام وقدموا سلاحهم . قبض عليهم عبد المنعم عبد الرءوف ، وكان بينهم المقدم محمد صادق الذى أصبح بعد ذلك بسنوات وزيرا للحربية ، وأرسلهم إلى معسكر مصطفى باشا بالاسكندرية . إلا أنه قد فتحت نيران سريعة وفورية من مبانى الحرس بالقصر من جهات عدة ، وخاصة من أعلى المبانى على مواقعنا فجاوبناها بالمثل وأسكتناها .

خرج ضابط برتبة النقيب حاملا علما أبيض معلنا استسلام كل من فى القصر .

وبعد فترة حضر العقيد عبد الله رفعت من حرس القصر ، وأخذ على عاتقه عدم إطلاق أية طلقة من ناحية القصر

* * *

كان الحرس الملكى يحتل مواقع الحراسة منذ ٤٨ ساعة .

وأثناء مرور العقيد عبد الله رفعت قائد الحرس الملكى على القوات ، سمع طلقة لم يتبين مصدرها هل هى من الحرس أم من قوات الجيش ، وكانت هذه الطلقة إيذانا بفتح النيران بين قوات الجيش والحرس .

على الفور اتصل الملك تليفونيا بعبد الله رفعت ، كما روى فى تقريره العسكرى وقال له :

- أوقف النيران فورا . إنت بتحارب الجيش الانجليزى ، دول أولادك واخواتك هم الذين أمامك . أوقف النار حالا .

وفعلا أمر بوقف اطلاق النار .

أصيب فى المعركة جنديان . وخرج عبد الله رفعت من باب القشلاق المواجه لقوات الجيش وتوجه إلى مكان وقوف القوات التى تحاصر القصر وقابل المقدم عبد المنعم عبد الرءوف وقال له

- لا داعى لأن نتقاتل .

اشترط عبد المنعم عبد الرءوف أن يوقف الحرس اطلاق النار وتعهد عبد الله رفعت بسحب الذخيرة .

أمر عبد المنعم عبد الرءوف بوقف إطلاق النار بعدما أصبح القصر مفتوحا أمام القوات المهاجمة .

* * *

حقق حصار قصر رأس التين وطلقات الرصاص المحدودة أهداف الثورة .

أصبح فاروق خائفا يرتجف يريد أن ينجو بحياته .

وصار عزله مجرد إجراءات تنفيذية فحسب .

* * *

اتصل فاروق بالسفير الأمريكى مرة ثانية فى الثامنة والنصف قائلا

ـ اقتحمت قوات القصر . نشب القتال داخله والموقف حرج للغاية ويدعو إلى اليأس هل بإمكانك تقديم مساعدة سريعة ؟

* * *

توجه اللواء محمد نجيب ومعه اثنان من أعضاء لجنة القيادة هما أنور السادات وجمال سالم إلى مبنى الحكومة فى بولكى فى التاسعة صباحا للقاء على ماهر .

أخرج محمد نجيب على الفور ، ودون مقدمات ، ورقة كبيرة عليها الإنذار الموجه للملك فأخذها أنور السادات وقرأ مافيها بصوت مرتفع .

قال الانذار :

من الفريق اركان الحرب محمد نجيب باسم ضباط الجيش ورجاله إلى جلالة الملك فاروق .

« نظرا لما لاقته البلاد فى العهد الأخير من فوضى شاملة ، عمت جميع المرافق ، نتيجة سوء تصرفكم وعبثكم بالدستور ، وامتهانكم لارادة الشعب حتى أصبح كل فرد من أفراده ، لا يطمئن على حياته أو ماله أو كرامته .

ولقد ساءت سمعة مصر بين شعوب العالم من تماديكم فى هذا المسلك حتى أصبح الخونة والمرتشون ، يجدون فى ظلكم الحماية والأمن والثراء الفاحش ، والإسراف الماجن ، على حساب الشعب الجائع الفقير .

ولقد تجلت آية ذلك فى حرب فلسطين وماتبعها من فضائح الأسلحة الفاسدة ، وبما ترتب عليها من محاكمات ، تعرضت لتدخلكم السافر ، مما أفسد الحقائق وزعزع الثقة فى العدالة وساعد الخونة على ترسم هذه الخطى ، فأثرى من أثرى ، وفجر من فجر ، وكيف لا والناس على دين ملوكهم .

لذلك فوضنى الجيش الممثل لقوة الشعب أن أطلب إلى جلالتكم التنازل عن العرش لسمو ولى عهدكم الأمير احمد فؤاد ، على أن يتم ذلك فى موعد غايته الساعة الثانية عشرة من ظهر اليوم (السبت الموافق ٢٦ من يوليو سنة ١٩٥٢ ، والرابع من ذى القعدة سنة ١٣٧١) ،ومغادرة البلاد قبل الساعة السادسة من مساء اليوم نفسه .

والجيش يحمل جلالتكم كل مايترتب على عدم النزول عن رغبة الشعب من نتائج» .

فوجئ على ماهر بطلب عزل الملك .

ولكن محمد نجيب لم يتوقف . بل طلب إلى على ماهر أن يوقع فاروق وثيقة التنازل عن العرش ومغادرة البلاد قبل السادسة مساء .

ارتجفت شفتا على ماهر وشحب وجهه . قال :

ـ هل قدرتم كل شيء ؟

قال محمد نجيب :

ـ نعم .

قال على ماهر :

ـ زى ماتشوفوا .

وجد على ماهر أن الملكية لم تلغ فإن فاروق سيتنازل عن العرش لابنه فالنظام الملكى سيبقى وهو ـ أى على ماهر ـ يحافظ على استمراره .

وأدرك رئيس الوزراء أن الجيش الذى يؤيده الشعب ، يسيطر على الموقف .

ووجد أن السفينة غارقة فمضى يسبح مع السابحين .

ولم يكن فى استطاعة على ماهر أن يتراجع .

غادر مقر الحكومة إلى قصر رأس التين ليعرض على الملك طلب التنازل عن العرش وتسليمه الإنذار الأخير من الجيش .

ورغم كل ماقاله رئيس الوزراء عن أمله وهو يحمل الإنذار للرجل الذى ساعده فى بداية حياته كملك ، ووقف بجانبه عند توليه العرش عام ١٩٣٧ بعد وفاة أبيه الملك فؤاد ، وأعانه على الاستقرار على العرش ، فإن على ماهر ـ كما قال للوزير البريطانى المفوض كريزويل ـ كان سعيدا وهو يقدم للملك طلب التنازل عن العرش .

قال لكريزويل :

ـ أنا ، لا الجيش ، الذى قدمت إلى فاروق هذا الطلب .

وأضاف :

ـ كتب اللواء محمد نجيب وضباطه إنذارهم إلى الملك بألفاظ سيئة للغاية . ولكنى تركت الخطاب فى سيارتى عندما توجهت إلى القصر ولم إقدمه للملك .

قال كريزويل فى برقية إلى لندن :

« كان على ماهر دعامة رئيسية للواء محمد نجيب » .

وكان على ماهر ماكرا فربما غيرت لهجة الإنذار رد فعل الملك وقام بعمل انتحارى متهور وان لم يكن فى قدرته ـ من حيث الواقع ـ أن يفعل شيئا .

* * *

وصل على ماهر إلى القصر فى موكب من رجال الجيش فقال فاروق .

ـ سيظذونها ٤ فبراير مرة أخرى !

.. إشارة إلى حصار السفير البريطانى السير مايلز لامبسون ـ اللورد كيلرن ـ لقصر عابدين

بالقاهرة يوم ٤ فبراير عام ١٩٤٢ مطالبا بتعيين مصطفى النحاس باشا رئيسا للوزارة أو عزل الملك .

ولم يدرك صاحب الجلالة أنها ٤ فبراير أخرى مصرية . ولكنها حاسمة هذه المرة !

طلب على ماهر من رجال الحرس أن يتركوه . ثم أخذ يتحدث إلى صاحب الجلالة ونصحه بقبول الإنذار .

قال فاروق :

ـ لست جبانا ، والقوات الموالية لى أكبر من القوات الموالية للثائرين .

قال على ماهر .

ـ ذلك يعرض البلاد لخطر الحرب الأهلية ولا يعلم مداها إلا الله .

أعلن على ماهر للصحفيين ، بعد ذلك ، أن الملك لم يبد استعدادا للمقاومة . وتحدث رئيس الوزراء لكريزويل بأن الملك كان عنيفا جدا معه !

ولكن على ماهر نجح فى إقناع فاروق فوافق خلال نصف ساعة على اعتزال العرش.

قال فاروق لعلى ماهرفى ختام اللقاء .. هازئا :

ـ ما الذى وعدوك به .. رئاسة الجمهورية يا على باشا ؟

وأضاف فاروق :

ـ لن تبقى فى منصبك إلا أياما قليلة .

لم يرد على ماهر .. ولكن نبوءة صاحب الجلالة كانت صادقة . فإن عمر وزارة على ماهر باشا كان ٤٦ يوما !

* * *

طلب فاروق تأمين حياته وأن يأخذ معه زوجته ناريمان وابنه الملك أحمد فؤاد وبناته الثلاث وبعض أغراضه الشخصية وأن يختار قائد السفينة المحروسة وطاقمها، وأن يكون على ماهر فى وداعه وتصحبه قطع الأسطول المصرى لحراسة الباخرة «المحروسة » .

وسأل على ماهر :

ـ هل سأعود إلى مصر يومًا ؟

قال على ماهر محاولا تهدئته :

ـ يعود الدوق وندسور إلى بريطانيا أحيانا !

والدوق وندسور كان يحكم بريطانيا باسم ادوارد الثامن ثم تنازل عن العرش ليتزوج المرأة التى يحبها وهى السيدة واليس سيمبسون . ولم يعد لانجلترا إلا بعد وفاته .

وفاروق لم يعد إلى مصر .. إلا جثمانا داخل صندوق بعد ١٢ يوما من وفاته يوم ١٨ من مارس عام ١٩٦٥ .

* * *

اتصل كافرى بعلى ماهر الذى كان داخل القصر فى ذلك الوقت .

قال رئيس الوزراء :

ـ توقف القتال وستمضى الأمور بهدوء .

طلب السفير باسم الحكومة الأمريكية المحافظة على حياة فاروق فوعد على ماهر بذلك .

ولكن كافرى لم يكتف بهذا الوعد بل توجه للقاء على ماهر فى مجلس الوزراء وسلمه رسالة وزارة الخارجية الأمريكية التى تطلب فيها المحافظة على حياة الملك قائلا .

ـ يهم الحكومة الأمريكية سلامة الملك الشخصية .

أبلغه على ماهر إن الملك سيتنازل عن عرشه لولده ، ولكنه يصر على أن يصحبه معه إلى أوربا .

وأضاف رئيس الوزراء ·

ـ هذا أفضل . الأمور تتطور بسرعة بحيث لاتسمح يبحث مسائل أخرى مثل مجلس الوصاية .

وقال على ماهر :

ـ بعض الضباط الشبان المتهورين يريدون قتل الملك .

ولذلك فإن اللواء محمد نجيب وافق على رأيى وهو ألا يشهد أحد من الضباط الشبان رحيل صاحب الجلالة .

ولكن كافرى الذى يعرف ان الموقف أصبح فى يد الجيش لا المدنيين ، أوفد سكرتيره إلى اللواء محمد نجيب يسأله عن تبادل إطلاق النار داخل القصر ويحثه ، باسم وزارة الخارجية ، على ضبط النفس . قال :

ـ السفير منزعج من التطورات التى حدثت صباح اليوم . وهى لاتتفق والتأكيدات التى تلقيتها من قبل .

وأضاف ·

ـ إن السماح بوقوع أحداث غير مواتية لن يكون فى مصلحة أحد بالنسبة لشخص الملك .

قال محمد نجيب محاولا تهدئة سكرتير السفير الأمريكى :

ـ إنى متفهم لذلك تماما . وجاء تدعيم القوات ووزعت قوات الجيش فى عدة مواقع ورابط بعضها فى نقاط استراتيجية معينة حول قصر رأس التين . فقد تلقيت أنباء عن أنشطة معينة لطابور خامس يحاول إحداث شغب فى المدينة . وسنتعامل مع مثل هذه الأنشطة بكل قسوة . وتم اعتقال إعداد إضافية .

وأضاف اللواء نجيب :

ـ كان هناك سوء فهم فعندما اقتربت قوات الجيش من القصر ظن الحرس الملكى أن الجيش سيهاجمه فأطلق حرس القصر النار على فصيلة صغيرة فأصيب عدد من الرجال . وتوقف الضرب فورا . وقد أمرت بإجراء تحقيق لمعرفة المخطئ من الفريقين .

وأضاف نجيب مؤكدا :

ـ أعى واجبى تماما فى منع اراقة الدماء والحفاظ على القانون وتنفيذ الأوامر . ولن يضار الملك ولن يقع أى مساس لشخصه .

وأعطى كلمة شرف بذلك .

وأكد اللواء محمد نجيب مرة أخرى أنه لن يراق دم ..

.. أى دماء صاحب الجلالة !

وأعطى اللواء نجيب ضمانه الشخصى القوى بعدم وقوع أى أذى للملك .

قال سباركس

ـ السفير يثق بكلمتك ، ويعتبر ذلك وعدا منك .

حاول السفير الاتصال تليفونيا بالملك لاعطائه تأكيد اللواء نجيب ولكن الاتصال التليفونى بقصر رأس التين كان قد انقطع !

وحاول كريزويل أن يبلغ نفس الرسالة لحافظ عفيفى لكن رئيس الديوان ابلغه أنه تحت الاقامة الجبرية مثل باقى رجال القصر .. بوللى والياس اندراوس وكريم ثابت ، الذين نجحت السلطات العسكرية فى تعقبهم وتحديد إقامتهم فى منازلهم فى البداية وتم القبض عليهم بعد ذلك .

* * *

بعثت السفارة البريطانية بالملحق البحرى يستطلع الأخبار من ضباط البحرية فوجد الطريق إلى مقر القيادة مسدودا بالجماهير وجنودا يصوبون مدافعهم نحو القصر وأدرك أن قادة البحرية قد اعتقلوا وأصبحت القيادة للضباط الصغار .

طلب كريزويل موعدا عاجلا من محمد نجيب والتقى به فى الرابعة بعد الظهر .

قال وهو يقدم له إنذار جديدا ، وإن كان مثل كل الإنذارات السابقة مغلفا بعبارات تبدو رقيقة للمحافظة على حياة الملك .

قال :

ـ تأمل الحكومة البريطانية ـ بإخلاص ـ الا تكون هناك ضرورة للتدخل ، وإن كانت قواتنا قريبة ومستعدة

وأضاف :

ـ لانريد إراقة دماء .

يقصد بذلك دماء صاحب الجلالة .

وحث كريزويل محمد نجيب على إعلان مجلس الوصاية عقب رحيل الملك مباشرة . وإعادة حظر التجول لحماية البلاد من انفجار أية عناصر غير مسئولة تحاول استغلال الموقف تحت ستار التعبير عن الابتهاج الشعبى برحيل فاروق .

قال نجيب :

ـ رغبتى الملحة تجنب إراقة دماء مصرية أو أجنبية .

فقد أدرك نجيب أن الانجليز يمكن أن يتدخلوا .

وفهم نجيب لغة الإنذار .

* * *

لم يكتف السفير بالوعد الذى قدمه له على ماهر عبر اسلاك التليفون أمام فاروق ، بل التقى السفير برئيس الوزراء شخصيا ليؤكد الرسالة ، أو الإنذار الأمريكى بضرورة الابقاء على فاروق .. حيا !

* * *

فشلت كل وسائل السفير الأمريكى للاتصال بالملك فاروق فأوفد إليه سكرتيره الخاص روبرت سيمبسون .

وجد سيمبسون الطريق مسدودا بالجماهير والجنود بأسلحتهم الثقيلة .

استوقف سيمبسون أكثر من مرة عند الحواجز التى أقامها الجيش فألح عند كل حاجز من المتاريس ليسمح له بالتقدم ، مصرا على أنه قد صرح له بذلك .

وعند وصوله داخل القصر أقتيد حوالى الساعة ١٥ر١١ صباحا مباشرة إلى الملك للاطمئنان على سلامته الشخصية .

وجد على ماهر معه .

شرح سيمبسون للملك ـ أمام رئيس الوزراء ـ تأكيدات اللواء محمد نجيب بالمحافظة على حياته .

قال الملك إنه تسلم اخطارا بالتنازل عن العرش لابنه وإن يترك البلاد بأية وسيلة يختارها فى السادسة مساء .

قال سيمبسون

ـ لم لاتقاوم ؟

قال فاروق

ـ ليس لدى أى خيار .

وبدا عليه اليأس والاقتناع بأنها النهاية فطلب من السفير ألا يحاول اقناع نجيب أو أى شخص أخر لتغيير الأوضاع ، أو مجرى الأحداث .

وقال أن له مطلبين :

الأول يجب أن يفعل السفير كل مايمكنه للتأكيد على سلامته .

والثانى . أن يحضر السفير لوداعه قبل رحيله .

اتصل السفير بمحمد نجيب الذى كرر له تأكيداته السابقة بضمان سلامة الملك .

بعد أن وصل الملك إلى نابولى فوجئ بمحاميه الإيطالى يلومه على استسلامه السريع فقال له فاروق :

ـ كنت أظن أن الثورة ستغتالنى .

وأضاف ـ كاذبا ـ لمحاميه :

ـ لقد صوبوا بندقية إلى رأسى !

* * *

أبرقت وزارة الدفاع البريطانية إلى قادة قواتها فى الشرق الأوسط لاختصار مدة الاستعدادات اللازمة للتدخل لحماية الرعايا البريطانيين فى الاسكندرية إذا تعرضت حياتهم لخطر .

ولكن أخطر القادة بأن الحكومة البريطانية ليست لديها نية استخدام القوة لأى غرض سوى حماية البريطانيين .

وقالت قيادة القوات إن الإجراءات التى ستتخذ والتى تتضمن تحريك بعض القوات والقطع البحرية ستصبح معروفة لجيش مصر .

كانت المخابرات الأمريكية قد وضعت من قبل تقريرا عن النتائج المتوقعة من جراء الاحتلال العسكرى البريطانى للقاهرة والاسكندرية .

قال التقرير :

« فى حالة انتشار الفوضى فى مصر والتى تهدد الأرواح والممتلكات البريطانية، فسوف تشعر المملكة المتحدة أنه من الضرورى أن تتدخل .

ويفترض أنه فى هذه الظروف ستتحرك القوات البريطانية لاحتلال القاهرة والاسكندرية، وإعلان أن الغرض من ذلك هو حفظ النظام وحماية أرواح البريطانيين والمقيمين الأجانب فى كافة أنحاء مصر .

وسيكون التأثير المباشر للاحتلال العسكرى البريطانى لمصر إثارة معارضة عنيفة من جانب السكان المحليين وستبدى القوات المسلحة المنظمة تحت قيادة محمد نجيب ، مقاومة نشطة يعاونهم الفدائيون المدنيون .

وستلقى سياسة المقاومة العون من حزب الوفد والإخوان المسلمين ومن كل منظمة سياسية اخرى فى البلد .

ويمكن لقوات المملكة المتحدة إخضاع المقاومة الظاهرة فى وقت قصير ، خاصة إذا لجأوا إلى استعراضات واسعة للقوات الجوية وقذف مراكز المقاومة بالقنابل.

ولكن لا يمكن القضاء على المقاومة دون خسارة كبيرة فى الأرواح المصرية ، وتكون مشاعر الشعب الكراهية العميقة .

وبالرغم من ذلك فإن السلطات العسكرية البريطانية يحتمل أن تكون قادرة على إيجاد شخصيات مصرية « سمحة » لتخدم فى حكومة تحت إدارة السلطة البريطانية .

وربما تكون تحت رئاسة مرتضى المراغى أو بعض الشخصيات الأقل بروزا.

ومهما كان مظهر التعاون المحلى الذى يمكن إحرازه فإن حوادث التخريب مثل قذف القنابل على منازل المتعاونين البارزين مع سلطات الاحتلال والمقيمين الأجانب ، واغتيالات القوات البريطانية من المشاكل المستمرة التى لا يمكن إيقافها حتى عن طريق إجراءات مضادة قاسية .

وبعد تلاشى صدمة الاحتلال الأولى . فإن النتائج السياسية الرئيسية فى مصر ستكون :

١ ـ عدم ثقة متزايدة فى القيادة المعتدلة .

٢ ـ نمو المجموعات المتطرفة بما فى ذلك الشيوعيين .

ومن المحتمل مقاطعة الاصلاحات ، أو حتى برامج المعونة الاقتصادية المتحدة ، أثناء الاحتلال ، وإلغاؤها فى أقرب فرصة ، وأى مصرى يدافع عنها سيتهم بالخيانة . وللسبب نفسه سيكون من الصعب بالنسبة للبريطانيين سحب قوات الاحتلال الخاصة بها ، والرحيل دون ترك أية فرصة لبقاء أى نظام صديق .

وفى الدول العربية الأخرى سيكون رد الفعل عدائيا تجاه الاحتلال البريطانى ومتعاطفا مع مصر .

وربما تعقد ندوات حكومية للتضامن مع مصر إذا التمست مصر ذلك من أعضاء جامعة الدول العربية .

ويمكن أن يكون لدى بعض الزعماء السياسيين شعور بالرضا عندما يرون مصر ، أقوى دولة عربية توضع في مكانها اللائق بها . فإن الرأى العام في سوريا ولبنان والعراق سوف يتصلب ضد التعاون العربى مع الغرب .

وفي معظم الدول العربية فإن الاستياء العام ضد اجراء بريطانيا بجانب فشل الحكومة المحلية في ارضاء هذا الشعور الثائر ، سيؤدى إلى توسيع الهوة بين الحكومات والشعوب . وسوف تستفيد المنظمات المتطرفة من هذا الاتجاه .

وستقترب الحركات الشيوعية في البلاد العربية بشكل كبير من أهدافها الدعائية لكسب القبول على مدى واسع ، لفكرة أن الغرب استعمار راسخ يخطط للاحتلال العسكرى في الشرق الأدنى .

ومن المحتمل أن تظهر أشد النتائج خطورة في العراق فإن استقرار نظام الحكم يعتمد بشكل كبير على ولاء القوات المسلحة التى ستظهر سخطها إذا سيطر عليه شعور وطنى عنيف .

وربما يرفض الجيش العراقى اتخاذ أى اجراء ضد المظاهرات المعادية للحكومة ، وبذلك يسمح بسقوط الحكم الحالى المناصر لبريطانيا . ويمكن للجيش استغلال الفرصة للسيطرة على الحكومة نفسها .

وفي الحالين ستكون الحكومة العراقية الجديدة أقل ودا ، من النظام الحالى ، تجاه بريطانيا . هذا ان لم تكن معادية تماما .

وستعارض بريطانيا احتلال العراق الذى سيحتاج إلى قوة بشرية ، ويقرب القوات البريطانية من المنطقة الحساسة في اذربيجان الإيرانية !

ومن غير المحتمل حدوث تدخل أجنبى من أية دولة عربية . ولكن ربما تتخذ إجراءات اقتصادية انتقامية مثل مقاطعة البضائع البريطانية ووقف تدفق البترول عبر أنابيب البترول والإجراءات المشابهة .

ويمكن لهذه الاجراءات أن تمتد بسهولة لتغطى المصالح الاقتصادية للقوى الغربية الأخرى التى تؤيد الحركة البريطانية .

وأول رد فعل في إسرائيل سيكون الموافقة العامة على ضرب القومية المصرية ، ولكن بعد تفكير جاد سيدرك القادة الاسرائيليون أن المعارضة العربية المتزايدة لجميع التاثيرات الغربية ، والتى تنبع من احتلال مصر ، ستضعف فرص تخفيف التوتر العربى الاسرائيلى ويضيف للاحتلال البريطانى لمصر مشكلة جديدة بالاضافة إلى الشعور المعادى لبريطانيا في إيران . ويزيد شكوك إيران في أية قوة عسكرية تقترب من حدوده ، وفي النوايا الغربية بشكل عام .

وفى حين أن تركيا لن تغير موقفها الأساسى الموالى لبريطانيا ، ومن المحتمل أن تزيد معارضتها للورد البريطانى البارز فى الدفاع عن الشرق الأدنى .

وسيلقى الاحتلال البريطانى معارضة كبيرة من الهند وباكستان واندونيسى .

ولن يقبل الادعاء بأن الاحتلال كان ضروريا لوقف عدم الاستقرار واحباط الشيوعية إذا عرضت القضية على الجمعية العامة للأمم المتحدة وبالتأكيد سيقوم جميع الأعضاء الآسيويون بنقد بريطانيا ويطالبون بالانسحاب السريع.

وستكون النتيجة العامة ، التعاطف مع قضية المناطق المستعمرة لا مع العالم الحر ، الذى ينظم قواته الدفاعية ضد التهديد الشيوعى .

وفى ضوء الطبيعة الخطرة الحالية ، فإن الديمقراطية الغربية الحالية ستوافق بشكل عام على التحرك البريطانى لاحتلال القاهرة والاسكندرية .

وسيوافق الفرنسيون بوجه خاص على الاجراءات البريطانية كضمان ضرورى ضد زيادة القومية العربية ، وسوف تستغل الفرصة لتأكيد التضامن الانجليزى الفرنسى فى منطقة شمال افريقيا .

والدولة الأوربية الوحيدة الغربية التى من المحتمل انشقاقها بقوة عن الموقف الأوربى ستكون أسبانيا التى ترغب بشدة فى أن تكون ذات نفوذ فى العالم العربى .

وستعارض دول أمريكا اللاتينية أى تحرك بريطانى لاحتلال مصر . و إذا لم يفعلوا ذلك فورا فربما يتراجعون إلى موقف معتدل أو ينتظرون . وستؤثر عليهم توجيهات سياسة الولايات المتحدة وموقفها ازاء بريطانيا » .

وهذا كله هو ما حدث تقريبا بعد العدوان البريطانى الفرنسى الاسرائيلى فى حرب السويس عام ١٩٥٦!!

* * *

وظلت فكرة التدخل البريطانى قائمة للتدخل لحماية الرعايا البريطانيين إذا تعرضت حياتهم للخطر فى حالة انتشار الفوضى .

الرجل الغامض

اختلف الناس فى تحديد دور اللواء محمد نجيب فى الثورة .

واشتد الخلاف بين أنصار محمد نجيب وجمال عبد الناصر بشأن دور نجيب فى قيادة الثورة .

وما أكثر الروايات المتناقضة عن الرجل الذى قاد الثورة فى يومها الأول . وتحدى باسمها ، ونيابة عنها ، الملك والعهد كله .

إن الرجل الأول الذى كان يمكن أن يقود الثورة أو يرأس تنظيم الضباط الأحرار هو الفريق عزيز المصرى ـ ٧٣ سنة ـ فهو صاحب شعبية قوية .

توجه إليه السير توماس راب مدير المركز البريطانى للشرق الأوسط فى فايد يوم ١٨ من ديسمبر عام ١٩٥١ فى بيته بمصر الجديدة واجتمع به تسعين دقيقة .

سأله راب عن التسوية التى يوافق على اجرائها مع بريطانيا لو كان فى منصب يسمح له بذلك .

قال عزيز المصرى إنه يقبل التنازل عن سيناء للانجليز مقابل الجلاء عن قاعدة السويس وبورسعيد والاسماعيلية !

وقال إن المصرى العادى لاتوجد لديه ارتباطات عاطفية بما هو صحراء جرداء !

وهو ـ عزيز المصرى ـ مستعد لترتيب نقل مياه النيل للضفة الشرقية للقناة بأنابيب تحت الأرض وتوفير ماتطلبه بريطانيا من عماله !

وقال إنه من المستحسن منح المصريين جزءا من شمال السودان وتتصرف بريطانيا فى الباقى !

وأبدى احتقاره الشديد للملك فاروق .

ووصف السير توماس راب الفريق عزيز المصرى بأنه « جنتلمان عجوز لديه بعض الآراء المعقولة رغم أنه ذو روح قلقة تنطوى على طموحات الزعامة التى لن يحققها » !

أما الرجل الثانى فهو اللواء فؤاد صادق ـ ٥٨ سنة .

هاجم فؤاد صادق البعثة البريطانية فى الجيش المصرى عام ١٩٣٦ فنقل من سلاح الفرسان إلى سلاح المشاة .. فى أسوان ثم عاد ، بعد فترة إلى القاهرة .

اعتقله الانجليز عام ١٩٤٢ . وأحاله الفريق إبراهيم عطاالله باشا رئيس أركان حرب الجيش إلى الاستيداع عام ١٩٤٥ لأنه يهاجم البعثة البريطانية .

واتهم بالتآمر على هذه البعثة عام ١٩٤٦ فأراد الانجليز نقله مرة أخرى ولكنه تظلم إلى فاروق وجرى تحقيق انتهى إلى براءته .

وأختير قائدًا للجيش فى المرحلة الأخيرة من حرب فلسطين فطلب مرتين إلى الملك فاروق التحقيق فى موضوع الأسلحة الفاسدة فالتصق به صغار الضباط وتمتع بشعبية واسعة فى الجيش .

وعندما استقال الفريق محمد حيدر باشا قائد الجيش والفريق عثمان المهدى رئيس الأركان كان ينبغى أن يعين اللواء فؤاد صادق رئيسا للأركان ولكن الملك تخطاه وعين بدلا منه الفريق حسين فريد الذى ساهم ـ رغما عنه ـ فى نجاح الثورة بعد ذلك !

استقال اللواء فؤاد صادق لتخطيه فى الترقية إلى منصب رئيس الأركان .

وصرح عقب استقالته مباشرة فى حديث لصحيفة « الأهرام » أن استقالته فيها عزاء للذين تآمروا ضده لنضاله المستمر ضد الفساد .

وقال إنهم اعتبروه لايستحق الترقية عام ١٩٤٦ ثم اختير لقيادة الجيش فى حرب فلسطين بعد الهزيمة التى توقعها .

قال إنه رفض الشروط التى وضعها وزير الحربية حينذاك الفريق محمد حيدر باشا للتفاهم والاتفاق مع الضباط الذين يوجدون الآن فى السجن أو فى طريقهم إليه

.. يقصد بذلك الضباط المتهمين فى قضية الأسلحة الفاسدة .

وهاجم الفريق صادق اختيار حسين فريد وهو أصغر منه رتبة لتولى منصب رئيس الأركان .

وقالت السفارة الأمريكية فى برقية سرية إلى واشنطن بتاريخ ٢١ نوفمبر عام ١٩٥٠:

«إن اللواء فؤاد صادق أحد مجموعة الضباط الغاضبين فى الجيش المصرى ».

وفى برقية أخرى للسفارة الأمريكية تاريخها ١٥ ديسمبر عام ١٩٥٠ قال السفير الأمريكى جيفرسون كافرى « **إن اللواء فؤاد صادق أكثر الضباط الغاضبين صراحة ولكن لايمكن اعتباره المتحدث باسمهم جميعا».**

وقال كافرى إن فؤاد صادق هو المرشح الطبيعى ليكون زعيما للضباط المتمردين إذا رأوا القيام بانقلاب !

وفكرة القيام بانقلاب هى احتمال بعيد ».

وقد أقام صادق دعوى ضد الحكومة ربحها فى يونيه عام ١٩٥٢ . وقضى له بتعويض قدره ١٥ ألف جنيه .

عرض حزب الوفد على فؤاد صادق قيادة كتائب التحرير التى تهاجم القوات البريطانية فى منطقة القناة بعد إلغاء المعاهدة ولكنه اعتذر .

وعرض الضباط الأحرار رئاسة تنظيمهم ثلاث مرات على اللواء فؤاد صادق ، آخرها فى يناير عام ١٩٥٢ ولكنه اعتذر بدعوى أنه اقسم يمين الولاء ، فى الجيش للملك فاروق، وخاف أن يقوم التنظيم بانقلاب ينتهى بتدخل الانجليز !

وفى مذكرات ثروت عكاشة أن الضباط الأحرار تشاوروا فيما بينهم فيمن يكلون إليه ان يكون على رأس حركتهم الثورية . وكان أمامهم خياران محمد نجيب الذى وضعوا فيه ثقتهم فى انتخابات نادى الضباط ولم يخذلهم أو يشى بهم بعد أن علم بأمرهم ، أم فؤاد صادق ، وهو من القادة

المحنكين المعتزين بقيمهم المتمسكين بأهداب الخلق والحائزين على ثقة من حولهم .

وقال ثروت عكاشة« إن الضباط الأحرار أثروا محمد نجيب» .

ويبدو أن هذا الايثار تم بعد رفض فؤاد صادق .

وكان فؤاد صادق فى تلك الفترة ـ أى يناير ١٩٥٢ ـ يكتب فى صحيفة « أخبار اليوم» مؤيدا مبدأ التحالف مع بريطانيا .

ولكن الأسباب الحقيقية لاعتذار اللواء فؤاد صادق عن رئاسة تنظيمهم الضباط الأحرار وجدتها فى مركز الوثائق العامة فى لندن .

دعا الملحق العسكرى البريطانى اللواء فؤاد صادق لتناول العشاء معه مساء ٢٩ من ديسمبر ١٩٥١ ، أى قبل أيام من العرض الذى قدمه الضباط الأحرار .

قال فؤاد صادق للملحق العسكرى البريطانى .

ـ الضباط لا يرغبون فى تحمل أية مسئولية سياسية ولديهم فكرة واحدة وهى بناء جيش جديد .

وأضاف :

ـ إن صاحب الجلالة سيعيننى فى منصب هام فى المستقبل القريب . وقد أوفد إلى أحد رجال القصر لاتوقف عن كتابة المقالات والابتعاد عن الأحزاب السياسية .

وكان فؤاد صادق يأمل أن يمنح رتبة فريق وأن يعين فى منصب القائد الأعلى للجيوش العربية فى ظل ميثاق الدفاع المشترك العربى أو رئيس أركان القوات المسلحة المصرية أو القائد العام .

وقال إنه يتلقى مائة جنيه مقابل مقالاته فى صحيفة « أخبار اليوم » الأسبوعية فإذا لم يعين سيطالب القصر بأموال . وهو يريد أن يكون على علاقة طيبة بالملك .

من هنا يمكن أن ندرك أهمية قبول اللواء محمد نجيب لقيادة الثورة .

* * *

كانت انتخابات نادى ضباط الجيش أول تحد علنى من التنظيم السرى للملك .. كما كتب محمد نجيب.

وكان محمد نجيب هو الذى عرف من شقيقه اللواء على نجيب قائد قسم القاهرة أن اللواء حسين فريد رئيس أركان حرب الجيش يعقد اجتماعا فى العاشرة مساء بمقر القيادة العامة للقوات المسلحة فى كوبرى القبة فأبلغ ذلك إلى عبد الحكيم عامر ليعتقل الثوار قادة الجيش .. وهو ماتم تنفيذه بالفعل وكان الخطوة الحاسمة التى أدت إلى نجاح الثورة .

وقال محمد نجيب أنه قاد الثورةولم يتحرك مع الثوار ليلة ٢٣ يوليه لانه كان مراقبا وخشى أن يعرف الملك بالثوار إذا تبعت الرقابة خطواته .

وروى محمد نجيب ماجرى ليلة الثورة عندما جلس فى بيته ينتظر بعد منتصف الليل :

« بدأت نظرتى تتركز على التليفون الأسود الصغير . إن رنينه يحمل لى أهم خبر فى حياتى إما انتصار وإما فشل . فكرت فى ارتداء ملابسى والخروج وليكن مايكون . لقد قتلنا هذا الموضوع

بحثا وانتهى الرأى ألا أتحرك إلا إذا تلقيت مكالمة تليفونيـة بنجاح الهجوم على القيادة العامة لأنى كنت مراقبا وسوف يتبعونى ويقبضون على وتتعرض الخطة كلها للفشل .

وعلا رنين التليفون .

استبدت بى الإثارة وأمسكت التليفون بلهفة شـديدة وطرق سمعى صوت الصاغ جمال حماد وهو يهنئ بنجاح المرحلة الأولى للخطة واتمام احتلال القيادة العامة للقوات المسلحة .

وأبلغنى أنـه سيرسل لى ثلاث عـربات مدرعة لإحضـارى. ولكنى أخبرته بـأنه لاداعى لـذلك وسأركب عربتى الأوبل الصـغيرة التى يقودها سائقى الخاص توفيرا للوقت» .

فى مذكـراته قـال عبد اللطيف البغـدادى أن « اللجنة التأسيسيـة للضباط الأحـرار اتفقت على ضرورة اختيار أحـد الضباط مـن ذوى الرتـب العاليـة ، ومن ذوى السمعـة الحسنة فى الجيـش والمعروفين لدى المدنيين من الشعب لتولى قيادة الإنقلاب لأن أعضاء اللجنة جميعا من ذوى الرتب العسكرية الصـغيرة (بكباشى وصاغات) ـ مقدم ورائد ـ والرأى العام قد لايقتنع بهم عندما يعلن عن الإنقلاب وأسماء قادته .

وهم فى أشد الحاجة إلى ثقة واطمئنان الشعب خاصة فى المراحل الأولى للإنقلاب .

ولذلك اختارت اللواء محمد نجيب الذى عرف للرأى العام أثناء المعركة الانتخابية لمجلس إدارة نادى ضباط الجيش وقاتل بشجاعة فى حرب فلسطين .

وقد أرادت اللجنـة عرض القيادة على اللـواء محمد نجيب يوم ١٩ يـوليه ولكنها لم تتمكـن من ذلك» .

ويروى البغدادى أنـه بعد نجاح الإنقلاب فى الساعة الثـالثة من صباح ٢٣ يوليـه تم الاتصال باللواء محمد نجيب وطلب إليه الحضور فجاء فى سيارة مصفحة إلى مبنى القيادة .

ومعنى ذلك أن أعضاء التنظيم السرى للضباط الأحـرار لم يتمكنوا من عرض قيادة الثورة على محمد نجيب حتى يوم ١٩ يوليه وأنهم عرضوها عليه يوم الثورة !

ولكن عنـدما استقـال محمد نجيب فى فبرايـر ١٩٥٤ ووقعت الأزمـة بينه وبين مجلـس قيادة الثورة أذاع المجلس بيانـا قال فيه إن محمد نجيب لم يخطر بوقوع الاختيـار عليه لقيادة الثورة إلا قبلها بشهرين فقط .

وفى هـذا اعتراف من مجلس الثورة بـأن محمد نجيـب انضـم للضباط الأحـرار قبل الثـورة بشـهرين ... على الأقل !

قال يوسف صديـق فى مذكراته إنه لما ألح على جمال عبد الناصر فى السـؤال عن الضباط الذين يعملون فى قيادة الحركة أخبره أن أقدم ضابط هو اللواء محمد نجيب .

وقال خالد محيى الدين :

« لفترة طويلة كان عبد الحكيم عامر أساسا وجمال عبد الناصر أحيانا على علاقة بمحمد نجيب وكانـا يسلمان له منشـورات الضباط الأحـرار وقد تطـوع محمد نجيـب ليرشح نفسـه وليكون الواجهة التـى تتحرك جماعته فى إطارهـا وليتحمل المسئولية تجاه السلطـة عن هذه المعركـة وعن نتائجها » .

وقال :

« لم يكن محمد نجيب يحضر معنا اجتماعات اللجنة التأسيسية وإن كنت أعرف أنه مرتبط بنا وكانت صلته قوية بجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر » .

ويقول البكباشي ـ المقدم ـ جلال ندا إنه كان في بيت محمد نجيب يوم زاره جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر . وكان هناك يوسف صديق أيضا .

وجلال ندا يقول إن جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر جاءا إلى البيت واجتمعا وحدهما مع محمد نجيب مما يدل على أنهما عرضا عليه قيادة الحركة في ذلك اليوم ـ إن لم يكن قبل ذلك ـ وليس صباح ٢٣ يوليه !

* * *

في مذكراته وفي كتابه « كلمتي للتاريخ » قال محمد نجيب إن عبد الناصر زاره أثناء حرب فلسطين ـ عام ١٩٤٨ ـ خلال الهدنة الأولى ، وبعد لقاءات عديدة دعاه إلى تنظيم الضباط الاحرار . وهو تنظيم سري كان عبد الناصر « مؤسسه ورئيسه » . وقال محمد نجيب أنه تولى قيادة التنظيم بعد حريق القاهرة في ٢٦ يناير ١٩٥٢ .

وقرر محمد نجيب الا ستقالة من الجيش عام ١٩٥٠ فاعترض جمال عبد الناصر لأن تنظيم الضباط الاحرار سيكون بلا غطاء .

وفي كتابه « الوثائق الخاصة بالرئيس نجيب » تاليف عادل حموده قال محمد نجيب :

« الحق أني لم أنضم إلى تنظيم الضباط الأحرار إلا في العامين السابقين للثورة ، كما أنني لم أعرف كل لجنته القيادية إلا بعد الثورة ، أي لم أعرف سوى عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وصلاح سالم وحسن إبراهيم وزكريا محيي الدين فقط ، أما السادات وغيره فلم أعرف أنهم أعضاء في التنظيم إلا في صباح يوم ٢٣ من يوليو ١٩٥٢ .

وفي كتاب جمال حماد « أطول يوم في التاريخ » قال :

« تم ترشيح محمد نجيب لرئاسة مجلس إدارة نادي الضباط بالاتفاق بينه وبين تنظيم الضباط الاحرار ، وكانت هذه خطوة شجاعة من محمد نجيب وقد توافرت فيه أوائل عام ١٩٥٢ أفضل الصفات التي تؤهله لقيادة حركة عسكرية ناجحة يقوم بها الجيش وهو حائز على ثقة الضباط مما يضمن معه سرعة انضمام باقي الجيش إلى الحركة .

ولايمكن من الوجهة المنطقية أن حركة عسكرية تدبر في الخفاء ثم لايتم الحصول على موافقة القائد الذي اختير لقيادتها قبل وقت كاف .

وهل يعقل أن يقبل إنسان تحمل هذه المسئولية الخطيرة التي قد تطيح بعنقه بمجرد حديث تليفوني يوقظه وهو نائم ليشرح له لأول مرة أن تنظيم الضباط الأحرار قام بتمرد مسلح ضد السلطة الشرعية » !

وفي مذكرات الكاتب الصحفي حلمي سلام الذي كان متصلا برجال الثورة ويعرف معظمهم قبل قيامها قال :

« أدرك جمال عبد الناصر منذ البداية ، أنه لايستطيع ـ ولم تتجاوز رتبته العسكرية حينذاك ،

رتبة الصاغ ـ الرائد ـ ولم يتجاوز عمره الثلاثين عاما ـ أن يصبح قائدًا لثورة تريد أن تأخذ وراءها الجيش ، والشعب معا .

وإذن كان لابد من البحث عن قائد .. ولكن ـ أى قائد ؟

المواصفات هى :

إن يكون من ذوى الرتب العسكرية الكبيرة . وأن يكون مشهودا له بالنزاهة .. وبالوطنية .. وبالشجاعة فى مواجهة الخطر . وأن تكون له فى صفوف الجيش شعبية تمكنه من قيادة الجيش .

كان الوحيد بينهم الذى يحمل رتبة لواء .. والوحيد بينهم الذى يبلغ من العمر واحد وخمسين عاما ، بينما كان أكبرهم سنا يبلغ أربعا وثلاثين سنة .. وبعضهم كان مايزال فى الثانية والثلاثين .

وكان رفاقه الشبان أصغر منه عمرا بعشرين سنة كاملة .. والأصغر منه رتبة ، بأربع رتب عسكرية بالنسبة لبعضهم .. وبخمس رتب بالنسبة لبعضهم الآخر .

سال دمه ثلاث مرات فى جبهة القتال بفلسطين ومنح « نجمة فؤاد الذهبية » .

ولو لم يكن محمد نجيب وطنيا .. بل وفدائيا أيضا لما استطاع ـ ابتداء ـ أن يقبل بقيادة الثورة .

ولو لم يكن شجاعا لما استطاع أن يوجه للملك انذارا . يحمل توقيعه ، يطالبه فيه بالنزول عن عرشه .

وليس صحيحا مطلقا مازعمه الآخرون من أن محمد نجيب لم يكن يدرى عن ثورة ٢٣ يوليو شيئا إلا قبل ساعتين اثنين من « ساعة الصفر » . فلم يكن « صناع الثورة » أطفالا وأيضا لم يكونوا ساذجين لكى يأتوا برجل ، لايعرف عنهم ، ولا عن ثورتهم شيئا ويولونه قيادتها .. قبل ساعتين فقط من قيامها !!

وقد اكتسب محمد نجيب شعبية جارفة لدى الجماهير .

وقد أعطى محمد نجيب ثورة ٢٣ يوليو ، ومنذ اللحظة الأولى لقيامها ، وجهها الطيب.. والسمح والمطمئن لكل الناس ، ولكل الأطراف والهيئات التى كانت تتوجس خيفة ، وترتعد رعبا من انطلاق الثورة من داخل القوات المسلحة » .

ولكن للسفير الأمريكى جيفرسون كافرى وكريزويل القائم بأعمال السفير البريطانى رأى آخر فى دور محمد نجيب .

قال على صبرى لدافيد ايفانز فى الأيام الأولى للثورة

ـ اللواء محمد نجيب عضو فى لجنة القيادة قبل الإنقلاب بوقت طويل .

ولكن ايفانز قال للسفير الأمريكى :

ـ أشك فى ذلك ، وأعتقد أن محمد نجيب ظهر فى الصورة لحظة الإنقلاب فقط .

* * *

فى تقرير للسفير جيفرسون كافرى يوم ٣٠ يوليو :

«بعد نجاح الحركة سارع اللواء محمد نجيب إلى مقر القيادة حيث لقيه قادة الحركة وعلم منهم بما جرى . ودعى للاشتراك معهم فى مؤتمر كان يعقد فى تلك اللحظة .

وقد أصر محمد نجيب على أن يـرافقه صحفى ، كان موجودًا وبرر ذلـك بأنه إذا دخل إلى المؤتمر دون شاهد فلن يوجد من يصدق أنه لم يخطط لهذا التمرد .

وما أن أدرك اللواء محمـد نجيب الأبعاد الكاملة للمـوقف حتى تكيف بسرعة مـع مركز القيادة الرسمية الذى وجد نفسه فيه بموافقة عامة من المجموعة .

وتصرف اللـواء نجيب، كمتحـدث باسـم المجموعـة فى المحـادثات مـع المراغى ورئيـس الحكومة » .

وقال كافرى :

« لم يكن اللواء محمد نجيب زعيمهم الصورى « الواجهة » بالقائد الذى يتمتع بشعبية جارفةوالقائد الذى يملك قدرا من القوة والذكاء » .

* * *

قالت السفارة البريطانية .

« اتهم اللواء نجيب بانــه على علم بالأهداف العامة للحركة التـى بدأها الجيش لتطهير الحياة العسكرية والسياسية للبلاد . ولكن يبـدو أنه علم لأول مرة بشكل محدد بالإنقلاب المخطط قبل حوالى ثمانية أيام من وقوعه عندما دعاه المخططون ليكون زعيمهم الرسمى » .

وقال السفير البريطانى يوم ٢ من أغسطس .

« يبـدو أن الكولـونيـل أنور السـادات أو « الساداتـى » أكثـر الشخصيات بـروزا بين مجموعـة صغار الضباط ، وعـددهم عشرة أشخـاص ويعتقد أنهم المنظمون الأسـاسيون للإنقلاب » .

وفى كتابه « نـاصر » قال انتونى ناتنج وزيـر الدولة البريطانى السابـق للشئون الخارجية إن محمد نجيب قدم إلى ـ الضباط التسعة ـ لجنة القيادة فى شـهر يونيه .

وكانت نيته الخاصـة مجرد تنظيم مظاهرات واسعة لإرغام الملك على الرضـوخ لمطالب الجيش دون اللجوء إلى عمل عسكرى مباشر .

وخلال الأحداث قويت قبضته بتأثير الضباط الأكثر تطـرفا الذين كانوا قادرين على استخدام تعيين القائمقام ـ العقيد ـ إسماعيل شيرين كحجة للجوء إلى العمل المباشر .

وربما يكون اللـواء نجيب قد رأى أنذاك انـه حطم جسوره ، وأنه علـم حتما ماكان مدبـرا له ، بنقله إلى منصب أقل نفوذا .

وربما يكون قـد خاف من اغتيـاله كما حدث مـع الضباط عبد القـادر طه لأن الملك يـرى أنه خطر».

قال ايدن عنه فى مذكراته :

« صفات الزعامة فيه أثارت الشكوك منذ البداية .

وقد أقلقنى أن ألاحظ أنه منذ اجتماعاته الأولى مع سفيرنا أو مع القائم بأعمالنا ، لم يكن وحيدا قط ، ولم يبد عليه أنه يقود فريقه » .

* * *

فى اليوم الأول للثورة تجمع الصحفيون الأجانب داخل مقر قيادة الجيش بعد ظهر يوم يوليو عندما جاء ضابط شاب قاد سيارته الصغيرة وأوقفها قرب المقر وسمح له فورا بالدخول فأسرع يحث خطاه داخل القيادة .

وبعد فترة قصيرة قيل للصحفيين إن اللواء محمد نجيب سيعقد مؤتمرا صحفيا فى الرابعة بعد الظهر .

ولم يدرك الصحفيون العلاقة بين هذا الضابط وقرار عقد المؤتمر الصحفى .

ولم يفطن الصحفيون الأجانب مرة أخرى ـ فى اليوم التالى ـ إلى الضابط الشاب نفسه وهو يبتسم واقفا فى مكان بعيد أثناء المؤتمر الصحفى الأول للواء محمد نجيب .

وفى كتاب « جمال عبد الناصر ابن النيل » وصف الكاتب هذا المؤتمر الصحفى فقال:

« ظهر اللواء محمد نجيب وديعا انيسا بغليونه الجذاب كـأنه الآمر الناهى وان لم يكن كذلك حقيقة . وظهر مساعدوه من الضباط الشبان بقاماتهم النحيلة وأجسامهم الرياضية على أنهم آمال الشعب وأحلامه فى بناء كيان الدولة المصرية الحديثة » .

وقال الكاتب :

« عندما غادر الضابط الشاب ـ يقصد جمال عبد الناصر ـ القاعة أنهى اللواء محمد نجيب فورا المؤتمر فإن خروج الضابط الشاب كان إشارة بذلك .

توجه المهندس سيد مرعى الذى تولى بعد ذلك مهمة تطبيق قانون الإصلاح الزراعى وكان وزيرا أكثر من مرة ورئيسا لمجلس الشعب ـ البرلمان ـ لمقابلة اللواء محمد نجيب مع وفد من نواب الحزب السعدى بعد الثورة مباشرة ووصف هذا اللقاء فى مذكراته فقال

« لاحظت أن هناك ضابطا شابا طويل القامة نافذ النظرات يقف بجوار محمد نجيب ، طوال الوقت ، وظل حاضرا المقابلة من أولها إلى آخرها متابعا كل كلمة .

وقد رحب بنا اللواء محمد نجيب بأسلوبه المهذب ، ولكن هذا الضابط تصدى لى بالرد وقاطعنى بحدة .

لم تعجبنى طريقته فى الحديث وعاد يقاطعنى وانهى المقابلة بلهجة قاطعة قالها للواء نجيب .

وتعجبت وقتها من الأسلوب الغريب لذلك الضابط .

قال زكريا محيى الدين لسيد مرعى بعد المقابلة مباشرة :

ـ ابتعد عن هذا الضابط ولاتخطئ فيه .. ده جمال عبد الناصر !

فى لقاء الوزير البريطانى المفوض كريزويل بالمراغى ـ يوم ٢٤ يوليه ـ قال المراغى :

ـ نجيب ليس إلا واجهة لجماعة . وهو ضعيف وليس ذكيا ويقدره صغار الضباط وسيكون رئيسا شرفيا .

وقال حافظ عفيفى لكريزويل .

ـ اللواء نجيب رجل معقول وشريف ويمكن الاعتماد عليه ، وإن لم يكن عبقريا ولكن كل شىء يتوقف على ما إذا كان الضباط الصغار سيظلون قانعين بالوضع الذى تحقق حتى الآن .

قال كريزويل :

ـ أعتقد ان اللواء محمد نجيب رئيس رمزى وأن المحرضين الحقيقيين هم صغار الضباط .

قال حافظ عفيفى :

ـ أوافقك تماما على هذا الرأى .

فى لقاء على ماهر بكريزويل مساء ذلك اليوم قال على ماهر :

ـ الزعيم الحقيقى للإنقلاب هو الضابط الشاب البكباشى أنور السادات .

فقد ظل الانجليز لفترة يعتقدون إن أنور الساداتى ـ كما كانوا يعرفونه ـ هو قائد الثورة !

وبعد عزل الملك اعترف اللواء محمد نجيب بالدور الرئيسى لشباب الضباط فى الإنقلاب قال :

« إن ماينسب إلى من عمل مجيد هو فى الحقيقة مجهود وتضحيات لرجال الجيش البواسل من جنود وضباط ولم يكن لى إلا شرف قيادتهم .

وقد أمر جلالة الملك فاروق عندما طلب الجيش اسناد منصب القيادة العامة أن ينعم على برتبة الفريق بدرجة الوزير فلم أعلن رفضها حتى لايعرقل ذلك غرضا أسمى هو تنازل الملك عن العرش ... والآن وقد انتهت الأمور فأنى أعلن تنازلى عن هذه الرتبة قانعا برتبة اللواء مراعاة لحالة الدولة المالية » .

محمد نجيب فى هذه الحالة كان مثاليا يعكس روح الثورة من ناحية ، ويبين أنه لايحقق فائدة أو ميزة لنفسه فحسب دون صغار الضباط !

* * *

فى لقاء بين الملحق العسكرى البريطانى والقائمقام ـ عقيد ـ أحمد شوقى فى معسكر قيادة القوات المسلحة لمنطقة القاهرة يوم ٢٨ يوليه قال أحمد شوقى .

ـ تم الضغط على محمد نجيب ليقود حركة صغار الضباط .

ومن مصلحة أحمد شوقى فى تلك الأيام ان يرتبط بقائد الثورة ، وأن يتملقه أو يذكر الحقيقة كاملة . ولاتوجد له مصلحة فى الأيام الأولى للثورة ، ونجيب قائدها والشخصية اللامعة فيها ، أو الشخصية الوحيدة البارزة فيها ، أن يقلل من قدره ودوره .

* * *

كان على ماهر فى أعقاب نجاح الثورة ، وبعد خروج فاروق قريبا من قياداتها يناقش أعضاءها ويعرف إلى حد كبير موقع كل منهم فيها .

وكان على ماهر فى تلك الفترة ، يظن أن السفير البريطانى لايزال صاحب النفوذ فى مصر ويحب أن يبلغه الأخبار والمعلومات الحقيقية أو يلونها بما يتفق مع مصلحة على ماهر .

فى ٢٩ من يوليه قال على ماهر للسفير البريطانى السير رالف ستيفنسون :

ـ العسكريون مجموعة مختلفة لاقصى درجة واللواء محمد نجيب فى أيدى مساعديه ، ويتحكم فيه مرءوسوه !

وأيا ماتكون الحقيقة وأيا مايكون دوره الحقيقى فمن الواضح أن محمد نجيب لم يستطع

السيطرة على أعضاء لجنة القيادة أو مجلس الثورة منذ اليوم الأول للحركة .

ومن هنا رأى جمال عبد الناصر ان يكون مديرا لمكتب اللـواء نجيب وبالتالى عنق الزجاجة لأى اتصال أو عمل يجريه قائد الحركةوإذا كان الضباط الأحـرار قد اقنعوا نجيب بأن يكون رئيسهم فقد احتاجوا بعد ذلك لجهد كبير فى خلعه !

وقد أرغمـوه على الاستقالـة عام ١٩٥٤ ، ثـم أعادوه على الفـور مرغمين تحت ضغـط الشعب والجيش ، ثـم عزلوه مـرة ثانية واعتقلوه فى ١٤ نـوفمبر عام ١٩٥٤ فى قصر تملكه السيـدة زينب الوكيل قـرينة مصطفى النحاس بضاحية المرج ، ومنعـوا زيارته أو خروجه حتـى مات جمال عبد الناصر فأفرج عنه الرئيس محمد أنور السادات ثم توفى محمد نجيب فى ٢٨ أغسطس عام ١٩٨٤ .

* * *

وفى كتاب لعبة الأمم قال مايلز كوبلاند :

« كانت التقارير والتفسيرات الأولية تشير إلى أن اللـواء محمد نجيب كان رأس الثورة وعلى هذا الأساس بنـت الحكومة البريطـانية والأمريكية عـلاقاتها مع العهـد الجديد . ولكن سرعـان ماذاب الثلج، وانتزع عبد الناصر زمام الأمور منه ، ولم يمض بعد أكثر من عدة شهور على الإنقلاب .

والغريب أن كيرميت رزوفلت اقتنع عندما أكد لـه عبد الناصر أنه ليس رأس الثورة مع أن وليم ليكلاند المسئول السياسى فى السفارة الأمريكية فى القـاهرة وبعض موظفيها أكدوا أن اللواء نجيب لم يكن أكثر من ستار اتخذه عبد الناصر لنفسه حتى يحين موعد ظهوره على المسرح شخصيا » .

وقد حرص جمال عبد الناصر على تأكيد دور محمد نجيب وأهميته .

فى أول لقاء مع دافيد ايفانز قال جمال عبد الناصر

ـ محمـد نجيب فقط هـو الذى يمكـن أن يبعث الثقة فى النـاس وهو الذى تتـوافر فيـه صفات القيادة .

والحقيقة ان اختيار اللواء محمد نجيب لقيادة الثورة كـواجهة لم يكن بسبب رغبة عبد الناصر بإعطـاء مركـز الشرف لرجـل عجوز بل لإحـاطة الثـورة بشرعية واعتراف ، ينقصهـا ، لماضيه فى فلسطين وتعاطفه مع أهدافهـم بعد اعتذار اللواء فؤاد صادق واستبعادهم لعـزيز المصرى . ولذلك أسبغ على نجيب فى عيون المصريين أنه بطل الخلاص المنقذ الذى سيغير الحالة اليائسة .

وعبر عن ذلك محمد نجيب فقال فى حديث صحفى بعد وفاة جمال عبد الناصر .

« أنا قـائد الثورة ، وإلا إذا كـانوا هم أصحـاب الثورة ، فلماذا استعانـوا بى ، ولم يقـوموا بها بأنفسهم » .

* * *

« كان محمد نجيب فى الحادية والخمسين من العمر وهـو الضابط الكبير والوحيد الذى اشترك فى الثورة بينما كـل الإنقلابات العسكـرية فى الشرق الأوسط قـادها ضبـاط من أصحاب الـر تب الكبيرة كما حدث فى العـراق عامى ٣٦ و ٤٠ وفى سـوريا عام ٤٩ أمـا باقـى الضباط الذيـن قادوا الإنقلاب فى مصر فرتبهم يوزباشية وصاغات وبكباشية أعمارهـم بين ٢٨ و ٣٥ سنة .

ولد محمد نجيب فى الخرطوم فى ٢٠ فبراير ١٩٠١ . وكان أبوه ضابطا بالجيش المصرى فى السودان ، توفى ودفن هناك ، حصل على الشهادة الابتدائية فى السودان وعمره ١١ سنه وحصل على الشهادة الابتدائية المصرية وعمره ١٥ سنه فى أسوان .

درس فى المدرسة الحربية المصرية بالقاهرة وتخرج منها برتبة ملازم ثان وعمره ١٧ سنة .

نال دبلومين فى الاقتصاد والسياسة والقانون الخاص .

ارسل إلى السودان عضوا بلجنة إعادة تنظيم الجيش ونال شهادة أركان الحرب عام ١٩٣٩ .

قدم استقالته إلى الملك احتجاجا على حادث ٤ فبراير عام ١٩٤٢ ولكنها رفضت .

عاون ـ كمساعد لنائب الأحكام ـ أنور السادات عند التحقيق معه بتهمة الاتصال بجواسيس الألمان .

اشترك فى حرب فلسطين ، وهو برتبة اميرالاى ـ عميد ـ وقاد اللواء الضارب المتحرك وقد أصيب هناك ٣ مرات ومنح نجمة فؤاد العسكرية مرتين تقديرا لشجاعته وكان الصاغ عبد الحكيم عامر أركان حربه .

وقد استدعى إلى القاهرة وعين قائدا لمعهد دراسات الضباط العظام ثم عاد إلى فلسطين وتولى قيادة اللواء العاشر الضارب بالإضافة إلى اللواء الرابع . وقد عين بعد حرب فلسطين مديرا لسلاح الحدود ثم نقل مديرا لسلاح المشاه ليتولى إدارة سلاح الحدود بدلا منه اللواء حسين سرى عامر .

وكان محمد نجيب مديرا لسلاح المشاه عندما وصفه البيان الأول للثورة بأنه القائد العام للقوات المسلحة وقائد حركة الجيش .

وهو يتحدث خمس لغات : العربية والفرنسية والانجليزية والإيطالية والألمانية .

وعندما عين ضباط الثورة فى مناصب وزارية كان من بين الأهداف أثبات أنهم يملكون القوة .. علنا .

أما نجيب فقد أدرك أن مصدر قوته وشرعيته بعيدا عن الضباط الأحرار وأن هذه القوة تكمن فى الحصول عليها من الشعب .

* * *

لم يلتق ايفانز مساعد الملحق الجوى الأمريكى بعبد الناصر إلا بعد عشرة أيام من قيام الثورة .

ولكن ايفانز قال لى .

ـ كنت أحس دائما أن هناك رجلا غامضا فى هذه الثورة !

* * *

الرهان الأفضل

أطلقت الحكومة البريطانية وصف « الارهاب » على العمليات الفدائية التى قام بها المصريون ضد القوات البريطانية فى منطقة القناة عقب إلغاء المعاهدة . وزاد انتشار هذه العمليات إلى الحد الذى جعل السفير البريطانى فى مصر رالف ستيفنسون خائفا من انفجار الموقف مما قد يؤدى إلى إعادة احتلال مصر .

ورأى السفير أن النتيجة الوحيدة لذلك طرد الانجليز من مصر إلى الأبد .

ولذلك سارعت الحكومة البريطانية إلى تدعيم قواتها فى منطقة القناة بلوائين أحدهما للمظلات والثانى للمشاة .

ووضعت السلطات البريطانية يوم ٣٠ أكتوبر ، أى بعد أسبوعين تقريبا من الغاء المعاهدة عدة خطط لتأمين سلامة القوات البريطانية وحماية الأرواح والمصالح البريطانية فى مصر كلها وتجميع ١٧ ألف أسرة بريطانية تعيش فى مدن القناة وحولها فى ٤ مناطق والاستعداد لترحيلها من مصر وسميت هذه الخطط جميعها بأسماء شفرية هى « روديو» و «برنارد » و «فليل » .

قضى الجزء الأول بإقامة حكومة عسكرية بريطانية فى منطقة القناة ليتولى العسكريون البريطانيون الحكم فى المنطقة ويطبقون الأحكام العرفية .

نوقشت مزايا هذه الخطة وأضرارها فى السفارة البريطانية بالقاهرة .

قال مؤيدوها إنها تبين إصرار بريطانيا على عدم سحب قواتها من منطقة القناة بالقوة أو بالتهديد . وستنقص من قدرة حكومة الوفد فى أعين الذين توقعوا أن تزيد هذه الحكومة من هيبتها فى مصر .

وقال المعارضون إنها عملية مكلفة للغاية تحتاج لعدد كبير من العسكريين لفترة طويلة . وستزيد المرارة إلى درجة تخلق العداوة المصرية ، بدلا من الصداقة ، حتى فى حالة التوصل إلى معاهدة مع حكومة مصر . وستدعم دعاية المصريين فى العالم ضد الانجليز وتقدم رصيدًا للقضية المصرية أمام الأمم المتحدة . وقد تحشد الرأى العام فى بريطانيا ، نفسها والولايات المتحدة ضد الانجليز . وربما تواجه بريطانيا بعدم تعاون يصل إلى حد تعجيزها عن تسيير الإدارة فى منطقة القناة .

وكان مستشار السفارة البريطانية بالقاهرة واردلى سميث من أشد معارضى فرض هذه الحكومة العسكرية . وطالب بعدم اتخاذ اجراء قوى إلا فى حالة الضرورة وجعل المصريين يتولون بأنفسهم أمر شعبهم .

عرض الأمر يوم ١٩ نوفمبر على اللجنة البريطانية المركزية للدفاع واشترك فى الاجتماعات

السفير البريطاني فى القاهرة السير رالف سيتفنسون فقررت اللجنة أنه من الأفضل استخدام السلطات التى تحتاجها بريطانيا دون إعلان .. أى عدم إقامة هذه الحكومة . لأنها ستلغى السيادة المصرية على منطقة القناة ، وتتولى ، هذه الحكومة ، جمع الإيرادات وإنفاق المصروفات وتصبح مسئولة اقتصاديا عن السكان المقيمين فى القناة .

نوقش الأمر فى اجتماع رؤساء أركان القوات البريطانية .

اقترح رئيس الأركان السير بريان روبرتسون أن يكون لقادة الأركان سلطة إعلان هذه الحكومة عند الضرورة . ولكنه اقترح البدء بإثارة مخاوف مصر من إسرائيل والقيام بعمل مضاد قاس لكل ماتقوم به مصر ، وتحقيق اختناق للحياة فى مصر وتجميدها وتجويعها أيضا !

وتقرر يوم ٢٢ نوفمبر ، عند إقامة هذه الحكومة ، تفويضها سلطة التفتيش والاعتقال والمحاكمة أمام محكمة عسكرية بريطانية . ومن صلاحيات هذه المحكمة إصدار أحكام بالإعدام على المصريين وتنفيذها أيضا كما حدث أثناء ثورة ١٩١٩ !

ورأت الحكومة البريطانية أن من حقها ، فى هذه الحالة ، طلب المساعدات من حلفاء بريطانيا والموقعين معها على معاهدات عسكرية ، بدعوى أن الهدف تأمين حرية الملاحة فى قناة السويس .

وقالت الخطة « هدفنا تأمين أنفسنا والسكان الموالين لنا » !

وقضت الخطة ــ عند الضرورة ـــ بتجريد رجال الشرطة من سلاحهم واعتقال كبار ضباطهم وطرد كل رجال الشرطة من منطقة القناة ، وإبعاد الموظفين المدنيين المصريين ، ومحاكمة كل المخالفين لهذه الاجراءات ، على أن ينفذ ذلك بالتدريج أو دفعه واحدة حسب الظروف ، وفرض عقوبات اقتصادية عنيفة على مصر .

* * *

وقررت قيادة القوات البريطانية البدء بتجريد قوات الشرطة فى مدينة الاسماعيلية من السلاح فقد رأت القيادة البريطانية أن رجال الشرطة يساعدون الفدائيين .

وجرت المعركة بين الجيش البريطاني والشرطة المصريين فى الاسماعيلية يوم ٢٥ يناير ١٩٥٢ .
واحترقت القاهرة فى اليوم التالى ــ ٢٦ يناير ــ فوضع قادة القوات مزيدا من الخطط العسكرية .

* * *

ويجتمع فى لندن مجلس الوزراء البريطانى في اليوم ذاته فيبلغه انتونى ايدن وزير الخارجية بأن الموقف يتدهور بشكل خطير .

ويلتقى إيدن برؤساء أركان حرب القوات البريطانية لبحث رد فعل المصريين إزاء مذبحة الاسماعيلية واحتمال التجائهم إلى العنف كعمل انتقامى .

ويقرر رؤساء الأركان وضع القوات البريطانية فى حالة استعداد للتدخل خلال عشرة أيام وتنفيذ أقسام من عملية « روديو » بحيث تستطيع القوات التدخل خلال ٩٦ أو ٤٨ ساعة فقط من بدء وقوع أية أحداث .

وخشيت الحكومة البريطانية أن تقع فى مصر اضطرابات واسعة وأن يعتدى المصريون على

البريطانيين المدنيين فى القاهرة والاسكندرية وأن تتكرر بعض أحداث الثورة العرابية ، كما استقرت فى أذهانهم . ولذلك استعد رؤساء الأركان لتنفيذ جانب من خطة « روديو » التى تقضى باحتلال القاهرة والاسكندرية والاستعانة بالقوات البريطانية فى برقة ـ ليبيا ـ لغزو الاسكندرية من الغرب .

واتفق فى هذه الحالة على تركيز الجالية البريطانية فى الاسكندرية ، وأن يقوم أفرادها بحماية أنفسهم حتى تصل السفن إلى الميناء فينتقلون إليها .

وأعدت كل التفاصيل والبيانات التى توجه لشعب مصر ـ باللغة العربية ـ لتبرير هذا العمل . وعين الجنرال برود قائدا للقوات البريطانية فى القاهرة والجنرال بويت قائدا للقوات البريطانية فى الاسكندرية .

وقالت البيانات التى أعدها القائدان « أنه مهما كانت التكاليف سيمنعان تكرار أحداث ٢٦ يناير ـ حريق القاهرة ـ وحظر التجول إلا بتصريح حتى صدور أوامر أخرى » أى حتى يستقر الحكم العسكرى البريطانى .

* * *

اعتمدت الخطط البريطانية كلها على أساس أن الجيش المصرى لن يقف موقف العداء للانجليز وسيتخذ موقفا سلبيا إزاء عمليات بريطانيا وأنه لن يحارب الانجليز.

ولكن بعد مذبحة الاسماعيلية قدم ايدن إلى مجلس الوزراء البريطانى مذكرة قال فيها :

« زاد التعصب فى مصر . وصار من المحتمل أن يحارب الجيش المصرى إذا بدأت عملية «روديو » وهذا يجعل موقف القوات البريطانية فى منطقة القناة حرجا للغاية إذا اضطرت إلى شن عمليات ضد القاهرة ، وسيستغرق وصول القوات البريطانية إلى القاهرة وقتا أطول.

وسيكون البريطانيون المقيمون فى القاهرة فى خطر داهم خاصة ، وأن القوات المصرية التى تحافظ على الأمن يمكن أن تخرج لمقاومة القوات البريطانية ، تاركة الفوضى فى العاصمة خارج كل سيطرة »

ويعلن رئيس أركان القوات الإمبراطورية فى تقرير سرى لمجلس الوزراء بأنه إذا لزم اتخاذ مزيد من الاجراءات العسكرية فى مصر يستدعى مزيدا من القوات البريطانية ، ولكن لاتوجد قوات يمكن إرسالها فقد أرسل الاحتياطى الاستراتيجى إلى مصر ، والحل الوحيد هو تشكيل فرق مشاه جديدة.. فى بريطانيا!

وهكذا أصبح من الضرورى زيادة عدد القوات الاحتياطية البريطانية فى انجلترا نتيجة تدهور الموقف فى مصر بعد حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢!

ولكن يتدخل الجيش المصرى بعد ظهر يوم الحريق ويعيد النظام إلى القاهرة وتلغى حالة الاستعداد بين القوات البريطانية .

ولكن يستمر بحث تفاصيل خطة « روديو » لتنفيذها عند الضرورة .

* * *

شكلت وزارة الحربية فى لندن لجنة مثلت فيها وزارتا الخارجية والمالية أخذت توالى الاجتماعات لبحث إقامة الحكومة العسكرية فى منطقة القناة .

وفى ١٨ يوليه ١٩٥٢ ، قبل خمسة أيام من قيام الثورة ناقشت هذه اللجنة مشكلة الطعام فى منطقة القناة ، إذا أقيمت هذه الحكومة .

كان من بين الاحتمالات أن تمنع الحكومة المصرية وصول إمدادات التموين عن منطقة القناة مما يؤدى إلى مجاعة يقف الرأى العام ضدها

فكرت اللجنة ـ كحل ـ فى اعتراض الإمدادات القادمة من الدلتا إلى القوات المصرية فى قطاع غزة .

ولكن قيل إن المصريين يمكنهم ، إذا لزم الأمر ، أن يمدوا قواتهم فى سيناء عبر البحر المتوسط إلى العريش .

وعلى هذا الأساس رأت اللجنة أنه لابد من تخزين طعام يكفى سكان منطقة القناة من المصريين الذين قدر عددهم بـ ٤٠٠ ألف نسمة .

ولكن العسكريين وجدوا أن ذلك سيتكلف كثيرا من المال .

وفكرت اللجنة فى إخلاء المنطقة اجباريا من السكان المدنيين الذين لايحتاج إليهم العمل فى المعسكرات . وقدر عدد هؤلاء بـ ٣٠٠ ألف نسمة .

وتبين أن هذا الرقم يفوق عدد اللاجئين فى قطاع غزة مما سيكون له رد فعل قوى فى الرأى العام العالمى ضد الحكومة البريطانية .

ولذلك اقترح بعض أعضاء اللجنة العدول عن إقامة حكومة عسكرية فى منطقة القناة إذا ترتب عليها إجلاء ٣٠٠ ألف نسمة وإقامة هذه الحكومة العسكرية بطريقة لائقة وترتيب إطعام ٤٠٠ ألف نسمة إذ ستنقضى سبعة أسابيع قبل وصول الطعام من الخارج

وفى حالة عدم تدبير مخزون من الطعام فلابد من العدول عن الخطة لعدم إمكان تنفيذها .

وعرض اقتراح بإقامة حكومة عسكرية فى الدلتا أيضا ولكن عدل هذا الرأى .

ولكن اللجنة رأت قبول هذه المخاطرة ، أى إقامة الحكومة العسكرية حتى ولو أدى الأمر إلى منع وصول المؤن إلى القناة

واتفق على أنه فى حالة قيام المصريين بقطع مياه القناة العذبة تقوم القوات البريطانية باحتلال العباسية ، وربما بلبيس ، لضمان استمرار مد المنطقة بالمياه .

وتقرر أن يعرض الأمر على مجلس الوزراء البريطانى لاتخاذ القرار النهائى فى هذا الشأن .

* * *

لم يعرف الانجليز أبدا بتنظيم الضباط الأحرار ، ولم يتوقعوا انقلابا يقوم به الجيش .

وفى كتاب « من خلال المرآة » اعترف الكاتب انتونى ثيرير بأن منظمة الضباط الأحرار السرية كانت مجهولة للمخابرات البريطانية فى مصر .

وقال :

« تحت السطح الظاهر للحياة السياسية المصرية كان يوجد مجتمع قلق ولم يكن لدى

المخابرات البريطانية الرغبة أو المؤهل لدراسة هذا المجتمع والإبلاغ عن أنشطته .

وكان يمكن الكشف عن تنظيم الضباط الأحرار بالخيانة فقط ، لا باختراق هذا التنظيم » .

وقد ظلت السفارة البريطانية حتى يوم ٢ أغسطس ــ تظن أن « الساداتى » ـ كما كانت تعرف أنور السادات ـ هو القائد الحقيقى للثورة .

ولكن الأسرة المالكة المصرية نفسها كانت تحس بأن الثورة قادمة ومع ذلك فإن واحدا فقط من أمراء هـذه الأسرة رأى أن يتفق مع الانجليـز مقدمـا على التدخل لحمايتـه ـ وحده ــ عندمـا تقوم الثورة!

هذا الرجـل هو الأمير محمد على ـ ابن عم فـاروق ـ والذى ظل وليا للعهد خـلال سنوات حكم فاروق حتى ولد الأمير أحمد فؤاد الثانى !

قصد الأمير محمد على إلى دار السفارة البريطانية يـوم ١٨ نوفمبر ١٩٥٠ ، أى قبل قيام الثورة بعشرين شهـرا ، عندمـا كان النحـاس يرأس الـوزارة ، واجتمع بـالسفير البريطانـى السير رالف ستيفنسون قال الأمير :

ـ إنى وغالبية الأسرة المالكة نشعر بانزعاج بالغ إزاء موقف الملك فاروق .

لقد باع نفسه للوفد ، وأبعد الجيش ، واتبع سياسة تعرض كلا من البلاد وعرشه للخطر .

وقد جئت بوصفى أكبر الأمراء سنا وولى العهد لأستكشف إن كـان ذلك ممكنا ـ نوايا بريطانيا فى حالة حدوث اضطرابات عنيفة فى مصر

قال السفير :

ـ مـن الصعب جدا الإدلاء بـأية نبـوءات فموقف حكـومة صاحـب الجلالة والإجـراءات التى ستتخذهـا ستفرضـها الظروف . وإذا حـدثت اضرابات سياسيـة لها طابع بالـغ العنف فى مصر ، تعرض ، مثلا ، أرواح الرعايا البريطانيين للخطر فلن تبقى القوات البريطانية فى منطقة القناة هادئة مكتوفة الأيدى .

ولن نستخدم القوة إلا إذا تعرضت حياة الرعايا البريطانيين لخطر بالغ .

قال الأمير :

ـ افهم ذلك تماما غير أنى والأسرة المالكة ليست لدينا رغبة فى مشاركة الملك المصير السيئ الذى يسعى إليـه . فهو لايتوقـع حدوث شىء فى القـريب العـاجل ولكنى كـرجل بعيد النظـر لايمكننى استبعاد إمكانية أن أصبح واسرتى فى خطر بالغ .

وفى مثل هذه الظروف أود أن أعرف إذا كان يمكننا اللجوء إليكم ؟

قال السفير :

ـ أرجـو أن تقدر يـاسمو الأمير أنـى لا أستطيع الحديـث إلا بصورة شخصيـة ولايمكننى أن افرض إلتزاما على الحكومة البريطانية .

وأود أن أؤكد أنه لن يكـون هناك أى احتمال سواء من جانبى أو من جانـب القوات البريطانية فى منطقة القناة بأن نرد شخصا من أصدقائنا يكون فى خطر داهم عندما يسعى للجوء لحمايتنا .

وطلب السفير إلى الأمير أن يكتم هذا السر ، لأن الموضوع بالغ الحساسية .
وانصرف ولى العهد .
وعلق السير رالف ستيفنسون فى برقية إلى لندن .
« هذا الرجل العجوز لايتحلى بالشجاعة وكلما ازداد كبرا كلما أصبح أكثر عصبية » .

* * *

أخذت الحكومة البريطانية ــ بعد زيارة ولى العهد ــ تبحث موقفها القانونى فى ظل معاهدة ١٩٣٦ إذا قامت الثورة .

فى مذكراته قال إيدن :

« أوضحت أكثر من مرة لسفارتنا فى القاهرة أن القوات البريطانية لن تتدخل للمحافظة على عرش فاروق .

إننا أعددنا خطة للتدخل فى حالة وقوع أزمة تهدد أرواح البريطانيين . ولكننا قررنا أن هذه الخطة لايمكن أن تنفذ إلا بقرار وزارى ، إذ من الخطأ أن نضع مسئولية سياسية ضخمة على عاتق القائد العام ».

* * *

لم يعرف فاروق موقف بريطانيا الحقيقى منه ، إذا قامت ، فى البلاد ثورة ، بل كان يظن أن بريطانيا سترغم على نجدته وانقاذه .

بعد إلغاء الوفد لمعاهدة عام ١٩٣٦ التقى حسن يوسف باشا وكيل الديوان الملكى بالسفير البريطانى السير رالف ستيفنسون

قال وكيل الديوان :

ـ كنا نتوقع ان تقوم قواتكم باحتلال القاهرة والاسكندرية .

قال السفير :

ـ الظروف الوحيدة التى تستخدم فيها قواتنا خارج منطقة القناة إذا حدث انهيار كامل فى النظام العام والتخلى عن أى أمل فى أن الشرطة المصرية والجيش يمكنها إعادة النظام .

نقلت هذه الكلمات إلى فاروق فلم يدرك معناها الحقيقى .

ولم يتفق صاحب الجلالة مع الإنجليز على التدخل لصالحه ، بل بنى حساباته على أساس أن القوات البريطانية جاءت عبر البحار لتقف مع الخديو محمد توفيق ضد عرابى عام ١٨٨٢ ، وقد أصبحت العملية الآن أسهل فالقوات فى مصر ، وتدخلها يتم فى لحظات قبل أن يفيق العالم !

وفى كتاب أنتونى نانتج وزير الدولة البريطانى « ناصر » قال :

« كان السبب الحقيقى وراء إصرار فاروق على أن ترتبط مسالة سيادة مصر فى السودان بجلاء بريطانيا هو الحيلولة دون نجاح أية مفاوضات تجرى فى لندن ، وبذلك يمكنه الاحتفاظ بالقوات البريطانية فى مصر أملا فى أن تهب هذه القوات لمساعدته فى حالة وقوع ثورة ضده » .

* * *

قـال محمد نجيـب ف مذكـراته إن فـاروق اتصـل بالجنـرال السير وليم سليـم قائد القـوات البريطانية لنجدته وطلب منه احتلال القاهرة وضرب الاسكندرية بالأسطول فرفض .

وقـال أنور السـادات إن قيادة الثـورة التقطت هـذه الـرسالـة التى أرسلـت من قصر المنتـزه بالاسكندرية إلى القيادة البريطانية في منطقة القنال .

لم ييأس الملك فاتصل بايدن ، كما يقول محمد نجيب !

وقيل إن الملك أرسل بوللى ف سيارة إلى القاهرة لـلاتصـال بقائد القوات البريطانية ف السويس ، وف حالة رفضه ، يتصل بالإيطاليين ليستغيثوا ـ نيابة عنه ـ بالسفارة البريطانية .

ولكن لايوجد فى الـوثائق البريطانية والأمريكية مـا يؤكد أن فاروق طلب بطريـق مباشر تدخلا عسكريا بريطانيا لإنقاذ عرشه باستثناء ما أوحى به إلى السفير الأمريكى وما كرره له صراحة .

* * *

بدأكريزويل يبشر بعدم التدخل البريطانى منذ البداية ، وينصح حكومته ألا تغامر بحياة البريطانيين المقيمين فى مصر

قال لايدن فى أول برقية بعث بها عن الانقلاب صباح يوم ٢٣ من يوليه :

« أذكركم بانكـم رددتم دائما أن القوات البريطانية لايمكن أن تتدخـل لتحافظ على عرش الملك فاروق .

و إذا تلقيت طلبا بذلك من القصر فسيكون هذا ماثلا فى ذهنى » .

وقال

« إن قادة الأركان ـ البريطانيين ـ سيرغبون بغير شك فى اتخاذ اجراءات عسكرية معينة فى منطقة قناة السويس لضمان أمن قواتهم وحرية المرور فى القناة».

وقال فى برقية بعث بها إلى لندن فى الساعة الحادية عشرة وست دقائق :

« وجهة نظرى الشخصية أن هذه مسألة داخلية بحتة ولا أعتقد أن الحكومة البريطانية سترغب فى استخدام القوات البريطانية لإنقاذ الملك فاروق» .

ولكن الـرسالة التى بعـث بها قادة الثورة إلى كريـزويل عن طريـق كافرى بينت بـوضـوح أن الجيش المصرى سيقاوم كل تدخل بريطانى .

أيد انتـونى ايدن وزيـر الخارجية البريطانيـة ، على الفور ، سياسـة كريزويـل الحذرة فى عدم تدخل القوات البريطانية إلا بعد استشارة وزارة الخارجية البريطانية .

وطلب إلى وزيـر الدفاع البريطـانى فى مذكـرة رسمية أن يوضـح تماما للقادة أنـه يجب ألا يتم اتخاذ أية خطوات دون استشارة وزارة الخارجية .

قالت مذكرة انتونى ايدن وزير الخارجية البريطانية التى قدمت لتشرشل :

« سـوف يتذكـر رئيس الـوزراء ـ ونستـون تشرشـل ـ انـه اتفق معـى ، أى مع وزيـر الخارجية بناء على إصرارى ـ على الحاجة إلى استشارة لندن فى مثل هذه الحالات» .

و فى الموقف الـدقيق الـراهن من الضرورى استشـارتنا قبـل أى إجراء قـد يفسر على انه تدخل.

وحتى الآن يبدو أنه لايوجد أى تهديد لحياة أو ممتلكات البريطانيين أو تجاه قواتنا فى منطقة القناة ، وهو ماقد يحدث بسرعة لاتتيح فرصة للتشاور»

* * *

بعد استقالة حسين سرى أمرت وزارة الحربية البريطانية قواتها فى منطقة القناة بإعلان حالة الطوارئ لمدة ٩٦ ساعة

* * *

لم يكن كريزويل يخشى الصدام المسلح بين البلدين ، بل إن القائم بأعمال السفير البريطانى خاف أن تتكرر أحداث حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ضد البريطانيين .

وأثناء حريق القاهرة قتل من البريطانيين تسعة ، وكان الجيش المصرى مع حفظ النظام والأمن وحماية أرواح الأجانب أما فى ٢٣ من يوليو فكان هناك خوف من الفوضى وانضمام الجيش إليها ضد الأجانب وضد الانجليز .

خشى كريزويل أن تتحرك قيادة القوات البريطانية فى فايد أو وزارة الخارجية فتأمر بتدخل الجيش البريطانى فى منطقة القناة أو تقطع الطريق على القوات المصرية القادمة من سيناء فبعث فى الساعة الثامنة من صباح يوم ٢٣ يقول :

« أرجو إخطارى قبل إتخاذ أى اجراء عسكرى تحسبا من الآثار السياسية . أية علامة تشير إلى تحيزنا ، أو تدخلنا بالنسبة لتحرك وحدات الجيش المصرى ، أى تحركها من سيناء ، يمكن أن تنشأ عنها حركة خطيرة ضد البريطانيين فى القاهرة » .

ومعنى ذلك أن كريزويل يخشى أن يتضامن الجيش والشعب ضد القوات البريطانية إذا تدخلت مما يترتب عليه الاعتداء على المدنيين البريطانيين .

ردت وزارة الخارجية بعد أربع ساعات تقريبا فى الساعة ١٢ر٤١ ظهرا بموافقتها على رأى كريزويل .. أى على إخطار كريزويل قبل التدخل .. ان كان هناك تدخل !

وأبرقت وزارة الدفاع إلى قيادة القوات البريطانية فى الشرق الأوسط تقول :

«نتفق مع تقييم القائم بأعمال سفارة جلالة الملكة فى مصر .

ونظرا لدقة الموقف هناك فمن الجوهرى أن نتجنب أى اجراء استفزازى إزاء القوات المسلحة المصرية .

ولايبدو أن هناك فى الوقت الحاضر أى خطر على حياة أو ممتلكات الرعايا البريطانيين فى مصر ، أو خطر يهدد القوات البريطانية فى منطقة القنال .

ولهذا فعليكم ألا تقوموا بأية تحركات خارج منطقة القناة وألا تتخذوا أى إجراء يرمى إلى اغلاق المنطقة .

و إذا رأيتم إعادة توزيع القوات على نطاق رئيسى داخل منطقة القناة فنرجو إبلاغا فورا وعدم القيام بأى تحرك قبل الحصول على موافقتنا » .

وأصدر القائد العام البريطانى للقوات البرية فى الشرق الأوسط أمرا بوقف الطلعات الجوية فوق دلتا نهر النيل .

وناقش السير راب مدير المكتب البريطانى للشرق الأوسط فى مدينة فايد المصرية الموقف ـ بصفة غير رسمية ـ مع القادة العسكريين ثم أبرق إلى لندن يقول إنه « تم وضع القوات البريطانية فى حالة استعداد » .

وقال إن ذلك « تم بهدوء » .

* * *

ويشترك « باروز » من السفارة البريطانية « وسباركس » مستشار السفارة الأمريكية فى وضع تقييم للموقف فى حالة التدخل يبرق به « باروز » إلى لندن .

قال :

« إذا تم تنفيذ « روديو » ـ أى عملية التدخل العسكرى ـ وأدانها الرأى العام فى أمريكا فلن تتمكن حكومة الولايات المتحدة فى عام الانتخابات من إمدادنا بالتأييد المعنوى أو السياسى .

ويعنى هذا انشقاق سياسى كبير بين الحكومتين فى الشرق الأوسط ، مما يؤدى إلى كارثة مشئومة .

ورغم نبوءات أحمد مرتضى المراغى فإن الدليل بسيط على تدخل الشيوعية فى تمرد الجيش .

وأكبر صعوبة ستواجه بريطانيا والولايات المتحدة . إلصاق تهمة الشيوعية بأى نظام متطرف . ولكن يمكن أن يقال هذا النظام ، بالرغم من أنه لايدين للشيوعية بالولاء ، فإنه يخدم أغراض روسيا » .

واقترح « رونى » باروز على وزارة الخارجية البريطانية .

« إبلاغ الأمريكيين بأن التدخل لن يكون إلا لإنقاذ ارواح البريطانيين والأجانب الآخرين ولكن لابد أن تكون للبلدين سياسة مشتركة فى الشرق الأوسط لتجنب مشاكل المياه المضطربة التى يلذ للروس الصيد فيها » .

* * *

كان مصدر القلق الرئيسى للضباط المصريين احتمال تدخل عسكرى بريطانى ولذلك ركزوا على صيانة الأمن .

أوفد فاروق إلى السفير الأمريكى مبعوثا خاصا يقول

ـ لايزال بإمكان صاحب الجلالة الاعتماد على الأسطول المصرى ، وهو موال للملك وقيادته فى الاسكندرية .

وكان هدف فاروق إقناع السفير الأمريكى ، وعن طريقه إقناع الانجليز ، بأن تأييدهم له لن يكون ضد رغبة كل القوات المسلحة مادامت البحرية معه

ولكن الثورة تحركت واتصلت بالانجليز مباشرة لمنعهم من التدخل .

فى الساعة العاشرة صباحا قام البكباشى عبد المنعم أمين «ممثلاً ومندوبا عن لجنة القيادة » . ـ

بزيارة السفارة البريطانية بالقاهرة يحمل رسالة لكريزويل تقول بأن الحركة من الشئون الداخلية المصرية ، وأنها موجهة ، فقط لقمع الفساد وأن حياة وممتلكات الأجانب ستتم المحافظة عليها

وتطلب الرسالة مرة أخرى عدم التدخل وإلا فإن الانجليز سيتحملون وحدهم مسئولية سفك الدماء .

وأبلغ عبد المنعم أمين الرسالة ذاتها للسفارة الأمريكية .

نقلت الرسالة لكريزويل فى الاسكندرية فبعث بها إلى لندن بعد ست دقائق ، أى أنها وصلت إلى لندن حوالى العاشرة صباحا .

وفى العاشرة إلا ثمان دقائق صباحا أبرق كافرى إلى واشنطن يقول :

« من الواضح أن الملك يطلب تدخلا عسكريا بريطانيا لإنقاذ عرشه »

وقال كافرى :

« لقد أبلغت رسالة الملك إلى البريطانيين وأبلغته أنه لامجال فى تفكيرهم .. للتدخل » !

* * *

فى لندن توجه السفير الأمريكى ووالتر جيفورد إلى وزارة الخارجية ليلتقى بوكيلها الدائم السير وليم سترانج .

سأله عن الموقف وتبادلا المعلومات وأطلعه سترانج على برقيات كريزويل . وأضاف :

ـ بعث الضباط برسالة إلى كريزويل فى الاسكندرية تفيد أن هدفهم رفع المظالم التى وقعت على الجيش . وليست لهم دوافع سياسية ولا تعنيهم المنازعات مع الدول الأخرى .

.. أى لن تعنيهم أزمة المفاوضات مع بريطانيا . وقال كريزويل :

ـ حذرنا الضباط من أنهم سيقاومون بالقوة أى تدخل بريطانى .

ويلتقى اللورد كيلرن ـ السفير البريطانى السابق فى مصر الذى كاد يخلع الملك فاروق عن العرش يوم ٤ فبراير عام ١٩٤٢ ـ بروجرالين لينصحه بعدم التدخل.

قال:

ـ نحن لا نستطيع التدخل بشرط عدم المساس بالأرواح والممتلكات البريطانية . ويمكن أن يكون للقوات البريطانية تأثير ، لإيقاف المتطرفين ومنع التدخل الشيوعى المحتمل .

* * *

وضع روجرالين مدير الإدارة الافريقية مذكرة أيد فيها وجهة نظر كريزويل .

قال :

« نحن لانرغب فى القيام بكثير من التحركات الخلفية .

ومن المهم فى هذه المرحلة ، ومع نقص المعلومات ألا يفهم أننا منحازون فى مصر .

وقد يظهر نجيب كديكتاتور . ولاينبغى أن نفسد خططنا معه ،.. مقدما . وان كان من الأفضل تفادى قيام ديكتاتورية عسكرية إن أمكن .

والحل الأفضل للملك ظهوره كملك دستورى يسمح لحكومته بممارسة السلطة والاتفاق معنا .

وسيحدث ذلك فقط إذا ألم به الخوف تماما فى البداية .

وسيتغلب على خوفه فى الوقت المناسب ، ثم تعود صفاته غير المرضية إلى الظهور .

وترى الوزارة ان يلتقى كريزويل بحافظ عفيفى باشا ويبلغه ذلك » .

وكانت وزارة الخارجية البريطانية التى اعتادت مواجهة أزمات وزارية كثيرة فى مصر تظن أن هذه واحدة من الأزمات التى يمكن مواجهتها ولم تفطن إلى ابعادها !

ومن هنا وافق الوكيل المساعد للخارجية البريطانية السير جيمس بوكر على رأى كريزويل فإن الملك كان قد قبل شروط محمد نجيب ووافق على استقالة نجيب الهلالى وتعيين على ماهر رئيسا للوزارة .

وكانت وزارة الخارجية البريطانية ، بإرسالها هذه البرقية إلى كريزويل انتهازية تماما .

إنها تريد ان يفزع فاروق ويصبح ملكا دستوريا ويترك حكومته تتفق مع الانجليز . بعد أن تعذر هذا الاتفاق زمنا طويلا !

وما دام الملك قد اتفق مع محمد نجيب وخضع من اللحظة الأولى فلماذا تتخذ بريطانياموقفا معاديا لمحمد نجيب ؟!

ومن ناحية أخرى فربما ينجح محمد نجيب فى انقلابه ويحكم مصر بطريقة ديكتاتورية ولاداعى لابداء العداء نحوه من اللحظة الأولى .

وهكذا وجدت الحكومة البريطانية أن كل الأمور تجرى لصالحها .

وعبر ايدن عن ذلك ، فى مذكراته . قال :

« بدت مخاطر فى كل سبيل نختاره . لكن اللواء نجيب كان ، على كل حال ، رهاننا أفضل من الملك أو الوفد ، لنقامر عليه » .

مشهد الوداع

أعد الدكتور عبد الرازق السنهورى رئيس مجلس الدولة وسليمان حافظ وكيل المجلس صيغة الوثيقة التى يوقعها فاروق معلنا فيها تنازله عن العرش .

وكان نصها

« أمر ملكى رقم ٦٥ لسنة ١٩٥٢ .

نحن فاروق الأول ملك مصر والسودان .

ولما كنا نتطلب الخير دائما لأمتنا ونبتغى سعادتها ورقيها .

ولما كنا نرغب رغبة أكيدة فى تجنيب البلاد المصاعب التى تواجهها فى هذه الظروف الدقيقة ، ونزولا على إرادة الشعب .

قررنا النزول عن العرش لولى عهدنا الأمير أحمد فؤاد وأصدرنا أمرا بهذا لحضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس الوزراء للعمل بمقتضاه » .

اقترح جمال سالم إضافة عبارة واحدة إلى صيغة الانذار وهى :

« ونزولا على إرادة الشعب » فأيده السنهورى فى ذلك ووافق محمد نجيب .

وكان على ماهر سعيدا بتوجيه الإنـذار إلى فاروق ليراه ذليلا ولكنه لم يستطع أن يحمل وثيقة التنازل إلى فاروق !

لم يستطع الرجل أن يرى فاروق مقهورا ومنهارا ومحطما ، ولذلك كلف المستشار سليمان حافظ وكيل مجلس الدولة ليقوم بالمهمة بدلا منه .

حمل سليمان حافظ مرسوم التنازل الذى كتب على ورقة أشبه بصفحة من كتاب وكأنها الصفحة الأخيرة من كتاب فاروق وكتاب الملكية فى مصر !

لم يعترض فاروق على مرسوم التنازل بل طلب إضافة كلمة « وإرادتنا » بعد عبارة « بناء على إرادة الأمة » .. أى أنه أراد أن يقول للتاريخ بأنه يتنازل عن العرش بإرادة الأمة وإرادته أيضا .

ولكن سليمان حافظ قال له :

ـ أفضل أن توقع عليها جلالتك كما هى .

قال فاروق

ـ أفهم من هذا أنه كانت هناك وثيقة أخرى أشد لهجة .

تخلص سليمان حافظ قائلا .

ـ ليست معى ولم أطلع عليها .

انتابت الملك حالة انفعال شديدة ، ولم يستطع السيطرة على مشاعره .

وقع آخر مرسوم له كملك مصر بتعيين مجلس وصاية على العرش .

أخذت يده ترتعش وجاء توقيعه مهتزا .

اعتذر لسليمان حافظ قائلا :

ـ الموقف عصيب .

وأعاد التوقيع مرة ثانية . ولذلك حملت وثيقة التنازل توقعين · الأول أسفل الوثيقة والثانى فى أعلاها .

بعد خروج سليمان التفت الملك إلى حاشيته وقال لهم مشيرا إليه.

ـ هذا الثعلب هو الذى سيخرب البلد .

وروى عبد الله رفعت قائد الحرس الملكى ، أيضا ، أن الملك قال له ولرجال حاشيته :

ـ وافقت على التنازل رغبة فى إنقاذ الموقف . إن حكم البلد فى ظل الأحزاب القائمة لا يأتى بخير .

وقال :

ـ لم أتمكن من توجيه هذا البلد التوجيه السليم .

وألقى صاحب الجلالة بآخر أكاذيبه .

قال لمن حوله من الحاشية :

ـ لو كنت راغبا فى المحافظة على عرشى لقبلت عرض الأسطول الانجليزى المرابط على مدخل الميناء منذ السادسة صباح اليوم للسماح لهم بالنزول إلى الاسكندرية لحماية البلد . ولكنى أضحى بألف عرش ولا أسمح لكلب انجليزى أن يضع قدمه على أرض مصر ثانية !!

رفضت لجنة القيادة طلب الملك أن يصحبه بعض رجال الحاشية ولذلك أخذ رجال الحرس فى تسليم رجال الحاشية لقوات القصر · انطون بوللى ، وكافاتسى مدرب الكلاب ، وجارو الحلاق ، والقائمقام حلمى حسين السائق الخاص ، ومحمد حسن الشماشرجى.

أرسل فاروق فى طلب ناريمان قائلا

ـ إنى تنازلت عن العرش لفؤاد ... لقد طلبوا أن يكون ولدنا ملكا .

أخذت ناريمان تراقبه محاولة فهم أفكاره من أسارير وجهه . ولكن كل مارأته ابتسامة الظفر ترف حول شفتيه ، رغم توتر قسمات وجهه ، وظهور التعب فى كل حركة من حركاته .

وقال لها بصوت هادى وخافت لم يسمعه أحد ، كما قالت فى مذكراتها :

ـ أظن أنى سبقتهم ... ربحنا حياتنا وسنبتعد قبل أن يدركوا أنهم خسروا فرصة نادرة قدمها لهم الحظ !

قالت :

ـ ومتى نسافر ؟

أجاب :

ـ اليوم بعد الظهر ، أو بالأحرى سأسافر !

وابتسم ثم قال

ـ أما أنت فلست مرغمة على الذاهب معى .

ولكن ناريمان أصرت على الرحيل معه فقد أحست بأنه يريدها معه .

وقالت فى مذكراتها :

« تركت أثوابا جميلة من ملابس البلاط . وأحذية كثيرة وكميات من العطور .

واضطررت أن أترك أشياء أخرى كثيرة : كل أهلى وأصدقائى ، وسيارتى الكاديلاك الخصوصية التى قدمها لى فاروق » .!

وكان فاروق سعيدا أيضا بأن يصحب بناته من زوجته السابقة فريده وهن : فريال وفوزية وفادية .

وقبل ذلك كله كان فاروق مصرا منذ البداية على أن يصحب معه ابنه الطفل .. ملك مصر والسودان !

غادر صاحب الجلالة قصر رأس التين وهو يرتدى زى أمير البحار الأبيض إلى رصيف الميناء حيث ينتظر اليخت المحروسة .

وكان فى وداعه عند رصيف الميناء على ماهر رئيس الوزراء والسفير الأمريكى جيفرسون كافرى وسكرتيره الخاص روبرت سيمبسون و ... بعض رجال الحاشية .

كان حفل الوداع مهيبا . أطلقت المدفعية ٢١ طلقة تحية وداع لملك مصر ، وقدمت لصاحب الجلالة التحية العسكرية كاملة واتخذت كافة الاحتياطات لضمان سلامته .

وصفت ناريمان وداعها ووداع فاروق فقالت :

« جابهت ساعة الوداع بشجاعة . اخترقت أمى ـ السيدة أصيلة صادق ـ صفوف الجنود الذين يحيطون بنا . وودعتنى بجرأة دون أن تبكى فسهّلت الأمر علىّ كثيرا .

وجاءت شقيقتا فاروق : الأميرة فوزية والأميرة فايزة يرافقهما زوجاهما ، فودعتانا متمنيتين لنا سفرا سعيدا .

وقبل موعد الرحيل بنصف ساعة تقريبا استطاع فاروق أن ينال إذنا لوصيفاتى باختراق صفوف الجنود ، ثم أوعز الىّ بالنزول إلى رصيف المرفأ ، فنزلت وتقبلت تحية رسمية ، بينما كان العلم ينحدر أمامى مؤديا التحية الأخيرة .

ثم نزلت إلى الزورق الملكى وانتظرت فاروق .

وتذكرت فى تلك اللحظة أنه يجب علىّ أن أظل مرفوعة الرأس .

جاء فاروق بعد قليل وكان يرتدى ملابس أمير البحار البيضاء كأنه أراد بذلك أن يمجد القوات البحرية التى ظلت موالية له حتى اللحظة الأخيرة .

أخذت انظر إليه وهو يستعرض حرس الشرف ويحيى العلم الذى طوى بعد الاستعراض وقدم لعلى ماهر الذى قدمه لفاروق كتكريم أخير من قبل حرس القصر ، ذلك القصر الذى قاتل دفاعا عنه!

أطلقت المدافع نيرانها ـ ٢١ طلقة ـ تحية وداع لفاروق ـ وكانت هذه هى طلقات المدافع الوحيدة

التى دوت فى ثورة قامت لإسقاط صاحب الجلالة ـ وأخذ الجميع : الضباط والجنود ومئات الرجال الذين يتألف منهم حرس الملك الخاص ومئات من خدم القصر! .. يبكون مرسلين نشيجا عاليا .

وفى الوقت نفسه نفرت الدموع من عينى فاروق بينما كان يسير بين الباكين مربتا على ظهور الذين استطاعوا أن يدنوا منه محاولا تشجيعهم .

أحسست بدموع حارة تحرق اجفانى لأن مشهد فاروق وهو يبكى أحدث فى نفسى أثرا عميقا ، ولأن بناته كن يبكين مع الباكين .

وكان بعض رجال الحرس الملكى والحرس السودانى الخاص قد كونوا طابور شرف اصطف لوداع فاروق وهو أخر حرس شرف له فى حياته ، وفى مماته أيضا .

وبعد عزف السلام الملكى نزل العلم ثم سلم إليه » .

كتبت الأميرة فريال كبرى بناته رسالة إلى أمها سلمتها لأحد رجال الحرس قالت فيها

« أمى العزيزة

مما يكسر قلبى أن اضطر لترك مصر ولا أقبلك قبلة الوداع .

آمل ألا أمر بتجربة أخرى مثل تلك التى مررت بها فى الأيام الماضية وأن أقول وداعا لمن أحببتهم ولأشياء كثيرة أحببتها » .

* * *

قدم فاروق طلبا آخر للسفير الأمريكى .

وكان الرجاء الأخير متفقا مع طباع فاروق وأعماله وتصرفاته خلال سنوات حكمه !

وهذا الطلب عبر عنه السفير فى هذه البرقية . قال :

« طلب منى الملك السابق فاروق قبل رحيله أن اقدم له معروفا خاصا .

قال إنه تسلم من شركة هارى ونستون بالحى السابع الشرقى بالشارع الحادى والخمسين فى نيويورك عقدا من الماس ، وقطعة كبيرة من الزمرد على أساس إعادتهما إلى الشركة إذا لم يحظيا بإعجاب الملك .

وقال إنه ليست لديه وسيلة لإعادتهما وأنه يخشى أن تصادرهما الحكومة .

وسألنى عما إذا كان فى استطاعتى إرسالهما عن طريق الحقيبة الدبلوماسية إلى واشنطن .

قلت له :

ـ « لا » وكررتها . « لا » .

وعندئذ سألنى عما إذا كان يستطيع أن يترك هذه الممتلكات الأمريكية فى خزانتى.

أرجو أن تبلغ الوزارة شركة « ونستون » بأنى اطالبها بإيفاد شخص ما إلى هنا على عجل ليتسلم هذه المجوهرات » .

فقد ترك فاروق المجوهرات وديعة لدى الرجل الوحيد الذى يثق به على تراب مصر !

قال فاروق فيما بعد :

ـ عندما تركت مصر لم يدافع عنى صديق .

وهذا القول صحيح عدا كلمة واحدة وهى انه لم يكن لفاروق يومئذ صديق فى مصر !

* * *

قال فاروق لعلى ماهر وهو يصافحه مودعا لآخر مرة :

ـ الذين أجبرونى على الرحيل مجرمين عتاة . وأنت تعرف ذلك .

وكرر فاروق ما قاله لعلى ماهر فى الصباح بقصر رأس التين . قال

ـ لن تستمر فى السلطة سوى بضعة أيام !

قال القائم بالأعمال البريطانى :

« من المحتمل أن يكـون النشاط الذى قام به السفير الأمـريكى قد ساهـم إلى حد بعيد فى ضمان سلامة الملك ورحيله بطريقة منظمة لائقة » .

* * *

تمسك فاروق ـــ حتى آخر لحظة ـ بأنطـون بوللى وطلب إلى على ماهر أن يحصـل على موافقة الجيش للسماح لبوللى بالسفر معه قائلا :

ـ عرفته وأنا طفل وهو يهمنى .

رفضت القيادة أن يصحبه بوللى أو أى فرد من رجال حاشيته .

احتفظ الملك بهدوئه الظاهرى ولكنه كان فى حالة عصبية عند رحيله . طلب إلى السفير الأمريكى أن ترافقه إحدى السفن البحرية الأمريكية ، أو البريطانية لحمايته وانقاذه ، أو تقابله إحدى السفن ـ الأمريكية أو البريطانية ـ فى مكان ما من البحـر المتوسط إذا فكر رجال الثورة فى اغتياله فى عرض البحر .

رد السفير الأمريكى :

ـ يحتمل ألا توافق الحكومة الأمريكية على ذلك .

أبرق دين اتشيسون على الفور إلى السفير الأمريكى قائلا :

ـ نحن لانفكر فى عملية انقاذ للملك فاروق .

وأبرق السفير البريطانى بذلك إلى وزارة الخارجية التى قررت ضرورة استشارة رئيس الوزراء تشرشل قبل استخدام أية سفينة بريطانية .

ولكن البحـرية البريطانيـة استعدت لالتقاط الملك فـاروق خارج المياه الإقليميـة المصرية ، أى خارج ميناء الاسكندرية ، فقد خشيت أن تعترضـه القوات البحرية المصرية لأى سبب ، أو يطارده سلاح الطيران المصرى .

وأبرقت قيادة البحرية البريطانية إلى الاسكندرية تقول :

« بالرغم مـن أن تطور الموقف الحالى شىء بعيد . ولكنه محتمل ، فإنـه سيتم منح الملك ملجـأ يلوذ بـه إذا وصل إلى السفـن الحربية البريطـانيـة . وقد وجـد أن السفينة الحربيـة «مانكسمان » تستطيع القيام بهذه المهمة . والمطلوب أن تعطى فـرصة أربع ساعات لتصل إلى المكان المناسب لالتقاط فاروق .

أما كلمة السر فهى « هالو » وفى هذه الحالة ستقوم السفينة بتشغيل آلاتها استعدادا للابحار .

وكلمة السر التالية هى « هالوبرازيل ». وفى هذه الحالة ستبحر السفينة بأقصى سرعة. وسيحدد مكان وموعد لقائها بالباخرة « المحروسة» لالتقاط الملك » .

* * *

غادرت مالطة مدمرتان وفرقاطتان وطراد وحاملة دبابات تقل كتيبة من الجنود البريطانيين فى الطريق إلى الاسكندرية .

ومن استانبول تحركت حاملة طائرات ومدمرتان فى الطريق إلى الاسكندرية ايضا .

أى أن ٨ قطع بحرية بريطانية تحركت فى الطريق إلى الاسكندرية دون أن تدخلها فلم يكن للاسطول البريطانى سوى هدف واحد وهو أن تقول للثوار :

ـ تستطيع بريطانيا التدخل !

* * *

قدم السفير الأمريكى صورة أخرى لوداع آخر ملوك مصر . كتب يقول :

« بعد ستة شهور من اليوم الذى أحرقت فيه القاهرة ، وتدخل الجيش لانقاذ الموقف ، انتهى عهد فاروق فجأة بواسطة تدخل عسكرى ولكن من نوع مختلف .

أعد المسرح بعناية للمشهد الأخير فى الدراما .

وقدمت لصاحب الجلالة كل مراسم التكريم وكان رحيله لائقا وجليلا .

وإلى جانب أفراد الأسرة المالكة كنت أنا وسكرتيرى الرجلان الوحيدان الحاضران علاوة على موظفى القصر وضباط الحرس الملكى . وقد تأثر الضباط والخدم وأجهشوا بالبكاء . ولكن الملك وأسرته احتفظوا بهدوئهم التام وتم تقديم التحية العسكرية لهم .

وأكد الملك فى حضور على ماهر رئيس الوزراء ، أنه لايهرب ولكنه أرغم على الخروج .

وكان تعسا للغاية بطبيعة الحال .

وقال إنه شديد القلق إزاء مستقبل هذا البلد .

وقد وقّع مرسوما بتشكيل هيئة وصاية تضم الأمير عبد المنعم وخاله شريف صبرى وعلى ماهر وفى حالة رفض عبد المنعم ــ الذى يوجد فى أوربا الآن ـ يحل محله إسماعيل شيرين زوج شقيقة الملك .

وانتهز رئيس الوزراء هذه المناسبة ليشكرنى على حضورى وقال إن حضورى جعل الأمور تسير بطريقة أسهل » .

ولم يذكر كافرى فى تقريره بعض ما قاله فاروق له ولعلى ماهر ولكنه ذكر ذلك لكريزويل .

قال مرددا ما ذكره لعلى ماهر:

ـ الذين أجبرونى على الرحيل مجرمون عتاة . وعلى على ماهر أن يعرف ذلك لأنه لن يستمر فى السلطة إلا عدة أيام !

قالت صحيفة « البلاغ » الوفدية « أنهى الملك السابق فاروق الأول مأساة ملكه التى دامت ستة عشر عاما وشهرين و ٢٧ يوما واختار مكرها أن ينزل عن العرش»!

* * *

كان فى نية محمد نجيب أن يكون فى وداع صاحب الجلالة عند مغادرته قصر رأس التين لكن ازدحام الناس حوله عطل مسيرته ، كما أن السائق ضل الطريق وتوجه إلى ميناء خفر السواحل بدلا من الميناء الملكى .

ولما عاد إلى الميناء الصحيح ، كان الملك قد صعد إلى المحروسة قبل أربع دقائق أى فى السادسة تماما حسب الإنذار فقد قال فاروق :

ـ انتظرته بما فيه الكفاية !

... يقصد محمد نجيب .

وجد محمد نجيب ، على ماهر ، وكافرى ، واسماعيل شيرين أخر وزير للحربية قبل الحركة وبعض ضباط الحرس وقد بدا عليهم الصمت والوجوم .

سأله على ماهر :

ـ ماذا ستفعل بعد أن وصلت متأخرا ؟

قال محمد نجيب :

ـ سأذهب إلى وداعه على ظهر المحروسة كما وعدت .

وأخذ لنشا حربيا ، دار دورة كاملة كما تقضى التقاليد البحرية ..

حذره زملاؤه الضباط من الصعود إلى المحروسة ، إذ ربما اطلق عليه الرصاص أحد أتباع الملك.

قال محمد نجيب .

ـ قل لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا !

كانت المحروسة فى عرض البحر وأثناء مرور اللنش حولها رأى الملك واقفا على سطحها ينظر إليهم ، فحياه محمد نجيب التحية العسكرية وكذلك مرافقوه من الضباط .

لم يرد صاحب الجلالة التحية .. وفسر محمد نجيب ذلك بأن الملك لم ينتبه إليهم .. أو عاكسه ضوء الشمس عند الغروب .

صعد محمد نجيب إلى المحروسة يتبعه حسين الشافعى وجمال سالم ـ عضوا لجنة القيادة ـ والعقيد أحمد شوقى قائد لواء القاهرة واسماعيل فريد الذى أصبح بعد ذلك سكرتيرا خاصا لمحمد نجيب .. وكان الملك ينتظرهم .

وجد فى نظراتهم كراهية وعداء .

أدى محمد نجيب التحية لفاروق فرد عليها ..

مضت فترة سكون .. سكون ثقيل ، كأنه جبل .. كما يقول محمد نجيب ، فمن الصعب إنسانيا أن تودع ملكا كان يملك الكل ويحكم كل شىء قبل أيام قليلة ، وكان من الممكن أن يعتقل نجيب أو يقتله . لقد هزم فاروق فى المباراة التى بدأت بينهما فى نادى الضباط .

وكانت المباراة قاسية جدا وكان ثمنها غاليا .. إنهيار السلطة .. والنفى بعيدا عن الوطن .

وكانت مشاعر الجميع فى هذه اللحظة متناقضة .

مر الصمت الذى كان يسيطر عليهم ويحكمهم ويجعل الكلمات عاجزة عن الحركة على الشفاه وأخيرا تكلم محمد نجيب . قال

ـ أفندم . أنت تعرف أننى كنت الضابط الوحيد الذى قدم استقالته فى عام ١٩٤٢ .

قال :

ـ نعم أذكر .

قال محمد نجيب :

ـ كنت خجولا للمعاملة التى لقيها الملك فى ذلك الوقت

قال فاروق :

ـ أعلم .

قال محمد نجيب :

ـ كنا مخلصين للعرش فى عام ١٩٤٢ ولكن أشياء كثيرة تغيرت منذ ذلك الوقت .

قال :

ـ أعرف ان أشياء كثيرة تغيرت .

بدأ محمد نجيب يسترد شجاعته ويتمالك أعصابه من الموقف الصعب قال :

ـ أنت تعرف يافندم أنك السبب فيما فعلناه .

وجاءت اجابة فاروق محيرة جدا ، وشغلت نجيب طيلة حياته .

ـ أنتم سبقتمونى بما فعلتموه ، وكنت أريد أن أفعله .

دهش نجيب لهذا الرد ، ولم يجد شيئا يقوله .

قدم لصاحب الجلالة التحية ، كما فعل الآخرون ، وتصافح الجميع .

قال فاروق :

ـ أرجو ان تعنى بالجيش فهو جيش آبائى واجدادى .

قال محمد نجيب :

ـ أعرف أن الكولونيل سليمان الفرنساوى هو الذى أسسه .. والجيش الآن فى يد أمينة .

ولاحظ فاروق أن جمال سالم يحمل عصاه وهو يقف أمامه فتوقف عن الحديث وأشار إليه قائلا :

ـ إرم عصاك .

حاول جمال سالم أن يعترض لكن محمد نجيب منعه من ذلك ، فألقى عصاه ووقف بصورة تنم عن اللامبالاة .

وعاد الملك للحديث مع نجيب فقال :

ـ مهمتك صعبة جدا ، فليس من السهل حكم مصر .

وكانت هذه آخر كلمات فاروق .

انتهى الوداع فى احترام ووقار ، وقال فاروق :

ـ الآن يجب أن أمشى .

ومضى إلى داخل المحروسة دون أن يرجع .

وقد وجه نقد للثورة لأنها سمحت لفاروق وأسرته بالخروج من مصر ومعه ثروته .

ولكن الثورة كانت بيضاء تماما .

فى كتابه « فاروق ملك مصر » قال بارى سانت كلير ماك برايد « ظل فاروق حتى اللحظة الأخيرة يعتقد أنه يستطيع إخماد التمرد والاحتفاظ بعرشه وهذا دليل آخر على أنه لايحسن الحكم على الرجال ، وتردده فى إصدار القرار .

وفى يوليه ١٩٥٢ لم يكن هناك رجل واحد فى مصر مستعد لمساعدة فاروق . ولم يكن هناك وطنى واحد مستعد للتضحية برأيه ، أو إرادته ، أو حياته ، لإنقاذ صاحب الجلالة » .

روى فاروق ما جرى بينه وبين محمد نجيب بطريقة اخرى .

قال إن محمد نجيب فى اللحظات القليلة التى انفرد خلالها به قبل أن يلحق به الضباط الآخرون قال له .

ـ سيدى . أنا لست مسئولا . لقد رغبنا ان نحقق أشياء طيبة من هذا الانقلاب ، ولكن الأمور خرجت من أيدينا . وكانت النتائج أبعد مما توقعنا . وهناك متطرفون متعصبون . أتوسل إليك ألا تعتبرنى مسئولا .

وقال فاروق :

ـ هذه كلمات رجل دفع بقوة من آخرين كانوا خلفه .

وأضاف فاروق :

ـ انحنى نجيب ليقبل يدى قبل ان ينصرف !

* * *

ذهبت مع زميلى الصحفى عبد المنعم السويفى والمصور خميس عبد اللطيف إلى المنياء لنرى مشهد وداع صاحب الجلالة فاستأجرنا زورقا صغيرا وحاولنا الاتجاه إلى اليخت الملكى .

فوجئنا بالنيران تطلق فوق رءوسنا وأحد الزوارق السريعة للبحرية الملكية المصرية يسرع نحونا ويطالبنا أن نرفع أيدينا فوق الرءوس ونتقدم إلى الزورق الحربى .

قادونا نحن الثلاثة تحت الحراسة إلى مدمرة للسلاح البحرى لنجد هناك البكباشى ـ المقدم ـ أنور السادات وهو يراقب بمنظار مكبر خروج فاروق ومحمد نجيب يودعه .

واستطعنا أن نرقب المشهد التاريخى .

ولم نكن نعرف أن بعض رجال الجيش فكروا فى الخروج لقتل فاروق وأن البحرية ظنت أننا منهم وأننا سنحاول اغتياله ، ولذلك اتخذ الجيش كافة الاحتياطات لضمان سلامة الملك .

وعندما انتهى الوداع سألت أنور السادات .

ـ اعتقد أن الثورة انتهت .

قال أنور السادات وقد بدا الجد فى وجهه :

— لا لقد بدأت الآن !

.. فقد ظننت فى شبابى ، مثل كثيرين غيرى ، أن الثورة ، تنتهى بعزل فاروق .

* * *

أطلقت المدفعية الساحلية المصرية ٢١ طلقة تحية لفاروق وهو يغادر مرسى القصر .

ثم أطلقت ٢١ طلقة أخرى والمحروسة تتحرك .

ورفعت السفن الحربية المصرية أعلامها تحية لفاروق .

وفى الساعة السابعة وخمس دقائق كان اليخت المحروسة يقوده اللواء جلال علوية يعبر ميناء الاسكندرية إلى البحر المتوسط .

* * *

أذاع محمد نجيب بصوته بيانا على الشعب بعد نصف ساعة من رحيل الملك عن طريق الإذاعة ، فإن التليفزيون لم يدخل مصر إلا بعد الثورة بثمان سنوات .

قال محمد نجيب :

« بنى وطنى .. اتماما للعمل الذى قام به جيشكم الباسل فى سبيل قضيتكم قمت فى الساعة التاسعة من صباح يوم السبت ٢٦ يوليو ١٩٥٢ الموافق ٤ من ذى القعدة ١٣٧١هـ . بمقابلة حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء . وسلمته عريضة موجهة إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول ، تحمل مطلبين على لسان الشعب .

الأول ان يتنازل جلالته عن العرش لسمو ولى عهده قبل ظهر اليوم .

الثانى : ان يغادر جلالته البلاد قبل الساعة السادسة مساء .

وقد تفضل جلالته فوافق على المطلبين وتم التنفيذ فى المواعيد المحددة دون حدوث مايعكر الصفو . وان نجاحنا إلى الآن فى قضية البلاد يعود إلى تضافركم معنا بقلوبكم وتنفيذكم لتعليماتنا وإخلادكم إلى الهدوء والسكينة .

وإنى أعلم أن الفرح قد يفيض من صدوركم لهذا النبأ ، غير أننى أتوسل إليكم أن تستمروا فى التزام الهدوء حتى نستطيع مواصلة السير بقضيتكم فى أمان .

ولى كبير الأمل فى أنكم ستلبون ندائى فى سبيل الوطن ، وفقنا الله لما فيه خيركم ورفاهيتكم والسلام » .

وإذاع محمد نجيب بعد ذلك بيانا أعلن فيه تنازله عن رتبة الفريق التى منح اياها فى أول أيام الثورة وقبلها محمد نجيب يومئذ حتى لايثير شكوك صاحب الجلالة .. مكتفيا برتبة اللواء التى يشغلها منذ عام ١٩٥٠ .

فى اليوم التالى أقيم استعراض لقوات الجيش فى شوارع الاسكندرية فالتحم به الناس يهتفون «عاش نجيب منقذ مصر» .

* * *

على ظهر المحروسة قال فاروق لناريمان .

ـ قررت الذهاب إلى نابولى حيث أقام جدى حين كان منفيا .

وجلس فى القاعة الكبرى وأشعل سيجارا ، واخذ يمزح ويبذل جهودا كبيرة لتسلية الأسرة كما كان يفعل فى الاستقبالات الكبيرة حين كان يرى المدعوين مرتبكين أمامه من شدة الخجل .

وجاء أحد البحارة ليفاجئ الجميع قائلا :

ـ نظرا للسرعة التى سافرنا بها نسينا أن نأخذ المواد الغذائية اللازمة . وكل ماالدينا هو قليل من الجبن والزيت والخبز « البائت » والثمار الجافة .

استقبل فاروق النبأ برحابة صدر كما تقول ناريمان وصاح قائلا :

ـ ما الذى سنعمله ..؟ نأكل كل مالدينا فى وليمة كبيرة ثم ننتظر حتى نصل إلى نابولى لنشبع مكرونه . أم نوفر فلا نأكل إلا قليلا كل صباح وكل مساء ؟

رأت الأميرات فى ذلك موضوعا للتسلية .

وفى النهاية قرر المنفيون بالإجماع أن يتناولوا كل مساء قليلا من الخبز «المحمص » مع قليل من الجبن .

ورغم قلة الطعام لم تكن حالة الجميع بائسة على ظهر المحروسة !

قالت ناريمان فى مذكراتها وهى تعزى نفسها :

ـ كانت الأزمة الغذائية خيرا فى بدء حياة المنفى !

* * *

بعد يومين من رحيل فاروق سرت إشاعة بأنه سيتوجه إلى الولايات المتحدة .

قدمت إدارة الشرق الأدنى بوزارة الخارجية الأمريكية مذكرة إلى دين اتشيسون وزير الخارجية طلبت الحصول على رأى الحكومة الجديدة فى مصر قبل السماح للملك بزيارة الولايات المتحدة .

قالت المذكرة :

« ١ ـ فاروق شخصية مكروهة فى مصر بوجه عام ، وتقديم ملجأ أمريكى له سيؤدى إلى انطباع فى مصر بأن حكومة الولايات المتحدة تؤيده ، هو وقضيته .

٢ ـ إذا سالت الولايات المتحدة حكومة نجيب فسيقوى ذلك وضع الولايات المتحدة عندها خاصة إذا تم ذلك على أساس أن الملك الصغير ـ فؤاد ـ سيشب على التقاليد الأمريكية ، ويعيش فى ظل الديمقراطية الأمريكية مما يساعد فى المستقبل ، على رفاهية الشعب المصرى »».

وافق دين أتشيسون وبعث إلى كافرى يسأله :

« هل سيعترض نظام الحكم الجديد فى مصر على السماح له بزيارة الولايات المتحدة ؟

وهل سيفسد حضوره إلى هنا علاقتنا مع النظام الجديد بأية حال ؟

الموقف الحالى لوزارة الخارجية الأمريكية هو أنه مالم تكن هناك أسباب قوية للأعتراض

فإننا لايجب أن نرفض منح فاروق تأشيرة كزائر مؤقت » .

ففى تلك الأيام كانت الولايات المتحدة مستعدة لاستقبال الملوك السابقين .. ولم تكن هناك رهائن كما حدث فى إيران تمنع الولايات المتحدة من استقبال فاروق كما حدث مع صهره السابق شاه إيران بعد ثلاثين عاما تقريبا .

ولكن فاروق لم يتجه إلى الولايات المتحدة وفضل البقاء فى إيطاليا .. حتى توفى بها .

... وكان ملك إيطاليا عمانويل قد مات منفيا فى مصر !

* * *

اصطحب محمد نجيب معه بوللى دون غيره من رجال الحاشية ، فى الطائرة عائدين إلى القاهرة ليحدثه وأعضاء مجلس القيادة عن فضائح فاروق ومباذله ، وما أخذه معه من مال .

فى الطائرة أسرع بوللى بخيانة صاحب الجلالة وأبلغ مجلس القيادة أن الملك حمل معه كمية من سبائك الذهب وسيأخذها معه إلى إيطاليا .

وعلى الفور فكر مجلس القيادة فى إرغام الملك على العودة إلى مصر .

رأى الجيش أنه ينبغى استعادة هذا الذهب وطلب أن تقوم القوات الجوية المصرية باعتراض المحروسة فى عرض البحر وإجبارها على العودة بكل ما ومن على ظهرها بما فيها الملك نفسه .

وخشى كثيرون نتائج عودة فاروق إلى مصر فقد يحاكم ويعدم وتخرج الثورة البيضاء عن مخططها السلمى .

روى على ماهر هذه القصة لكريزويل فقال له القائم بالأعمال البريطانى .

ـ الإقدام على إجراء من هذا النوع يعد تصرفا أحمق ومخزيا للغاية وسيؤدى إلى خلق انطباع سيىء عن مصر فى العالم .

وأضاف :

ـ هذا شىء قاتل ويجب السماح للملك وأسرته الرحيل فى أمان وتستطيع الحكومة المصرية ضمان عودة اليخت والذهب من خلال الاتصال الدبلوماسى بالحكومة الإيطالية .

وافق على ماهر قائلا .

ـ آخر شىء أريده عودة المحروسة وعلى متنها فاروق !

ونصح كافرى الجيش بالإبراق إلى قائد اليخت المحروسة ، عن طريق اللاسلكى ، بمنع الملك من أخذ السبائك إلى الشاطئ مادام جميع الأفراد المرافقين للملك متحالفين معكم .

وتخلص مجلس القيادة من المأزق فأبلغ الصحف بأنه لاصحة لقصة بوللى بأن الملك حمل ذهبا معه !

وادعت السلطات العسكرية أن ذلك لم يكن ممكنا لأن مندوبيها فحصوا جميع الأمتعة الملكية !

وبذلك استطاعت العدول عن فكرة أرغام الملك على العودة .

* * *

وكان فاروق قد تعهد بإعادة اليخت الملكى « المحروسة » إلى مصر بمجرد وصوله إلى شاطئ .

ولكن الجيش كان يشك فى نوايا الملك ، ويعتقد أنه سيسعى إلى التمسك باليخت فأبلغ السفير المصرى فى روما بضرورة عودة « المحروسة » فورا رغم ما قيل من أنها فى حاجة إلى الاصلاح فى حوض السفن بإيطاليا .

وقال الصاغ عبد المنعم النجار المتحدث باسم اللواء محمد نجيب لمساعدى الملحقين العسكريين والجويين للولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا بعد ساعة من رحيل فاروق :

* الاشتباك بين وحدات الجيش المصرى وأفراد الحرس الخاص الملكى عند قصر رأس التين فى الصباح كان عملية مخططة من الجانبين .. وقد تم اصطناع هذا الاشتباك ليتخذ موقف الحرس الخاص الملكى شكل المقاومة العسكرية !

ولم تقع خسائر فى الأرواح ، وتم استهلاك مائة طلقة ذخيرة فقط من الأسلحة الصغيرة فى هذه العملية !

* الغرض الوحيد من وراء محاصرة واحتلال قصر عابدين فى القاهرة منع الشعب من نهب القصر .

* الطاقم والحرس الخاص اللذان يرافقان الملك على اليخت « المحروسة » متحالفان مع قوات الانقلاب ، ومهمتهم ضمان السلامة الشخصية للملك فاروق حتى يصل إلى إيطاليا على الأقل .

وألمح الصاغ النجار إلى أن القوات المسلحة المصرية سوف تتولى مسئولية المحافظة على السلامة الشخصية للملك فاروق لأجل غير مسمى « لأنه مصرى » !

* لا يجوز للعسكريين أن يكونوا أعضاء فى مجلس الوصاية . ولا يعتقد أن رجلا من العسكريين سيصبح عضوا فى مجلس الوصاية .

سئل الرائد النجار :

ـ هل سيظل العسكريون يعملون فى الساحة السياسية ؟

قال :

ـ لا ، ومع ذلك سنظل نشرف على الموقف فى الوقت الراهن . إننا مصممون على ضمان وجود ملكية دستورية فى مصر . والجيش يعتبر نفسه حامى الدستور .

* * *

قال ضابط مصرى لروبرت سيمبسون سكرتير السفير الأمريكى وهو يعاونه على الخروج من القصر ظهر ٢٦ يوليه :

ـ مصر كلها توافق على ما يحدث اليوم .

وقال إن نظام القصر مع اندراوس والآخرين يعتبر فضيحة .

وقال إن سراج الدين وأعضاء الوفد كانوا مفسدين مثل أى شخص وكان جمع الأموال يتم بطريقة غير مشروعة بينما يتضور الناس جوعا . وستوضع الأمور فى نصابها الصحيح .

وقال الضابط :

ـ سيتم الحفاظ على القانون والنظام .

أبلغ سيمبسون نص الحديث للسفير الأمريكي وكريزويل فأبرقا إلى لندن وواشنطن يقولان :

« الهدوء يسود الاسكندرية . وعندما يعرف نبأ اعتزال الملك فيحتمل حدوث انفجارات خطيرة . وتوضع قوات من الجيشين خارج مبنى السفارتين »

ولكن الهدوء شمل مصر كلها . وقالت السفارة البريطانية «ازدحمت شوارع الاسكندرية بجمهور الشعب وهو في حالة ابتهاج شديد » .

وتقدم برقية السفير الأمريكي جيفرسون كافرى - رقم ٢٠٩ بتاريخ ٢٩ يوليه - الصورة كاملة .

قالت البرقية :

« تلقى الشعب المصرى نبأ تنازل الملك عن عرشه بارتياح وحماس .

وبغض النظر عن المعركة الزائفة التى وقعت في القصر فإن يدا واحدة لم ترتفع في صالح الملك .

وقد جلب الملك فاروق ذلك على نفسه ، وأصبح يدرك - بشكل جزئى وبعد سنوات عديدة- أنه كان محاطا ببطانة من المنافقين .

إن الملك السابق فاروق بكل اخطائه - وكانت عديدة ومتنوعة - كانت له من وجهة نظرى صفة طيبة واحدة ، وهى ميله إلى الأخذ بمشورتى عندما كانت تتاح لى الفرصة لتقديم المشورة إليه ، إلى حد أنى كنت أجد نفسى محاصرا دائما بزعماء المجموعات السياسية الذين أرادوا منى دعم مرشحيهم لدى جلالته !

إنه شاب غريب ، ذكى جدا ، ولكنه أصبح ملكا ، وهو أصغر سنا مما ينبغى .

وإذا نحينا جانبا السفير البريطانى السابق السير مايلز لامبسون - اللورد كيلرن - لم يحدث أن قال أحد « لا » للملك فاروق .. وحتى الأسابيع الأخيرة !

وعندما واجهته هذه الأحداث كان في حالة ذهول واضطراب وارتباك .

وكان يتلهف بطريقة - تثير الشفقة - في الاعتماد على شخصى .

وعندما لجأ الىّ كان الوقت قد فات .

إن رحيل الملك علامة على نهاية عصر بطريقة نادرة .

وأثارت أنباء رحيله شعورا بالخلاص والارتياح يكاد يكون إجماعيا .

وقد استسلمت الصحافة في الأيام التى أعقبت تنازله عن العرش مباشرة لعربدة تشويه سمعته .

وبنفس الشراهة التى تتملك رجلا يتضور جوعا عند اطلاقه لمحل فطائر وحلويات . وقام رؤساء تحرير الصحف وكتّاب الأعمدة الصحفية بإعداد أطباق شهية لذيذة المذاق ، بطريقة جذابة عن ماضى الملك السابق الذى لم يكن نقيا تماما بأى حال .

ونظر المفكرون إلى كل هذا العرض بنوع من الاشمئزاز .

وعلى حد تعبير شـاب مصرى فإن العمليـة برمتها ـ التنازل عـن العرش ومـا أعقبه ـ فضيحة للبلاد .

أنها أشبه بطلاق زوجة ظلت غير مخلصة لوقت طويل .

ومع ذلك فإن الاستغراق فى الماضى قد نحى جانبا وأفسح الطريق بسرعة للاستغراق فى الأحداث الآتية المتطورة .. ولبعض القلق ازاء ما قد ينطوى عليه المستقبل .

وتـركـزت جميـع الأنظـار على المشهد المعـروض الآن لمصر القـرن العشريـن . وتـولى العسكريون السيطرة السياسية رغم أنها غير مباشرة إلى حد بعيد جد .

وهؤلاء الـذين لايتجاسرون على التعلـق كثيرا بالأمل يتفقـون بوجه عـام على أن الأمور لايمكن ـ على الأقل ـ أن تكون أسوأ مما كانت عليه من قبل » .

* * *

وعلق مايكل كريزويل ، القائم بأعمال السفير البريطانى ، فقال ، فى برقية لحكومته :

« لم تكن تبـدو على أحد عـلامات التـأثر والأثـارة ، بل إن تعبيرات الـرضا تـرددت من أشخـاص فى كافة المهن ، لأن الملك استنفد ، بالكامل ، الرصيد الشعبى الذى بدأ به حكمه قبل ١٦ سنة » .

وقال :

« اجتمع جمهـور غفير أمام قصر رأس التين ، ولكـن « كوردونـا » عسكريـا منعه مـن الاقتراب من المرسى الذى استقل منه الملك « المحروسة » .

وكان يسيطر على الجمهور شعور اللامبالاة النسبية .

ولم تصدر كلمة تعاطف واحدة مع الملك لا فى القاهرة أو الاسكندرية .

وقد زال التوتـر إلى حد ما ولكن لا الشعـب ولا المتمردين استطاعـوا أن يطمئنوا أنفسهم تماما بأن الأمر قد انتهى .

لقد اتخم النـاس مـن الأثارة السياسية . وانسحب الملـك السابق من مشهـد فشله وسط قليل من الاهتمام من الجمهور »

نهاية الفرعون الأخير

شهد عام ١٩٥٢ أحداثا ضخمة ...

وفاة الملك جورج السادس وتولى ابنته الملكة اليزابيث الحكم فى بريطانيا .

إعلان تشرشل رئيس وزراء بريطانيا أن بلاده أنتجت قنبلة نووية وقيام الولايات المتحدة باجراء تجارب على القنبلة الهيدروجينية فى المحيط الباسيفيكى .

واستقال الجنرال دوايت إيزنهاور من منصب قائد القوات الأوربية ليرشح نفسه ويفوز فى انتخابات الرئاسة فى الولايات المتحدة .

وتولى الملك حسين عرش المملكة الأردنية .

وهرب ١٦ ألفا فى شهر واحد من برلين الشرقية إلى برلين الغربية .

وزار الزعيم الصينى شوين لاى موسكو .

وأعلنت حالة الطوارئ فى كينيا بعد العمليات التى قامت بها جماعة « ماو ماو » ضد بريطانيا .

ووقعت اسرائيل وألمانيا الغربية اتفاقا للتعويضات . وتطورت الحرب الكورية فاشتدت الغارات الأمريكية على كوريا الشمالية . وتبنت الأمم المتحدة اقتراحات الهند لوقف إطلاق النار، ولكن الصين رفضتها .

ورغم كل هذه الأمور الجسام فإن حريق القاهرة وثورة يوليه واعتزال الملك فاروق العرش غطت على كل شيء واعتبر العالم أن ماجرى فى مصر يمثل أهم أحداث العام !

* * *

رحبت الصحف البريطانية بالثورة فقالت صحيفة « نيوستيتسمان » البريطانية :

« لأول مرة منذ عام ١٩٤٥ تبتسم العناية لبريطانيا فى الشرق الأوسط فبعد ٧ سنوات تآمرت النصيحة السيئة ، مع سوء الحظ ، لتدمير موقعنا فى مصر ، فجاءت الفرصة لبداية جديدة لعلاقاتنا مع العالم العربى .

إن اللواء نجيب ربما يثبت أنه هدية السماء التى يحلم بها وزراء الخارجية ولايجدونها » .

وقالت صحيفة التايمس « إرغام الملك فاروق على اعتزال العرش كان مفاجأة للندن.. ولكنها نتيجة منطقية للانقلاب .

إن الحملة ضد الفساد فى المناصب العليا وصلت إلى القصر بإبعاد بعض المقربين للملك فكان متوقعا أن يستمر زحف هذه الحملة إلى أعلى ولابد أن يتأثر موقع الملك .

وكان مستحيلا بقاء سلطتين متوازيتين إذا استمر الملك .

وكان يمكن للملك الاحتفاظ بعرشه ولكن بالحد من سلطاته تماما .

لقد انحنى فاروق أمام ارادة اللواء نجيب فاستجاب لكل مطالب الجيش ، مما يعنى عدم عزل الملك عن العرش .

والتفسير الممكن هو أن الجيش غير خطته . بعدما أصبح مطمئنا على شعبية الحركة فى البلاد وأصبح على يقين من عدم تدخل القوات البريطانية ».

* * *

بينما كانت المحروسة تشق طريقها فى البحر المتوسط إلى إيطاليا ، اتجه القائم بالأعمال الإيطالى فى مصر ـ والإيطاليون يمثلون ثانى أكبر جالية أجنبية فى مصر ـ إلى جيفرسون كافرى ليقول له :

ـ تنفست الجالية الإيطالية الصعداء فى ارتياح تام بانقضاء هذا اليوم دون إراقة دماء ونحن ننظر الآن إلى المستقبل بقدر أكبر من الأمل .

قال كافرى :

ـ إن الأقليات الأجنبية خشيت أن يجرى اغتيال الملك ثم تغتال أسرته وكذلك رجال القصر بحيث يؤدى ذلك حتما إلى انفجار أعمال الشغب التى يقوم بها الرعاع وعمليات النهب والقتل ضد الأجانب .

* * *

ماذا عن رد فعل عزل فاروق فى السودان ، الذى أصر فاروق ، فى شهور حكمه الأخيرة ، على أن يكون ملكا عليه أيضا ، وعندما تنازل عن العرش لابنه أحمد فؤاد الثانى سماه ملك مصر والسودان.

قالت وزارة الكومنولث فى لندن :

« استقبل تنازل الملك فاروق بهدوء وببعض الرضا فى السودان .

وهناك تعاطف لايستهان به مع نجيب ، لأنه ولد فى السودان ولعلاقاته الأسرية بذلك البلد من ناحية ولافتقار الملك فاروق عموما ، إلى الشعبية فى السودان ، من ناحية أخرى » .

* * *

وكان صدى عزل فاروق فى إيران أقوى منه فى أى بلد آخر للظروف التى أحاطت بتأميم مصدق للبترول الإيرانى .

استغلت بعض الصحف الإيرانية الفرصة للغمز واللمز ضد شاه إيران وتهديده بالمصير نفسه.

قالت صحيفة « بختار ايمروز » الناطقة باسم الجبهة الوطنية :

« تنازل الملك فاروق عن العرش أثبت أن اية قوى أجنبية ، أو محلية ، لاتستطيع أن تقاوم ، بنجاح إرادة الشعب .

ولو حدثت مقاومة لإرادة الشعب فى إيران كما حدث فى مصر .. فإن ما وقع هناك كان يمكن أن يقع هنا » .

وقالت الصحيفة فى مقال كتبه النائب حسين مكى :

« لم يدرك البلاط الملكى فى مصر عمق وحجم الحركة الوطنية .. وكما برهن التاريخ.. فإنه عندما تتدخل سيدات البلاد فى الشئون السياسية فإنهن يجلبن الخراب للعرش».

أما صحيفة « داد » (الآن) الموالية لمصدق فقالت :

«تم التنازل عن العرش بمعاونة الأمريكيين . وكان فاروق يتمتع بمساندة البريطانيين ولذلك قام الأمريكيون بعزله » .

وقال السفير الأمريكى لوى هندرسون

« الدوائر الحكومية فى إيران تستبعد وقوع انقلاب عسكرى هنا ، رغم أن الصحف اليسارية تزعم أن الأسرة المالكة الإيرانية تمارس نشاطا محموما بهدف الحصول على يمين الولاء للشاه من كبار ضباط الجيش » !

لقد خاف الامبراطور أن يقوم الجيش بانقلاب ضده عام ٥٢ ولكن قام الانقلاب بعد ذلك بسنوات بفضل رجال الدين وتخلى الجيش عن تأييد الامبراطور !

* * *

وفى تركيا ، بلد فاروق وجده محمد على الكبير ، كان الأتراك أصدق حكما .

أدركوا ، على الفور ، أن الموقف متقلب .

من انقره بعث السفير الأمريكى ماك جى إلى واشنطن بتقرير قال فيه :

« الموقف فى حالة تغير سريع متقلب وليس فى الإمكان إصدار حكم قاطع والأتراك يعتقدون أنه لايمكن اعتبار هيئة الوصاية نهاية للتطورات فهناك احتمال لإلغاء هذه الهيئة .

والأتراك ينظرون إلى الوضع على أنه « مشوش ومزعج » ولايعتبرون على ماهر سيدا للموقف .

وهناك أسباب عديدة تحمل على الاعتقاد بأن بعض أعضاء المجموعة التى قامت بالانقلاب تتخذ موقفا ضد نجيب .

ولذلك فإنه قد لايكون الرجل الأول حقا .

والسفير التركى ، فى القاهرة ، يعتبرهم مجموعة مناهضة للبريطانيين وضد «الامبريالية » ويؤمنون بنوع ما من الاشتراكية .

ورغم أنه لا يعتقد أنهم شيوعيون فمن المحتمل أن يكون الشيوعيون قد حاولوا التسلل إلى منظمتهم » .

وكان ماك جى هو الذى رأس مؤتمر الدبلوماسيين الأمريكيين فى استانبول قبل ٣ سنوات وهو المؤتمر الذى قرر مساندة فاروق رغم فساد حكمه !

* * *

وظهر رد الفعل الحقيقى لاسرائيل فى واشنطن !!!

اجتمع السفير الاسرائيلى أبا ايبان ، الذى أصبح فيما بعد وزيرا للخارجية مع باركر هارت مدير قسم الشرق الأدنى بوزارة الخارجية الأمريكية .

قال أبا ايبان :

ـ رحيل فاروق لا يمثل عاملا مزعجا من وجهة النظر الاسرائيلية فقد تبنى موقفا متشددا تجاه اسرائيل .

واستدرك أبا ايبان قائلا

ـ ولكن المزعج حقــا الإشارة المستمرة إلى اللواء محمد نجيب على أنــه « بطل فى حرب فلسطين » والحديث حول فساد الأسلحة فى هذه الحرب باعتبارها السبب فى هزيمة مصر .

وأضـاف .

ـ الحكومة الاسرائيلية قلقة من احتمال أن تؤدى الإشارات المستمرة إلى « حرب فى فلسطين » إلى إحياء الأيديولوجية العدوانية بين الضباط المصريين .

والحكومة الاسرائيلية قلقة كذلك من نمو الديكتاتوريات العسكرية فى الدول المحيطة بإسرائيل . ومع سقوط الفكر المدنى فإن الفكر العسكرى سيقود .

وطلب أبــا ايبان من الحكومــة الأمريكية أن تــوضح للواء محمــد نجيب بأن الولايــات المتحدة تفضل سلاما مصريا ـ إسرائيليا لمصلحة مصر والاستقرار فى الشرق الأوسط .

وقال :

ـ يتمتــع السفير كافرى بمـركز يجعله فى وضــع ممتاز لتوجيــه النصــح للنظام الجديـد بشأن السلام مع اسرائيل .

وقال

ـ لاتقبل إسرائيل أن تكـو ن للمشكلة الانجليزية ـ المصرية الأولوية على مســألة تحقيق السلام والصلح بين مصر واسرائيل .

* * *

بقى موقف الاتحاد السوفييتى .

والعلاقات المصرية السوفييتية كان هدفها إزالــة النفوذ البريطانى من مصر ، ولكن مصر كانت مرتبطة ببريطانيا سياسيا واقتصاديا وثقافيا فقد تعلمت الطبقة الحاكمة فى أوربا والجيش المصرى مجهز بسلاح بريطانى .

تبادلت مصر العلاقــات الدبلوماسية مع الاتحاد الســوفييتى فى أغسطس ١٩٤٣ أثناء الحرب العالمية الثانية . وبعد ٤ سنوات فى يناير ١٩٤٧ عقدت مصر اتفاقا تجاريا مع تشيكوسلوفاكيا .

وفى فبراير ١٩٤٩ عقدت مصر اتفاقا تجاريا واتفاقا للدفع مع المجر وثالثا مع بولندا فى يونيه .

ولكن السوفييــت أيدوا دخول إسرائيل الأمم المتحدة فى مــايو ١٩٤٩ . وفى سبتمبر ٤٩ أعلن أن السوفييت أصبحوا يمتلكون القنبلة النووية .

وفى ديسمبر ١٩٤٩ وافق السوفييت على تدويل القدس .

ولم يعجب ذلك المصريون أو الاسرائيليون . وكان ذلك بداية التحول السوفييتى التدريجى عن اسرائيل . أمــا السبب فى ذلك فيرجع إلى هــزيمة اليسـار الاسرائيلى فى الانتخـابات وبذلك طـار حلم ستالين فى أن يحول إسرائيل إلى دولة اشتراكية .

وفى ابريل ١٩٥٠ وقع اتفاق تجارى واتفاق دفع مع بلغاريا .

وفى مايو ١٩٥٠ أعلنت صحف القاهرة أن مصر مهتمة بالحصول على الأسلحة السوفييتية .

وفى يونيه ١٩٥٠ أيدت اسرائيل الولايات المتحدة علنا فى حرب كوريا بينما اكتفت مصر بالامتناع عن التصويت .

وفى اكتوبر ١٩٥٠ أعلن مصطفى النحاس أن الدول الصغرى يجب أن تكون كتلة ثالثة للمحافظة على السلام بين الشرق والغرب .

ورغم ذلك كان السوفييت ضد نظام الحكم فى مصر فى عهد فاروق .

قالت الكاتبة السوفييتية فاتولينا تصف أحوال مصر عام ١٩٤٩ بأنها مستقلة اسما ولكنها فى الحقيقة مستعمرة بريطانية تحتلها القوات البريطانية واقتصادها وحياتها السياسية كلها خاضعة للمصالح البريطانية .

وكان خط السياسة السوفييتية أن الانجليز يعتمدون على القصر والارستقراطيين وملاك الأراضى الاقطاعيين وكبار رجال الدين ويرتبط هؤلاء البورجوازيون ووكلاء الشركات الأجنبية للتصدير والاستيراد والرأسماليون المصريون بالشركات الأجنبية .

فهم يتركزون حول بنك مصر ويرتبطون بملا ك الأراضى لحماية الأسواق المصرية من الشركات الأجنبية ليحصلوا على الأرباح لأنفسهم بدلا من أن تدخل جيوب الأجانب فهم أى حكام مصر ضد أية اصلاحات .

وفى عام ١٩٥٠ قيل إن رأس المال الأمريكى اخترق مصر فبدأت تتحرك تدريجيا بعيدا عن مناطق النفوذ البريطانى لتدخل منطقة النفوذ الأمريكى .

وفى كتاب تعليمى جامعى اعترف الكاتبان لوتسكى واستامبا بأن اشتراكية الوفد ما هى إلا اصلاح اجتماعى معتدل فى إطار النظام البورجوازى وأن الوفد فقد صلاحيته تماما بسياسة التسويات والتنازلات .

وأكدت هذا الرأى فى الوفد ، دائرة المعارف السوفييتية الكبرى الصادرة عام ١٩٥٢.

وفى فبراير ١٩٥١ امتنعت مصر عن التصويت على قرار الأمم المتحدة بإدانة الصين الشيوعية .

وفى مايو ١٩٥١ أعلن الدكتور محمد صلاح الدين أمام البرلمان أن مصر مستعدة للتحالف مع الشيطان عند الضرورة لتحقيق أهدافها بجلاء القوات البريطانية .

ونشرت الصحف شائعات بأن مصر ستبادل القطن بالسلاح مع تشيكوسلوفاكيا .

وفى يولية ١٩٥١ وقعت مصر ٣ اتفاقات تجارية مع ٣ دول شيوعية : روسيا والمجر ورومانيا لمبادلة القطن والارز بالدقيق .

وفى يناير ١٩٥٢ قالت الصحف إن مصر طلبت أسلحة سوفييتية .

وعندما ألغى النحاس معاهدتى ١٨٩٩ و ١٩٣٦ أيدت مجلة « الدولة والقانون » السوفييتية قرار الحكومة المصرية قائلة « هذه المعاهدات فرضت على مصر والسودان بالقوة ، بل إن هذه المعاهدة عمل عدوانى ضد البلدين . وقد اضطرت مصر للموافقة على هاتين المعاهدتين خوفا من

موسوليني وأعماله فى أثيوبيا وليبيا ، وقرار الإلغاء هدفه استعادة السيادة المصرية وتحقيق المساواة بين الدول » .

واجتمع الدكتور محمد صلاح الدين وزير خارجية مصر بوزير الاتحاد السوفييتى المفوض فى مصر وطلب شراء سلاح سوفييتى عن طريق تشيكوسلوفاكيا وهو ماحدث بعد قيام الثورة عندما عقدت مصر أول صفقة سلاح مع تشيكوسلوفاكيا .

وقال الدكتور صلاح الدين للوزير السويدى المفوض فى مصر إنه يفكر فى عقد حلف مع السوفييت . ولكن فؤاد سراج الدين قال لكافرى انه سيمنع ذلك !

وفى مارس اقترح أحد النواب المصريين أن تتبنى مصر سياسة الحياد .

وفى يونيه ١٩٥٢ رفض السوفييت مد مصر بمقاتلات .

وقرر السوفييت عام ١٩٥٢ التخلى عن اسرائيل والتركيز على العرب واتباع سياسة معادية لليهود فى الاتحاد السوفييتى والدول الشيوعية بعد ماوجدت موسكو أنه لا أمل فى جعل اسرائيل تدور فى الفلك السوفييتى . ولذلك أدانت موسكو حكومة اسرائيل بوصفها حكومة بورجوازية وأداة لدعاة الحرب الانجليز والأمريكيين .

* * *

ورغم ذلك كله كان الاتحاد السوفييتى ضد حركة الجيش .. بصورة مطلقة .

اعتبر الكرملين الثورة بأنها عمل الضباط الرجعيين المتصلين بالولايات المتحدة ، كما قالت «دائرة المعارف السوفييتية » .

وكان أول رد فعل علنى يوم ٢٥ يوليه من صحيفتى « برافدا » و « أزفستيا » عندما نشرتا تعليق صحيفة « كول هاعام » الاسرائيلية بأن الانقلاب نتيجة الصراع بين البريطانيين والأمريكيين على المواقع الا ستراتيجية . وهذا الصراع يهدف إلى اقامة ديكتاتورية عسكرية فاشية لقمع الحركات المعادية للامبريالية فى مصر ، وسيادة الزمرة العسكرية لتيسر الانضمام إلى قيادة الشرق الأوسط سيئة السمعة التى أنشأها الأمريكيون كإضافة لحلف الشمال الأطلسى العدوانى .

وقال الزعيم السوفييتى نيكيتا خروشوف بعد ذلك : « لفترة معينة بعد الانقلاب ، لم نستطع التعرف على اتجاه حكومة ضباط الجيش فى السياسة الداخلية أو الخارجية، وقد جاءت الثورة المصرية الجديدة فى أغلبها من القيادات العليا للجيش المصرى ، وبعبارة أخرى ، من الطبقة البرجوازية وليس الطبقة العاملة . وبصفة عامة كان هؤلاء الرجال من طبقات موسرة ومن أصحاب الأملاك .

وكان النظام الجديد يفتقد التجانس الاجتماعى إلى حد كبير .

وكنا نميل إلى الاعتقاد بأن انقلاب عبد الناصر كان مجرد واحد من تلك الانقلابات التى باتت مألوفة للغاية فى أمريكا الجنوبية .

ونشرت تاس برقية من بيروت بأن اللواء نجيب أقام على الفور اتصالا مع الملحق العسكرى الأمريكى .

وقال زيــاجين فى مجلة « نيوتــايمس » بأن الانقلاب نتيجـة المنافسة بين انجلترا وأمــريكا على السيادة على مصر حيـث يوجد صراع بين المؤيديـن لكل منهما داخل المعسكر الحاكـم . وهذا يفسر التغييرات الوزارية المتكررة خلال الشهور الستة الأخيرة .

وقد أجــرى اللواء نجيب اتصـالا مــع السفارة الأمريكيـة فى القاهرة والاسكندريـة وزاد نشاط المبعوثين الـدبلوماسيين للسفــارة كما امتنعت الصحافـة الأمريكيـة عن ابداء الأسـف على اعتزال فاروق وأعربت المجلة عن اعتقادها بأنه سيكون أسهل للولايات المتحدة تنفيذ خططها » .

وكتبت دائرة المعارف الســوفييتية الكبرى بأن « الاستعماريين الانجليز والأمــريكيين نظموا فى أواخر يناير ٥٢ انقلابا يعطى السلطة فى مصر لاتباعهم .

وفى ليلة ٢٣ يوليه أمسك السلطة فى مصر مجموعة مــن الضباط الرجعيين يرتبطون بالولايات المتحدة .. وهذا الانقلاب زاد من حدة التنافس الأمريكى البريطانى » .

فقد شمت الدول الشيـوعية ، عدا رومانيا ، رائحة أمــريكية فى الحركة فاتهموها بـأنها فاشية حركتها الولايات المتحدة .

أذاعت « وكالــة تاس » السوفييتية تقريـرا بأن الانقلاب العسكرى فى مصر يتمتع منـذ البداية بمسانـدة السفارة الأمريكية ويـأمل الأمريكيـون فى استثمار الموقف الراهـن للإسراع بإقامـة ما يسمى « بقيادة الشرق الأوسط » .

ونشرت الصحف السوفييتيـة نبأ تشكيل حزب سيـاسى شيوعى مصرى جـديد هو « الحزب الديمقراطى » الذى اتخذ لنفسه هدفا هو مكافحة كل المشروعات الأمبريالية والأحلاف العسكرية .

وحددت أهــداف الحزب بأنها جـلاء القوات الأجنبية ورفــض مشروع معونـة النقطة الـرابعة ومعارضة « مشروع الاتفاقية المصرية ـ الأمريكية » .

وأوضـح بيان الحزب ان الجيش المصرى يجب ان يطلق عليـه اسم الجيش الشعبى وأن تقتصر مهمته على الدفاع عن البلاد ويجب ألا يشترك فى عمليات عسكـرية خارج الأراضى المصرية . ودعا إلى عقد مواثيق عدم اعتداء مع الدول الديموقراطية وتأميم شركة قناة السويس .

وكان الشيوعيون الأوربيون معادين أيضا للحركة .

فى لندن قالت صحيفة « الـديلى وركر » الشيوعية إن محمد نجيب مرتبط بـالسفارة الأمريكية برباط وثيق .

وفى باريـس وصفت صحيفة « لـومانيتية » الشيـوعية الانقلاب فقــالت إن مدبـرى التمرد فى طهران والقاهرة سينتهى بهم الأمر إلى ان يكونوا أدوات فى إيدى المتطرفين .

وفى إيطاليا رحبت صحيفـة « لونيتا » الشيوعية بعزل فاروق فتحدثـت عن فساده واستعداده لقبول الرشاوى وقالت

« كان فــاروق خائنـا لشعبه وأداة طيعـة فى أيدى الأمبريــاليين . وكان مخلـب قط الامبريــالية الأمريكيــة المرشحة لتخلـف الامبريالية الانجليـزية فى الشرقين الأوسط والأدنـى. وكانـت لفاروق وظيفة واحدة هى وقـف النضال الوطنى للشعب المصرى فى اللحظات الحاسمـة . ومن المحتمل أن

يكون الرجال الذين اطاحوا بفاروق يعملون لحساب الامبريالية الامريكية » .

وقالت الصحيفة :

« يريد المصريون تلبية الأماني الوطنية وإذا أراد نجيب البقاء فإنه لايجب أن يعارض الإرادة الشعبية التي تسعى إلى اخراج الانجليز من السويس ويجب عليه ان يرفض انضمام مصر إلى «حلف الشرق الأوسط » .

وطالبت صحيفة « افانتي » الاشتراكية بإقامة جبهة واحدة للنضال تضم المثقفين والبورجوازية الأكثر تقدما من الناحية الاقتصادية مع العمال والمزارعين » .

ألقت الصحافة الأمريكية اللوم على فاروق . ولم يتعاطف معه صحفي واحد . ولم يذرف قلم دمعة عليه !

قالت « النيويورك تايمس » في الثورة أنها تعبير عن التوتر والقلق الذي يجتاح الشرق الأوسط كله .

وقالت افتتاحيات الصحف « إن عزل فاروق تأخر طويلا ، وأي تغيير في مصر لن يؤدي إلى حال أسوأ مما كانت عليه » .

وهللت الصحف الأمريكية بحماس لمحمد نجيب وتوجته وان لم تكن تعرف عنه شيئا . ولكنها كانت تأمل إقامة حكومة مصرية مستقرة في إطار دستوري تقدم تسوية لمسألتي السودان وقاعدة السويس .

قالت صحيفة « واشنطن بوست » إن محمد نجيب سيكون الديكتاتور المصلح على غرار كمال اتاتورك أما مجلة « ى . س . نيوز » فتنبأت بأن مصر ستنعم باستقرار وتظهر اعتدالا نحو بريطانيا !

ورأت أن نجيب يختلف عن مصدق الذي برز كديكتاتور فهو - أي نجيب - وطني أصيل يهتم بمشاكل مصر الداخلية وبالذات انهيار صادرات القطن ويريد حلا مع الغرب في استراتيجية الحرب الباردة .

ولكن شاءت الظروف السياسية أن ينتهي جمال عبد الناصر إلى أن يكون صديقا للسوفييت الذين بادئوه العداء وأن ينتهي إلى عداء عنيف للولايات المتحدة التي رحبت بالثورة وساندتها منذ اليوم الأول بل اتهمت - أي الولايات المتحدة - بتدبيرها .

أما اسرائيل التي ظنت أن السلام سيتحقق مع مصر فورا وأن تكون له أولوية على مسألة الجلاء فإن أملها لم يتحقق إلابعد ٢٨ سنة وعقب ثلاث حروب مع مصر في أعوام ٥٦ و٦٧ و ٧٣ !

* * *

أفرغت المحروسة يوم ٢٩ يوليه شحنتها الملكية في ميناء نابولي تماما كما فعلت عندما نقلت جده الخديو اسماعيل إلى منفاه .

وكان الخديو اسماعيل قد حكم مصر حكما مطلقا ستة عشر عاما وحكمها فاروق خمسة عشر عاما إلا ثلاثة أيام .

من نابلى استأجر فاروق سفينة أقلته إلى كابرى .
كان فاروق وأسرته وحاشيته ٢٩ شخصا .
ولم يكن الملك مهتما إلا بصناديق الذهب .
وخلال الأيام الثلاثة الأولى لم يغادر فاروق الدور الثالث من فندق « عدن باراديسو » ـ جنة عدن ـ يحرسه ثلاثة من الألبان شاكر ، ويعقوب ، وعبد الله بينما ٣٠٠ من المندوبين الصحفيين يحاصرون الفندق ، فاضطر إلى عقد مؤتمر صحفى فى اليوم الثالث .
جلس على كرسى « هزاز » وملك مصر الطفل على ركبتيه وناريمان بجواره .
قال للصحفيين :
ـ أعذرونى إذا لم أتكلم بحرية كما تريدوننى أن أفعل . لم أعد ملكا ولدى مسئوليات خطيرة إحداها نحو الحكومة الإيطالية التى قبلتنى ضيفا . ولا أريد إحراجها . وأكرر مرة أخرى أنى لم أعد ملكا .
ولكن معى ملك مصر وأنا مسئول ازاءه . إن مشاكل كثيرة ألقيت على كتفى ولا أريد أن أضيف إليها ملاحظة عابرة غير مسئولة .
أما عن الحكومة الحالية لمصر فأتمنى لها كل حظ فى العالم لأنها تحتاج إليه . فحكم مصر الآن ، فى ظل الأزمة العالمية ، ليس مسألة سهلة .
وأضاف :
ـ عندما توليت مسئولية مصر وعمرى ١٦ سنة كنت آمل تحسين وضعها العالمى وعلاقاتها بدول العالم .
إن حبى لمصر وشعبها ، رغم أنى فى المنفى ، لايزال كما كان قبل ستة عشر عاما .
وقال ردا على سؤال .
ـ بالمقاييس العادية مازلت غنيا .
وطلب من الصحفيين أن يتركوه فى هدوء .
وظل فاروق يعتقد أن الحكومة المصرية تفكر فى اغتياله هو وولده .
وبقى الفندق يرفض قبول كل زبون يحمل جواز سفر من الشرق الأوسط معتذرا بعدم وجود غرف خالية .
وظلت الصحف تتابع أخباره فى الأيام الأولى لنفيه .
عندما قامت أزمة مياه فى كابرى قالت الصحف إنه يستعمل مياها كثيرة فى «البانيو» .
يومها قال فاروق :
ـ ألا يعرفون نظرية أرشميدس . إن رجلا بدينا يملأ البانيو بمياه أقل !
وانتقل فاروق إلى « فيلا » من ٤٠ حجرة تبعد عن روما نصف ساعة .
وكان فاروق فى الثانية والثلاثين وعنده حاشية من ٢٥ شخصا .
وكان يمكن أن يستغل ذكاءه ومهارته المالية واتقانه للغات ، والمليونى دولار ـ ثروته ـ فى مشروع تجارى .

وكان يمكن أن يختلط بالمجتمع الراقى .

ولكنه لم يفعل . وفضل أن يسهر ليلا ، وينام حتى منتصف النهار ، وأن يقضى بقية حياته فى المنفى كما كان يعيش فى مصر مع « الشماشرجية » أو من هم أشبه بهم . بقى كسفينة بلا مرسى ، هائما على الدوام ، يصلح كما كان فى مصر « موديلا » لرسامى الكاريكاتير !

وفى مارس عام ١٩٥٣ بدأ ينشر مقالات فى الصحف العالمية يهاجم فيها نظام حكم اللواء محمد نجيب فقدمت مصر احتجاجا رسميا لوزارة الخارجية الإيطالية التى أنذرت فاروق وطلبت إليه عدم القيام بأى نشاط سياسى .

وقال المكتب الثالث فى وزارة الخارجية الإيطالية للسفارة الأمريكية فى روما إن الحاجة إلى المال دفعت فاروق للكتابة فى الصحف مقابل مبالغ عالية .

* * *

عادت ناريمان إلى مصر وطلبت فى أوائل عام ١٩٥٤ الطلاق من فاروق وأقامت عليه دعوى نفقة .

ووافق فاروق فى أول فبراير على الطلاق بعد ماوقعت الملكة السابقة وأمها وجدتها على وثيقة يعلنون فيها تنازلهم جميعا عن حضانة الملك السابق الطفل أحمد فؤاد الذى بقى مع أبيه فى روما .

وتزوجت ناريمان يوم ٣ مايو ١٩٥٤ من الدكتور أدهم النقيب ابن الدكتور أحمد النقيب أحد رجال فاروق ، الذى أدانته محكمة الثورة فى أكتوبر ١٩٥٣ وقضت بسجنه ١٥ سنة !

قالت ناريمان إنها عاشت شقية فى القصور وأنها تحب أدهم النقيب الذى تزوجته بعد ٣ شهور بالضبط من طلاقها من فاروق والذى تركت من أجله خطيبها السابق الدكتور زكى هاشم، أو أرغمت على تركه .

إن فاروق لم يعد ملكا تخشاه أو تريد أن تبقى ملكة بجواره !

أما الملكة فريدة التى استردت ، بعد الطلاق اسمها الأول صافيناز ذو الفقار ، فقد ظل المصريون يعرفونها باسم « الملكة فريدة » .

عاشت فى مصر بأموال محدودة . فى ظروف صعبة ، تصنع ملابسها بنفسها ، ثم سمح لها جمال عبد الناصر بالسفر للخارج عام ٦٣ فأخذت ترسم اللوحات وتبيعها وتتلقى مساعدات من بعض الأسر الملكية فى العالم العربى .

والتقت بفاروق فى فبراير عام ١٩٦٥ عندما نشأت مشكلة بسبب ابنتهما الصغرى فادية التى قررت الزواج من بيير أودلوف الجيولوجى السويسرى .

أراد الأب من ابنته العدول عن الزواج ولكنها رفضت وسافرت إلى لندن لتتزوج هناك بمن تحب وأنجبت ولدين هما شامل وعلى .

قال المقربون من فاروق وفريدة إنه كان يمكنهما استئناف حياتهما معا ، وكانت هناك فرصة للصلح بينهما فى روما ولكن مضى كل فى طريقه .

وعادت فريدة إلى مصر بعد وفاة جمال عبد الناصر ، وبعد ربع قرن من رحيلها ، لتقيم فى شقة

صغيرة بحى المعادى منحتها لها الدولة .

وظلت فريدة تردد إنها لم تكرهه بل كانت تشفق عليه وأنها التى أصرت على الطلاق منه فى نوفمبر عام ١٩٤٨ فقد ضاقت بحياتها معه وقد وافق على الطلاق بشرط ألا تتزوج بعده ، وقد حافظت على ذلك العهد !

وأصيبت فى أواخر أيامها بالسرطان فعالجتها حكومة مصر على نفقتها وماتت فى القاهرة فى ١٦ اكتوبر عام ١٩٨٩.

* * *

كانت ثروة فاروق الكبرى فى قصر القبة ومتاحف وغرف قصر عابدين .

فى قصر رأس التين كانت توجد مجموعة طوابع بريد وبعض الذهب .

وقيل إن قيمة طوابعه وذهبه بلغت ٢ مليون دولار تكفيه مدى حياته . وقد نقل ذلك إلى بنوك سويسرا !

وقيل إنه أخذ الذهب فى ١٢ صندوقا للذخيرة وأرسل خدما لجمع مجوهرات الملكة من قصر المنتزه .

وخلال ١٦ سنة من حكمه فان ما أخذه يعتبر شيئا تافها بالقياس إلى مانهبه من ثروة !

فى مذكراته قال صلاح نصر :

« سمح الملك بأن يصطحب معه أية أغراض خاصة يريدها . ولذا قدم اللواء عبد الله النجومى ياور الملك ، وهو سودانى ، إلى قصر المنتزه وجمع أغراض الملك وخرج دون أن تفتش حقائبه أو يتعرض له أحد وفقا لتعليمات مجلس القيادة .

وقد تأخر رحيل المحروسة نصف ساعة حتى وصلت الحقائب الملكية التى بلغ مجموعها ٢٠٤ حقائب !

اختارت الحركة وزيرين سابقين حارسين على أموال فاروق بعد شهر من رحيله . ومنع الحارسان من التصرف فى أمواله !

وفى أواخر عام ١٩٥٣ أعلنت الثورة عن بيع تحف فاروق وأشيائه الخاصة . وكذلك الممتلكات الخاصة للأسرة المالكة . وحاول فاروق منع المزاد والاحتفاظ بتحفه السابقة فى متحف مصرى ولكنه فشل .

وظل خبراء بيت المزادات الشهير « سوثبى » فى لندن ينظمون ويعدون جداول ممتلكات فاروق.

كان مجموع العملات ٨٠٠٠ قطعة من الذهب و ١٦٤ من البلاتين و ١٢٦١ قطعة ذهبية وفضية من الساعات والتحف والمجوهرات وكتبه النادرة ، ومصاحف نادرة أيضا ، ومئات الساعات واحتفظت الثورة بالتحف المصرية وحدها .

ولكن كثيرا من التحف أتلفت نتيجة سوء الاستعمال المتكرر .

إن ساعة سويسرية فى صندوق تكشف عن صور عارية كل ساعة ظل الجنود يستعملونها

طوال الـ ٣ شهور التى استغرقها اعداد وتصنيف التحف !

وحرصت الثورة على تقديم فاروق كملك عابث من خلال التحف والصور الجنسية التى كانت فى حيازته .

بدأ المزاد فى فبراير عندما أعلن أحد ضباط الجيش أن كل من يشترى بأكثر من ٥٠٠٠ جنيه سيسمح له بزيارة متحف فاروق السرى .. « الجنسى » !

وكان من بين التحف ألعاب قمار مثل عجلات الروليت .

بلغ إيراد الحكومة المصرية من بيع طوابع فاروق التى وجدت فى قصوره ٣٠٣ر١٠١ جنيهات .

ودفعت الحكومة المصرية مبلغ ٥٠ ألف جنيه لهانزشولمان ليدخل المزاد حتى يمكن رفع أسعار العملات التى بلغ إيرادها ١٧٠ ألف جنيه .

وكان أعلى ثمن دفع لقطعة من النيكل تاريخها ١٩١٣ اشتراها أمريكى بمبلغ ٤٥٠٠ دولار .

ولم يزد إيراد مزاد تحف ومجوهرات وطوابع وعملات فاروق عن ٧٠٠ ألف جنيه !

وقد اضطرت الحكومة إلى سحب عصا الماريشالية التى كان يحملها فاروق من المزاد بعدما قالت أرملة الماريشال الألمانى فون بروشيتش إنها خاصة بزوجها وأن فاروق سرقها .

ولكن الألمان لم يطالبوا بالعصا خوفا من أن تطالب مصر باسترداد تمثال نفرتيتى .

وسحبت من المزاد عملة أمريكية أثرية بناء على طلب الحكومة الأمريكية !

* * *

لم تدم الملكية لفاروق ولم تستمر أيضا لولده .

فى ٨ من يونيه ١٩٥٣ ـ أى بعد أقل من سنة على خروج فاروق ـ أعلنت مصر جمهورية وبذلك انتهى عهد أسرة محمد على التى حكمت مصر نحو ١٤٨ عاما .

* * *

بعد طلاق ناريمان انتقل فاروق من الفيلا التى كان يعيش فيها إلى شقة من دورين فى روما ، واستمر يتردد على بناته فى سويسرا .

وعندما سمع بمحاكمة بعض أفراد أسرته فى مصر هاجم الحكومة المصرية فى يوليه عام ١٩٥٥ واتهمها بالارهاب والطغيان وأصبحت دولة بوليسية وأنها قادت البلاد إلى الخراب الاقتصادى .

وقال إنه كان يمكنه سحق الانقلاب لولا رغبته فى تجنب اراقة الدماء ومنع حرب أهلية .

وقال إن الديمقراطية فى عهده لم تكن كاملة ولكن كانت المحاكمات عادلة وكل فرد يحس بالأمان .

وفى أزمة السويس ، بعد تأميم القناة عام ١٩٥٦ ، كتب رسائل إلى كل من الرئيس الأمريكى ايزنهاور والرئيس الفرنسى كوتى ورئيس وزراء بريطانيا انتونى ايدن .

طلب فاروق أن ينتصر العقل وحل المشكلة سلميا بلاحرب .

وتوقف فاروق منذ ذلك الحين عن الاهتمام بالسياسة

وفى أيامه الأخيرة كان فاروق يبكى عندما يلتقى بمصرى يعرفه أيام حكمه .

وكان يردد دائما :
ـ لم يدافع عنى أحد فى مصر حتى أولئك الذين أحسنت إليهم .
وأخذ الفرعون الأخير ، أو آخر الفراعنة من ملوك مصر يردد المثل الشعبى المصرى
ـ عندما يذبح الثور يزداد عدد السكاكين التى تقترب منه لتمزق لحمه !
وأهتم بطعامه فأصبح شديد السمنة ، وعرف غانية اسمها ايرماكابوتشى ارتبط اسمه بها .
وفى ١٧ مارس عام ١٩٦٥ مر فاروق بشقة ايرما لزيارتها ثم اصطحب « حلاقة » إيطالية اسمها أنا ماريا جاتى إلى مطعم حيث أخذ يتناول عشاءه بشراهة فسقط من فمه السيجار فجأة ، ثم سقط على الأرض فاستدعيت سيارة أسعاف لنقله إلى المستشفى فى غرفة للعناية المركزة . ولكنه لم يسترد وعيه ومات فى الساعات الأولى من صباح يوم ١٨ مارس بعد ٣٥ يوما من عيد ميلاده الخامس والأربعين . وكان قد أوصى بأن يدفن فى مصر .
وظل اسماعيل شيرين زوج « الأميرة» فوزية شقيقة فاروق يحاول مع جمال عبد الناصر حتى وافق على نقل جثمانه إلى القاهرة .
وتأخرت الطائرة المقلة له فوصلت بعد منتصف الليل ، ليدفن بعيدا عن مقابر الامام الشافعى دون موكب جنازة وبلا مشيعين سوى شقيقاته وأزواجهن يوم ٣٠ من مارس .
ولماتولى أنور السادات الحكم ، بعد جمال عبد الناصر ، وافق على نقل جثمان فاروق إلى مقبرة ابيه بمسجد الرفاعى .
لم يترك فاروق وصية ، ولم يهتد أولاده إلا إلى جزء يسير من أمواله . وتزوج ابنه بيهودية اعتنقت الإسلام وأصبح اسمها الأميرة فضيلة ولكن بناته الثلاث لم يعدن إلى مصر إلا لتشييع جنازة أمهن ، وزار ابنه أحمد فؤاد مصر مرتين . وقد أعلن أن أباه لم يأخذ من مصر سوى مليون دولار !
وتفرق رجال فاروق :
محمد حسن الشماشرجى استقر فى عمل تجارى بالخرطوم ، ويوسف رشاد أقام مشروعا تجاريا على شاطئ البحر الأحمر فى مصر ، وعاكف أقام فى الكويت .
وحوكم كريم ثابت ، وبقى بوللى وحده يدير مشروعا تجاريا فى مصر . واستقرت الملكة نازلى فى الولايات المتحدة وكانت قد سافرت إليها فى عهد فاروق وماتت ودفنت بها .

* * *

حكم محمد على باشا ٤٢ عاما وعشرة شهور و١٨ يوما . وحكمها إبراهيم باشا سبعة شهور و ١٣ يوما والخديو عباس الأول ٥ سنوات و ٧ شهور و ٢٠ يوما والخديو محمد سعيد ٨ سنوات و٩ شهور و ٦ أيام والخديو اسماعيل ١٦ سنة و ٥ شهور و ٨أيام والخديو توفيق ١٢ سنة وستة شهور و ١٢ يوما والخديو عباس حلمى الثانى ٢٢ سنة و ١٠ أشهر وعشرة أيام والسلطان حسين كامل عامين و ٩ شهور و ٢٠ يوما والملك فؤاد ١٨ سنة و٦ شهور و١٩ يوما وفاروق ١٦ سنة وشهرين و ١٦ يوما .
فى الوزارات المصرية والمصالح أمر المسئولون برفع صورة الملك ووضع بدل منها اسم « الله » .
وعادت بعد فترة قصيرة صور الزعماء محمد نجيب وجمال عبد الناصر لتحل محل صور الفرعون الأخير .

التحايل على الدستور

شكل الملك أحمد فؤاد لجنة لوضع الدستور فى ٣ من ابريل عام ١٩٢٢ .

تضمن الدستور ١٧٠ مادة تحدد نظام الحكم فى كل الظروف .. عند وفاة الملك ، وعندما يكون ولى العهد دون السن القانونية . ولكن الدستور خلا من أى نص بشأن الاجراءات التى تتبع فى حالة اعتزال صاحب الجلالة عرش مصر .

ولم تخطر فكرة اعتزال العرش ببال أحد من واضعى الدستور . ولم يهتم بها سوى الماريشال اللورد اللنبى المندوب السامى البريطانى فى مصر .

كتب إلى حكومته يوم ٣١ من مارس عام ١٩٢٣ يقول :

« فى حالة اعتزال الملك العرش سيكون من المستحيل النص إذا كان يخلفه ولده على العرش .. أو إذا كان هذا الإبن مقبولا من الشعب المصرى .

إن ذلك سيتوقف إلى حد كبير على ظروف الاعتزال نفسها .. بمعنى أننا لانعرف ما إذا كان الاعتزال نتيجة لصدام معنا ـ أى مع الانجليز ـ أو لصدام بين الملك والبرلمان ان ولاندرى كيف سيعد المسرح لهذه العملية » .

ولم يتصور اللورد اللنبى أنه ستظهر فى مصر قوة أخرى غير الانجليز والبرلمان ترغم الملك على اعتزال العرش وتفرض نفسها على سير الاحداث .

وهكذا صدر الدستور المصرى يوم ١٩ من ابريل عام ١٩٢٣ وقد حدد الإجراءات التى تتبع عند وفاة صاحب الجلالة .

فى الدستور ثلاث مواد تنص على الاجراءات التى تتبع عند وفاة الملك .

المادة ٥١ تنص على أن يتولى أوصياء العرش عملهم بعد أن يؤدوا اليمين باحترام الدستور والقوانين والمحافظة على استقلال الوطن وسلامة أراضيه أمام مجلس النواب والشيوخ مجتمعين . وهى ذات اليمين التى يؤديها الملك أمام المجلس قبل مباشرة سلطته الدستورية .

والمادة ٥٢ تقول إنه إثر وفاة الملك يجتمع مجلسا البرلمان ـ النواب والشيوخ ـ فى مدى عشرة أيام من إعلان الوفاة . فإذا كان مجلس النواب منحلا ، وكان الميعاد المعين فى أمر الحل للاجتماع يتجاوز اليوم العاشر فإن المجلس القديم يعود للعمل حتى يجتمع المجلس الذى يخلفه .

وتنص المادة ٥٥ على أنه من وقت وفاة الملك إلى أن يؤدى خلفه ، أو أوصياء العرش ، اليمين تكون سلطات الملك الدستورية لمجلس الوزراء يتولاها باسم الأمة المصرية وتحت مسئوليته .

ولم يحدد الدستور مايتبع إذا أرغم صاحب الجلالة على اعتزال العرش .

وللملك حسب أحكام الأمر الملكى رقم ٢٣ عام ١٩٢٢ اختيار الأوصياء على أن يقر هذا الاختيار مجلسا الشيوخ والنواب .

وقد اختـار فاروق هيئة الأوصياء مـن الأمير عبد المنعم ــ أحد أفراد الأسرة المالكة ــ وشريف صبرى خال الملكة نازلى ، والدة الملك فاروق ، وعلى ماهر رئيس الوزراء .

* * *

وكان أحمد نجيب الهلالى رئيس وزراء مصر قد حل مجلس النواب يوم أول مارس ١٩٥٢ ولم تجر انتخابات جديدة منذ ذلك الحين .

وطبقا لمواد الدستور الثلاث فإن الأوصياء يجب أن يؤدوا اليمين أمام مجلس النواب والشيوخ خلال عشر أيام من تاريخ اعتزال الملك العرش .

وهؤلاء الأوصياء هم الذين سيمارسون عملهم نحو ١٨ سنة حتى يبلغ الملك الطفل أحمد فؤاد سن الرشـد .. فإن الملك الجديد كان عمره ستـة شهور وعشرة أيام .. وقد اصطحبه معـه صاحب الجلالة إلى إيطاليا !

وكانت اغلبية مجلس النواب المنحل وفدية .

وأصبح على الجيش وعلى مـاهر دعوة مجلس النـواب الوفدى إلى الاجتماع واعتبار وفـاة الملك مثل اعتزاله العرش .

* * *

فى مذكراته قال محمد نجيب :

« كانـت أول قضية تجابهنـا هى قضيـة الوصـاية على العـرش وتعيين مجلس لها . وكـانت المناقشة الدستـورية حول هذه النقطة تستهوينـى لدراستى القانونية بينما كـانت دراسة جميع أعضاء المجلس مقصـورة على الكلية الحربية أو كلية أركان الحرب عـدا الصـاغ خالد محيـى الدين الذى تخرج فى كلية التجارة عام ١٩٥١ .

ولكنى لم أتدخل فى هذا الموضوع وتركته ليحال إلى القانونيين فى الحكومة ومجلس الدولة !

* * *

أرسل على ماهر كتابـا إلى سليمان حافظ وكيل مجلس الدولة يطلب الـرأى فى مشكلة الوصاية على العرش .

قدم الدكتور وحيد رأفـت مستشار الرأى لوزارتى الخارجية والعدل مذكـرة إلى على ماهر عن الرأى الدستورى .

وقد وجدت المذكرة فى وثـائق وزارة الخارجية الأمريكية .. فقد بعث بها جيفـرسون كافرى إلى واشنطن .. مما يقطـع بأن السفارة كانت طـرفا فى المشاورات التى تستهدف وضــع أسس الحياة المصرية فى المرحلة التالية لعزل فاروق .

طلب وحيد رأفت فى البـداية أن يعرض الموقف برمته على قسم الرأى مجتمعـا فى مجلس الدولة بدلا من الإكتفاء بعرض الأمر عليه شـخصيا كمستشـار للرأى للوزارة ، أو على الدكتور عبد الرزاق السنهورى رئيس المجلس .

قال وحيد رأفت :

ـ إن رئيس الوزراء على ماهر لايجب أن يجمع بين منصبه كرئيس للوزراء وكوصى على العرش.

وقال :

ـ إن حالة التنازل عن العرش يمكن اعتبارها مثل حالة وفاة الملك .

وقال :

ـ الحل الدستورى السليم هو إحياء ـ أى إعادة إنعقاد ـ مجلس النواب والشيوخ لغرض واحد هو أن يؤدى اليمين الدستورية أمامه أعضاء هيئة الوصاية .

وهذا الإجراء يتفق مع روح وهدف الدستور لتجنب فترة انقطاع يخلو فيها العرش وتجمد فيها وظيفة الحكومة لفترة تدوم لأكثر من عشرة أيام . كما أن عدم اتخاذ هذا الاجراء يمكن أن يؤدى إلى انعقاد البرلمان من تلقاء نفسه وفقا للمادة ٥٢ من الدستور . وبالتالى يمكن أن يؤدى إلى مأزق دستورى خطير محتمل .

ويقرر وحيد رأفت أن البديل لذلك هو إجراء انتخابات خلال عشرة أيام كما فعل على ماهر نفسه بعد وفاة الملك فؤاد .

وتوقع محمد نجيب أن يصل مجلس الدولة إلى هذه النتيجة ، مما يؤكد التزام الجيش ـ فى ذلك الوقت ـ بأحكام الدستور .

* * *

انتهز على ماهر باشا رئيس الوزراء فرصة وجود كافرى فى قصر رأس التين الملكى فأخذ يشكو إليه ، بعد دقائق قليلة من رحيل فاروق يوم ٢٦ يوليه . قال :

ـ عندى مشكلة دستورية مرهقة للغاية .

فى ظل الدستور عند وفاة الملك ، ولم يبلغ الملك الجديد سن الرشد ، يجب إقامة هيئة وصاية وينبغى التصديق على هذه الهيئة بواسطة البرلمان خلال عشرة أيام .

وأضاف :

ـ إذا دعوت البرلمان السابق ـ وأغلبيته وفدية ـ فإنى أجلب لنفسى المتاعب . ولا أريد انتخابات خلال عشرة أيام لمجلس نواب جديد . وفى كل الأحوال لايمكن ترتيب إجراء مثل هذه الانتخابات فى هذه الفترة القصيرة .

وقال رئيس الوزراء للسفير الأمريكى :

ـ مارأيك ؟

قال السفير الذى كان قد درس المشكلة مع رجال سفارته :

ـ أنت الآن لاتتعامل مع حالة وفاة بل تنازل عن العرش . وهذه حالة لايتعرض لها الدستور المصرى .

ومعنى رأى السفير أن اعتزال العرش يختلف تماما عن الوفاة . وما دام لايوجد نص دستورى فافعل يا رئيس الوزراء ماتريد !

وبعبارة أخرى أراد جيفرسون كافرى أن يقول لعلى ماهر .. لاتجمع مجلس النواب الوفدى !

* * *

بعث كريـزويل إلى لندن يطلب التصريح لـه بتوجيه إنذار للجيش يسلـم إلى على ماهر.. أى أن يوجه الإنذار إلى رئيس الوزراء ، ولكن كل كلمة فيه يقصد بها الجيش . قال

« هناك دعاية ضخمة الآن لاستعداداتنا العسكرية . وهذه تقوى أيدينا ونفوذنا على اللواء محمد نجيب . ولكن يجب إستخدام نفوذنا فى اتجاه محدد » .

وطلب كريزويل أن تمنح بريطانيا كل التأييد والتشجيع الممكن لعلى ماهر فلديه كل السلطة الدستورية الآن ضد سيطرة العسكريين .

قال كريزويل

« لا أعلم مدى استعدادكم للتصريح للسفير ، مؤيدا باستعراض عسكرى للقوة ، للضغط على اللواء محمد نجيب لإبقاء حكومة على ماهر التى أصبحت مخولة بسلطات مجلس الوصاية لتعيين مجلس يضم عضوا من الأسرة الملكية لمنع انهيار الدولة والحفاظ على الملكية كعامل استقرار .

وإذا أراد على ماهر لحكومته البقاء فعليه أن يلتقى مع مطالب العسكريين دون التسليم لهم بالإشراف السياسى ومن ثم يبحث عن التأييد والمساندة لدى الوفد والاخوان .

ويجب أن ينصحه السفير بألا يقاوم مطالب العسكريين فى مناصب وزارية .

وعلينا أن نبحث أيهما أكثر خطرا على مصالحنا ، وأيهما ، يمنع انهيار البلاد السريع ، نحو الفوضى .

وربما يكون ذلك فى المشاركة بين الجيش والاخوان لمنع الفوضى ولكنهما سيمثلان تهديدا نشطا للمطالب البريطانية » .

وافقت وزارة الخارجية البريطانية على رأى كريزويل فيلتقى بعلى ماهر ليوجه إليه الإنذار يوم ٢٧ يوليو ، وهو اليوم التالى لرحيل فاروق .

قال له :

ـ يبلغك انتونى ايدن الرسالة التالية :

« سيكون أمرا سابقا لأوانه الحديث عن إلغاء الأحكام العرفية أو اجراء الانتخابات . وأول شىء يجب عمله استعادة توازن مصر ، وإعادتها إلى الطريق السوى .

لقد ضاق الرأى العام ذرعا بالأحزاب السياسية القديمة بوجه عام .

وأضاف :

ـ لاتتسرع فى هذا الأمر بدون داع . وضع حساباتك على أساس أن تحقيق الاستقرار أكثر أهمية من التفاصيل القانونية .

كان على ماهر ، على حد تعبير كريزويل ، متلهفا لسماع النصيحة . قال :

ـ علىّ ضغوط كثيرة من كل الجوانب . البعض يضغط لتشكيل حكومة ائتلافية تطمئن الشعب

بأنه سيتم تمثيل جميع الآراء . والوفد يضغط لدعوة البرلمان القديم .
وأضاف :
ـ البعض يطالبنى بإجراء انتخابات بإلحاح شديد .
قال كريزويل :
ـ الرأى العام تشرب ، بصفة عامة بأفكار الأحزاب السياسية القديمة .. وهناك ريح بدأت تعصف بمصر منذ أمس .
وقد سمعت من صغار الضباط أنهم تشبعوا بفكرة فساد قادة الوفد الذين كانوا متصلين برجال القصر .
وربما يكون هناك مخرج من هذه المشكلة .
إن الدستور ـ كما فهمت من السفير الأمريكى ـ يقصد حالة وفاة الملك ـ وليس هناك ذكر لمسألة التنازل عن العرش .
وقال على ماهر :
ـ ينوى محمد نجيب إقامة حكومة عسكرية وحكم عسكرى كامل . طالب الجيش بفرض سيطرته على وزارة الداخلية وإدارة الأمن العام . بل إن الجيش طلب فرض سيطرته العسكرية على وزارة الشئون الاجتماعية .
وقال على ماهر :
ـ سأقاوم هذه الإجراءات بكل قوة ، ولكن دون قلب الأمور رأسا على عقب .
وأكد على ماهر من جديد ضرورة الإبقاء على الأحكام العرفية فى الوقت الحاضر .
وقال :
ـ طلب منى الافراج عن عدد من المعتقلين .
رد كريزويل .
ـ إطلاق سراح المعتقلين أمر غير صائب .
وذكر كريزويل أن فتحى رضوان « الشيوعى » ـ على حد تعبير كريزويل ـ أفرج عنه بالأمس !
قال على ماهر :
ـ أوافقك فى ذلك غير أن هذه الحالة ، بالإضافة إلى حالة أو اثنتين أخرتين ، تعتبر حالات خاصة فقد أصر الجيش على تحمل مسئولية هذا الإجراء . فضلا عن أن المعتقلين تعهدوا بحسن السير والسلوك .
وشرح على ماهر المشكلات الدستورية وقال :
ـ أرى ضم عضو من الأسرة المالكة إلى مجلس الوصاية لضمان استمرار النظام الملكى ولكن الجيش يرفض .
وأخذ على ماهر يطالب كريزويل بتأييد بريطانى لذلك قائلا :
ـ اللواء محمد نجيب شديد الحساسية بالنسبة لبريطانيا وهى التى تستطيع كبح جماحه .

وترك على ماهر حذره .

ظن أن بريطانيا لاتزال تمارس نفوذها على سلطة الحكم العليا فى مصر ، وهى الجيش ، بدلا من الملك ، فطلب مساندة بريطانية صريحة ومكشوفة له .. وأخذ يستعدى كريزويل ضد قائد الجيش.

فى ختام اللقاء بين رئيس الوزراء والوزير المفوض البريطانى أعرب على ماهر عن رغبته فى الاتصال بالسفارة البريطانية وطلب النصح والمشورة فى هذه الأمور ومثيلاتها.

قال :

ـ اهتمام بريطانيا بمصر لاينطوى على أية أنانية !!

وصف كريزويل ذلك كله فى تقريره للندن قال .

« كان على ماهر صريحا للغاية .

وفى اعتقادى أن على ماهر يرحب بأن تقدم له الحكومة البريطانية بعض الارشاد بخصوص المسألة الدستورية » .

وقال كريزويل :

ـ إذا تم تشكيل مجلس وصاية على العرش وكان على ماهر أحد الأوصياء ، سيتحتم عليه ـ فى هذه الحالة ـ أن يتخلى عن رئاسة الوزارة مما يؤدى إلى أزمة وزارية !

ومن هذا الحديث يتضح أن رئيس وزراء مصر ظن أن الأمور لم تتغير بعد خروج الملك وأنه يظن السفيرين الأمريكى والبريطانى يملكان زمام الموقف ولابد من استشارتهما قبل أى اجراء سياسى .

وكان السفير الأمريكى والقائم بالأعمال البريطانى يريان بقاء الأحكام العرفية واستمرار الاعتقالات وعدم اجتماع البرلمان الوفدى والحكم الديكتاتورى بواسطة على ماهر لا الجيش !

ولم يدرك الدبلوماسيون والحكومتان أن عدم انعقاد البرلمان سيجعل الحكم فى مصر ديكتاتوريا بلا برلمان لفترة طويلة مع أنه كان يمكن عقد مجلس النواب الوفدى لاختيار الأوصياء على العرش ثم يحل الأوصياء والبرلمان .

وفى ظل سيطرة الجيش فإن مجلس النواب كان سيختار ـ حتما ـ من يرشحهم الجيش !

توجه السفير الكندى فى واشنطن إلى وزارة الخارجية الأمريكية يسألها الرأى قالوا له :

ـ لايعرف كافرى كيف يتحمل مجلس للوصاية على العرش عواصف السبعة عشر عاما حتى يصل الملك الطفل إلى السن الدستورية .

ومن المتوقع المزيد من الاضطرابات بما فى ذلك احتمال تأسيس جمهورية .

وعلى المستوى الأكثر إلحاحا هناك صعوبات عاجلة كثيرة تواجه الحكومة الجديدة.

وتأمل وزارة الخارجية الأمريكية أن توجد وسيلة لتشكيل مجلس الوصاية على العرش دون اجتماع البرلمان المنحل !

* * *

أسرع مصطفى النحاس وفؤاد سراج الدين عائدين إلى القاهرة من مصيفهما بسويسرا مساء

٢٧ من يوليو . وصلا إلى المطار فى ساعة متأخرة من الليل .

ألقى النحـاس كلمة فى المطار قـال فيها إنه يحمد الله على وصـوله إلى مصر بعد أن تطهـرت من الفساد على أيدى رجال الجيش المخلصين .

وتوجه مع سراج الدين إلى القيادة مباشرة .

وكان اللواء محمد نجيب نائما ، أوقظ فأسرع يرتدى ملابسه ، وطلب من أعضاء مجلس الثورة الحاضرين أن يجتمعوا معه بالنحاس وسراج الدين .

تبادل الجميع كلمات المجاملة وعاد النحاس وسراج الدين إلى بيتهما فى الثالثة صباحا .

والتقى النحاس وسراج الدين بعلى ماهر .

طلب النحاس دعوة البرلمان الـوفدى المنحل للانعقاد فورا فقـد بقى البرلمان منحلا لفترة أطول مما يسمح بها الدستور . ويجب أن يستشار فى شأن مجلس الوصاية .

واقترح أن تشكل هيئة الوصـاية برئاسة على ماهر وعضوية بهى الـدين بركات وحسين سرى باشا .

ونشرت « جريدة المصرى » ـ الناطقة باسم حزب الوفد أن البرلمان المنحل سيدعى إلى الانعقاد .

ولكن النائب الوفدى محمد المغازى طمأن السفير الأمـريكى عن نتيجة اللقاء بين مصطفى النحاس زعيم حزب الوفد وفؤاد سراج الدين سكرتير عام الحزب مع على ماهر واللواء محمد نجيب .

ومحمد المغازى خريج الزراعة من جامعة كـاليفورنيا وهو صديق للسفير الأمريكى ويسميه « مايك » .

والسفير يصف محمد المغازى فى برقيته لواشنطن بأنه« شاب يقظ للغاية »!

قال المغازى :

ـ النحاس باشـا ليس سعيدا على الاطلاق عقب محادثاته الأخيرة مع رئيس الوزراء على ماهر ومحمد نجيب فلم يقدما له تشجيعا كثيرا .

قال السفير الأمريكى فى برقية إلى واشنطن :

« عنصر جديد أدخل على الموقف بعودة النحـاس وسراج الدين واطلاقهما قصائد المديح للجيش وهرولتهما من المطار مباشرة إلى نجيب .

ويسعى الوفد إلى إعادة إنعقاد مجلس النواب المنحل الذى يضم أغلبية وفدية.»

ونقل كـافرى إلى السفـارة البريطانيـة هذه الصـورة فإن السفـارتين كانتـا على اتصـال دائم وتتشاوران بصفة منتظمة فى كل الأمور .

وأخذت الحكومتان ، الأمريكية والبريطانية ، تقيمان موقف الوفد .

قالت إدارة الشرق الأدنى بوزارة الخارجية الأمريكية .

« كان حـزب الوفد بعيـدا عن الانظار يترقـب الفرصـة ليستعيد مجده الذى سلـب بعد حريق القاهرة وهلل النحاس وفؤاد سراج الدين لمحمد نجيب معلنين أنه منقذ الأمة .

ولكن لم يتضح بعد كونه ، منقذ حزب الوفد ، وهو الأمر المهم بالنسبة لهما »!

ولكن السفار البريطانية قالت إن الزعيمين الوفديين أسرعا بالعودة من أوربا «ليمسكا بذيل اللواء محمد نجيب » !

* * *

ولم يكن الانجليز والأمريكيون وحدهم ضد عودة البرلمان بل عارضت فى ذلك الأحزاب الأخرى

الحزب الوطنى وحزب الكتلة الذى يرأسه مكرم عبيد طالبا بإجراء انتخابات جديدة.

وقال الدكتور محمد حسين هيكل رئيس حزب الأحرار الدستوريين إن الدستور جاء خلوا من أى نص بما يجب أن يتبع فى حالة عزل الملك .

وطالب حزب الكتلة أيضا بتعديل الدستور .

أما الاخوان المسلمون فقالوا بسقوط الدستور ورأوا عقد جمعية تأسيسية تضع دستورا إسلاميا.

ويلتقى السفير الأمريكى جيفرسون كافرى بكريزويل وماك كلينتوك مستشار السفارة الأمريكية وشارل ديوك مستشار السفارة البريطانية للاتفاق على الخطوط الأساسية لسياسة بريطانيا والولايات المتحدة فى مصر .

كان هدف الجميع تحديد الأهداف التى يرغبون فى تحقيقها فى مواجهة الموقف السياسى المعقد.

وضع المجتمعون أمامهم البدائل المتعددة وهى :

١ ـ تشكيل مجلس للوصاية عن طريق دعوة البرلمان المنحل بأغلبيته الوفدية ليؤدى مجلس الوصاية اليمين أمامه .

وسيكون البرلمان حرا ، فى هذه الحالة ، فى حجب الثقة عن الحكومة الحالية وتشكيل حكومة وفدية .

٢ ـ أن تقرر حكومة على ماهر الدعوة لإجراء انتخابات جديدة فى المستقبل القريب أو فى شهر اكتوبر .

وقد يترتب على ذلك أيضا أغلبية برلمانية وفدية وحكومة وفدية .

٣ ـ أن يطيل على ماهر المناقشة حول هذا الموضوع كسبا للوقت ورفضا لدعوة البرلمان المنحل للانعقاد ، ويظل يحكم مصر وفقا للمادة ٥٥ من الدستور لأجل غير محدد على أمل أن « يحدث شيئا ما » .

٤ ـ ان ينفض العسكريون يدهم من المناورات السياسية وأن يوقفوا العمل بالدستور وأن يحكموا كديكتاتورية عسكرية سافرة مما يؤدى على الأرجح إلى إلغاء النظام الملكى وإقامة شكل من الحكم الديكتاتورى .

أخرج « ديوك » مادة القراءة الأثيرة عنده فى تلك الأيام ـ وهى الدستور المصرى ـ وقام بمراجعة سريعة له !

انتهى الحاضرون إلى أن هناك خيارين فقط أمام مصر :

(أ) حكومة برلمانية يسيطر عليها الوفد .. غالبا .

أو

(ب) حكم عسكرى .

ووجد الجميع أن إقامة حكومة عسكرية تنتهى إلى انتخابات حرة ربما تكون مفيدة فى الاسراع بتنفيذ فكرة قيادة الشرق الأوسط .

وقد تكون أقل اهتماما ببعض الجوانب الشائكة فى النزاع البريطانى ـ المصرى حول وجود القوات البريطانية فى منطقة القناة ، وحسم موضوع السودان فى نهاية الأمر .

واستبعدوا أن تكون حكومة وفدية قادرة على طرح موقف معقول بالنسبة لهذه القضايا .

وهكذا فضلت السفارة البريطانية والأمريكية ، بعد الثورة مباشرة ، إقامة حكم عسكرى فى مصر واستبعاد البرلمان الوفدى !

بقى رأى على ماهر والجيش .

كان على ماهر هو الذى قاد فاروق فى أول درجات سلم الحكم المطلق . وقد أصبح على ماهر أداة فى يد الحاكم الجديد ، يطوع له الدستور وييسر له الحكم بلا برلمان !

* * *

عاد انتونى ايدن من اجازته المرضية التى قضاها فى الريف ليواجه موقفا جديدا فى مصر .

راى ايدن أن تكون الإنذارات لمصر علنية وأن يبين للشعبين البريطانى والمصرى أنه رغم تغيير السلطة الحاكمة فى مصر فإن بريطانيا لاتزال القوة المسيطرة .

القى بيانا قصيرا فى مجلس العموم البريطانى بعد يومين من رحيل فاروق .

قال .

« أؤكد اهتمامنا واهتمام كل الدول الحرة بأن تنبثق عن الأزمة الحالية حكومة مستقرة وإدارة منظمة فى مصر .

وآخر المعلومات التى توفرت لى عن مصر تشير إلى عدم وجود اضطرابات أو تهديدات لأرواح الاجانب أو ممتلكاتهم .

ومع ذلك ، نظرا للظروف غير المستقرة التى تنشأ دائما بسبب أحداث كتلك التى وقعت فى مصر مؤخرا ، رأينا الموافقة على بعض التحركات للقوات البريطانية كإجراء وقائى .

وقد أوضح القائم بالأعمال البريطانى لرئيس الوزراء المصرى ـ بناء على تعليماتنا ـ أن حكومة جلالة الملكة لاترغب فى التدخل فى شئون مصر الداخلية ، وأن هذه التحركات العسكرية تتعلق بأمر واحد فقط هو حماية الرعاية البريطانيين من أية أخطار محتملة».

كان بيان ايدن تحذيرا علنيا للثورة بأن بريطانيا ترقب الموقف .

وهذا التحذير كان له صداه فى نفوس القيادة الجديدة .

إنهم ، من البداية ، كانوا خائفين من التدخل البريطانى ولذلك أكدوا فى كل بياناتهم اهتمامهم

بحفظ الأمـن وصيـانة أرواح الأجـانب . ولكـن بيان ايدن يعنـى أن فرص التدخـل لاتزال قـائمة ! بتحديد اتجاه النظام الجديد ، لصالح الانجليز وسياستهم فى الابقاء على النظام الملكى دون فاروق آخر ودون الوفد !

وربما يكون هذا البيان قد أفاد الثورة ، دون أن يكون ذلك هدف ايدن ، فقد منعها من الاندفاع، وأبقى روح التضامن ، ومنع الانقسام بين قياداتها ، وإن كان قد أخر إعلان الجمهورية !

وحددت وزارة الخارجية البريطـانية سياستها فى مصر بـالبرقية رقم ١٩١ بتاريـخ ٢٨ يوليه ١٩٥٢.

«تدعيم على مـاهر وتشجيعه مع اللـواء محمد نجيب على ترتيـب البيت المصرى وتلافى إحراجهما فى هذه المرحلة بالذات بقضايا السياسة الخارجية » .

* * *

طلب إيدن إلى سفيره فى مصر رالف ستيفنسـون إلغاء اجازته والعودة إلى القاهـرة فوصلها فى الصباح المبكر من يوم ٢٩ يوليه والتقى ، مع كريزويل ، بعلى ماهر رئيس الوزراء ظهر اليوم التالى ليبلغه رسالة هامة من وزير خارجية بريطانيا أو بعبارة أخرى ليبلغه الإنذار البريطانى .

تبدأ الرسالة بنوايا بريطانية طيبـة نحو مصر وأن الحكومة البريطانية تعتبر الأزمة الدستورية الحالية فى مصر من الشئون الـداخلية البحتة ، ولن تحاول التدخل فيها ولكنهـا تريد ضمان حفظ القانون والنظام .

وقالت : « **كان من رأى الحكومة البريطانية دوامـا أنه لقيام حكومة نظيفة فى مصر يجب تطهير القصر والإدارة من العناصر المنحرفة ولذلك فإنها ترحب بالتغييرات الأخيرة فى مصر مادامت هذه نتائجها** » .

ولكن مضمون الرسالة ، بعد ذلك ، كان تدخلا كاملا فى شئون مصر فإن ايدن قال:

« إنه يشعر بـالقلق ازاء الأنباء الحالية عن أنشطـة الجيش فى القاهرة ، وبـوجه خاص الاعتقالات كثيرة العـدد بين رجال الشرطـة ، والإشاعـات ، بأن هنـاك عناصر متطـرفة بين الضباط المشتركين فى الثـورة على صلة وثيقة بـالإخوان المسلمين . و إنه ـــ أى ايدن ـ يـريد تأكيدا من على ماهر بمتابعة هذه النقاط ولن يسمح لزمام الموقف أن يفلت من يده .

وقال ايدن لسفيره محذرا :

ـ إذا رغبت احذف أية إشارة إلى الإخوان المسلمين .

وقال ايدن .

« من أهم المطالب الفورية تجنب أية هزات دستورية أخرى .

ونصـح ايـدن رئيـس وزراء مصر ببـذل كل جهـد لجعـل أنشطـة الجيـش فى الإطـار الدستورى العريض ، وتجنب أى صدام مع الجيش يؤدى إلى استقالته .

وتعرب الرسـالة عن اهتمام بريطانيـا بتشكيل هيئة وصاية تضـم أحد أعضاء الأسرة المالكة لتجنب خطر الفراغ الدستورى » .

وبهذه الطريقة ألمحت بريطانيا إلى أنها تريد أن يضم مجلس الوصاية عضوا من الأسرة المالكة للإبقاء على النظام الملكى فى مصر .

وقالت الرسالة :

« يجب أن يستعمل على ماهر الثغرات الدستورية فلا يوجد نص فى الدستور عن الاجراءات التى تتبع فى حالة اعتزال العرش .

إنه كرئيس للوزراء ، ومجلس الوصاية الذى عينه الملك فاروق ، هما السلطتان الدستوريتان الوحيدتان الباقيتان فى البلاد والقائمتان على أساس شرعى .

المادة ٥٢ من الدستور تنص على دعوة مجلس النواب المنحل فى حالة خاصة واحدة وهى وفاة الملك .

والمادة ٥١ تقضى بأن يتولى مجلس الوصاية سلطاته بعد حلف اليمين أمام مجلس البرلمان .

ولكن يمكن الجدل فى هذه النقطة على أساس أن يتم ذلك عندما تسمح الظروف.

وتبقى نقطة واحدة وهى مسألة عضوية على ماهر فى مجلس الوصاية . ويمكن أن يدور السفير حول ذلك بأن على ماهر يقدر على القيام بهذين العملين ، وأن يعين ، أو يدع لمجلس الوصاية أن يعين بديلا له فى المجلس .

ولا أستطيع الادعاء بأن هذه النقاط محسومة بهذه الطريقة . ولكن الدستور نفسه معيب وناقص وهذا هو الاتجاه الممكن المعقول فى هذه الظروف » .

ولكن الرسالة قالت بوضوح :

« لايجب أن يعود الوفد إلى الحكم » .

وأضافت الرسالة :

« تطلعت الحكومة البريطانية باهتمام إلى أية محاولة للعناصر الوفدية المتطرفة للوصول إلى السلطة » !

ووردت بالرسالة الإشارات المعتادة بصدد المحافظة على القانون والنظام وأن حكومة على ماهر هى الحكومة الدستورية الممكنة الوحيدة فى هذه الظروف . ومن الصعب تعيين رئيس وزراء دستورى آخر يحل محله فى الوقت الحاضر .

وطلبت الرسالة إلى السفير أن يتحدث إلى اللواء محمد نجيب أيضا على نفس الأسس وأن يتجنب ـ إذا رغب ـ الإشارة إلى الإخوان المسلمين مع تأكيد أن الحكومة البريطانية تهتم ببقاء وزارة على ماهر ولاترى بديلا له وأنها ترغب فى ألا تكون القيادة السياسية للعناصر المتطرفة أو الوفد .

وهكذا وضعت بريطانيا الجرس فى رقبة على ماهر !

بدأ ستيفنسون الحديث مع رئيس الوزراء بأن نصحه بتعيين عضو من الأسرة المالكة فى مجلس الوصاية .

شكره على ماهر وقال :

ـ المستشارون القانونيون منقسمون فى رأيهم . ولكنهم اتفقوا على أن الدستور معلق الآن .

وأضاف :

ـ قابلت النحاس وناقشت معه الموضوع . وفى رأى النحاس أن البرلمان بقى منحلا لفترة أطول مما يسمح بها الدستور ويجب أن يعود إلى الانعقاد فورا واستشارته فى شأن مجلس الوصاية الذى ينبغى أن يتألف من على ماهر رئيسا وبهى الدين بركات وحسين سرى عضوين .

وقال :

ـ الوفد والعسكريون يرغبون فى تشكيل مجلس الوصاية بدون عضو من الأسرة المالكة .

قال السفير :

ـ استبعاد أى فرد من الأسرة المالكة من عضوية مجلس الوصاية سيضعف موقف الملكية وبالتالى استقرار الحكومة .

قال على ماهر :

ـ العسكريون مصممون بالتأكيد على حفظ النظام ، ولكنهم جماعة متعددة المذاهب، واللواء محمد نجيب يتحكم فيه مرءوسوه ، وهناك فى الجيش ذوو أفكار متطرفة سواء أكانت أفكار حزب مصر الاشتراكى أو الإخوان المسلمين ، أو حتى الشيوعيين ، ونفوذ الوفد لديهم قوى بصورة خاصة .

والمستقبل غير واضح . والبوليس ضعيف وتسوده البلبلة .

وأضاف :

ـ ضاق الجيش والبلاد ذرعا بالأحزاب السياسية القديمة .

أجاب السفير مكملا رسالة ايدن :

ـ سيصيب القلق الحكومة البريطانية إزاء احتمال السيطرة السياسية للعناصر المتطرفة من الوفد . وترى فى حكومتك السلطة السياسية الوحيدة دستوريا ، وليس لها أى بديل .

قال ستيفنسون فى برقية للندن :

« أخذت الانطباع بأن على ماهر يجد نفسه فى موقف صعب للغاية وأن هذا سيحتاج إلى كل قدرته ومرونته ليبقى » .

ولكن على ماهر الذى كان يعرف بينه وبين نفسه بأنه ، وإن كان قد اقنع الملك بالتنازل ، وانه ـ أى على ماهر ـ يرأس الوزارة ، فإنه لايملك سلطة إصدار القرار بالنسبة لمستقبل مصر .

قال السفير :

«كان على ماهر غامضا إلى حد ما بشأن هيئة الوصاية والدستور ، وما إذا كان سيدعو البرلمان إلى الانعقاد فى هذا الوقت أم لا .

ولم يكن محددا فى أى شىء . إنه يريد ترك الأمور أياما ثم يستشير العسكريين فى مطالبهم العامة قبل اتخاذ أى قرار . وهو لايستطيع أن يقف ضد رغبات العسكريين ويرغب فى معاملتهم برقة لتجنب صدام مباشر معهم » .

أثناء الحديث جاء سكرتير على ماهر يحمل إلى رئيس الوزراء برقية تفيد بوجود تحركات واسعة للقوات البريطانية فى ليبيا وبنشاط كبير للقوات الجوية الأمريكية بين منطقتى القناة وطبرق.

سأل على ماهر السفير عن صحة هذه الأنباء .

تخلص السفير من الجواب قائلا :

ـ لا أستطيع تحديد مدى دقة هذه الأخبار .

ولكن السفير لم ينفها أيضا بل قال

ـ من الضروى القيام ببعض التحركات فى ضوء حالة الاستعداد . وهى لاتنطوى على أى عداء لمصر .

قال على ماهر :

ـ أليست لديكم فى منطقة القناة قوات كافية قادرة على التعامل مع أية مشكلة تنشأ .

وأضاف :

ـ من غير المعقول أن يقاوم الجيش المصرى قواتكم .

قال السفير ـ إنى سعيد بتلقى هذه التأكيدات .

وأضاف :

ـ ألق نظرة على الخريطة لتدرك أن التحرك من منطقة القناة فقط لن يكون كافيا من حيث السرعة لإنقاذ الأرواح .

وقال السفير لرئيس الوزراء :

ـ هل أنت واثق تمام الثقة من حالة الأمن فى البلاد ؟

أجاب على ماهر بالايجاب .

ورغم ذلك قال السفير :

ـ التراجع عن حالة الاستعداد التى وضعت فيها قواتنا سيكون بمثابة تعبير سياسى عن الثقة فى السلطات المصرية ، وسأحتاج لبضعة أيام أخرى لدراسة الوضع قبل الإشارة على لندن بشىء .

ومتى تم تعيين مجلس الوصاية على العرش يمكن ـ حينئذ ـ تخفيض هذه الاستعدادات إذا تم كل شىء بهدوء وعلى مايرام .

ووضح من كلمات السفير أنها إنذار مستتر يشير تلميحا إلى أنه .. إذا عينتم أوصياء نرضى عنهم فسنخفف التحركات والاستعدادات العسكرية فى ليبيا ومنطقة القناة .. أما إذا رفضتم فستبقى هذه التحركات تهددكم بالتدخل فى أى وقت !

* * *

ويصر ستيفنسون على لقاء على ماهر ومحمد نجيب معا فى اليوم ذاته . وكان هذا أولا أتصال بين السفير البريطانى ومحمد نجيب .

تم اللقاء مساء ٢٩ من يوليه وحضره أنور السادات وجمال سالم . وفى برقية السفير سماهما

«الساداتى» و «كمال سالم» !

قال ستيفنسون ، وهو يضغط على كلماته :

- تعتبر حكومة جلالة الملك على ماهر ووزارته هما السلطة السياسية الدستورية الحالية وتثق بأنه على الجيش المصرى أن يمده بكامل التأييد .

وأضاف :

- يجب الحرص على تجنب أية ثورات دستورية وضم عضو من الأسرة المالكة إلى مجلس الوصاية .

وأضاف :

- إذا خرجت الأسرة المالكة تماما من الحسبان فربما يسود الاعتقاد بأن مصر تريد التخلص من السلالة الملكية مما سيضعف الوضع الدستورى كله . ونحن لانرغب فى تعريض مصر لثورة دستورية أخرى .

وكان واضحا من حديث السفير أنه يريد استمرار النظام الملكى دستوريا حتى لاتقع انقلابات داخل الجيش نتيجة عدم استقرار الأوضاع .

تدخل جمال سالم فى الحديث قائلا :

- المهم أن يكون المناخ المحيط بالملك الصغير - أحمد فؤاد الثانى - فى أحسن صورة وهذا أفضل من ادخال عضو من الأسرة المالكة فى مجلس الوصاية .

وقال :

- لن يكون هناك انتهاك للدستور . وليس من الضرورى أن يكون أحد أفراد الأسرة المالكة عضوا فى مجلس الوصاية .

وافقه السفير ولكنه قال :

- أصر على رأيى فى إدخال الأسرة المالكة فى الحسبان عند تشكيل مجلس الوصاية .

قال جمال سالم :

- لن يكون للأمر هذا الصدى فى مصر .

امتنع محمد نجيب وأنور السادات عن الاشتراك فى ذلك النقاش .

ولكن أنور السادات تدخل فى الحديث بذكاء .

قال للسفير :

- هل اقتراحك بضرورة إدخال أحد أفراد الأسرة المالكة فى مجلس الوصاية رأى رسمى من الحكومة البريطانية لصالح الأسرة المالكة المصرية .

فطن السفير إلى الفخ الذى ينصب له فقد أراد أنور السادات الوصول إلى أن بريطانيا تتدخل فعلا فى شئون مصر الداخلية بعكس رسالة ايدن ، أو أن السفير ، يتدخل شخصيا كما كان يفعل أيام الملك بينما يصر ايدن على عدم التدخل .

تراجع السفير على الفور قائلا :

ـ فى هـذه النقطة الهامـة بالذات أقـدم نصيحة صديـق عن رد الفعـل فى الخارج إذا استبعدت الأسرة المالكة من مجلس الوصاية .

وكان السفير يكذب فإنه نقل رسالة انتونى ايدن .. بالحرف الواحد!

واضاف السفير .

ـ إنى أمثل الحكومة البريطانية وأعبر عنها فى النقاط التالية .

(أ) تأكيد بأن ماقام به جيش مصر من الشئون الداخلية ، والتى لانسعى للتدخل فيها .

(ب) اهتمامنا الأساسى فى الحفاظ على القانون والنظام .

(جـ) رغبتنا ألا تتعرض مصر لأية ثورة دستورية أخرى .

قال اللـواء نجيب والضـابطان إنهما يقدران مـوقف بـريطانيـا وهما مصران على الحفاظ على القانون والنظام وعلى تحقيق التطور السياسى والدستورى .

ردسيتفنسون :

ـ السفير الأمريكى يتفق معنا ـ أى مع البريطـانيين ـ على أن وجود أمير ملكى فى هيئة الوصاية ضرورى للاستقرار .

انتهى الاجتماع فلم يفطن الصحفيون إلى جمال سالم وأنه عضو فى لجنة القيادة .

ووجد السفير حشد الصحفيين ينتظر فقال لهم :

ـ اللقاء للمجاملة وهدف إقامة اتصال باللواء نجيب .

وكان السفير للمرة الثانية ـ يكذب !

وكذبـت الصحف المصرية أيضـا عندما نشرت أن السفير البريطـانى يحمـل رسالة مـن وزير الخارجية البريطـانى ، يبدى فيها استعداده ، لبحث مسألـة الجلاء ووحدة وادى النيل على أسس جديدة .

والغريب فى الأمر أنه رغم مافى رسالة ايـدن من تدخل صريح فى شئون مصر فإن محمد نجيب تلقى الرسالة ـ كما فعل على ماهر أيضـا ـ بروح طيبة جدا !.. كما قال السفير الذى كتب إلى لندن

« عـدم تمكن اللـواء نجيب مـن الانجليزيـة لايصـل إلى مستوى انجليـزية الضـابطين المرافقين له . وجعل من الصعب الحكم على قوة موقفه تجاه مساعديه . إنه لم يتكلم الا قليلا جدا .

لقد ترك فىَّ أثرا كرجل أمين يبذل أقصى جهده فى موقف صعب للغاية .

وقد حدثته هو والضـابطين الآخرين بكل مايمكننى قوله من كـلام طيب . وأهم ماشارك به فى الحديث هو تأكيده أن الجيش لاينوى أن يتأرجح فى يد أى حزب سياسى معين ، ولكنه سيسير قدما لتحقيق الهدف الذى وضعوه لأنفسهم » .

كان على ماهر رئيس الوزراء هو الذى يرى عدم دعوة البرلمان .

وكان جمال عبد الناصر هـو الذى يؤيد دعوة البرلمان .. ففى الأيـام الأولى للثورة كان الضباط يتمسكون بالدستور حريصين عليه شكلا . ولكن رجـال السياسة أرادوا تصفية حسابات قديمة والعدول حتى عن الشكل .

وقد عبر الصاغ عبد المنعم النجار المتحدث باسم اللواء نجيب للملحقين العسكريين الغربيين عن موقف الثورة من هذه القضية الدستورية فقال :

ـ تأمل القوات المسلحة المصرية بإخلاص دعوة البرلمان المنحل إلى الانعقاد من أجل الهدف المعلن وهو إقرار تعيين هيئة الوصاية على العرش ثم يحل البرلمان مرة أخرى ، وتجرى انتخابات جديدة فى أسرع وقت ممكن .

ويدعى برلمان جديد إلى الانعقاد لتقوم حكومة برلمانية بعملها .

وعارض الصاغ النجار بشدة اشتراك القوات المسلحة المصرية فى مشكلات مصر الداخلية .

ولكن الصاغ النجار قال عندما سئل عن موقف القوات المسلحة ازاء عودة مصطفى النحاس وفؤاد سراج الدين من فرنسا :

ـ تود القوات المسلحة أن تلقى تعاونا منهما لإقامة إدارة تتميز بالكفاءة للشئون الداخلية المصرية .

وأضاف :

ـ هناك قوى تتحرك الآن داخل حزب الوفد لتطهير الحزب من الفساد المعترف به . وتشجع القوات المسلحة المصرية كل الأحزاب السياسية المصرية على أن تفعل نفس الشيء .

وألح ، بشدة إلى أن القوات المسلحة المصرية لديها دليل بالوثائق على أن النحاس باشا وقرينته وسراج الدين مدانون بارتكاب ممارسات فاسدة فى الماضى .

وترغب القوات المسلحة المصرية فى التغاضى عن الخطايا السابقة للزعماء السياسيين المصريين إذا قدموا البينة على القدوة والنزاهة .

وقال بصراحة .

ـ تعتزم القوات المسلحة المصرية الإشراف على النشاط السياسى فى الوقت الراهن !

ويفاجئ على ماهر الأحزاب معلنا .

ـ أوضحت لى قيادة الحركة موقفها بأننا« لم نقم بهذه الحركة ليكسب منها محترفو السياسة وإنما قمنا بحركتنا وهدفنا الأول مصلحة البلاد !» .

* * *

اجتمع قائد السرب على صبرى بدافيد ايفانز ، بعد خمسة أيام من رحيل فاروق .

قال على صبرى :

ـ تشعر القوات المسلحة بقلق شديد جدا من القوة السياسية للوفد ويعرف قادة الانقلاب رغبته فى العودة إلى الحكم بأسرع ما يمكن .

وتقر القوات المسلحة المصرية أيضا بان عودة الوفد إلى الحكم هذه المرة ستضع مصر فى مركز غير موات سواء من الناحية المحلية أو الدولية .

وتريد القوات المسلحة المصرية أن تفعل كل ما يمكن فعله لمنع عودة الوفد إلى الحكم، ولكنها تعترف فى الوقت نفسه بأن تنظيم الوفد يشكل قوة سياسية لايمكن اهمالها أو انكارها على السواء.

والقوات المسلحة المصرية لا تريد أن تطرد عصبة من العاطلين المتطفلين .. لا لشىء إلا لتضع فى مكانهم عصبة أخرى من العاطلين المتطفلين .

وتقدر القوات المسلحة المصرية أن حزب الوفد كان يقف وراءه فى وقت من الأوقات أربعون فى المائة من الشعب المصرى .

وتقدر القوات المسلحة المصرية الآن أن حزب الوفد يقف وراءه عشرون فى المائة فقط من الشعب.

وتعترف القوات المسلحة المصرية بأن الدستور ينص على عودة البرلمان للانعقاد عقب وفاة الملك بعشرة أيام .

ومع ذلك فإنه طالما أن الدستور المصرى لايتضمن نصا يوضح مهمة البرلمان عقب تنازل الملك عن العرش ، فإنه يبدو الآن أن القوات المسلحة المصرية ترغب فى إقامة مجلس وزراء مؤقت أو مرحلى ليقوم مقام مجلس الوصاية على العرش .

وترغب القوات المسلحة المصرية فى أن تجرى الانتخابات العامة فى المستقبل القريب ليتسنى تعيين مجلس الوصاية بطريقة دستورية ، وبذلك تقوم حكومة دستورية .

وأضاف على صبرى :

ـ هذه المشكلة الدستورية برمتها أى مجلس الوصاية ، يجب تسويتها خلال الثمانى والأربعين ساعة القادمة .

وألمح إلى أن مجلس الوزراء المؤقت سوف يضطلع بالالتزامات المفروضة بموجب القانون ـ عن طريق اصدار مراسيم ـ بدلا من دعوة البرلمان « بأكمله » للانعقاد .

وتجرى الآن دراسة الجوانب القانونية والدستورية للمشكلة .

وكانت كلمات على صبرى تعنى أن لجنة القيادة رغبت فى مسايرة الولايات المتحدة وبريطانيا وعدم دعوة البرلمان الوفدى للانعقاد حتى تستمر الولايات المتحدة فى تأييدها للانقلاب وتمنع بريطانيا عن التدخل .

وربما تكون اللجنة قد غيرت موقفها وسياستها وقررت اتخاذ الخطوة الأولى للحكم العسكرى.

قال ايفانز للسفير الأمريكى :

ـ يبدو أن كل الجهود تبذل للتحايل على الدستور القائم !

شيك أمريكى .. « على بياض »

بدأت لجنة القيادة تتقرب إلى الـدول الغربية الأربعة التى قدمت ، من قبـل ، لفاروق ، مطالبها لانضمام مصر إلى نظام دفاعى غربى .

ومن جانبها أخذت الولايات المتحدة وبريطـانيا تتنافسـان فى التقرب إلى النظام الجديد وفرض نصائحهما ، أو شروطهما ، بطريقة دبلوماسية حينا ومغلفة بالتهديدات أحيانا .

كان أهم مـاتريده الدولتان أن يبقى على مـاهر فى السلطة وألا يتحالف مع الـوفد ، وألا تقام فى مصر ديكتاتورية عسكرية .

ولكن الدولتين ، فى الوقت نفسـه ، لم تمانعا أبدا فى قيام هـذه الديكتاتورية مادام الوفد لايعود ، ونظام الدفاع المشترك يتحقق .

وكانت بريطانيا أكثر تلهفا من الولايات المتحدة وتفضـحها أعمالها وأقوالها !

* * *

دعا الرائد عبد المنعم النجار مساعدى الملحقين الجويين الأمريكى دافيد ايفانز والبريطانى قائد السرب جونسون ومساعدى الملحقين العسكريين الفرنسى والأمريكى ماك كليرى والكابتن هنرى بيوك للاجتماع به فى السابعة من مساء ٢٨ من يوليه بعد يومين من رحيل الملك

فى بداية الاجتماع طلب النجار من قائد السرب جـونسون مساعد الملحق الجوى البريطانى أن ينقـل إلى السـفارة البريطـانيـة رغبة القـوات المسلحـة المصريـة فى أن تكون متعـاونـة تماما مـع البريطانيين فى المحافظة على الأمن الداخلى فى مصر ولكنه قلق بشأن المناورات العسكرية البريطانية فى منطقة القناة ومناورات البحرية البريطانية فى البحر المتوسط .

رد الملحق البريطانى بأن المناورات مجرد إجراءات وقائية .

وربما يكون الحصول على التأكيد البريطانى بعدم تدخـل بريطانيا بعد رحيل الملك هو الهدف الأول للاجتماع .

وعاد الصاغ النجار يشير بشدة إلى رغبة القوات المسلحة المصرية الاشتراك فى تنظيم الدفاع عن الشرق الأوسط و الاشتراك فى نوع من قيادة الدفاع عن الشرق الأوسط « التى ينبغى بطبيعة الحال أن يتم الاتفاق عليها .. على المستوى السياسى » .

وأوضح الصاغ النجار أنه « عندما تنشب الحرب ، نريد أن نكون قادرين على القيام بنصيبنا».

ومع ذلك أكـد مرة أخرى على أنه يجب أن تعتبر مصر على الأقل شريكـا على قدم المساواة فى أى تنظيم دفاعى إقليمى !

وقال :

ـ تخطط القوات المسلحة المصرية الآن لإعادة تنظيم إدارية شاملة . وتعتزم تحسين ظروف معيشة الجندى المصرى العادى ليصبح مقاتلا فعالا فى أسرع وقت ممكن .

وعقب تنفيذ هذا البرنامج ستبدأ القوات المسلحة فى تحسين أوضاع ضباط الصف .

وفى النهاية ، يتم تحسين ظروف عمل وتدريب الضباط .

وليست هناك خطة لرفع مرتبات أو إجراء ترقيات لأى شخص فى القوات المسلحة المصرية فى المستقبل القريب .

وقال النجار :

● تأمل القوات المسلحة المصرية دعوة البرلمان المنحل للاجتماع لتعيين مجلس الوصاية على العرش ـ ثم يحل البرلمان فورا وتجرى انتخابات جديدة فى أسرع وقت ـ ويدعى البرلمان للاجتماع لتقوم حكومة برلمانية .

● لن تشترك القوات المسلحة فى المشكلات السياسية الداخلية المصرية .

وعندما سئل عن الموقف الذى ستتخذه تجاه عودة النحاس وسراج الدين قال

ـ تود القوات المسلحة أن تلقى تعاونهما فى إقامة وصيانة إدارة تتميز بالكفاءة للشئون المصرية، ولدى القوات المسلحة دليل بالوثائق تدين النحاس وسراج الدين لارتكابهما ممارسات فاسدة .

وهناك قوى تتحرك داخل حزب الوفد لتطهيره من الفساد .

وتشجع القوات المسلحة الأحزاب السياسية على تطهير نفسها .

وترغب القوات المسلحة فى التغاضى عن الخطايا السابقة للزعماء السياسيين إذا قدموا الدليل على القدرة والنزاهة .

وبعد ذلك بدأ الصاغ النجار محاولة التقارب واستمالة الدول الثلاث الكبرى .

سئل عما إذا كانت هناك مشاركة من جانب الإخوان المسلمين فى تخطيط وتنفيذ الانقلاب .

قال :

ـ حاول الإخوان المسلمين إقامة اتصال مع قوات الانقلاب قبل وقوعه بوقت طويل .

ولما كان هدف قوات الانقلاب محدودا .. فقد اعتبرت أهداف الإخوان المسلمين متطرفة للغاية ورفضت القيادة قبول أية مشاركة من جانب الإخوان

وقال الصاغ النجار

ـ بالقطع أن اللواء محمد نجيب ليس عضوا فى الإخوان المسلمين .

وكان واضحا هدف الاجتماع وهو عدم التدخل البريطانى والإيحاء بأن مصر ستنضم إلى قيادة الدفاع عن الشرق الأوسط وهو الأمر الذى فشل فى تحقيقه فاروق . والتأكيد على أن الجيش لن يحكم بل سيراقب عن بعد مايفعله السياسيون .

وربما كانت نوايا الجيش ، فى البداية ، الابتعاد عن السياسة وعدم إقامة ديكتاتورية عسكرية !

وقال الصاغ النجار أمضت قوات الانقلاب السنوات العشر الماضية فى الإعداد لانقلابها كما

أمضت السنوات الثلاث الماضية فى التخطيط لعمليتها الأخيرة !

وقامت القوات المسلحة المصرية بدراسة خاصة كما يلى :

سياسة الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط .

السياسة البريطانية فى الشرق الأوسط والنفوذ فى مصر .

المصالح الفرنسية فى الشرق الأوسط .

الانقلاب العسكرى الأخير فى سوريا .

ثورات وانقلابات كثيرة فى دول متعددة .

الإيقاع المتصاعد للنشاط السياسى فى مصر .

وبتحليل كل العوامل السابقة ، حددت قوات الانقلاب توقيت تحركها.

ولم يكتف الصاغ عبد المنعم النجار بذلك بل إنه اتصل بـالكولونيل دافيد ايفانز مساعد الملحق الجوى الأمريكى فى الساعة العاشرة وخمس دقائق ليلا « وتطوع » ! بإبلاغه بالمعلومات الآتية :

تقوم القوات المسلحة الإسرائيلية بمناورات منذ يوم ١٥ من يوليو .

وقد وصلت تقارير توضح أن وحدات الجيش الإسرائيلى تزيد من سرعة مناوراتها بطريقة تهديدية .

وأعلنت حالة التأهب فى الفرقة الأولى المصرية بقطاع غزة وهى « مستعدة لأى شىء».

وهناك شائعات بأن كتيبة من الجيش البريطانى فى طريقها الآن إلى السويس لتستقل سفينة وتتوجه إلى جبهة يقال إنها منطقة الاسكندرية .

وهذه الشائعة غير مؤكدة .

... وشائعات أخرى تقول إن الملك فاروق يحاول الآن تشكيل حكومة مصرية فى المنفى .

وكانت الثورة فى الحقيقة تحذر الانجليز عن طريق الولايات المتحدة من التدخل وتخشى أن تنتهز اسرائيل الفرصة للقيام بعمل عسكرى .

* * *

ولكن قادة القوات البريطانية فى مصر لم يهتموا بمحاولات الثورة التقرب إلى الغرب فرأوا الاجتماع بما يكل كريزويل القائم بالأعمال البريطانى لدراسة الموقف من جميع نواحيه .

قال كريزويل :

ـ هناك احتمال بأن يظل الموقف هادئا .

وهناك احتمال آخر بانهيار النظام العام .

وربما نقابل فترة من السكون حتى اكتوبر عندما نطرح القضية المصرية .

ـ يقصد بذلك عندما تبدأ المفاوضات المصرية ـ البريطانية .

ومن هنا وضع القادة تقييما عاما بعثوا به إلى لندن .

قالوا :

«كل شىء هادئ الآن فى الدلتا ومنطقة القناة ، ومع ذلك علينا الاستعداد المسلح ضد أى

تغيير مفاجئ وعنيف للأسوأ خلال الأسبوع القادم أو بعده عندما يكون للعناصر المعادية لبريطانيا الوقت الكافى لوضع خططهم .

لقد أقلقنا الإنذار الذى واجهنا من الانقلاب العسكرى الحالى . ونحن نشعر أن علينا أن نأخذ حذرنا ضد أية مفاجآت أخرى » .

ووجد القادة أن حالة التأهب القصيرة التى وضعت فيها خطة التدخل البريطانى توفر أقصى حالات الاستعداد الممكنة ضد المشاكل فى الدلتا .

وقالوا :

« نحن نعلم بوجود عدد من العناصر الخطرة فى منطقة القناة تستطيع خلق كثير من المشاكل، بسرعة ، خاصة إذا دعمتهم وأيدتهم القوات المسلحة الإضافية فى الدلتا .

ولكن إذا واجهنا إنذارا من الحكومة المصرية المدعمة بقواتها المسلحة ، فلن تكون خططنا الحالية ملائمة »

* * *

ولكن السفير الأمريكى ، صاحب الخبرة الدبلوماسية الطويلة ، الذى رأى حصار قصر ملك اليونان فى أثينا عندما كان ـ أى السفير ـ فى بداية حياته الدبلوماسية أخذ يقيم الموقف فى هدوء بعد التغييرات الجذرية التى حدثت فى مصر . ويحدد ملامح المرحلة القادمة التى يعاد فيها ترتيب الأوضاع :

قال عن الا حتمالات الممكنة :

« ١ ـ ظهور ديكتاتورية عسكرية « طيبة » فى شكل من الأشكال تخضع لسيطرة الإخوان المسلمين .

٢ ـ ظهور جمهورية يحكمها الوفديون .

٣ ـ استمرار التحالف بين على ماهر والجيش .

ولم يدرك الجيش بعد مدى قوته الحالية .

ويحاول زعماء الوفد أن يقولوا للجيش :

ـ أحسنتم ، عودوا الآن إلى ثكناتكم ودعوا ممثلى الشعب الحقيقيين يتولون أمر البلاد .

ولم يستقر الجيش بعد على رأى .

وتظهر الغيرة على بعض صغار الضباط بسبب الدور الذى لعبوه ، ويعتزمون مقاومة أى اجراء لوضع السلطة فى يد كبار الضباط الذين لم يشاركوا فى الانقلاب ».

ولكن السفير الأمريكى رغم اتصالاته بلجنة القيادة منذ بدء الثورة ، كان حائرا لايعرف أين ستتجه مصر ، وكان أيضا متشائما .

فى برقية إلى واشنطن بعد ثلاثة أيام من نهاية حكم فاروق كتب يقول :

« لانستطيع ان نتطلع إلى أن مصر ستنعم بمستقبل سعيد .

ومن قبيل المبالغات أن ننتظر من مجلس الوصاية على العرش أن يحكم مصر بحكمة

واقتدار لفترة ١٧ عاما حتى يبلغ الملك الجديد سن الرشد ، خاصة وأن هناك حالة من القلق منتشرة بين الجموع التى لاتجد ما يكفيها من طعام وكساء.

و إذا تمت الإطاحة بمجلس الوصاية على العرش وتشكيل جمهورية من «الوفد » أو أية جمهورية مشابهة أخرى فإن طبقاتها الحاكمة ستهتم بتقسيم الأراضى والضياع الملكية ، فيما بينها ، أكثر من اهتمامها برعاية الفلاحين .

إن النظام مستتب فى الوقت الحاضر ، على الأقل ، و إن كانت بريطانيا تخشى أن يكون ذلك أمرا مؤقتا وتعتقد أن التدخل العسكرى البريطانى أمر محتوم .

ولست متشائما إلى هذا الحد ولكنى لست متفائلا . فهذه الدولة ستتمزق أشتاتا إذا فشلنا فى مساعدتها على التماسك »!

* * *

حدد دين انتشيسون وزير الخارجية الأمريكى سياسة الولايات المتحدة إزاء الانقلاب فى برقية بعث بها إلى كافرى :

قال :

« من السابق لأوانه التوصل إلى معرفة دقيقة للاتجاه الذى ستسير فيه مصر. ولكن المرغوب فيه التفكير فيما يجب أن تفعله الولايات المتحدة ، بالتعاون المفترض مع بريطانيا فى حالة قيام نجيب والجيش باجراء اتصالات مؤكدة لطلب المساعدة .

إن الاعجاب المتبادل بين نجيب والنحاس ، والمشاركة البادية من جانب الإخوان المسلمين ، واحتمال دعوة البرلمان الوفدى للانعقاد ، والمصاعب الدستورية ، والتصميم الواضح من جانب العسكريين على البقاء فى مركز الصدارة السياسية .. كلها عوامل ستكون موضع مراقبة دقيقة خشية أن يصبح الخوف من كل أجنبى ، مرة أخرى ، هو الحقيقة الأساسية .

ومن ناحية أخرى ، فإن عدم وقوع عنف حتى الآن و إمكان حدوث تطهير نظيف ، والموقف الودى لنجيب تجاه ممثلى الولايات المتحدة والرغبة التى يتم تكرار التعبير عنها من جانب الجيش فى الاشتراك فى ترتيبات الدفاع عن الشرق الأوسط كلها عوامل مشجعة .

إن أكبر عنصر غير مستقر هو موقف نظام الحكم الجديد إزاء النزاع البريطانى ـ المصرى بما فى ذلك مشكلة ـ السودان التى ازدادت تعقيدا بإعلان الملك الجديد «ملكا » على مصر والسودان .

و إذا استطاع النظام الجديد المحافظة على القانون والنظام و إعادة الاستقرار إلى الحكم فى مصر ، وظل على موقفه الودى تجاه الغرب وأبدى ميلا فى التوصل إلى تسوية معقولة للمشكلة الانجلو ـ مصرية تشتمل على ترتيبات بديلة للقوات البريطانية فى قناة السويس ، فإننا يجب بطبيعة الحال أن نكون مستعدين للتعاون مع هذا النظام .

إننا نعتقد أنكم يجب أن توضحوا ذلك لرئيس الوزراء ولنجيب عندما ترون الوقت مناسبًا لذلك .

وليس من المرغوب فيه بطبيعة الحال ان تعطوا الانطباع بأننا نندفع بسرعة إلى أن ينضم نجيب إلى منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط » .

* * *

فكر نجيب فى اللجوء أولا للولايات المتحدة للحصول على مساعدتها فى التغلب على هذه الصعوبات .

وعبر عن رغبته فى الاشتراك فى منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط .

دعا السفير الأمريكى اللواء محمد نجيب وعشرة من أعضاء مجلس القيادة ـ مجلس الثورة ـ إلى مأدبة عشاء لإقامة علاقات شخصية معهم .

قال السفير إنهم مجموعة تتسم بالجدية ، حسنو النية ، أذكياء بدرجة كافية ، ولكن تنقصهم الخبرة السياسية والإدارية .

وتناول زكريا محيى الدين العشاء مع ليكلاندو ماك كلينتوك من رجال السفارة الأمريكية فأعطاه انطباعا ـ كما يقول الدبلوماسى ـ بأن العسكريين المصريين سيتوجهون إلى الولايات المتحدة طلبا للمساعدة والمشورة فور ترتيب البيت المصرى .

ولم يستبعد زكريا محيى الدين نظاما عسكريا دوليا يتولى مسئولية الدفاع عن القناة !

وعقد على ماهر مؤتمرا صحفيا أعلن فيه حاجة مصر إلى رأس المال الأجنبى لتدعيم الاقتصاد المصرى ، ورحب بالتعاون المثمر بين مصر والعالم .

وأعلن رئيس الوزراء تيسيرات ضخمة لحصول الأجانب على تأشيرات لدخول مصر والإقامة بها بين خمس وعشر سنوات بتأشيرة واحدة .

واتصلت المخابرات الأمريكية بالثورة عقب نجاحها مباشرة باعتبار أنه يمكن إقامة اتصال مباشر بالرئاسة الأمريكية واعتقل العسكريون ثلاثين من الشيوعيين بينهم بعض زعماء الحركة الشيوعية وطلبوا التعاون مع الأمريكيين والانجليز لمكافحة الشيوعية فى مصر .

وابرق كافرى إلى واشنطن بأن لدى الضباط الأحرار ومحمد نجيب ميولا ودية تجاه الولايات المتحدة ، وقد عبر عن رغبته فى الاشتراك فى منطقة الدفاع عن الشرق الأوسط .

وقال كافرى إنه يشعر بالتفاؤل بوجه عام ولكن لايجب أن تدفع الولايات المتحدة مصر إلى قبول الاشتراك فى هذا الحلف بل يجب مساعدتها على بناء قوة عسكرية فعالة وغير مكلفة لحماية البلاد .

* * *

وتستمر محاولات الثورة فى التقرب إلى الولايات المتحدة

فى منتصف أغسطس توجه اثنان من الضباط الأحرار إلى كافرى قائلين :

ـ مصر دولة ضعيفة ، تحتاج إلى صديق قوى . ونحن نود أن يكون هذا الصديق هو الولايات المتحدة .

وطلبا أن تقدم الولايات المتحدة العون فى المفاوضات مع بريطانيا لأن الضباط لايريدون التفاوض مباشرة مع بريطانيا

بعث كافرى إلى واشنطن يقول :

« هذا طيب للغاية من وجهة نظر المصالح الأمريكية . ورغم مشاركتى للحكام الجدد فى اهتمامهم بمقاومة الفساد والظلم الاجتماعى . أرى الخبرة تنقصهم وكذلك التنظيم والقاعدة الشعبية » .

* * *

قال لى دافيد ايفانز :

ـ كان كافرى متعاطفا مع الثوار . ويرى أنه لايوجد بديل غيرهم لمصر .

قال كافرى لايفانز .

ـ لك الضباط الصغار ، ولى الضباط الكبار .

وأضاف دافيد ايفانز :

ـ كان يمكن للولايات المتحدة ان تقدم لمصر اشياء كثيرة وتجنب المصريين المتاعب مع السوفييت !

وكنا أغبياء لأننا لم نقدم لمصر مساعدة عسكرية فى خريف عام ١٩٥٢ لقد رفضت وزارة الخارجية الأمريكية ذلك بسبب اسرائيل .

* * *

قال مسئولون فى الخارجية الأمريكية أن إعلان أحمد فؤاد الثانى ملكا على مصر والسودان يعنى أنه لايوجد حل قريب أو سريع لمشكلة السودان .

ووضعت وزارة الخارجية الأمريكية تقييما للحركة قالت فيه .

«إن مجموعة الضباط الشبان تتسم بالصدق والنشاط والأمانة والرغبة فى بناء مجتمع جديد أفضل . وقد أبدوا دلائل على إنهم مستعدون للتعاون مع الغرب » .

ولكن هذا التقييم تضمن المخاوف الأمريكية مما إذا كانت القيادة المعتدلة الحالية ـ أى محمد نجيب ـ يستطيع السيطرة على الضباط الذين قاموا بالانقلاب والهجمات المضادة للزعماء التقليديين ـ أى الوفد ـ وهل يمكن تحقيق تقدم لحل مشاكل مصر الاقتصادية والاجتماعية » .

ولذلك بعث دين اتشيسون وزير الخارجية الأمريكى إلى سفيره فى لندن يطلب منه الاجتماع بانتونى ايدن للإفادة بسرعة عن الموقف الجديد الذى خلقه الانقلاب ووضع صياغة تفصيلية للنقاط التى تريد بريطانيا التنازل عنها ، وعرضها بروح سخية على المصريين لخلق مناخ موات لمفاوضات ناجحة ، فإن القوات المسلحة المصرية تأمل التفاهم مع بريطانيا حول قاعدة القناة . وترى أن التعاون مع الغرب يضمن لها المساعدة العسكرية .

* * *

كان إعلان أحمد فؤاد الثانى ملكا على مصر والسودان . يعنى أزمة دولية كبرى لأن كل ممثل دبلوماسى فى القاهرة عليه أن يقدم أوراق اعتماد جديدة لملك مصر والسودان مما يؤدى إلى اعطاء الازمة حول السودان آفاقا عالمية واسعة .

ولكن القيادة رأت فى الأيام الأولى لخروج فاروق عدم الصدام مع بـريطانيا بعدما قال انتونى ايدن فى مجلس العموم ردا على سؤال بقوله :

ـ إعلان أحمد فؤاد الثانى ملكا على مصر والسودان لم ولـن يغير موقف الحكومة البريطانية أو سياستها بالنسبة للسودان .. أبدا .

ولذلك قررت لجنة القيادة ألا يقدم سفراء الدول الأجنبية أوراق اعتماد جديدة موجهة إلى الملك الجديد أحمد فؤاد الثانى ملك مصر والسودان .

وكان يمكن أن تؤدى الإطاحة بفاروق إلى الضغط على بريطـانيا للاعتراف باللقب الملكى مقابل موافقة الحكم الجديد على قيادة الدفاع عن الشرق الأوسط .

وبررت اللجنة ذلك بأن مجلس الوصاية مؤقت .

وينتبه أعضــاء اللجنة إلى الخطـأ الذى وقعـوا فيه . بعـدم إصرارهم على تقـديم أوراق اعتماد جديدة باسم ملك مصر والسودان لأن ذلك يعنى تخليهم عن السودان . وهذا هو العامل الأهم كما أن عدم تقديم أوراق اعتماد يعنـى عدم شرعية النظام دوليا من نـاحية أخرى فيطلبون إلى السفير البريطانى تقديم أوراق اعتماد جديدة .

رفض السفير البريطـانى ـــ بناء على تعليمات حكـومته ـــ أن يقدم الأوراق بـاسم ملـك مصر والسودان فتنازل قادة الانقـلاب مكتفين بأن تشير الخطابات إلى اسم الملك أحمد فـؤاد الثانى ولا تذكر لقبه !

وبالفعل قبلت هيئة الوصاية هذه الأوراق فى ١٦ أغسطس بعد ثلاثة أسابيع من رحيل فاروق .

ويجد أنتـونى ايـدن فى تنحى فـاروق فرصتـه المثـالية للتخلى عـن الاعتراف بلقب ملـك مصر والسودان.

طلب إلى كـل دول حلف شمال الأطلســى عدم اتخاذ أيـة خطوة تتضمـن الاعتراف الصريح أو الضمنى بلقب الملك أحمد فؤاد كملك مصر والسودان .

قال السير فـردريك ميللـر ممثل بـريطانيـا فى اجتماع مجلس حلـف شمال الأطلسى يـوم ٦ أغسطس :

ـ لايوجد تأكيد بأن الحكومة المصرية ستقبل ترتيبا مماثلا فيما يتعلق بالـحكومات الأخرى أى أن تكون أوراق الاعتماد باسم صاحب الجلالة دون لقبه ، فإن على ماهر رئيس وزراء مصر قال إن كل حالة ستبحث على حدة .

وطالب الحكومات الأعضاء فى الحلف بأن تتمسك بـالرأى الذى يقول بأنه ليس من الضرورى اعتماد ممثليها الدبلوماسيين مرة أخرى .

وأضـاف :

« ازاح تنحى الملـك فاروق المطـالبة بأهليتـه لعرش مصر والسودان . وقـد يسفر عـن تخفيف الضغوط المصرية لـلاعتراف بهذا اللقب . وزادت بالتأكيد معـارضة العديد مـن السودانيين لقبول الوجود تحت مظلة العرش المصرى فى شخص خليفة الملك فاروق .

وأضافت الاحداث الأخيرة ، حجة جديدة ضد أى عمل علنى.

وتوجد الآن فرصة أمام كل الدول المعنية بمسألة تقديم ممثليهم لأوراق اعتماد إلى ملك مصر ، أو قبول أوراق اعتماد الممثلين المصريين فى عواصمهم لتشكيل جبهة موحدة مهما كان الموقف الذى كانوا قد اتخذوه سابقا إزاء لقب الملك فاروق . وبذلك يتفادون تشجيع الحكومة المصرية الحالية ، على انتهاج موقف متصلب حول قضية السودان .

إن سياسة حكومة صاحبة الجلالة فى هذا الموضوع ، لاتتأثر بتغيير الملك فى مصر .

وأضاف :

ـ نصب الملك أحمد فؤاد الثانى ملكا لمصر والسودان .

وترى الحكومة البريطانية إنه ليس من الضرورى تقديم أوراق اعتماد جديدة للسفراء المعتمدين لدى مصر لأن هذه الأوراق يعاد تقديمها عندما يتغير رئيس الجمهورية أما فى حالة الملكية فإن ذلك يعتبر مجرد احتفالات شكلية ... وطالما ان مجلس الوصاية مؤقت فلا حاجة لتقديم أوراق اعتماد .

ولنفس السبب لاتوجد ضرورة لأن يقوم الممثلون المصريون فى الخارج بتقديم أوراق اعتماد جديدة أما القناصل فلا يتأثرون ـ بالطبع بتغيير فى السيادة !

وطالب ممثل بريطانيا بأن تتجنب كل قوى حلف شمال الأطلسى إتخاذ أية خطوة من شأنها الاعتراف الصريح أو الضمنى بلقب أحمد فؤاد ملك مصر والسودان .

وقال :

ـ تعتقد بريطانيا أن الحكومة المصرية لاترغب فى إثارة مسائل مثيرة للجدل فى اللحظة الراهنة .

وقال ممثل بريطانيا فى مجلس الحلف

ـ تم رفع الحظر عن أنواع معينة من المعدات الضرورية للسلاح الجوى المصرى . وأيضا طائرات التدريب الأولى وقطع الغيار اللازمة للطائرات وأجهزة الردار ليستمر هذا السلاح فى عمله .

وقد توصلت الحكومة البريطانية إلى هذا القرار لأن القوات الجوية المصرية إذا لم تتلق قطع غيار كافية لمواصلة عمليات التدريب فإن روحها المعنوية ستنخفض وربما يستغرق الأمر سنوات لرفعها واحيائها بدرجة كافية لتصبح فعالة مرة أخرى .

وتأمل الحكومة البريطانية أن تتمكن القوات الجوية المصرية فى سنوات قليلة من أداء دور مفيد فى الدفاع عن الشرق الأوسط » .

وقال ممثل بريطانيا :

ـ ربما كانت المجموعة العسكرية برئاسة اللواء نجيب ، المسئول بشكل رئيسى عن التخطيط لهذا الانقلاب ، على صلة بالعناصر المتطرفة فى السياسة المصرية وخصوصا الإخوان المسلمين .

ورغم أنهم أعلنوا أن همهم الوحيد إزاحة العناصر الفاسدة من الجيش والحياة السياسية ، فقد مارسوا ضغطا متزايدا على على ماهر لقبول وصايتهم ، وعلينا أن ننتظر لنرى ما إذا كان سيستطيع مقاومة هذا الضغط دون اللجوء لعناصر أخرى فى الحياة السياسية المصرية مثل الوفد

ورغم أن الموقف فى مصر حتى هذه اللحظة تحت السيطرة . ولكن إذا وقعت الحكومة فى أيدى العناصر المتطرفة فعلينا أن نتوقع حملة إرهابية أقسى وأكثر فعالية وانعداما للرحمة من الحملة التى وجهت ضد قواتنا فى الشتاء الماضى .

.... يقصد أحداث الاسماعيلية وحريق القاهرة .

وأضاف

- إن على ماهر ومحمد نجيب يسلكان فى الوقت الحاضر طريقا محفوفا بالمخاطر بين الفئات السياسية والعسكرية المتعارضة فى مصر ، وإذا تعزز العسكريون بشكل كبير بإمدادات من الأسلحة سيكون صعبا للغاية ، على رؤسائهم ، أن يحتفظوا بالسيطرة عليهم .

وسيكون هناك خطر أكبر لا من القتال فحسب بل من اضطرابات دستورية أكبر . لذلك تأمل الحكومة البريطانية أن تستمر كل القوى الصديقة فى منع تصدير الأسلحة من كل الأنواع إلى مصر فى الوقت الحاضر .

وهكذا أرادت بريطانيا تصدير قطع الغيار للسلاح الجوى المصرى لأن ذلك يفيد بريطانيا مستقبلا فى حالة انضمام مصر إلى منظمة للدفاع عن الشرق الأوسط أما بالنسبة لباقى الأسلحة فقد طلب ممثل بريطانيا منع تصدير الأسلحة ، وحتى الصغيرة ، إلى مصر . قائلا :

- قد يكون لهذه الأسلحة تأثير مباشر على الأنشطة الارهابية . وسيكون هناك خطر متزايد إذا حدث صدام مباشر مع قوات الجيش المصرى النظامى .

ولكن رأت بريطانيا أن تتخذ خطوات للتقرب للنظام الجديد حتى لاتصبح الغلبة للولايات المتحدة ، فإن كافرى حرص على أن يبين لقادة الانقلاب أنه سيساعد على طرد البريطانيين .

قرر مجلس الوزراء البريطانى يوم ٤ سبتمبر إرسال بعض معدات الطيران إلى مصر وتنمية الصداقة والتعاون بين الجيشين المصرى والبريطانى ، وتدريب الجيش المصرى.

وفى ٢٦ سبتمبر وافقت بريطانيا على الإفراج عن ٥ ملايين جنيه من الأرصدة الاسترلينية المصرية . وفى ٢٣ اكتوبر قررت ارسال بعض الطائرات النفاثة .

وتعهدت مصر ، من ناحيتها ، بتعويض أسر القتلى البريطانيين فى حريق القاهرة .

ولكن ظل كل من الطرفين ، قادة الانقلاب والحكومة البريطانية ، يتبادلان الموقف الحذر كل ازاء الآخرون وإن بدت بعض العوامل المشجعة .

وبقى الشك فى نفوس المسئولين فى القاهرة ولندن .

المصريون اتهموا الانجليز بمقاطعة القطن المصرى .

والانجليز وجدوا أن مصر لم تنضم إلى قيادة الشرق الأوسط .

* * *

ولكن الأمريكيين ينتهزون الفرصة للتقارب مع مصر بأسلوب غاية فى الانتهازية .

وافقت الحكومة الأمريكية سرا على طلب بريطانيا بمنع تقديم السلاح لمصر دون إخطار مصر وأبلغت كافرى بذلك يوم ١١ أغسطس ..

وبعد ثمانية أيام أبلـغ السفير الأمريكى فى لندن وزارة الخارجية البريطانيـة يوم ١٩ أغسطس بأن الـولايات المتحدة تفكر فى إصـدار بيان يعبر عن اهتمامهـا وصداقتها لنظام الحكـم الجديد فى مصر واستعدادها للتعاون معه ورغبتها فى تشجيعه علنا .

يقول البيان الذى أعلنه ، بعد ذلك وزير الخارجية الأمريكى بالنيابة :

« الأنباء الواردة من القاهرة بشأن البرنامج المعلن للحكومة المصرية الجديدة لإعادة الاستقرار السياسى والاقتصادى مشجعـة . ونحن نتابع الأحداث باهتمام بالغ . ونتمنـى لعلى ماهر رئيس الوزراء وزملائه المدنيين والعسكريين كل النجاح فى جهودهم لحل المشكلات الداخلية لبلدهم .

إن العلاقات بين الـولايات المتحدة ومصر باقية على أكبر درجـة من الصداقة والتعـاون ونأمل لصالح بلدينا ان تزيد وتتدعم وكذلك العلاقات بين مصر وكل دول العالم الحر .

ونتطلع إلى عصر تتفتح فيه مجالات جديدة للتعاون المتبادل » .

ولا ترد بريطانيا على السفير الأمريكـى . ولاتعرب له عن رأيها فى مشروع البيان ، فتبلغ وزارة الخارجية الأمريكية السفير البريطانى فى واشنطن مرة أخرى عن نواياها فى إصدار هذا الإعلان .

وعندمـا تذيعه الحكومـة الأمريكية لاتجد الحكـومة البريطانيـة مفرا من التعليق العلنـى عليه فيعلن متحدث بريطانى موقف بلاده قائلا :

« نحن نشارك الآراء الواردة فى البيان الأمريكى . ولكننـا لم نر ضرورة لإصدار بيانات مماثلة لأننا أقمنا منذ البداية علاقات وثيقة جدا مع الحكومة المصرية الجديدة . كما هو واضح من حقيقة أن سفيرنا فى القاهرة كان على اتصال دائم ومنتظم مع رئيس وزراء مصر » .

ولكن رأى الحكـومة البريطـانية الحقيقى فى الإعـلان الأمريكـى أبلغ إلى السفير البريطـانى فى القاهرة .

قالت برقية من وزارة الخارجية البريطانية للسفير البريطانى :

« ستفسر العناصر المتطرفة فى النظام المصرى هذا الإعلان على أن لديها «كارت بلانش » ـ شيك على بياض ـ من الحكومة الأمريكية » !

* * *

ترتيب البيت المصرى

اجتمعت هيئة مستشارى قسم الرأى لمجلس الدولة يوم ٢ من أغسطس للنظر فى اتخاذ قرار بشأن حلف الأ وصياء اليمين وهل يتم أمام مجلس النواب المنحل أم لا .

ويرأس قسم الرأى عادة المستشار سليمان حافظ وكيل مجلس الدولة . ولكن الدكتور عبد الرزاق السنهورى رئيس المجلس جاء ليرأس الاجتماع .

كان عدد الحاضرين عشرة من المستشارين بينهم إسماعيل ثروت ـ نجل عبد الخالق ثروت ـ رئيس وزراء مصر السابق ـ مستشار الرأى لوزارة الأشغال وأبو العينين سالم مستشار الرأى لوزارة الداخلية .

بدأ الاجتماع الدكتور عبد الرزاق السنهورى قائلا :

ـ أشار الدستور إلى دعوة مجلس النواب فى حالة واحدة وهى وفاة الملك . أما اعتزال العرش فلم يتعرض لها . ولا يؤخذ فى الدستور بالقياس .

ومن ثم لايجب دعوة مجلس النواب المنحل إلى الانعقاد ليحلف الأوصياء اليمين أمام اجتماع مشترك لمجلس النواب والشيوخ .

وأضاف :

ـ هناك نقص فى التشريع لابد من تداركه بإصدار مرسوم ينص على أنه فى حالة نزول الملك عن العرش وتولى ولى عهد قاصر يؤدى الأوصياء اليمين ، بصفة مؤقتة ، أمام مجلس الوزراء حتى تجتمع هيئة الوصاية الدائمة .

ووضح من ذلك أن الدكتور السنهورى جاء ليلقى بثقله وراء عدم إنعقاد مجلس النواب المنحل.

التزم كل المستشارين الصمت عدا الدكتور وحيد رأفت .

قال :

ـ البرلمان يمثل سيادة الأمة ولذلك يحلف الأوصياء اليمين أمامه . والأوصياء على العرش لايؤدون اليمين أمام هيئة أقل منهم مثل مجلس الوزراء .

وقال :

ـ يجوز القياس ، ويؤخذ به فى تطبيق الشريعة الإسلامية نفسها فكيف لايقاس على مواد دستورية .

ولا يوجد دستور فى العالم ينص فيه على حالة نادرة مثل اعتزال الملك للعرش .

أصر السنهورى على رأيه وأيده سليمان حافظ .

ووقف باقى المستشارين مع رئيس المجلس ووكيله !

ومن خلال المناقشات ظهر سر تأييد سليمان حافظ للسنهورى .

قال:

ـ هل تريدون أن تحكمنا السيدة زينب الوكيل ـ قرينة مصطفى النحاس ـ مرة أخرى !

وقال

ـ إذا اجتمع مَجلس النواب من تلقاء نفسه دون دعوة من الحكومة فعليها أن تفضه بالقوة .

أجاب وحيد رأفت :

ـ الإشارة إلى القوة محظورة فى اجتماع قضائى !

وتؤخذ الأصوات فى ختام المناقشة الحادة التى استمرت أكثر من ثلاث ساعات فكان تسعة مستشارين من مجلس الدولة مع عدم دعوة البرلمان المنحل وأيد دعوة مجلس النواب صوت واحد هو الدكتور وحيد رأفت مستشار الرأى لوزارتى الخارجية والعدل !

* * *

وكان سليمان حافظ يؤمن بمبادئ الحزب الوطنى القديم وفى صدره كراهية عميقة للوفد ولتصرفاته أثناء وزارته الأخيرة .

أما السنهورى فكان وزيرا سعديا ينتمى إلى الحزب السعدى الذى أسسه أحمد ماهر والنقراشى قبل اختياره رئيسا لمجلس الدولة .

وفى آخر وزارة للوفد اتصل زكى عبد المتعال وزير المالية بالدكتور عبد الرزاق السنهورى يطلب لقاءه فى الوزارة لمناقشة ميزانية مجلس الدولة فلما جاء السنهورى فوجئ بزكى عبد المتعال يقول :

ـ الوزارة لاتستريح لوجودك فى مجلس الدولة . لك انتماء حزبى ، ويريد النحاس باشا استقالتك .

فوجئ السنهورى بذلك ولكنه تمالك نفسه وقال :

ـ لن أستقيل . لقد خلعت الحزبية يوم ارتديت روب القضاء . وقد سبقنى إلى ذلك عبد العزيز فهمى باشا عندما تولى رئاسة محكمة النقض ، وكان قاضيا عادلا .

وقال السنهورى :

ـ أقيلونى إذا أردتم .

اجتمعت الجمعية العمومية لمجلس الدولة واحتجت على تدخل الوفد فى القضاء وساندت السنهورى وأيدته فبقى فى منصبه .

وعندما حدد أحمد نجيب الهلالى ، أثناء رئاسته للوزارة ، إقامة فؤاد سراج الدين فى منزله ، أقام دعوى أمام مجلس الدولة ، نظرها السنهورى الذى قضى بأن تحديد الإقامة باطل ، مما يقطع بأنه قاض عادل .

ورغم ذلك ظل السنهورى وسليمان حافظ شديدى العداء للوفد يعارضان عودة برلمانه المنحل.

* * *

تخلصت حكومة على ماهر من الأزمة بإعلان أن الوزارة ستتولى الصلاحيات الدستورية حتى يتم تشكيل مجلس الوصاية طبقا للمادة ٥٥ من الدستور .

ولم تعلن الوزارة أن ذلك تم بموافقة الجيش !

وتعجل على ماهر إعلان قرار مجلس الدولة فأذاع عقب انتهاء جلسة المجلس فى نشرة أخبار الساعة الثانية والنصف فى الإذاعة أمرا ملكيا بإلغاء جميع الرتب والألقاب على أن يلقب رؤساء مجلس الوزراء العاملون والسابقون بلقب « الرئيس » !

وبعد ذلك مباشرة أذيع أمر ملكى هذا نصه :

« فى حالة نزول الملك عن العرش وانتقال الولاية إلى خلف قاصر يجوز لمجلس الوزراء ، إذا كان مجلس النواب منحلا ، أن يؤلف هيئة وصاية مؤقتة للعرش من ثلاثة يختارهم من بين الطبقات المنصوص عليها فى المادة (١٠) تتوافر فيهم الشروط المبينة فيها .

وتتولى هيئة الوصاية المؤقتة ، بعد حلف اليمين أمام مجلس الوزراء ، سلطة الملك إلى أن تتولاها هيئة الوصاية الدائمة وفقا لأحكام المواد الثلاث السابقة ولأحكام المادة ٥١ من الدستور » .

وقرر مجلس الوزراء تأليف هيئة وصاية مؤقتة للعرش من الأمير محمد على عبد المنعم ، وكان فى الخارج فعاد إلى مصر بعد تعيينه ، والعقيد ـ القائمقام ـ محمد رشاد مهنا ، والدكتور محمد بهى الدين بركات ، تتولى سلطة الملك إلى أن تتولاها هيئة الوصاية الدائمة .

* * *

كان الأمير محمد عبد المنعم فى الثالثة والخمسين من عمره .

ولد فى قصر المنتزه . والده الخديو عباس حلمى الثانى وكان أحق بالعرش فإن الانجليز عندما عزلوا أباه عام ١٩١٤ اختاروا السلطان حسين كامل بدلا منه .

وقد تبع أباه للمنفى ولم يعد إلى مصر إلا عام ١٩١٧ بعدما أصبح أحمد فؤاد سلطانا على مصر.

يملك ثروة عن أبيه تقدر بأربعة ملايين جنيه .

لم يشغل أى منصب ، وكان رئيسا للجنة الأولمبية المصرية عام ١٩٣٦ ، وأوفده فاروق نيابة عنه للتعزية فى وفاة ملك بريطانيا .

حياته متواضعة وكان صديقا لعلى ماهر .

وزوجته الأميرة نسل شاه عرفت بنشاطها فى جمعية الهلال الأحمر .

وفى الفترة الأخيرة كانت علاقة الأمير بالملك سيئة فقد عرف عنه انتقاده لسلوك صاحب الجلالة.

الوصى الثانى على العرش بهى الدين بركات ، ٦٤ سنة ، ابن شقيقة سعد زغلول ووالده فتح الله بركات من زعماء الحركة الوطنية .

تخرج من كلية الحقوق وحصل على الدكتوراه من فرنسا واشتغل قاضيا بالمحاكم المختلطة . ومستشارا ووكيلا لوزارة العدل . ونائبا وعضوا بمجلس الشيوخ ورئيسا لهذا المجلس . وتولى الوزارة عدة مرات . وكان أول رئيس لديوان المحاسبة لمدة ٤ سنوات .

وهو مؤيد للغرب يعارض بشدة الفساد ويرى أن أحزاب مصر كلها مسئولة عن انهيار الأوضاع الداخلية .

والوصى الثالث على العرش محمد رشاد مهنا ـ ٤٤ سنة ـ درس فى انجلترا المدفعية المضادة للطائرات وقاد أول وحدة لهذه المدفعية فى الجيش المصرى .

اعتقل ٤٥ يوما فى قضية المنشورات ومؤامرة قلب نظام الحكم عام ٤٧ ولم يفرج عنه إلا بعد إحالة الفريق إبراهيم عطا الله باشا رئيس الأركان للمعاش .

وقد انتخب عضوا فى مجلس إدارة نادى ضباط الجيش ، وهو صديق للواء محمد نجيب .

عين مديرا للكلية الحربية يوم ٢٩ يوليه ثم وزيرا للمواصلات ليتسنى اختياره عضوا فى هيئة الوصاية على العرش لأن الدستور ينص على شروط معينة يجب أن تتوفر فى الوصى منها أن يكون وزيرا سابقا .

وهكذا استبعد مجلس الوزراء الأوصياء الذين اختارهم الملك فاروق كما استبعد البرلمان الوفدى عام ١٩٣٦ الأوصياء على العرش الذين اختارهم الملك فؤاد فإن فاروق كان أيضا دون سن الرشد عند وفاة أبيه .

* * *

أدى الأوصياء اليمين بقصر عابدين يوم ٥ من اغسطس ١٩٥٢ أمام مجلس الوزراء .

وعرف الأمير محمد على باختيار الأمير عبد المنعم عضوا فى مجلس الوصاية فبعث يشكر على ماهر بعبارات رقيقة على ولائه للوطن والأسرة المالكة وتفانيه فى خدمتها فنصحه على ماهر بالعودة من سويسرا إلى مصر .. فعاد .

قال لى زكريا محيى الدين :

ـ كانت عملية غير مستساغة عودة البرلمان الوفدى . وكان هدفنا فى البداية تأجيل النظر فى الموضوع .

وكان رأينا أن كل من انغمس فى الحياة السياسية قد تلوث وبالذات رجال الأحزاب القديمة .

ومن هنا كانت أفكار الجماعات التقدمية بالنسبة لنا أكثر أثارة مثل مصر الفتاة والإخوان المسلمين والشيوعيين !

* * *

زار السفير الأمريكى الأوصياء على العرش زيارة مجاملة ثم كتب إلى واشنطن يقول.

« هناك مسافة طويلة بين نجيب وبين الانسحاب من الحلبة السياسية » .

... أى أن نجيب والجيش جاءوا للبقاء فى خضم السياسة المصرية يقودونها ويوجهونها ويأخذون بزمامها !

* * *

لم تمض إلا ستة أسابيع تقريبا حتى استقال الدكتور وحيد رأفت يوم ٩ سبتمبر بعد أن فرقت

الحكومة بين مستشار ى الرأى ومستشارى محكمة مجلس الدولة أى الذين يفصلون فى القضايا فقد ميزت الحكومة مستشارى المحكمة ورفعتهم فى الدرجة الوظيفية فوق مستشارى الرأى .

وفى عام ١٩٥٦ طالب وحيد رأفت بقيام جمعية تأسيسية لوضع دستور جديد لمصر وحذر من التغلغل السوفييتى فى البلاد وفتح مصر والشرق الأوسط أمام النفوذ السوفييتى .

وقد اعتقل بعد ذلك فى نوفمبر عام ١٩٥٧ حتى يناير ١٩٥٨ فى سجن القلعة وحده ، دون باقى مستشارى مجلس الدولة الذين أفتوا بعودة البرلمان الوفدى .

كانت تطورات الأحداث سريعة متلاحقة ولذلك كان من الصعب أن يتنبأ إنسان بالموقف .

ولكن السفير الأمريكى جيفرسون كافرى حاول القيام بعملية التقييم أو «التنجيم».

قال لكريزويل

ـ يبدو أننا فى مأزق كبير والنبوءات توحى بالقلق إذا ظهر الإخوان على الساحة .

وقال كافرى فى برقيته إلى واشنطن يوم ٢٩ يوليه :

« الجيش ، تحت قيادة نجيب الاسمية ، يسيطر سيطرة كاملة فعالة على مصر.

وتمت المحافظة على القانون والنظام فى أنحاء البلاد . ورغم التصريحات المتكررة من نجيب بأن الثورة كانت عسكرية بحتة وأن السلطة السياسية سوف تظل بين يدى حكومة على ماهر ، فإنه من الواضح أن نفوذ الجيش فى الشئون السياسية حاسم فى الوقت الراهن على الأقل .

وثمة مسألة بالغة الأهمية هى مدى سيطرة نجيب على الجيش والخطر النسبى من احتمال وقوع انقلاب آخر من تدبير المتطرفين من هذا الجانب أو ذاك .

ولنجيب تاريخ موال للإخوان ، وهذا ليس أمرا مشجعا .

وفى جميع الأحوال .. فإن القوة هى شعار اليوم .

وفى كل فرصة متاحة تقوم بريطانيا بإبلاغ القادة العسكريين المصريين الحاليين بأن بريطانيا العظمى ستكون سعيدة بتقديم معدات عسكرية ضخمة إذا « تعاونت » الحكومة المصرية الحالية فى حل النزاع الإنجليزى ـ المصرى .

وإذا اقتنع القادة العسكريون المصريون بأن معدات حربية ضخمة فى الطريق فأنهم سينظرون نظرة جديدة إلى « قيادة الشرق الأوسط » وسيفضلون كثيرا المساعدة العسكرية الأمريكية .

ولكن يحتمل ان يأخذوا المعدات الحربية البريطانية ايضا » .

ويلتقى على ماهر مرة أخرى بالسفير البريطانى .

ويكشف على ماهر نفسه فى هذا الاجتماع ـ قال للسفير :

ـ توصلت فى مقابلة دامت حتى الخامسة صباحا مع نجيب وجماعته إلى اتفاق حول تشكيل هيئة الوصاية .

وقال :

ـ طالب الجيش بإقصاء ٩٧ من ضباط الشرطة مختلفى الرتب . وقلت لهم إن ذلك مستحيل .

وقد تعهدت بدراسة كل حالة على حدة والتخلص من غير اللائقين .

ولم يقل على ماهـر إنه أمام ضغط الجيش ، اضطر لـذلك ، أما السبب فهو انتشـار الشائعات بأن الشرطة ستقوم بانقلاب ثان .

وقال على ماهر :

ـ معنويات الجيش والشرطة عالية وقد رفض الضباط والجنود قبول أجر الطوارئ الإضافى الذى يمنح عادة فى مثل هذه الظروف لأنهم يعملون ساعات إضافية طويلة .

وقال رئيس الوزراء :

ـ نجحت فى حمل الجيش على قبـول مبدأ عدم التدخل من جانبهم معـى ، أو فى سياستى ، بعد إعلان هذه السياسة .

قال السفير متسائلا :

ـ هل تثق بالجيش فى ذلك .

أجاب على ماهر والثقة تملؤه .. أو الغرور :

ـ الجيش يرى أنى لا أعوض . لقد اختارونى بعد دراسة مستفيضة لبرنامجى .

أخذ رئيس الوزراء يشرح للسفير البريطانى الصعوبة التى يعانيها منذ الانقلاب قال :

ـ أصر الضباط ــ فى البداية ـ على العودة للإجراءات الدستورية ، وإتمام الانتخـابات فورا . قلت لهم إن ذلك سيدع البلاد مقيـدة بدستور قاصر ونظام انتخابى غير منـاسـب وحكومة عاجزة تسيطر عليها الأحزاب .. وتكون المحصلة مشاكل أخرى .

إن الضباط أرادوا أن يكون تنحى الملك فاروق هو النتيجة ، الوحيدة ، للحركة كلها.

وقد نجحت فى إقناعهـم بضرورة العمل بأسلوب منظم لكن من الصعب وصفهم بالثبات على المبدأ.

فرغـم مطالبتهم بعـودة الدستور إلا أنهم طالبـوا فى نفس الوقـت بوضـع كـل زعماء الأحزاب السياسية بما فيهم النحاس باشا فى السجن .

وقال على ماهر :

ـ سيكون ذلك مفيدا بـالنسبة لفؤاد سراج الدين ولكن الوفد ليس فى وضـع يمكنه من إثارة أية مشاكل .

وأضاف :

ـ أثنيت الضباط عن ذلك وهم يتصرفون الآن بصورة أكثر تعطفا .

وقال :

ـ لا أنوى اجراء الانتخابات قبل ستة شهور على الأقل .

قال السفير البريطانى :

« يثق رئيس الوزراء ثقة تكاد تكون مطلقة فى قدرته فى التغلب على المصاعب . وهو رجل بالغ المهارة والدهاء ، ضليع فى السياسة المصرية .

وربما يكون قادرا على حفظ توازنه فوق الحبل المشدود ولكنى غير مستعد لمشاركته مشاركة كاملة فى ثقته الحالية » .

ولكن على ماهر فضح نفسه بهذا الحديث فقد أكد ان الجيش كان يريد ـ فعلا ـ العودة إلى ثكناته أو يرغب فى البقاء بعيدا ليراقب الموقف ، ولكنه ـ أى على ماهر ـ شجعه على التدخل فى السياسة .. وإن كان بعض ضباط الانقلاب فى غير حاجة إلى تشجيع !

* * *

ويتصل الأمير محمد على ـ ولى العهد السابق وابن عم فاروق بالسفارة البريطانية فى برن يطلب إيفاد مسئول ليتحدث إليه عن الموقف فى مصر .

ونظرا لأن الانجليز فى تلك الأيام كانوا يريدون معرفة أية تفاصيل تفيدهم فإن السفير البريطانى أوفد إليه السكرتير الأول للسفارة فى لوسرن حيث يقيم ، وذلك قبل عودة الأمير إلى مصر

لم يقدم الأمير معلومات مفيدة لبريطانيا بل كان يرجو من الانجليز فائدة لنفسه .

قال :

ـ اشعر بألم واضح لأن رئيس الوزراء لم يستشرنى حول تأليف مجلس الوصاية وحول مستقبل الأسرة المالكة .

واعتقد أن مدبرى الانقلاب ينوون إعلان الجمهورية خلال ثلاث أو أربع سنوات وآمل أن تستعمل حكومة جلالة الملكة نفوذها للمحافظة على النظام الملكى .

واقترح الأمير أن يقوم السفيران البريطانى والأمريكى بتذكير رئيس الوزراء فى مصر بوجوده ، أى بوجود الأمير ، وأن يبديا دهشتهما لأن أكبر أعضاء الأسرة المالكة لايؤخذ رأيه أو يستشار !

ولا يكتفى الأمير بذلك بل يبعث ببرقية إلى على ماهر يقول فيها :

« مصير البيت الملكى بين يديك » !

ويكتب السفير الأمريكى إلى واشنطن :

« ينتهز البريطانيون كل مناسبة لتذكير المصريين بأن هناك قوات بريطانية عديدة فى منطقة القناة . وليس هذا تكتيكا سيئا فى الظروف الحالية » !

ومعنى ذلك أن الانجليز يهددون ـ باستمرار ـ الضباط بالتدخل !

* * *

لم تهدأ مخاوف ايدن أبدا .

قدم يوم ٢٨ يوليه مذكرة إلى مجلس الوزراء البريطانى يطلب فيها استشارة القوى البحرية فى العالم لاتخاذ الخطوات اللازمة لعرقلة أى عمل يمكن أن تقوم به حكومة مصرية معادية للإنجليز بالنسبة لقناة السويس . وكان عدد السفن العابرة للقناة ١١٦٩٤ سنويا منها ٤٠٩١ سفينة بريطانية و ١٠٣٤ أمريكية .

وطالب بعقد مؤتمر للقوى البحرية ، يشبه إلى حد كبير ، مؤتمر المنتفعين بقناة السويس ، الذى عقد بعد تأميم القناة عام ١٩٥٦ .

وقال إن فرنسا طلبت مشاركة كل من النرويج وهولندا وإيطاليا والولايات المتحدة فى هذا المؤتمر . ويمكن أيضا طلب مشاركة كل من السويد والدانيمرك اللتين أبديتا اهتماما كبيرا بهذه المسألة .

وقال إن هذه الهيئة يجب أن تكون صغيرة ليتسنى وصولها إلى اتفاق واتخاذ أى عمل بسهولة.

وفى حالة عقد مؤتمر يمكن أن تقترح ـ بريطانيا ـ أن تطالب هذه الدول مجتمعة الحكومة المصرية الحالية بما يلى :

(أ) تأكيد جديد من جانب مصر لمبدأ حرية المرور فى القناة وتوضيح ماتعنيه مصر بهذا المفهوم .

(ب) أن تضع فى الاعتبار المصالح الخاصة للقوى البحرية العظمى فى حماية حرية المرور فى القناة ووضع شركة القناة .

(جـ) أن تعد مصر بإحالة أية شكاوى خاصة بخرق الاستخدام الحر للقناة إلى محكمة العدل الدولية فى لاهاى وأن تلتزم بحكم المحكمة وأن تمتنع عن تكرار العمل المشكو منه حتى صدور قرار المحكمة .

(د) تأكيد باستمرار أعمال شركة القناة بدون عرقلة حتى انتهاء حق الامتياز فى عام ١٩٦٨ .

وبالإضافة إلى هذه المناورة الدبلوماسية المشتركة مع الحكومة المصرية يبحث المؤتمر إلى أى مدى يمكن أن تتدخل القوى البحرية العظمى الأخرى فى حالة رفض الحكومة ، أو خرقها ، أحد هذه الوعود ، أو تدخلت بشكل آخر ، فى حرية المرور بالقناة أو فشلت فى حماية الملاحة العالمية .

ويمكن أن نناقش أيضا مابوسعنا تقديمه لحماية وضع شركة قناة السويس من التغيير أو موظفيها من الاضطهاد بشكل يجعلها عاجزة عن إدارة القناة بكفاءة .

ويمكن أن تكون الإجراءات المشتركة كالآتى :

(أ) عمل دبلوماسى مشترك .

(ب) إستخدام سريع مشترك للأجهزة الدولية المناسبة .

(جـ) فى حالة فشل هذه الإجراءات تقوم فرنسا و إيطاليا وهولندا وبريطانيا بوضع سفن حربية أمام مدخل القناة أى التصرف بصفة عامة كما اضطرت البحرية البريطانية أن تفعل فى اكتوبر الماضى ، أى بعد إلغاء الوفد لمعاهدة ١٩٣٦.

(د) الموافقة على مرور السفن عبر القناة دون تصريح جمركى فى حالة اتخاذ إجراءات جمركية تعسفية أو أية اجراءات أخرى .

(هـ) فى حالة فشل هذه الإجراءات فى أداء المنتظر منها يبحث المؤتمر مايمكن عمله بشكل مشترك للضغط على الحكومة المصرية .

ويجب أن تكون أول المسائل التى تنظر فيها الهيئة إزالة عملية التفتيش عن المهربات على البضائع المتجهة إلى إسرائيل ، بالرغم من رغبتنا الابتعاد عن التورط أكثر فى النزاع بين إسرائيل والدول العربية .

ولن تعارض مصر فحسب ، بل كل الدول العربية ، فى أية اجراءات ترمى إلى كسر الحصار الذى تفرضه على إسرائيل .

ويجب أن نضع فى الاعتبار رد الفعل العسكرى لهذه المعارضة العربية على مصالح بريطانيا والمصالح الغربية الأخرى .

وقال ايدن فى مذكرته :

« (أ) قد تحاول حكومة مصرية معادية لنا أن تحد من المرور عبر قناة السويس أو وقفه فى أى وقت بالعرقلة المباشرة أو بالضغط على شركة قناة السويس .

(ب) باعتبار المصالح البريطانية الكبرى المتعلقة بذلك والمدى الذى تشارك فيه الدول الأخرى فى هذه المصالح فإنى أوصى زملائى بأن تقترح حكومة جلالتها على الحكومة الفرنسية إحياء اقتراحهم بخصوص تبادل وجهات النظر سرا بين القوى البحرية . ويوضع فى الاعتبار إمكان التوجه بطلب إلى الحكومة المصرية للحصول على ضمانات أكثر . والنظر فى إمكانية اتخاذ إجراء مشترك فى حالة امتناع الحكومة المصرية عن إعطاء مثل هذه الضمانات أو فشلها فى الحفاظ على حرية النقل وفى حماية قناة السويس » .

وقد وافق مجلس الوزراء البريطانى يوم ٣١ يوليه على هذه الإجراءات .

وبدأت وزارة الخارجية البريطانية مشاورات سرية ظهرت إلى العلن بكل تفاصيلها بعد ٤ سنوات عندما أممت مصر قناة السويس !

وظلت القوات البريطانية فى منطقة القناة مستعدة لاحتمال أى تغيير مفاجئ أو عنيف خوفا من تحرك العناصر الخطرة المعادية لبريطانيا بتأييد من الجيش المصرى

وكان هناك اعتقاد لدى قادة القوات البريطانيين بأن الجيش ، بعد اعتزال فاروق ، ربما يبدأ معركة مع قوات الاحتلال .

وبقيت القوات مستعدة خلال ٤٨ ساعة من وقوع أى اضطراب ، ثم أصبحت ٩٦ ساعة بعد أسبوعين من رحيل فاروق .

* * *

وضعت وزارة الخارجية البريطانية تقييما للظروف السائدة فى مصر . قالت فيه :

« الموقف سابق لأوانه تماما بشأن الاحتمالات السياسية فى مصر .

ورغم أن تنحى الملك تم بهدوء وكفاءة فإن حشدا من المصاعب السياسية تواجه على ماهر باشا الآن .

وسيتطلب الأمر كل حكمته السياسية للتغلب عليها .

إن قدرا كبيرا سيتوقف على القدرة الحقيقية للواء نجيب .

ذهب الانقلاب أبعد كثيرا مما أعلن فى البداية أنه سيصل إليه .

وليس من الممكن الحكم بما إذا كان ذلك بسبب أنه دفع إلى ماوراء حدوده الأصلية ، أم لأنه ، وقد تشجع بالنجاح ، وسع من طموحاته .

ويميل السفير البريطانى فى مصر إلى الاعتقاد بأن اللواء نجيب رجل شريف بما فيه الكفاية إلا أن هناك بعض الدلائل المزعجة على أنه يتأثر بعناصر من الإخوان المسلمين المعادين للغرب بصورة مريرة .

بل من الممكن أن يكون الإخوان قد ساعدوه فى تخطيط الانقلاب ، وربما يهدفون للحصول على صوت مسيطر فى الحكومة .

وترى الخارجية البريطانية أن من المأمول فيه بشدة أن يكون اللواء نجيب قويا بما يكفى للسيطرة على الإخوان ، وألا يسمح لهم بتحويله هو والجيش ضد على ماهر .

وليس لدى وزارة الخارجية سوى قليل جدا من المعلومات بشأن آراء نجيب فى السياسة الخارجية ولكن برقية من القاهرة فى صحيفة « التايمز » - يوم ٣١ يوليه - تنقل قوله فيما يتعلق بوحدة « وادى النيل » إننا يجب أولا أن نتخلص من الدخيل وعندما يتحقق ذلك فإن وحدة مقدسة ستتحقق حتما بالرضا لا بالقوة .

وفيما يتعلق بمسألة الدفاع عن الشرق الأوسط صرح نجيب بأن ذلك سيعالج فى أوانه .

ومهما كان معنى هذه التصريحات ، فمن المسلم به فى وزارة الخارجية أن نجيب ، وعلى ماهر ، سيكونان ، كمن يدعوان ، للإطاحة بهما إذا لم يتخذا خطا وطنيا فى مسألة السودان .

ونظرا للطبيعة غير المرضية ، للبدائل الممكنة للنظام الحالى ، فإن من رأى الحكومة البريطانية أن الطريق العملى الوحيد هو تدعيم وضع على ماهر وتشجيعه هو ونجيب على ترتيب البيت المصرى وتلافى إحراجهما فى هذه المرحلة بالقضايا الدقيقة للسياسة الخارجية».

وهكذا رسمت بريطانيا خطتها على أساس تأييد على ماهر ومحمد نجيب .

وكانت بريطانيا تراهن على جوادين خاسرين !

* * *

كان الأمريكيون أكثر إدراكا للواقع ومعرفة به .

قال السفير الأمريكى جيفرسون كافرى فى برقية إلى واشنطن :

« منذ وصولى إلى مصر فى أواخر سبتمبر عام ١٩٤٩ كانت هناك خمس حكومات مختلفة قبل هذه الحكومة القائمة الآن .

وقد أعلنت كل حكومة ، بصوت عال عزمها على القيام بتنفيذ إصلاحات اجتماعية هائلة.

و إذا استثنينا ضمانا اجتماعيا معتدلا نفذته حكومة الوفد ، فإن شيئا آخر لم يتحقق .

والآن يعلن على ماهر عزمه على تطبيق إصلاحات اجتماعية ، بصوت عال ، مثل الآخرين

جميعا ، ربما باستثناء الهلالى الذى وعد بأكثر من ذلك .

واعتقد أن على ماهر مخلص . وعلاوة على ذلك فإنى اشجعه على المضى قدما على أساس قوى .

وقد شجعت حكومات سابقة ايضا ولكنها كانت مستغرقة للغاية فى النزاع مع بريطانيا ولم تفعل سوى القليل .

ومع ذلك كنت قادرا على إنجاز شىء فى مجال المساعدة على تغيير موقف المصريين تجاه النقابات وأصبحوا الآن أكثر مودة تجاهنا .

وشجعت كذلك جهود الدكتور أحمد حسين ، وزير الشئون الاجتماعية فى عهد الوفد ـ والذى أصبح سفيرا لمصر فى واشنطن بعد الثورة ـ لإقامة مراكز اجتماعية» .

ومن هذه البرقية تتضح شكوك السفير فى إمكانيات عمل شىء !

* * *

قالت مذكرة لإدارة الشرق الأدنى بوزارة الخارجية الأمريكية .

« ظل قائد الجيش محمد نجيب يردد ـ طول الأسبوع الماضى ـ بأنه لاينوى بأى حال من الأحوال التدخل فى الشئون السياسية ، وأن ذلك من اختصاص رئيس الوزراء ، على ماهر، وأن كل ما يهمه تنظيف القوات المسلحة من الفساد والابتزاز وتشكيل جيش جديد مسلح ومدرب جيدا .

ويبقى التساؤل هنا فيما إذا كان محمد نجيب ، ولجنة الضباط التابعة له ـ يقصد لجنة القيادة ـ يمكنهم مقاومة إغراء دخول السياسة أو إغراء عمل أوكار لأنفسهم فى السياسة كما فعل كثيرون فى الماضى » .

وقالت المذكرة :

« منذ البداية كان واضحا أن اليد العليا لمحمد نجيب وأن الانقلاب العسكرى كان يهدف السيطرة على الموقف » .

* * *

توجه السفير الاسرائيلى فى لندن إلى وزارة الخارجية البريطانية بعد خمسة أيام من رحيل فاروق ليتبادل الرأى مع روجر الين مدير الإدارة الإفريقية حول الموقف فى مصر.

قال السفير الاسرائيلى

ـ الموقف الحالى لن يكون الأخير من نوعه . السلطات العسكرية لن تقبل أن تظل كما هى الآن .

والخطر الحقيقى يكمن فى أن يتجه العسكريون إلى المتطرفين فى الوفد ، أو فى جماعة الإخوان .

وهناك شعور كبير بالتوتر فى مصر .

وأراد السفير استعداء الانجليز ضد الثورة . قال :

ـ الأقليات فى مصر خائفة . وقد امتد هذا الخوف لا على ممتلكاتهم فحسب ، بل على أرواحهم أيضا . وقد بدأ الإخوان يبتزون رجال الأعمال اليهود .

وكان السفير الاسرائيلى صادقا فى استنتاجاته السياسية كاذبا بالنسبة لخوف الأقليات وأعمال الإخوان المسلمين .

وقال السفير الإسرائيلى :

ـ إن حكومتى طلبت منى إبلاغكم هذه المعلومات أيضا .

هناك نقاط خلاف بين على ماهر واللواء محمد نجيب وقد أصبح على ماهر على حافة الاستقالة.

قال روجرالين .

ـ معلوماتنا أوضحت ان على ماهر ومحمد نجيب على وفاق فى الوقت الحاضر !

علق السفير البريطانى على تشكيل مجلس الوصاية فقال :

« سويت المشاكل الدستورية للفترة الانتقالية بمزيج من الشرعية والتصرف الذكى . **وأقيم مجلس وصاية من عضو من الأسرة المالكة ورجل دولة مسن وضابط من الجيش. وبقيت مصر ملكية دستورية رغم اتساع حركة المطالبة بالجمهورية » !**

انتزع الجيش السلطة من الوفد الذى بقى قوة فى البلاد . ورأى الوفد أن يتمسك بالدستور وجعل الهدف العاجل لسياسته العودة إلى حياة برلمانية حرة وممثلة تمثيلا حقيقيا .

قال زكريا محيى الدين لايفانز فى أول لقاء بينهما :

ـ البلاد فى حاجة إلى وجوه جديدة فى الأحزاب السياسية .

قال ايفانز :

ـ الإصلاح يحتاج إلى تعاون كل الرجال الأمناء والأكفاء فى البلاد .

أجاب زكريا .

ـ الذين فشلوا فى الماضى لانفع فيهم الآن . وإذا كانت نواياهم طيبة وأهدافهم شريفة فإن وسائلهم لم تكن كذلك أو كانت شديدة العجز .

وتقع اضرابات العمال فى مصانع الغزل والنسيج بكفر الدوار . فقد احتل العمال ــ يوم ١٢ أغسطس ـ المصنع وجاء رجال الجيش والشرطة لحفظ الأمن ، مما أدى إلى مصرع تسعة وأصابة ٢٥ . وكان بين القتلى أحد رجال الشرطة واثنان من جنود الجيش.

قالت تقارير الشرطة الأولية أن المظاهرات قامت بتحريض « أشخاص أثرياء يخشون فقد أراضيهم ويحاولون تشويه صورة الحكومة عن طريق اثارة الاضرابات».

.. ومعنى ذلك أن للوفد يدا فى الاضطرابات .

ولكن السفارة الأمريكية أشارت إلى اشتراك الشيوعيين باعتبار أنهم ليسوا أقوياء لدرجة تفجير حوادث كبرى . واقتنعت الثورة بالرأيين ـ أى أن المظاهرات قامت بتحريض الوفد وتعاون الشيوعيين ـ فقد سمعت هتافات بعض المتظاهرين تقول «عاش النحاس رئيس جمهورية الوفد » .

وأعلن متحدث رسمى حكومى فى ١٤ أغسطس أن زعماء حزب سياسى معين هم المحرضون .

أرادت الثورة إرهاب الجميع فشكلت محكمة عسكرية عقدت داخل المصانع برئاسة عبد المنعم أمين .

قال على ماهر للسفير البريطانى :

ـ ستصدر المحكمة العسكرية أحكاما بالاعدام !

وبالفعل أصدرت المحكمة يوم ١٨ أغسطس حكما باعدام اثنين من العمال ، كما صدرت أحكام بالسجن على ١٢ عاملا آخرين .

ولم يتردد الجيش فى اقتحام جريدة « المصرى » واحتلال مبناها ساعات عندما نشرت خبرا زائفا قيل أن فؤاد سراج الدين أوحى به أدعت فيه أن الحكومة تستعد للتخلص من الموظفين الزائدين عن الحاجة وقال الجيش إن الهدف ، من النشر ، إحراج الحكومة .

وهدد أصحاب المصانع إذا اتخذوا اجراءات تؤدى إلى زيادة سخط العمال .

وبدأ محمد نجيب يقول « الجيش هو الذى يضع الأفكار والحكومة تدرسها »!.

* * *

وتبدأ الثورة تتحدث عن الاصلاح الزراعى .

ومن هنا اختلفت الثورة المصرية عن ثورات سوريا والعراق لأنها قررت تغيير النظام الاجتماعى فورا .

وتهاجم صحيفة « ديلى وركر » الشيوعية فى لندن ، القانون المقترح .

تحدثت الصحيفة عن سوء توزيع الأرض فى مصر فقالت إن ٥٠٠ باشا ثرى يملكون معظم الستة ملايين فدان من الأرض المزروعة ، بينما يملك مليونان ٧٨٨ ألف فدان .

وغالبية العشرين مليونا ، وهم عدد السكان ، لايملكون أرضا .

* * *

وقالت الصحيفة « إن مقترحات نجيب تحمل سمات الإصلاح الزراعى الذى تنفذه الطبقات الوسطى .

ونظرا لأن المشروع يعيد توزيع الأرض فقط على هؤلاء الذين يقدرون على الدفع ، فإنه لايمكن أن يحل المشكلات الطاحنة للكتلة الضخمة من الذين لايملكون أرضا من الفلاحين المصريين .

فالمشروع يحبذ بزوغ طبقة فلاحين متوسطين أكبر عددا وأكبر نفوذا من الناحية السياسية يعملون فى أرضهم بمساعدة من عائلاتهم » .

ولكن كان للإصلاح الزراعى صداه فى واشنطن التى رأت فيه بداية عهد جديد فى مصرلإنقاذها من الشيوعية .

* * *

ويستمر أحمد مرتضى المراغى فى استعداء الغرب ضد الثورة .

قال لجوزيف سباركس السكرتير الأول بالسفارة الأمريكية :

ـ أشعر بخيبة أمل شديدة وقلق عميق حول المستقبل القريب لمصر . واعتقد أن هناك حلا واحدا هو التعاون مع الغرب من أجل مستقبل بلادى على المدى البعيد .

وأضاف :

ـ أسفر النجاح السهل للانقلاب العسكرى بقيادة ضباط شبان غير مجربين عن سقوط الخوف والاحترام على اتساع البلاد ، إزاء السلطة والمؤسسات القائمة ، مما سيكلف مصر غاليا قبل أن تتوالى الأحداث حتى النهاية .

إن اللواء محمد نجيب القائد العام الجديد مجرد واجهة ومتحدث باسم مجموعة غير متجانسة من المتعصبين الذين يفتقرون إلى المعلومات ولا تتوفر لديهم الفرصة للاحتفاظ بالاجماع .

وهم يسعون وراء دواء بعد دواء لمشكلات مصر عميقة الجذور .

وفى نفس الوقت فإن نموذج نجاحهم السريع للغاية يشكل حافزا دائما لمجموعات أصغر سنا وأقل شعورا بالمسئولية سواء داخل أو خارج الجيش .

وقال المراغى أنه شخصيا يفضل نظام الحكم الجديد بسبب الفساد الميئوس من علاجه فى النظام القديم . ولأن النظام الجديد ستتوفر له حكمة وخبرة على ماهر كعنصر استقرار وثبات يوازن الطرف الآخر .

ولكنى أرى أن على ماهر أرغم على تقديم تنازلات كثيرة للمجموعة الجديدة تتعارض مع اقتناعه الخاص وقد فقد « كرامته » فى نظر الشعب المصرى !

وقال المراغى :

ـ بدون كرامة تنتهى الحكومة فى مصر والمسألة هى مجرد مسألة وقت قصير قبل أن يضطر على ماهر للخروج من منصبه .

وأرى أنه لا أهمية كبيرة لمسألة من الذى يخلف على ماهر فى رئاسة الحكومة فإن الذى سيخلفه لن يبقى طويلا بأى حال .

وربما تتم الإطاحة بنجيب فى أول حلقة من مسلسل انقلابات عسكرية « سيكون كل منها أقل نزوعا إلى البناء من سابقه » مالم يتسن وقف هذا التيار .

وهذا المسلسل سيؤدى حتما إلى فوضى سياسية واقتصادية واجتماعية وإلى اضطرابات عامة واسعة النطاق وحوادث شغب ضد الأجانب وإعادة احتلال مصر بواسطة البريطانيين فى نهاية الأمر . ثم سنضطر لأن نبدأ كل شىء من جديد ، الأمر الذى لاتريدونه ولا يريده البريطانيون ولا نريده نحن .

قال سباركس .

ـ والحل الذى تراه لهذا كله .

قال :

ـ هناك قوة حقيقية وحيدة تشكل عنصر استقرار بقيت فى مصر ، وهذه القوة هى لسفيركم أى للسفير الأمريكى !

إنه الرجل الوحيد فى مصر الذى يجد الاستعداد لدى أى شخص للإصغاء إليه ويبذل كل محاولة ليتبع مشورته .

وأهم رصيد لديه مكانته الشخصية الهائلة التى يجب المحافظة عليها مهما كان الثمن .

ولهذا السبب سيقع فى خطأ كبير لو حاول تغيير الاتجاه فى الوقت الراهن .

وإذا كان تحليلى صحيحا ، فلن يمضى وقت طويل بالنسبة للاتجاه الحالى قبل أن تحل خيبة الأمل محل الحماس .

وستتدعم مكانة سفيركم فى عيون المصريين أكثر مما هى عليه الآن لأن مصر كلها ستتطلع إليه بلهفة ليرشدها إلى طريق الخروج من المستنقع .

ولن يحتاج السفير كافرى للذهاب إلى المصريين ، فإنهم سيأتون إليه وستجد نصيحته الداعية للاعتدال أعظم فرصة للنجاح ، غير أن مسألة التوقيت بالغة الأهمية .

وأشار المراغى إلى اضراب العمال فى كفر الدوار ، وإلى رفض الفلاحين المتزايد دفع الإيجارات الزراعية وإلى الزيادة الكبيرة فى مرتبات الجيش التى شعر نجيب بأن من الضرورى أن يوجه فى أعقابها نداء فوريا لرجال القوات المسلحة بألا يطلبوا المزيد « فى الوقت الراهن » .

وهذه كلها مظاهر للتفكك الذى يلحق بالمجتمع بسرعة . هذا المجتمع الذى ينبغى متابعة مساره بكل دقة إذا كان لابد من تفادى الكارثة .

وأبدى المراغى انزعاجه بوجه خاص من الخطة الحالية للجيش والتى يفرضونها على .. على ماهر الذى لا يرغب فى قبولها وهى الخطة المتعلقة بتحديد كل الملكيات الزراعية بمائتى فدان أو أقل.

وقال . لو كانت هذه الخطة هدفا يتحقق خلال عشرين سنة لكانت لها ميزتها ، أما كنظام تعسفى يفرض بطريقة متهورة فسيكون مدمرا.

وأوضح المراغى أن التركيبة الاجتماعية بأسرها ترتكز على التركيبة الاقتصادية الحالية وستنهار بدلا من أن تتكيف فى حالة إحداث تغيير جذرى تماما فى الهيكل الاقتصادى دون الاعداد المناسب .

قال سباركس للسفير الأمريكى .

ـ لاتوجد سوى أدلة قليلة على اشتراك الشيوعيين فى الانقلاب .

علق السفير الأمريكى على تصريحات المراغى فقال :

« التفسير المتشائم الذى يقدمه مرتضى المراغى للاتجاهات الحالية مفهوم من عدة وجهات نظر .

لقد لمع المراغى فى منصب « الرجل القوى » لمصر فى حكومة الهلالى من فبراير حتى يونيو هذا العام .

ولو كانت حكومة الهلالى التى تشكلت فى ٢ ـ ٢٣ يوليو قد استمرت لكان قد احتل مكانه مرة أخرى .

وفى الساعات الأولى للانقلاب العسكرى أصدر المراغى ، بوصفه وزيرا للداخلية ، أمرا للبوليس فى الساعة الثالثة صباحا بعدم المقاومة .

ومن المحتمل أن يكون حماس المراغى للنظام قد مات فجأة ، فى تلك اللحظة .

ورغم الاعتراف بالطبيعة المتحيزة نوعا للمراغى إلا أن هناك الكثير مما قاله يستحق البحث .

صحيح أن علاقة على ماهر بنجيب ليست بلا مشاكل .

وصحيح أن هناك قدرا من الحماس أكثر من الفهم وراء برامج العسكريين للاصلاح .

ولكن ليس من الضرورى أن يكون صحيحا أن هذه الحقائق تعنى استقالة على ماهر أو الفشل التام للاصلاحات التى توجد حاجة شديدة إليها .

وعلى أية حال ، فإن المراغى صديق للغرب ولم ينته دوره ، بالضرورة ، فى تاريخ مصر السياسى رغم أنه توارى مؤقتا » .

وكان السفير الأمريكى على خطأ .. بالنسبة للمراغى الذى انتهى دوره تماما بعد الثورة فقد سافر بعد فترة إلى الخارج ، واتهمه العهد الجديد ، بعد العدوان الثلاثى على مصر ، بأنه تآمر مع آخرين فى أوربا على إعادة النظام الملكى إلى مصر وحوكم ــ غيابيا ــ أمام محكمة عسكرية عليا قضت بعد ١٨ جلسة بمعاقبته بالأشغال الشاقة المؤبدة .

ولم ينفذ الحكم وصدر العفو عنه ، وعاد إلى مصر بعد وفاة جمال عبد الناصر .

وهناك شكوك كثيرة فى صحة هذا الاتهام ولكن من المؤكد أن مرتضى المراغى حاول قبل عزل فاروق وبعد عزله أيضا الاحتفاظ بالنظام الملكى فى مصر والابقاء عليه .

فالاتهام صحيح ولكنه وقع قبل ذلك بست سنوات !!!

* * *

لم تهتم السفارة الأمريكية إلا بأمرين :

الأول ميول الضباط نحو اليسار .

والثانى عدم عودة الوفد .

قال على ماهر للسفير البريطانى .

ـ عند ظهور أول اشارة لاضطرابات يحركها الوفديون ، لن أتردد فى سجن زعمائهم .

قال لى خالد محيى الدين أن عبد المنعم أمين أقام مأدبة عشاء فى بيته بعد رحيل الملك للسفير الأمريكى جيفرسون كافرى .

حضر الحفل مستشار السفارة الأمريكية الذى أظهر خوفه الشديد من إعادة الحياة النيابية ، حتى لايعود الوفد ، وحتى لايجئ برلمان فيه يساريون متطرفون .

ويقيم جوبيرن الملحق العسكرى البريطانى مأدبة عشاء حضرها جمال عبد الناصر وزكريا محيى الدين وجمال سالم وصلاح سالم .

ويكون الهدف أن يقيم رجال السفارة البريطانية ، العسكريون والمدنيون ، الأعضاء الأربعة ومعرفة آرائهم فى كل الأمور وإقناعهم بأهمية الصداقة البريطانية المصرية .

ولاتختلف اهتمامات السفارة البريطانية عن زميلتها الأمريكية ! .

الجيش يحكم

نجح الانقلاب لأسباب كثيرة .. عنصر المفاجأة ، والحظ ، وضعف الملك ، والأحزاب ، وسلبية بريطانيا والولايات المتحدة أو تأييدهما بعد أن قدم لهما تأكيد بضمان مصالحهما .

أصبحت السلطة لأول مرة للمصريين .. لا لليونانيين ، أو الملك أو المستعمرين الأتراك ، أو الألبان ، أو الإنجليز الغزاة .

انتهى المعتدون المحتلون وجاء الضباط الشبان .

فكر بعض ضباط لجنة القيادة فى أن النظام يمكن أن يعمل بالسياسيين القدامى أو بعلى ماهر فإن الحركة كانت عسكرية تماما وتركت السياسة لأهلها !

وفى أول بيان للواء محمد نجيب بعد عزل فاروق أعلن أن البرلمان المنحل سيجتمع لاقرار الاجراءات الدستورية .

واكتفى الضباط بإعلان أن ماقموا به يعتبر « حركة » ثم « الحركة المباركة » و « نهضة » ووعدوا بالعودة إلى الثكنات

وكان محمد نجيب يقول لهم :

ـ لاتقولوا ثورة ، بل قولوا « حركة » ، لأن رأس المال جبان حتى لايهرب من كلمة « ثورة » .

ولكن وزارة الخارجية البريطانية تنبأت ، بعد ثلاثة أسابيع من رحيل الملك ، بأن الجيش لن ينسحب من السياسة أيا ماتكون دوافعه .. فقد انهار النظام القديم بسرعة .

* * *

لعب الضباط لعبة القط والفأر مع الأحزاب التى سارعت إلى تهنئة الثورة وأيدتها وظنت ـ أى الأحزاب ـ أن الأمور ستبقى على ماهى عليه ، الجيش سينسحب والأحزاب باقية مستمرة .

لعب الضباط لعبة القط والفأر مع الأحزاب التى سارعت إلى تهنئة الثورة وأيدتها وظنت ـ أى الأحزاب ـ أن الأمور ستبقى على ماهى عليه ـ الجيش سينسحب والأحزاب باقية مستمرة

وأعلن اللواء نجيب منذ اللحظة الأولى ـــ بلغة استخدامها قائدو الانقلابات العسكرية ـ أن الجيش لاينوى التدخل فى السياسية .

ولم تفطن الأحزاب إلى أن طرد الملك وعزل رئيس الوزراء الهلالى وتعيين آخر ـ على ماهر ـ يشكل تدخلا ، بقدر ما ، فى السياسة !

وكانت نشوة الوفديين والشيوعيين .. وأغلب الأحزاب السياسية قصيرة الأجل .. وتبددت المشاعر حينما تحقق أن الجيش لايكتفى بمجرد إبعاد الملك ، وأنصاره ، وأن العسكريين عازمون

على اقتلاع الأمتيازات غير المشروعة وإعادة صياغة المجتمع المصرى .

* * *

من البداية قرر العسكريون استبعاد المنافسين داخل الجيش .

وكان جمال عبد الناصر متأثرا بما جرى فى سوريا .

قال محمد نجيب فى خطاب له يوم ١١ من ديسمبر ١٩٥٢ تكريما لأديب الشيشكلى الزعيم السورى أثناء زيارته للقاهرة . « كنت البادئ فى القيام بانقلاب يشبه انقلابنا فى ظروفه وأهدافه».

.. أديب الشيشكلى بدأ عهده بتغيير قادة الشرطة . وتطهير الموظفين وتعيين ضباط الجيش فى مناصب مدنية بالحكومة ومنع نشاط بعض الأحزاب ثم منع النشاط الحزبى كله بعد ذلك ، وهذا هو نفس مافعله الجيش فى مصر .

وكانت الانقلابات السورية الثلاث إشارة تحذير لعبد الناصر فتعامل بحزم وقسوة مع كل محاولة جرت فى الجيش للقيام بانقلاب .

ورأى أن يحكم من وراء ستار كمدير لمكتب محمد نجيب حتى جاءت اللحظة المناسبة ليتولى منصب نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية عند إعلان الجمهورية فى ١٨ من يونيه ١٩٥٣ فترك الجيش لزميله وصديقه عبد الحكيم عامر الذى رقى من رتبة صاغ - رائد - إلى « لواء » دفعة واحدة.

وفى مذكرات صلاح نصر قال :

« من اللحظة الأولى تخلص الجيش من كبار الضباط فلم يبق إلا عدد محدود منهم فلا يستطيع واحد منهم القيام بانقلاب » .

أبعد ٤٠٠ من كبار الضباط عدا اللواء محمد نجيب واللواء محمد إبراهيم ومنح كل الضباط الذين كانوا فى الخدمة يوم ٢٣ من يوليه ميدالية التحرير .

وكانت هذه هى الخطوة الأولى أما الخطوة الثانية فتمت يوم ٣٠ من سبتمبر بدخول مندوبى القيادة كل الوزارات يديرونها باعتبارهم أهل الثقة .. أى أن الجيش يضع ثقته فيهم .

وقال عبد الناصر عن الخطوة الثالثة :

- كان رأيى بعد التجارب الأولى والأخطاء ، أن الذين شاركوا بأدوار إيجابية فى عملية الثورة ليلة ٢٣ يوليو يتعين عليهم أن يبتعدوا عن صفوف الجيش النظامى المقاتل .

إنهم فى تلك الليلة قاموا بعمل سياسى . ولسوف يكون من الصعب عليهم أن يعودوا إلى قيود الجيش ونظمه وتقاليده » .

وكان عبد الناصر يخشى فى الحقيقة أن يكرر هؤلاء الضباط تجارب الانقلابات التى وقعت فى سوريا وغيرها .

* * *

كانت هناك ثلاث قوى تسعى لوراثة سلطة الملك - لاعرشه - على ماهر ، والإخوان ، والوفد .

أخذ على ماهر يصانع الثورة ، كما كان الوفد والإخوان يصانعونها ، ولكنهم كانوا مستعدين أيضا لتحديها ، ومصارعتها على السلطة .

وكان الصراع محتوما ، ومن الضرورى استبعاد النمافسين السياسيين لا العسكريين وحدهم . والسبيل إلى ذلك تحييدهم فى الأيام الأولى ، ثم التفرقة بينهم بعد ذلك .

لم تكن الثورة تعتمد على حزب بالذات ولذلك كان متوقعا أن تصارعها جميعا .

* * *

رأى على ماهر أنه السياسى الوحيد الذى ساعد الثورة خلال أيامها الأربعة الحاسمة . وهو الذى أقنع فاروق بالرحيل ويستطيع التفاهم مع بريطانيا والولايات المتحدة .

وظن أن الضباط لايملكون التجربة للحكم وأنه يستطيع ملء الفراغ الذى تركه فاروق .

وساعد على ماهر الجيش بميوله الديكتاتورية وقام بعدة مناورات أضعفت كل القوى المدنية والأحزاب ، وعجلت فى الوقت ذاته بصراعه . أى على ماهر ، مع العسكريين . وكان هو ـ على ماهر ـ أول من سقط هذا الصراع .

نجح على ماهر فى التخلص من النصوص الدستورية التى تلزمه بعقد البرلمان الوفدى المنحل . ثم رأى ، بموافقة الجيش يوم ٨ من أغسطس تأجيل انتخابات مجلس النواب إلى اكتوبر ١٩٥٢ .

قال ضباط الثورة لكافرى :

ـ نحن نحمل تقديرا عاليا لعلى ماهر ودهائه .

وقال على ماهر للسفير البريطانى :

ـ نجحت فى حمل الجيش على قبول مبدأ عدم التدخل ـــ من جانبهم ـ فى سياستى . وهم يرون أنى لا أعوض !

ولكن على ماهر لم يعط الفرصة لأن إيقاع الأحداث كان سريعا .

لم يعد الجيش يخشى تدخل القوات البريطانية بعد اعتزال فاروق وحفظ الأمن ، وبذلك لم تعد هناك حاجة إلى على ماهر ودهائه ومناوراته مع الملك أو مع الانجليز !

ولم تكن وزارة الخارجية البريطانية تريد من على ماهر إلا أن يسعى إلى تأليب الإخوان على الوفد ، وأن يتحكم على ماهر ، مع الجيش ، فى تحقيق التوازن بين الإخوان والوفد !

أى أن الانجليز رغبوا فى أن يتصارع الإخوان والوفد لتتحطم القوتان الشعبيتان فى البلاد .

أما الانقلاب فكان له هدف آخر بعدما تبين له من قوة الوفد وخطورة الإخوان .

* * *

بدأ الصدام بين على ماهر والجيش عندما أصر الجيش على إجراء الانتخابات البرلمانية فى فبراير ١٩٥٣ .

وعجل قانون الاصلاح الزراعى بالأزمة الحادة بين على ماهر والعسكريين .

بدأ الخلاف سرا ثم أصبح علنيا فى ١١ من أغسطس عندما أصدر الجيش بيانا أعلن فيه أنه قدم للوزارة مشروع قانون الإصلاح الزراعى .

وفى اليوم التالى عقدت أول جلسة لبحث المشروع .

كان على ماهر جزءا من النظام القديم ينتمى إلى الفئة الغنية مالكة الأرض ولذلك وقف ضد

قانون الاصلاح الزراعى من حيث المبدأ . ثم أراد أن يكون الحد الأقصى للملكية الأراضى الزراعية ٥٠٠ فدان .

وكان من رأيه عدم الاستيلاء على ما يزيد على الـ ٥٠٠ فدان بل إخضاعها لضريبة تصل إلى ٨٠ فى المائة وتشجيع الملاك على التخلص من هذه الأراضى خلال ٥ سنوات .

* * *

شكا على ماهر للسفيرين البريطانى والأمريكى من المتاعب التى يلقاها مع العسكريين بالنسبة لمشروع القانون .

قال :

ـ أفكار الجيش فى هذا الشأن غير عملية وستؤدى إلى تحلل وتفكك اقتصاد مصر الزراعى .

ويعقد اجتماع بين على ماهر وقادة الانقلاب لبحث أوجه الخلاف .

ويحار السفير الأمريكى فى ايجاد الوسيلة التى يثير بها القضية .

ويقدم له العسكريون الفرصة إذ طلبوا خبرة السفارة فى هذا الشأن فقدم ثلاثة من خبراء « النقطة الرابعة » المشورة .

* * *

ودعا كافرى قادة الانقلاب لتناول العشاء فى بيته يوم ١٩ من أغسطس .

تحدث السفير عن الإصلاح الزراعى وما نشر عنه وأصداء ذلك . ومخاوف الولايات المتحدة من الدعاية الضخمة للإصلاح الزراعى رغم تأييد الولايات المتحدة فإنها تخشى اتخاذ اجراءات متعجلة وغير مدروسة فى تطبيق المشروع .

قال العسكريون

ـ يبدو أننا تحدثنا أكثر من اللازم عن قانون الإصلاح الزراعى فبزغت بين الفلاحين آمال لايمكن تحقيقها .

قال كافرى مشجعا ومحذرا وناصحا :

ـ أقبل تماما وجوب الإعلان عن شىء أكثر فاعلية يمكن تحقيقه على الفور . ولكنى أصر على ألا يترجم هذا الشىء ليكون إجراء مندفعا جدا من شأنه إفساد النظام العام وتدمير اقتصاد البلاد .

استمع الضباط باهتمام إلى كلمات السفير ، وقالوا

ـ تنتشر الشائعات بأن هناك احتمالات لتدخل بريطانيا لصالح ملاك الأراضى الزراعية .

سخر كافرى من هذا الاحتمال . ولكنه أبلغه فورا إلى رالف ستيفنسون الذى توجه فى اليوم التالى للقاء على ماهر لينفى تلك « الاشاعة السخيفة » !

ولكن السفير يتدخل فعلا ، بطريقة ماكرة وذكية ، وبالأسلوب المغلف بالنصيحة ، الذى اتبعه كافرى قبل ٢٤ ساعة

قال

ـ إنى قلق من عمل متعجل يؤدى إلى اضطراب الأمن من وشل الاقتصاد القومى .

شكره على ماهر قائلا .

ـ سأقابل اللواء محمد نجيب وأتحدث إليه فى هذا الشأن !

حذر السفير البريطانى على ماهر من مخاطر المبالغة فى التزام الحذر والأفراط فى الموارية .

وكتب السفير إلى لندن يقول :

« على ماهر مراوغ عنيد . إذا قدم تنازلا رغم إرادته فمن المحتمل ألا يلتزم به طويلا » .

واستمر على ماهر يلح على الجيش فى انتهاج أسلوب أكثر اعتدالا بالنسبة للإصلاح الزراعى .

كان من بين أهداف الإصلاح الزراعى بالنسبة للجيش إقامة حزب سياسى جديد يرأسه على ماهر يعتمد على الفلاحين المنتفعين بقانون الإصلاح ويكون سندا للجيش .

دعا على ماهر وفدا من ملاك الأراضى الزراعية إلى اجتماع لبحث مشروع قانون الإصلاح الزراعى وأعطاهم مهلة ٤٨ ساعة لتقديم أرائهم مما زاد شكوك الضباط فى رئيس الوزراء خاصة وأنه أعلن عن هذا الاجتماع .

وعقد مجلس الوزراء اجتماعا مساء السبت ٦ من سبتمبر لبحث مشروع القانون تقرر فيه الالتزام بمبدأ توزيع الأراضى وتشكيل لجنة وزارية تدرس التفاصيل مع الخبراء .

وكان الجيش مصرا على اتخاذ إجراء حاسم وجذرى لإعادة تنظيم المجتمع والسياسة فى البلاد.

دخل اللواء محمد نجيب فى الثامنة والنصف مساء إلى مجلس الوزراء ليقطع اجتماع مجلس الوزراء ويطلب قبول مشروع قانون الإصلاح الزراعى فورا .

حاول على ماهر دون جدوى ، التوصل إلى حل وسط ولكن اللواء محمد نجيب رفض وغادر قاعة الاجتماع .

وكانت القشة الأخيرة فى علاقة على ماهر بالعسكريين اعتقال الجيش فى اليوم التالى ـ ٧ من سبتمبر ـ ٧٤ من السياسيين القدامى ، بينهم فؤاد سراج الدين . دون إبلاغ على ماهر مقدما بالاعتقالات .

وأذاع الجيش بيانا فى السابعة والنصف صباحا أعلن فيه أن الاعتقالات خطوة لتطهير الفساد وهو اجراء وقائى أيضا .

اجتمع اللواء محمد نجيب بعلى ماهر فى العاشرة والنصف صباحا لمدة ساعة استقال بعدها على ماهر !

وكان الإصلاح الزراعى هو نقطة الخلاف الأساسية بين الطرفين ، فإن الجيش أراد تقليم أظافر ملاك الأراضى الزراعية ، كما أرهب العمال بإعدام كل من العاملين خميس والبقرى المتهمين الأساسيين فى أحداث مصانع كفر الدوار يوم ٨ من سبتمبر !

وافتراق الأثنان ـــ الجيش وعلى ماهر ـ بعد ٤٦ يوما من تشكيل وزارته فإن التحالف بين الجانبين كان مؤقتا وكان مرحلة انتقالية بالنسبة للعسكريين !

لقد حقق على ماهر أهداف الجميع : الضباط والانجليز والأحزاب ، وإقناع الملك بالاستسلام .

والاعتزال ، والرحيل ، ومنع البرلمان الوفدى من الانعقاد .

وأيضا نجح فى تهدئة قادة الانقلاب فى أيامهم الأولى ومنعهم من الاندفاع .

لقد خدع على ماهر الوفد ولكنه لم يستطـع أن يستطع أن يكون الرجل الأول ، وبعبارة أخرى ، لم يستطع أن يرث الملك والأحزاب أو يحتوى الثورة !

* * *

وتمر السنون .

عهدت الثورة إلى على ماهر برئاسة لجنة وضع مشروع الدستور .

ويتجه على ماهر ، مرة أخرى ، إلى السفير البريطانـى ، يطلب منه الضغط على الثورة كما تقول هذه البرقية :

« ١٥ ديسمبر ١٩٥٥

من السير همفرى تريفليان

تقابلت مع على ماهر اليوم فى منزل سفير مصر السابق فى واشنطن .

وربما كانت الدعوة إلى الغداء مرتبة بحيث تتم هذه المقابلة .

روى على ماهـر كيف أن اللجنة أعـدت دستورا ديموقراطيـا . وقد وافق أعضـاء مجلس قيادة الثـورة على المشروع ، ولكنهم عـادوا بعد ذلـك ، وغيروا آراءهم ويقـدمون الآن شيئـا مغايرا تماما .

إن ٦٠ ألف مواطن مصرى يتعرضون للمعاملة الوحشية فى المعتقلات .

وسيشعـر كل مصرى بـالامتنـان لبريطانيـا ، أبـد الدهـر ، إذا ضمنـت وضع دستـور ديموقراطى فى مصر .

وأية حكـومة يتـم انتخابها بمقتضـى هذا الـدستور ستكـون مواليـة للغرب بصـورة مباشرة» .

فإن على مـاهر بعـد ثلاث سنوات مـن الثورة لم يدرك أن السفير البريطـانى لم يعـد يستطيع الضـغط على حكومة مصر !

وفى ٣ فبراير ١٩٥٧ زار أحد رجال الأعمال الأمريكيين على ماهـر ثم اجتمع ـ رجل الأعمال ـ فى اليوم التالى مـع بيتر تشيس السكرتير الثانى للسفارة الأمـريكية بالقاهرة ليروى له مـاجرى بينه وبين رئيس وزراء مصر السابق .

وكان على ماهر قد قام برحلة طويلـة خارج مصر فى ربيع عام ١٩٥٦ وكان فى لندن عند تأميم جمال عبد الناصر لشركة قناة السويس .

لم يوافق على ماهر على التأميم كما قال ، وبعث إلى جمال عبد الناصر يعرض خدماته ، فلم يتلق ردا .

وعاد إلى مصر فى أكتوبر عن طريق بيروت ، بعـد العدوان على مصر ، فجاءه مندوبان عن جمال عبد الناصر فعرض خدماته مرة ثانية على الحكومة المصرية .

أبدى المبعوثان سرورهما لذلك ووعدا بالاتصـال به فى اليوم نفسه ، ولكن أحدا لم يفعل ، وكل مابلغه أن أنـور السادات ألمح إلى أنه مستعد لمسـاعدته على نشر مذكـراته . ولكن على ماهـر رفض العرض .

وقال رجل الأعمال إن على ماهر مستعد لرئاسة وزارة جـديدة وأنه يبذل جهدا فى هذا السبيل . ويبدو أنه على اتصال غير مباشر بالإخوان المسلمين .

وقال على ماهـر إنه يؤيد مشروع ايـزنهاور لملء الفراغ فى الشرق الأوسط ويعارض المسـاعدة المباشرة وغير المباشرة التـى قدمتها ، وتقدمها ، السفـارة الأمريكية لجمال عبد النـاصر بالذات فى السنوات الأولى للثورة .

وعلق سكرتير السفارة على حديث على ماهر بأنه لايـزال يوالى سياسته التقليدية فى المناورات الشخصية وهـو يحاول أن يبدو متباعـدا منعزلا بينما يسعى بكـل الطرق ليكون « مقبـولا من عناصر كثيرة مثل الإخـوان والغرب ، ويأمل أن يظهر كمـرشح سياسى مستقل لـزعماء أى حركة ناجحة مضادة للثورة » !

* * *

فى حديث لجمال عبد النـاصر نشرته صحيفة « الأهرام » بعد سبع سنوات مـن الثورة ـ يوم ٢ يوليه ١٩٥٩ ـ قال :

« أول خطائنا بدأت فى يوم ٢٣ يوليو ذاته ، بدأت بتشكيل الوزارة التى فرضتها الثورة نفسها .

حملنا هذه الوزارة فوق ماتحتمل ، وطلبنا منها مالا تطيق .

لقد طلبنا منها أن تتصدى لتنفيذ أهداف ثورة لم تنفعل بها .

كانت الوزارة الأولى للثورة ، نموذجا لكل الوزارات قبل الثورة » .

رغب الجيش فى تعيين الدكتـور عبد الرزاق السنهورى رئيس مجلس الـدولة رئيسا للوزراء ، والدكتور راشـد البراوى وزيرا ، ولكن السفير الأمريكى جيفـرسـون كافرى تدخـل ونصح محمد نجيب بالعدول عن ذلك لأن السنهورى وقع نداء ستوكهولم للسلام وللبراوى آراء يسارية

قال كافرى :

ـ سينتج عن ذلك رأى مسبق للحكومة الأمريكية فى الوزارة الجديدة .

عدلت لجنة القيادة التى كان يهمها أن تظل العلاقات ودية مع واشنطن .

وقال السفير فى برقيته لواشنطن :

ـ احترم العسكريون اعتراضاتى وتخلوا عن السنهورى والبراوى !

* * *

اسندت رئاسـة الوزارة يـوم ٧ من سبتمبر إلى محمد نجيـب وهو أول ضـابط يتـولى رئاسة الوزارة فى مصر منذ محمـود سامى البارودى الذى عين رئيسا للـوزارة فى ٤ من فبراير ١٨٨٢ فى عهد الخديو توفيق .

ضمت الوزارة عـددا من رجال الحزب الوطنى المعـادين ، بشدة ، للوفد وهكـذا أصبح الحكم

مزدوجا بين الجيش والحكومة المدنية .

شغل محمد نجيب منصب رئيس الوزارة ووزيرا للحربية والبحرية والقائد العام للجيش والحاكم العسكرى .

كتب جيمس بوكر وكيل وزارة الخارجية البريطانية المساعد إلى سفيره فى القاهرة يقول :

« عندما كان على ماهر فى الوزارة كان يمكننا « استعماله » ، رغم أنه خبيث ، للحد من العناصر المتطرفة وبعد أن ذهب سيكون الضباط أحرارا لايوقف تصرفاتهم أحد .

الآن لدينا ديكتاتورية عسكرية فى مصر .

والطريقة المؤثرة الوحيدة لوقف لجنة القيادة والحد من تصرفاتها الخوف من التدخل العسكرى البريطانى .

وهذا هو قلب المسألة » .

ولكن فرصة التدخل العسكرى كانت قد ضاعت ، ولم تتكرر إلا بعد تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦ !

أما جيفرسون كافرى فقال فى برقية بعد يوم واحد من استقالة على ماهر :

« عجز على ماهر ببساطة عن فهم أساسيات مايجرى فى مصر نتيجة للانقلاب. وبسقوطه ـ أى على ماهر ـ أصبح البريطانيون فى الوقت الحاضر خارج الملعب بلاسند ، بمعنى الكلمة .

العسكريون المصريون لن تكون لهم علاقة بالبريطانيين مهما كان الأمر ، بل إن العسكريين مقتنعون بأن البريطانيين يحاولون تخريب حركتهم .

ورغم أن هذا غير حقيقى بطبيعة الحال فإن المصريين لايقبلون المناقشة أو المنطق فى هذا الصدد .

ومعظم المصريين الذين تعاملوا مع البريطانيين ، فى الماضى ، يوجدون الآن فى السجن » !

وعلى هذا الأساس أصبح السفير الأمريكى جيفرسون كافرى هو وسيلة الاتصال الوحيدة بين لجنة القيادة ، أو مجلس الثورة ، والغرب ، يستمع الضباط إلى نصيحته وحده .

وبخروج على ماهر من الحكم انقطعت صلة قادة الانقلاب بالانجليز . إلا بالطرق الرسمية .

ولم يعد للإنجليز نفوذ فى مصر إلا عن طريق المخاوف من تدخلهم العسكرى كما قال جيمس بوكر !

اختارت لجنة القيادة كلا من فتحى رضوان المحامى عضو الحزب الوطنى وزميل أحمد حسين فى تأسيس مصر الفتاة ، والشيخ أحمد حسن الباقورى عضو مكتب الارشاد لجماعة الإخوان المسلمين وزيرين فى وزارة محمد نجيب فأبدى السفير الأمريكى استياءه فإن فتحى رضوان وقع أيضا ميثاق السلام ، ولأن الباقورى عضو هام فى جماعة الإخوان بعث جمال عبد الناصر برسالة شخصية إلى كافرى يطمئنه قائلا « هذا الاختيار لايعبر عن اتجاه متطرف للجيش بل اختيرا لقدراتهما الشخصية فضلا عن أن المستشار حسن الهضيبى زعيم الإخوان المسلمين اعترض على

تعيين الباقورى وزيراً .

وأكد جمال عبد الناصر أن الجيش سيراقب بشدة ويضع عيونه على الوزيرين فإن جمال عبد الناصر كان حريصا على العلاقات القوية الودية مع الأمريكيين !

* * *

أصدر اللواء محمد نجيب ـ يوم ٣١ من يوليه ـ نداء إلى الأحزاب بأن تعلن برامج واضحة وأن تطهر نفسها كما فعل الجيش بتطهير نفسه .

لم تعارض الأحزاب فى التطهير ، بعدما أعلنت الإخلاص للثورة ، أو وقعت فى فخ التطهير الذى كان دقا للمسامير فى أكفان الأحزاب ونعوشها .

أرادت الأحزاب إيهام الجيش بأنها تغيرت ، وتبدلت وتطهرت ، فأطلقت على نفسها أسماء ، وصفات ، غربية .

السعديون صاروا ديموقراطيين اشتراكيين .

وعزلوا رئيس الحزب إبراهيم عبد الهادى ومساعده حامد جوده وانتخبوا محمود غالب الوزير السابق رئيسا جديدا للحزب .

والوفد أصبح حزبا ديمقراطيا سياسيا اشتراكيا فإن الوفد كان أول حزب استجاب لدعوة اللواء محمد نجيب فأصدر برنامجا سياسيا جديدا يوم أول أغسطس وعد فيه بكل الاصلاحات التى يمكن تخيلها .

وأسرع بنفس الدرجة التى تبنى نصيحة نجيب بشأن تطهير الحزب من الفساد .. فأرغم على الإستقالة ـ يوم ٤ من أغسطس ـ ٣ وزراء سابقين وهم حامد زكى وعبد اللطيف محمود ، وحسين الجندى وزير الأوقاف السابق الذى كان وراء إعلا ن أن الملك فاروق ينحدر من سلالة النبى محمد عليه الصلاة والسلام و ٩ نواب آخرين .

ونشأ إحساس بأن طرد الأعضاء الأثنى عشر عضوا ـ المغمورين ـ كان نوعا من تقديم «كباش فداء » للانقلاب فلا تكون هناك حاجة لمزيد من الضحايا .

وقد أثارت عمليات التطهير بعض التعليقات الفكاهية .

قيل أن اللصوص الصغار « تم تطهيرهم بواسطة » كبار اللصوص » .

سأل مراسل صحيفة « ليموند » اللواء محمد نجيب :

ـ هل تعتبر التطهير فى الوفد كافيا .

قال :

ـ بالتأكيد .. لا . هذه مجرد بداية ، فالزعماء لم تتم تصفيتهم . والتحقيقات التى ستجرى بموجب قانون « من أين لك هذا » ستشغل أيضا زوجات المسئولين والوزراء ، وهذه التحقيقات تهدد مباشرة بعض الشخصيات الكبيرة .

وقال

ـ لابد من اتخاذ إجراءات أخرى إذا لم تلتفت الأحزاب إلى النصح والتحذير .

ولكن الأحزاب المصرية لم تفطن إلى ذلك وظنت أنه يمكنها الاستمرار فى « التطهير الفكاهى » !

* * *

وقد بدأت معركة الجيش مع الوفد ، فى وقت مبكر ، لتحطيم هذا الحزب بوصفه منافسا شعبيا وعدوا عنيفا ، كما أنه مالك قديم للسلطة ، وقد بقى أكثر من ثلاثين عاما ، سواء فى الحكم أو فى المعارضة ، قوة يحسب حسابها .

* * *

وكانت مخاوف الانجليز منذ البداية ، من الوفد .

فى أول برقية عن الانقلاب بعث بها كريزويل صباح يوم ٢٣ من يوليه قال :

« يعد هؤلاء الضباط من المتعاطفين مع الوفد .

وسيعتبر الموقف خطيرا تماما إذا عاد قادة الوفد من فرنسا حيث يوجدون الآن»

.. فإن النحاس وفؤاد سراج الدين كانا فى فرنسا يوم قامت الثورة

وبدأ الارتياح فى لندن وواشنطن لموقف محمد نجيب من الوفد وأسلوب تعامله معه ، واعتبروا ذلك علامات لصالح الجيش .

كتب كافرى إلى واشنطن يوم ٧ من أغسطس يقول :

« العلاقة ليست على مايرام بين الوفد والنظام الجديد . فهى لاتجرى بالصورة التى راودت النحاس وسراج الدين عندما أخذا المبادرة بالعودة إلى مصر.

وإذا كان الجيش قد خشى سطوة الوفد فى بداية انقلابه ، فإنه الآن ، وبعد نجاح الانقلاب تحرر من قدر كبير من هذا الخوف ويتطلع إلى مستقبل لمصر ، بلا وفد ، بزعامة على ماهر مع مؤازرة الجيش له فى صورة شريكة الصامت بدرجة أو بأخرى .

ولقد لجأ ماهر فى فترة توليه الوزارة السابقة إلى استرضاء الوفد فلم يكن يحظى بمؤازرة أية جهة عدا القصر ، أما اليوم فالجيش يشد من أزره . وقلت حاجته للوفد .

وطالما ظل الاحتمال واردا بمحاولته الحكم بالتعاون مع العسكريين ، فليس أمام النحاس وسراج الدين سوى انتظار المتاعب على يديه » .

بعد يوم واحد من تأليف الوزارة برئاسة محمد نجيب ، تقرر فى ٨ من سبتمبر اعتبار كل الأحزاب المصرية منحلة حتى يعاد تشكيلها ، وفقا لقانون جديد .

وطلب إلى الأحزاب أن تتقدم إلى الحكومة للحصول على موافقتها .

كان الوفد مثقلا بالنحاس ـ ٧٣ سنة ـ وهو مريض وعنيد أيضا . وكان يعتبر عقبة أمام الوفد رغم مكانته الشخصية .

وكانت مسألة خلافة النحاس ، أى من يحل محله ، عملية صعبة .

عمر زكى العرابى ٧١ سنة ، وعبد السلام فهمى جمعة ٦٧ سنة ، وهما أبرز المرشحين ويصغران النحاس بسنوات قليلة .

وكان نفوذ فؤاد سراج الدين ـ السكرتير العام للحزب ـ موضع تحد .

وكان الدكتور محمد صلاح الدين يطمع فى شغل هذا النمصب ويؤيده رجال الجيش .

وانقسم الحزب ..

الدكتور محمد صلاح الدين يؤيد التغيير الذاتى ليشمل فؤاد سراج الدين الذى يعارض التغيير.

وظنت وزارة الخارجية الأمريكية أنه يمكن قيام تعاون بين الدكتور محمد صلاح الدين وزير الخارجية السابق فى حكومة الوفد وعناصر الشباب الوفدى مع النظام الجديد ، بعثت تسأل كافرى رأيه فقال :

«من المستبعد قيام الدكتور محمد صلاح الدين بتشكيل حزب وفد شاب يتعاون مع العسكريين لأن تنظيم الوفد فى أيد صارمة لسراج الدين والنحاس » .

رأى فؤاد سراج الدين أن يتحدى الثورة فأعلن أن التطهير من اختصاص القضاء وليس من عمل لجان حكومية وقال الوفد إنه لن يتقدم باخطار لوزير الداخلية عن تشكيل حزب جديد للوفد.

وقال الوفديون إنه فى حالة إجراء انتخابات جديدة فإن الوفديين سيرشحون أنفسهم كمستقلين .

ثم عاد الوفد فخضع وقدم اخطارا يوم ٧ أكتوبر بأسماء أربعة من رجاله ، ليس بينهم النحاس أو سراج الدين ، كأعضاء ومؤسسين وأنهم اختاروا مصطفى النحاس رئيسا شرفيا مدى الحياة وأن الحزب سيستمد الالهام من توجيهاته ويجد ضوءه الهادى فى ولائه وقوته واخلاصه للمبدأ .

ولكن الجيش اعترض على تعيين النحاس رئيسا شرفيا بدعوى أن القانون لايتضمن نصا بذلك.

وظلت العلاقة بين الجيش والوفد فى شد وجذب ودعاوى أمام القضاء فإن الانقلاب أصبح صراعا سياسيا للدفاع عن النفس .

ولكن الوفد لم يستطع أن يقاتل من أجل وجوده ، فالظروف لم تكن مواتية له بوجه عام ففى آخر وزارة للوفد وصلت البلاد إلى حافة الفوضى والافلاس بسبب فساد الحكومة وعدم قدرتها على معالجة الأمور بكفاءة .

وكان للثورة هدف آخر بعدما تبين لها من قوة الوفد وخطورة الإخوان . ولم يكن منطقيا أن يثور الجيش ويترك غيره يحكم !

امتنع الإخوان المسلمون عن تقديم طلب إلى الحكومة للموافقة على قيام حزب لهم وظلت جماعة الإخوان المسلمين كما هى ، أو كماتدعى ، جماعة دينية .

قال كافرى :

« كان الإخوان المسلمون ـ بلاشك ـ ضمن المجموعة العسكرية التى دبرت الانقلاب ، ومازالوا يحتفظون بقدر من النفوذ ، لكن هذا النفوذ ليس متعاظما كما تشير تلك البرامج التى تحظى بمؤازرة الجيش مثل :

١ ـ الانضمام إلى قيادة دفاع الشرق الأوسط .

٢ ـ التطلع نحو الغرب للحصول على معدات ومساعدات عسكرية » .

وفى البداية كان هناك تحالف بين الانقلاب والإخوان ، أو كانت هناك مساندة من الإخوان للعسكريين ، الذين رأوا تأجيل الصراع والمعركة مع الإخوان .. إلى حين !

* * *

أخذ الإخوان فى تدعيم شعبهم وتنظيماتهم . وأصبحت الجماعة منافسا خطيرا للوفد ، وأعطت للحركة تأييدا أكبر .

ومن ناحية أخرى حرص اللواء محمد نجيب فى كل خطبة ، منذ الأيام الأولى للثورة ، على الدعوة للاتحاد وإدانة الفرقة والتعصب الدينى وتأكيد الروابط المشتركة فى المجتمع المصرى بعنصرية ، ولكن الصلة بين الحركة والإخوان قوية .

وقال محمد نجيب للأمريكيين .

ـ إنى أبحث عن التأييد فى أى مكان .

* * *

فطن الإخوان للعبة الجيش فلم يتقدموا للحصول على موافقة الحكومة كحزب . إنهم ظلوا « جماعة الإخوان المسلمين » .

قال رالف ستيفنسون :

« استمدت حركة الجيش ، ولاتزال ، تأييدا بالغ الأثر من الإخوان المسلمين ـ وكما هو معروف فإن الإخوان المسلمين هم الحزب الوحيد ـ أو شبه الحزب ـ الذى له تأييد وتنظيم واسع فى الريف وذلك فيما عدا الوفد بالطبع .

ومن التقارير المعتمدة أن حركة الجيش اعتمدت إلى حد كبير على الإخوان فى الحصول على المعلومات السياسية .

وفى المقابل أقنع الإخوان أنفسهم بتعاطف حركة الجيش تماما معهم ، إن لم يكن تأييدها الكامل ، لبرامجهم » .

وأبرق هولمز السفير الأمريكى فى لندن إلى وزير خارجيته فى واشنطن بأن « وزارة الخارجية البريطانية توافق على تقديرات ستيفنسون بشأن النفوذ القوى للإخوان المسلمين داخل المجموعة العسكرية التى تلتف حول اللواء محمد نجيب ، وأن الإخوان سيشكلون حزبا سياسيا . أما حركة تطهير الأحزاب فهدفها إضعاف نفوذ الأحزاب لضمان نجاح الإخوان »

قال كريزويل لكافرى

ـ نحن نسير إلى مزيد من الشغب والقلق .

أجاب كافرى

ـ ستكون الاحتمالات بالغة السواد إذا أسفر الإخوان عن وجههم .

* * *

فى أول بيان للواء محمد نجيب أعلن أن البرلمان النحل سيعود لإقرار الإجراءات الدستورية .

وفى اكتوبر أرجأ الانتخابات إلى ديسمبر ١٩٥٢ .

وفى ٩ ديسمبر طرد أغلب الوزراء السياسيين وحل محلهم وزراء من الموظفين المدنيين .

وتوجه أحد رجال الثورة فى اليوم ذاته إلى كافرى لإبلاغه أن دستور عام ٢٣ ، الذى ينظم الحياة السياسية فى البلاد ، سيلغى ، وذلك قبل ساعات من الإعلان الرسمى الذى تم فى الواحدة من صباح ١٠ من ديسمبر وأصبح تأجيل الانتخابات محتوما بالغاء الدستور .

وبعبارة أدق أصبح الجيش هو السيد الوحيد .

قال السفير البريطانى :

«يستطيع اللواء محمد نجيب ومجلس الثورة الاحتفاظ بالسلطة حتى الربيع القادم على الأقل . وأما بعد ذلك ، وعلى المدى الطويل ، فالأمر يعتمد على قدرتهم فى حل المشاكل الاقتصادية من جهة والوصول إلى اتفاق مع بريطانيا من جهة أخرى» .

ولكن السفير الأمريكى قال فى برقية إلى واشنطن :

« القرار الجسور بالتخلص من الدستور يعتبر تطورا منطقيا . ويدل على ثقة اللواء نجيب فى قدرته على التحكم فى مصير مصر وتقديره بأن الرأى العام سيسانده فى أن يحكم مصر بدون دستور . ان ذلك يبين عزم العسكريين على البقاء فى الحكم لفترة أطول » .

ويقيم السفير الأمريكى الموقف بعد ٧٢ ساعة من قرار سقوط الدستور .

قال فى برقيته لحكومته :

« هذه المحاولة تتسم بأهمية خاصة فى وقت توشك فيه الحكومتان البريطانية والأمريكية على تنفيذ سياستهما المتفق عليها وهى مساندة نظام حكم اللواء نجيب كوسيلة لدعم المصالح الاستراتيجية والسياسية الغربية فى مصر ، والشرق الأوسط » .

* * *

أعلن أن لجنة قومية ستضع الدستور ولكن السفير البريطانى قال :

« كل التحركات مقصود بها تهدئة المعارضة ولكن ليس من خطة مجلس الثورة السماح للأحزاب السياسية القيام بدور فعال » .

وتتخذ الأحزاب السياسية موقفا حذرا .

رحبت بفكرة الدستور الجديد ولكنها أبدت ملاحظات على الأسلوب الذى يتم به وضعه هذا الدستور . وقالت أن أكثر الصيغ قبولا هو أن يتم تشكيل جمعية تأسيسية .

وبعد أربعة أيام أعلن تشكيل هيئة التحرير ، كهيئة سياسية لكل المؤمنين بمبادئ ٢٣ يوليو وأنها مفتوحة للجميع دون اعتبار للسن أو الا نتماءات السياسية أو الدينية .

وكان واضحا أن هيئة التحرير حزب هدفه استيعاب كل الأحزاب ، والإخوان المسلمين أيضا .

* * *

وفى ١٦ من يناير ١٩٥٣ تولى مجلس الثورة الحكم بكل السلطات خلا ل فترة انتقالية مدتها ٣ سنوات .

وقرر المجلس حل جميع الأحزاب ومصادرة أموالها .

وصدر الدستور المؤقت الانتقالى ـ فى ١٠ من فبراير ١٩٥٣ ـ فأصبحت السيادة العليا لقائد الثورة والسلطتان التشريعية والتنفيذية لمجلس الوزراء .

فى البداية أعلن الجيش أن ماقام به هو انقلاب ثم أطلق عليه بعد ذلك الحركة المباركة .

وفى الدستور المؤقت ظهرت كلمة « ثورة » وأعلن عن وجود مجلس « قيادة الثورة » يحكم بكل السلطات .

* * *

بعد ٢٤ ساعة من حل الأحزاب ، و ٤٨ ساعة من تعيين محمد نجيب رئيسا للوزارة صدر ـ فى ٩ من سبتمبر ـ قانون الإصلاح الزراعى للقضاء على طبقة الإقطاعيين ملاك الأراضى ، من قادة الأحزاب وغيرهم .

نص القانون على أن يكون الحد الأقصى للملكية الزراعية فى مصر مائتا فدان ـ يضاف إليها مائة أخرى للأسرة ـ وتستولى الدولة على باقى الأرض وتوزعها على الفلاحين المصريين فى حدود ٥ أفدنة على الأكثر بثمن يعادل ٧٠ ضعفا للضريبة السنوية على الفدان ويسدد الثمن على أقساط مدتها ٣٠ سنة بفائدة ٣ فى المائة فقط .

وقد عدل القانون بعد ذلك ليكون السداد على أقساط مدتها ٤٠ عاما . وخفضت الفائدة إلى ٥ر١ فى المائة .

وكان القانون متسامحا بالقياس إلى قوانين عالمية للإصلاح الزراعى .

فى اليابان بعد الحرب العالمية الثانية نص القانون على أن يكون الحد الأقصى للملكية الزراعية سبعة أفدنة ونصف .

... وفى يوغوسلافيا ٥٠ فدانا !

جعل قانون الإصلاح الزراعى الانقلاب يتحول إلى ثورة !

* * *

أخذت الثورة ، فى بحث مشكلة السودان .

فى مذكرات ايدن قال :

« أزال تنازل الملك على الأقل ، الأهمية المعلقة على أحد المطالب المصرية المزعجة جدا وهو لقبه المزدوج ملك مصر والسودان . ولو كانت الأمور تسير سيرا طبيعيا ، لاعطيت الحكومة الجديدة ، الوقت الكافى لتوطد أقدامها ، قبل أن أتقدم إليها بعروض جديدة ، ولكن ، كان علىّ أن أعمل بسرعة ، بسبب مسئولياتنا المشتركة فى السودان . فقد أعدت للسودان مسودة قانون سيصبح دستورا لها ومن المقرر أن يجتمع البرلمان السودانى الجديد فى الثامن من تشرين الثانى ، وأن يقر هذا الدستور .

ومن الضرورى ، أن أوضح موقفنا قبل شهر على الأقل ، وفضلت أن أقوم بذلك ، إذا أمكننا فى انسجام وتفاهم مع اللواء نجيب .

وعلى الأثر ، وجهت رسالة شاملة إلى سفيرنا فى القاهرة ، أوضحت فيها خطتنا . وأنى أريد

الأتفاق مع مصر ، ولكننى لا أستطيع بسبب هذه الرغبة أن أؤجل الانتخابات فى السودان ، إلى أجل غير مسمى ، ولا أن أوقف العمل بالدستور » .

وكتب دين اتشيسون وزير خارجية الولايات المتحدة إلى سفيره فى القاهرة :

« أكبر عنصر غير مستقر هو موقف نظام الحكم الجديد إزاء النزاع الانجليز ، المصرى بما فى ذلك مشكلة السودان التى ازدادت تعقيدا بإعلان الملك الجديد ـ أحمد فؤاد الثانى ـ ملكا على مصر والسودان » .

فى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٢ دعا مجلس الثورة المصرى الزعماء السودانيين الذين يريدون الأنفصال عن مصر وعقدت معهم اتفاقا . ولم توجه الدعوة إلى الزعماء الذين يطالبون بوحدة وادى النيل !

وأبلغ محمد نجيب الانجليز فى ٢٤ من سبتمبر ١٩٥٢ بأن الحكومة المصرية ستوافق على الحكم الذاتى .

وبعثت مصر فى ٢ نوفمبر مذكرة إلى الحكومة البريطانية بأن مصر تعترف بحق تقرير المصير للسودان بالضمانات الضرورية .

ويعتبر ذلك تغييرا أساسيا فى سياسة مصر ، فبدلا من التأكيد على التاج المشترك ، اعترف محمد نجيب بحق السودانيين فى تقرير المصير والحد من سلطات الحاكم العام.

ووضح تماما من تلك المذكرة أن مصر تعدل تماما عن مطلبها فى السيادة على السودان اكتفاء بمحاولة إلغاء النفوذ البريطانى فى السودان .

وعقدت مصر مع الاتحاديين اتفاقا فى ٥ ديسمبر ١٩٥٢ .

وتقرر أن تجرى الانتخابات فى الربع الأول من عام ١٩٥٣ .

وانتهت المفاوضات مع الانجليز بالتوقيع على اتفاقية السودان بالقاهرة فى ١٢ من فبراير ١٩٥٣ بعد يومين من صدور الدستور المؤقت بالقاهرة .

* * *

قال لى زكريا محيى الدين رئيس وزراء مصر السابق وعضو مجلس قيادة الثورة :

ـ كان السودان عقبة فى طريق الجلاء . ولم تكن هناك تضحية بالسودان . وكان الهدف أن يحصل الشعب السودانى على حريته .

لم نكن مؤمنين بحق الفتح فقد تطورت الدنيا عن عقلية القرن ١٩ . وماكان مقبولا حينئذ لم يعد مقبولا فى القرن العشرين .

وقد وجدنا أن السودان يمثل المشكلة التى يتعلل بها الانجليز .

واتفاقية السودان لاتدل على أننا قد لفظنا السودان ولم تكن هناك تضحية بالسودان .

وقد قال لنا حسين ذو الفقار صبرى إن السودان سيضيع حتما .

والإتفاقية فيها صيانة لمصالح مصر .

وقد خيرنا السودان بين الاستقلال والوحدة أو الفيدرالية أو الكونفدرالية أو الانضمام للكومنولث .

إن لنا مصالح مع السودان فى الجوار والأمن المتبادل .

* * *

أعلن الأزهرى استقلال السـودان قبل الاستفتاء واستقال صلاح سالم قـائلا لأنه المسئول .
وكانـت لجنة القيـادة تظن ، أو تـأمل ، أن ينتهـى الاستفتاء بـالموافقة على وحـدة ، أو اتحاد مصر والسودان .

لم تفطن لجنة القيادة إلى أن السـودان كان الصخرة التى تحطمت عليها مفـاوضات صدقى ـ بيفن عـام ١٩٤٦ ، وأن لقب ملك مصر والسـودان الذى أعلنه النحـاس فى اكتوبر ١٩٥١ مـن أهم أسباب سقوطه بعد حريق القاهرة وأن هذا اللقب الذى لم يستطع فاروق التنازل عنه هو الذى أدى إلى تتابع أنهيار الوزارات فى مصر خلال الشهور الأولى من عام ١٩٥٢ وأنه بدون عزل فاروق كان من الصعب ، إن لم يكن من المستحيل ، حل هذه المشكلة !!!

* * *

جرت محاكمات الثورة فى مصر لتدين أغلب السياسيين الذين تولوا الحكم فى العهد الملكى .

وفى ١٨ من يونيه ١٩٥٣ أصدر مجلس قيادة الثورة قرارا بإلغاء النظام الملكى فى مصر وإنهاء حكم أسرة محمد على وإعلان الجمهورية .

وقال جمال عبد الناصر إن الفترة الإنتقالية ستمتد ٣ سنوات ويقرر الشعب بعد ذلك نوع نظام الحكم وهل تكون جمهورية رئاسية أم برلمانية .

وفى ٢٨ من فبراير ١٩٥٤ بدأ الصراع العلنى بين جمال عبد الناصر ومحمد نجيب .

وجاء مارس ١٩٥٤ لينهى الحياة الحزبية القديمة تماما .

وفى ٢٧ من مارس انتهى الصراع بعزل محمد نجيب .

* * *

فى كتابه « الرجل راكب الحصان »« أو دور العسكريين فى السياسة » للدكتور س . فاينر قال :

« التدخل العسكرى أنواع ومستويات .

الأول هو النفوذ أو ممارسة النفوذ على السلطة المدنية .

وهناك الضغط أو الابتزاز والتهديد بفرض عقوبة معينة أى التهديد بعمل معين.

وفى هاتين الحالتين يعمل العسكريون من خلال السلطة المدنية .

وهناك تغيير وزير أو الوزراء بالعنف أو التهديد باستعمال العنف .

والمستوى الرابع بإزاحة النظام المدنى كله وهو آخر مراحل التدخل »

وقد مارس الجيش المصرى المستويات الأربعة بالتتابع .. وبنجاح !

* * *

ظل محمد نجيب وجمال عبد الناصر وأعضاء لجنة القيادة أو مجلس الثورة يعلنون ان ماقاموا به هو «انقلاب » .

وفى الانقـلاب دور الشعب سلبى . إنهم متفـرجون فى مسرحيـة يـؤيدون الممثلين بـالتصفيق والحماس ولكنهم لايشاركون فى عمل .

ولكن فى الثورة الجموع تشارك وتتحرك . والقيادة السياسية توجه وتحدد الأهداف وتلتصق بالجماهير وتعتمد عليهم وتطالبهم بالتحرك .

ولكن الثورة المصرية التى قامت للشعب لم تكن ثورة بالشعب .

ولم تكن قراراتها نابعة من الشعب وإن عبرت عنه . ومن هنا بقى الشعب سلبيا .

ففى أعقاب ثورتى عرابى وسعد زغلول عام ١٨٨٢ تحرك الشعب ، ولكن ثوار يوليو لم يفعلوا شيئا لتحريك الجماهير .

فقد بقيت الثورة .. عسكرية فحسب !

كان هناك تغيير سياسى واجتماعى ولكن الضباط رفضوا فكرة نقل السلطة تدريجيا للشعب أو مشاركتهم فيها ، أو تدعيم سلطتهم باختيار ممثلين للشعب يؤيدونهم .

وأغفلوا تلك القاعدة الهامة وهى أن « قدرة الإنسان على العدل تجعل الديموقراطية ممكنة ، وميل الإنسان إلى الظلم تجعل الديموقراطية ضرورة » !

وكان ذلك أكبر أخطاء الثورة . وبذلك لم تجد ضرورة لتنظيم قضية سياسية . وظلت السرية التى تمت بها الحركة طابع النظام .

لم تكن هناك حاجة لحشد المدنيين وراء الثورة كحلفاء ولذلك كان المدنيون سلبيين.

ولو أن الثورة فعلت ذلك لتغيرات أمور كثيرة فى مصر !

الفهـرس

كتب للمؤلف

١ ـ حكايات صحفية	الناشر أخبار اليوم
٢ ـ الزواج سنة ٢٠٠٠	الناشر أخبار اليوم
٣ ـ تاريخ للبيع	الناشر أخبار اليوم
٤ ـ ولا عجيب إلا الصين	الناشر أخبار اليوم
٥ ـ دفاع عن الزوجات	الناشر أخبار اليوم
٦ ـ سرقة واحة مصرية	الناشر أخبار اليوم
٧ ـ الصحافة قصص ومغامرات	الناشر أخبار اليوم
٨ ـ الشعب والحرب	الناشر المكتب المصرى الحديث
٩ ـ التليفزيون	الناشر المكتب المصرى الحديث
١٠ ـ التاريخ السرى لمصر	الناشر المكتب المصرى الحديث
١١ ـ حرب البترول (المحاضر السرية لاجتماعات وزراء البترول العرب)	الناشر مجلة الإذاعة
١٢ ـ عندما يموت الملك	الناشر دار التعاون
١٣ ـ سنة من عمر مصر	الناشر دار المعارف
١٤ ـ التاريخ السرى لمصر (طبعة أكبر بوثائق بريطانية وأمريكية)	الناشر دار المعارف
١٥ ـ أصول الحكم	الناشر دار المعارف
١٦ ـ الشيطان	الناشر دار المعارف
١٧ ـ دنيا الصحافة	الناشر دار المعارف
١٨ ـ أفنديناً يبيع مصر	الناشر مؤسسة الأهرام
١٩ ـ ٥ أيام هزت مصر	الناشر مؤسسة الأهرام
٢٠ ـ الإنسان حيوان تليفزيونى	الناشر مؤسس الأهرام
٢١ ـ سرقة ملك مصر	الناشر مؤسسة الأهرام
٢٢ ـ من قتل حسن البنا	الناشر دار الشروق
٢٣ ـ صاحب الجلالة التليفزيون	الناشر مكتبة غريب
٢٤ انهم يقتلون الأدباء	الناشر مكتبة غريب
٢٥ ـ أقوال غير مأثورة	الناشر مكتبة غريب
٢٦ ـ سعد زغلول مولد ثورة	الناشر مكتبة غريب

رقم الإيداع . ٩٥٥٤ / ١٩٩١
الترقيم الدولى ٩٧٧ ـ ٠٩ ـ ٠٠٧٦ ـ ١

مطابع الشروق

القاهرة ١٦ شارع جواد حسنى ـ هاتف ٣٩٣٤٥٧٨ ـ ٣٩٣٤٨١٤
بيروت ص ب ٨٠٦٤ ـ هاتف ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣